

تأملات شيخ الإسلام

ابن تيمية
في

القرآن الكريم

سورة الانبياء

رقية محمود الغرايبة

الفهرس

2	الفهرس
13	مقدمة سورة الانبياء
16	الانبياء 1-15
40	الانبياء 16-29
195	الانبياء 30-47
241	الانبياء 48-77
303	الأنبياء 76 - 92
437	الانبياء 93-112

الفهرس (2)

2 _____ الفهرس

13 _____ مقدمة سورة الانبياء

13 _____ سورة الذكر وسورة الانبياء

16 _____ الانبياء 1-15

16 _____ التنكير عام وخاص

18 _____ الذكر نوعان محدث وغير محدث

20 _____ كلام الله عز وجل صفة له قائمة بذاته

20 _____ ليس بمخلوق

يسمعون القرآن بقلوب لاهية وألسن لاغية __ خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.

25 _____ الطريق الشرعي في طلب العلم والدين

27 _____ انقسم الناس في الرسل ثلاثة أقسام

29 _____ ليس في النساء نبية

30 _____ أمر الله سبحانه باستشهاد أهل الكتاب

32 _____ إن الله أمر بسؤال العلم

33 _____ لفظ العقل في القرآن

35 _____ لطائف لغوية

40 _____ الانبياء 16-29

40 _____ الله سبحانه في كل ما يخلقه حكمة يحبها ويرضاها

42 _____ { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ }

بيان بطلان قول الجهمية أن الله لا يستحق أن يعبد كما إنه يفعل بلا حكمة و
لا رحمة _____ 46

نزه الله نفسه عن الوالد والولد _____ 48

يجيء لفظ الوصف في القرآن مستعملا في الكذب _____ 51

من سنة الله انه اذا اراد اظهار دينه أقام من يعارضه فيحق الحق بكلماته 51

{ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ } _____ 52

وصف الله تعالى نفسه بالعلو والاستواء على العرش _____ 55

الله موصوف في الكتاب والسنة بأن المخلوق يكون أمامه وبين يديه فلا
يجوز نفي ذلك عنه _____ 58

العبادة هي اسم جامع _____ 59

كلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته _____ 60

كل محبة وإرادة لا يكون أصلها محبة الله فهي باطلة _____ 61

لولا أن الله المعبود المحبوب لذاته لم يصلح قط شيء من الأعمال
والحركات بل كان العالم يفسد _____ 64

العرش مخلوق _____ 66

لا صلاح للموجودات إلا أن يكون كمال محبتها وحركتها لله تعالى _____ 67

أساليب البيان في القرآن _____ 71

إن الله يعلم ما كان و ما يكون و ما لا يكون لو كان كيف كان يكون _____ 73

لا يحب لذاته إلا الله فإن ذلك من خصائص إلهيته _____ 74

{ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } _____ 78

ليس في الكائنات ما يسكن العبد اليه ويطمئن به الا الله سبحانه _____ 80

لا بد للنفس من مراد محبوب لذاته لا تصلح إلا به ولا تكمل إلا به وذلك هو
إلهها _____ 82

سبحان الله تنزيه نفسه من السوء _____ 87

لا يجوز الخوض في أمر الله تعالى كما يجوز الخوض في فعل المخلوقين 88

البرهان في القرآن وغيره يطلق على ما يفيد العلم واليقين _____ 91

- 93 _____ بنى آدم محتاجون الى شرع يكمل فطرتهم
- 94 _____ التوحيد هو اصل الدين و أعظم العدل
- 96 _____ الغاية التي فيها صلاح للنفس
- 97 _____ كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله
- 98 _____ آعبدوا الله مالكم من إله غيره أول دعوة الرسل وآخرها
- 102 _____ الذي جاء به الكتاب والسنة هو توحيد الإلهية
- 107 _____ انما خلق الخلق لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله
- 108 _____ أصل الإيمان توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له والإيمان برسله
- 109 _____ دين الأنبياء واحد وإن كانت شرائعهم متنوعة
- _____ لا يسمع بي من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار
- 114 _____
- 117 _____ لم يشرع الله الشرك قط
- 120 _____ من المحبة لله الدعوة إليه وهي الدعوة إلى الايمان به
- 122 _____ محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الايمان وأكبر أوصله
- 124 _____ العبادة تجمع كمال المحبة وكمال الذل
- 128 _____ الفرق بين ما يتعلق بالأمر الدينية وبين الكونية
- 130 _____ قلب الإيمان وأول الإسلام وآخره
- 131 _____ العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه
- 133 _____ أحسن الحسنات هو التوحيد
- 135 _____ الله هو المعبود والمسئول الذى يخاف ويرجى
- 136 _____ الشريعة القرآنية الأكمل بسدها لأبواب الشرك
- 137 _____ الملائكة عبيد مدبرون
- 141 _____ من الأفعال ما نزه سبحانه نفسه عنه
- 141 _____ الأمر بتسبيح الله يقتضى إثبات صفات الكمال له
- 142 _____ طريقة القرآن فيما يذكره تعالى عن الكفار والفساق

- 143 _____ نعت صفوة خلقه بالعبودية له
- 145 _____ عبادة المخلوقات وتسييحها هو من جهة إلهيته سبحانه وتعالى
- 148 _____ جعل الملائكة والأنبياء وسائط كفر
- 149 _____ إقرار المشرك بأن الله رب كل شيء لا ينجيه من عذاب الله ان لم يقترب به
أقراره بأنه لا اله الا الله
- 150 _____ الملائكة رسل الله في تنفيذ أمره الكوني
- 154 _____ ما قال قوم من أهل الملل قولا في الله إلا وقول النصارى أقبح منه
- 155 _____ الله سبحانه هو خالق الأسباب كلها
- 159 _____ {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}
- 162 _____ الملائكة ليست أربابا ولا تسمى في الشريعة أربابا
- 164 _____ الله سبحانه وتعالى نفى الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك والبدع
- 166 _____ الشافع سائل لا تجب طاعته في الشفاعة
- 167 _____ محمد سيد الشفعاء
- 171 _____ " لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها "
- 172 _____ لفظ الأمر اذا أطلق يتناول النهي
- 173 _____ توحيد الإلهية هو الفارق بين الموحدين والمشركين
- 175 _____ شرك الفلاسفة أعظم من شرك المشركين
- 179 _____ الناس في الشفاعة ثلاثة أقسام
- 182 _____ الشفاعة نوعان
- 183 _____ الشفاعة التي نفاها القرآن مطلقا ما كان فيها شرك
- 184 _____ الشفاعة التي اخبرت بها الرسل
- 185 _____ الشفاعة إذا كانت بإذن الله لم تكن من دونه
- 187 _____ سلف الأمة وأئمتها أثبتوا ما جاءت به السنة عن النبي صلى
- 189 _____ لطائف لغوية

- 196 المنكرون للقوى والطبائع خالفوا الكتاب والسنة و صريح العقل _____
- 197 المخلوقات العلوية والسفلية يمسكها الله بقدرته سبحانه _____
- 198 الافلاك مستديرة _____
- 205 الخسوف والكسوف لهما أوقات مقدرة _____
- 207 جاءت الكتب الإلهية بخطاب الناس بالمعقولات الصحيحة الفطرية _____
- 215 أخبر سبحانه بخلقه الزمان _____
- 216 موت النفس فراقها للبدن ليست في نفسها ميتة _____
- 218 { وَنَبِّئُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً } أي بالسراء والضراء _____
- 219 الله يبتلي بالحلو والمر _____
- 222 الإستهزاء بالرسول كفر _____
- جهال العوام المبتدعين يجعلون من قال الحق في المخلوق سبابا له شاتما
وهم يسبون الله ويشتمونه _____
- 224 الله سبحانه خلق نفس الإنسان متحركة بالطبع حركة لا بد فيها من الشر
لحكمة بالغة ورحمة سايغة _____
- 225 صفات الكمال لا تصلح على وجه الكمال الا الله وحده _____
- 227 الله سبحانه علق الثواب والعقاب والحمد والذم بالإيمان به وتوحيده
وطاعته _____
- 228 القلب الحي المنور يسمع ويبصر ويعقل والقلب الميت فإنه لا يسمع ولا
يبصر _____
- 230 سمع الحق يوجب قبوله ايجاب الاحساس الحركة وايجاب علم القلب _____
- 231 الانسان مضطر الى شرع في حياته الدنيا _____
- 232 " كل من عمل سوءا فهو جاهل " _____
- 234 { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ } _____
- 237 لطائف لغوية _____

- 242 _____ قيل الفرقان هو التوراة وقيل هو الحكم بنصره على فرعون
- 243 _____ نهى الله عن خشية الظالم وأمر بخشيته
- 244 _____ الخشية من الله تكون لكمال العلم
- 246 _____ القرآن أفضل الذكر
- 248 _____ ما وافق الكتاب والسنة فهو حق وما خالف ذلك فهو خطأ
- 252 _____ عكوف المشركين وعكوف المسلمين
- 253 _____ الذي يأتي بالحق خلاف اللاعب
- 254 _____ أكثر ديانات الخلق إنما هي عادات أخذوها عن آبائهم وأسلافهم
- الشرك بعبادة الكواكب وقع كثيرا وكذلك الشرك بالمقبورين من دعائهم
والتضرع إليهم والرغبة إليهم
- 255 _____
- 257 _____ عاب الله سبحانه من عبد ما تنتفى فيه هذه الصفات
- 257 _____ تباح عند الحاجة الشرعية المعارض
- 259 _____ لا إله الا الله هي حقيقة الأمر كله
- 260 _____ لفظ العقل فى القران يتضمن ما يجلب به المنفعة وما يدفع به المضرة
- 262 _____ لسان الشرك لا يكون له لسان التوحيد
- 263 _____ سلب النار طبيعتها
- 263 _____ عمود الكتاب والإسلام بالشام
- جعل الله سبحانه إبراهيم وآله أئمة للحنفاء المخلصين أهل محبة الله
وعبادته
- 268 _____ موسى ومحمد من آل إبراهيم بل هم سادات آل إبراهيم صلوات الله عليهم
أجمعين
- 274 _____
- 275 _____ أن الله يجعل المسلم مسلما والإمام الهادي إماما هاديا
- 277 _____ أثبت مشيئة العبد وجعلها لا تحصل إلا بمشيئة الله تعالى
- 280 _____ استعمل الاسم على وجه يختص بمراد الشارع لم يستعمل مطلقا

- 283 _____ عماد الدين الذي لا يقوم إلا به هو الصلوات الخمس المكتوبات
- 284 _____ بالقيام بالصلاة والزكاة والصبر يصلح حال الراعي والرعية
- 285 _____ الله سبحانه و تعالى أمر في كتابه بإقامة الصلاة و ذم المصلين الساهين عنها
- 288 _____ جاء ذكر الصلاة في القرآن مجملا فيبينه الرسول
- 289 _____ ذكر الخاص مع العام يكون لأسباب متنوعة
- 292 _____ الفاحشة اسمها ضد الجمال فإن الله سماها فاحشة وسوءا وفسادا وخبثا
- 295 _____ لفظ الصالح خلاف الفاسد فإذا أطلق فهو الذي أصلح جميع امره
- 296 _____ لطائف لغوية

303 الأنبياء 76- 92

- 304 _____ قد يخص الله بعض الأنبياء والعلماء والحكام بعلم دون غيره
- 307 _____ اختص سليمان بالفهم واثنى عليهما بالحكم والعلم
- 311 _____ إذا أريد بالخطأ الاثم فليس المجتهد بمخطيء بل كل مجتهد مصيب مطيع لله
- 313 _____ ان هذا الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا
- 314 _____ جميع المتلفات تضمن بالجنس بحسب الامكان
- 317 _____ الله سبحانه أنطق الأشياء نطقا معتادا ونطقا خارجا عن المعتاد
- 319 _____ ما فعل الله بأسباب يمكن طلبه بطلب الأسباب
- 319 _____ أخبر الله بأنه بارك في أرض الشام
- 321 _____ " والله لله أرحم بعباده من هذه الوالدة بولدها "
- 323 _____ حسن الأدب في السؤال والدعاء
- 327 _____ علق الله الإجابة بالدعاء تعليق المسبب بالسبب
- 331 _____ الصالح القائم بحقوق الله وحقوق عباده
- 332 _____ جميع الذنوب تدخل في ظلم العبد نفسه

- 333 _____ التسبيح يقتضي التنزيه و التعظيم
- 333 _____ قوام الدين بالتوحيد والاستغفار
- 336 _____ سنل شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه عن قول النبي صلى الله عليه وسلم دعوة أخي ذي النون
- 394 _____ أن الله على كل شيء قدير
- 396 _____ الإستطاعة نوعان
- 399 _____ توبة الأنبياء عليهم السلام
- 401 _____ موجبة السعادة وموجبة الشقاوة
- 403 _____ القسم الممدوح هم أهل الصبر و الشكر
- 406 _____ إمتن الله سبحانه على زكريا حيث قال {وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَةً} _____
- 407 _____ وذكر الخاص مع العام يكون لأسباب متنوعة
- 409 _____ لفظ الدعاء والدعوة فى القرآن يتناول معنيين
- 413 _____ المسارعة إلى الخيرات مأمور بها و إن فاعلها مستوجب لثناء الله و رضوانه
- 414 _____ التوبة فرض على العباد دائما
- 415 _____ إثبات الملائكة وأنهم أحياء ناطقون منفصلون عن الآدميين يخاطبونهم ويرونهم
- 416 _____ بين الله سبحانه أن الرسول الذي هو روحه وهو جبريل هو الروح الذي خاطبه
- 420 _____ قوله بروح منه لا يوجب أن يكون منفصلا من ذات الله
- 423 _____ دعوى النصارى أن روح القدس روح الله الجوهرية أمر مخالف لجميع كتب الله وأنبيائه
- 426 _____ المضاف إلى الله نوعان
- 428 _____ { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون } _____
- 430 _____ العبادة هى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه

- توحيد الله وإخلاص الدين له فى عبادته وإستعانته هو قلب الإيمان وأول
 432 _____ الإسلام وآخره
- الغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله
 433 _____ وحده
- 434 _____ لطائف لغوية

437 _____ الانبياء 93-112

- 438 _____ الاسلام علانية والايمان فى القلب
- 439 _____ القلب له عمل مع التصديق
- 440 _____ من اتقى الله فى عمل تقبله منه وان كان عاصيا فى غيره
- من عارضوا خبره بمثل هذا كيف لا يدعون معارضة القرآن وهم لا يقدر
 441 _____ على ذلك
- 442 _____ {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}
- 443 _____ الشرع دائما يبطل القياس الفاسد كقياس ابليس وقياس المشركين
- 447 _____ من رضى بأن يعبد ويطاع فى معصية الله فهو مستحق للوعيد
- بطلان الاحتجاج بقوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك
 450 _____ عنها مبعدون
- وسئل رحمة الله عن قوله تعالى {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ
 فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ} هود 108 وقوله تعالى {يَوْمَ نَطْوِي
 454 _____ السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ} الانبياء 104 ؟
- القول الذي عليه السلف و جمهور العقلاء من أن الأجسام تنقلب من حال
 455 _____ إلى حال
- 462 _____ " إن الله خلق الخلق وعلم ما هم عاملون ثم قال لعلمه كن كتابا
- 464 _____ { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }
- 466 _____ ارسال الرسول من اعظم الدلالة على كمال قدرة الله واحسانه
- 468 _____ الرسالة ضرورية فى اصلاح العبد فى معاشه ومعاده

- إذا قال قائل فقد تضرر برسائله طائفة من الناس كالذين كذبوه من
المشركين و أهل الكتاب؟
472 _____
- التوحيد هو اصل الدين وهو أعظم العدل وضده الشرك وهو أعظم الظلم
474 _____
- محبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح للنفس
476 _____
- الاسلام هو الإستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له
478 _____
- ذمه في غير موضع من القرآن من تولى دليل على وجوب طاعة الله
ورسوله
479 _____
- الحكم يكون بمعنى الأمر الدينى ويكون الحكم حكما بالحق والتكوين والفعل
480 _____
- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شهد قتالا قال رب إحكم بالحق
481 _____
- قل كما قالت الأنبياء رب رب
482 _____
- لطائف لغوية
483 _____

مقدمة سورة الانبياء

سورة الذكر وسورة الأنبياء

في **سورة الانبياء** كان المقصود ذكر الانبياء ولهذا سميت سورة الانبياء فذكر فيها إكرامه للأنبياء وإن لم يذكر قومهم كما ذكر قصة داود وسليمان وايوب وذكر آخر الكل إن هذه أمتكم أمة واحدة وبدأ فيها بقصة إبراهيم إذ كان المقصود ذكر إكرامه للانبياء قبل محمد وإبراهيم أكرمهم على الله تعالى وهو خير البرية وهو أبو أكثرهم إذ ليس هو أب نوح ولوط لكن لوط من أتباعه وأيوب من ذريته بدليل قوله في سورة الانعام ومن ذريته داود وسليمان وأيوب¹

سورة الأنبياء سورة الذكر وسورة الأنبياء الذين عليهم نزل الذكر إفتتحها بقوله { مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ } { الأنبياء 2 الآية وقوله { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } { الأنبياء 7 وقوله { لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } { الأنبياء 10 وقوله { هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي } { الأنبياء 24 وقوله { وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ } { الأنبياء 84 وقوله { وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ } { الأنبياء 50 وقوله { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ } { الأنبياء 105 وقوله { قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ } { الأنبياء 112 يعنى والله أعلم انصر أهل الحق أو انصر الحق وقيل افصل الحق بيننا وبين قومنا وكان الأنبياء يقولون { رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ } { الأعراف 89 وأمر محمدا أن يقول { رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ } { الأنبياء 112 وروى مالك عن زيد بن

¹النبوات ج: 1 ص: 28

أسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شهد قتالا قال
رب إحكم بالحق²

²مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 265

~§§ الأنبياء (مكية) 112 §§~

الانبياء 1-15

بسم الله الرحمن الرحيم

اَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ {1} مَا يَأْتِيهِمْ
مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ {2} لَاهِيَةً
قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلَكُم
أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ {3} قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {4} بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ
بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ {5} مَا
آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ {6} وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ
إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ {7}
وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ {8} ثُمَّ
صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ {9} لَقَدْ
أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ {10} وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ
قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ {11} فَلَمَّا أَحْسَوْا
بِأَسْنَاءِ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ {12} لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا
أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ {13} قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا
ظَالِمِينَ {14} فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا
خَامِدِينَ {15}

التذكير عام وخاص

قال تعالى { اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون {1} ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون {2} لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفأتأتون السحر وأنتم تبصرون {3} قال تعالى لما أهبط آدم من الجنة { فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى {123} ومن عرض عن ذكري فإن له معيشة

صَنَكَا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى {124} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي
 أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا
 وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى {126} طه 123-126 فقد أخبر أن من اتبع
 الهدى الذي أتانا منه وهو ما جاءت به الرسل فلا يضل ولا يشقى
 ومن أعرض عن ذكره وهو الذكر الذي أنزله وهو كتبه التي
 بعث بها رسله بدليل أنه قال بعد ذلك { كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا
 فَسَيِّبَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى } طه 126 والذكر مصدر يضاف
 تارة إلى الفاعل وتارة إلى المفعول كما يقال دق الثوب ودق
 القصار ويقال أكل زيد وأكل الطعام ويقال ذكر الله أي ذكر
 العبد ويقال ذكر الله أي ذكر الله الذي ذكره هو مثل ذكره عبده
 ومثل القرآن الذي هو ذكره وقد يضاف الذكر إضافة الأسماء
 المحضة فقوله ذكرى إن أضيف إضافة المصادر كان
 المعنى الذكر الذي ذكرته وهو كلامه الذي أنزله وإن أضيف
 إضافة الأسماء المحضة فذكره هو ما اختص به من الذكر
 والقرآن مما اختص به من الذكر قال تعالى { وَهَذَا ذِكْرٌ
 مُّبَارَكٌ } الأنبياء 50 وقال { مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ
 } الأنبياء 2 وقال { إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ } يس 69 وقال
 { بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ
 } النحل 44³

و ذكر الله يراد به تارة ذكر العبد ربه ويراد به الذكر الذي
 أنزله الله كما قال تعالى { وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ } الأنبياء 50
 وقال نوح { أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ
 لِيُنذِرَكُمْ } الأعراف 63 وقال { وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ
 الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ } الحجر 6 وقال { مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن
 رَبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ } الأنبياء 2 وقال { وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ
 وَلِقَوْمِكَ } الزخرف 44 وقال { إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ } {27}

³ منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 155-156

لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ {28} التكوير 27-28 وقال {وَمَا
عَلَّمَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ} يس 69

4

التذكير عام وخاص فالعام هو تبليغ الرسالة إلى كل أحد وهذا يحصل بإبلاغهم ما أرسل به من الرسالة قال تعالى {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ} {86} إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ {87} ص 86-87 وقال تعالى {وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ} المدثر 31 وقال تعالى {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} التكوير 27 ثم قال {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} التكوير 28 فذكر العام والخاص والتذكر هو الذكر التام الذي يذكره المذكر به وينتفع به وغير هؤلاء قال تعالى فيهم {مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ} {2} {لَا هِيَءَ قُلُوبُهُمْ} {3} {الأنبياء 2-3} وقال تعالى {وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُّحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُّعْرِضِينَ} الشعراء 5 فقد أتاهم وقامت به الحجة ولكن لم يصغوا إليه بقلوبهم فلم يفهموه أو فهموه فلم يعملوا به كما قال {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ} {الأنفال 23} والخاص هو التام النافع وهو الذي حصل معه تذكر لمذكر فإن هذا ذكرى كما قال {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى} {9} {سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى} {10} {وَيَجْجَبُهَا الْأَسْفَى} {11} {الاعلى 9-11} أي يجنب الذكرى وهو إنما جنب الذكرى الخاصة⁵

الذكر نوعان محدث وغير محدث

⁴مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 561

⁵مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 153

قال تعالى { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ } {1}
 مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ } {2}
 لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ
 أَفَتَأْتُونَ السَّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ } {3} الأنبياء 1-3 فالمحدث يقابل
 القديم وكان القرآن ينزل شيئا فشيئا فما تقدم نزوله فهو متقدم
 على ما تأخر نزوله وما تأخر نزوله محدث بالنسبة إلى ذلك
 المتقدم⁶

فانه لما قال { مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ } {الأنبياء 2
 علم ان الذكر منه محدث ومنه ما ليس بمحدث لأن النكرة اذا
 وصفت ميز بها بين الموصوف وغيره كما لو قال ما يأتيني من
 رجل مسلم إلا اكرمه وما أكل إلا طعاما حلالا وما جاءني من
 رجل عدل إلا قبلت شهادته وصفة النكرة للتخصيص ويعلم ان
 المحدث في الآية ليس هو المخلوق الذي يقوله الجهمي ولكنه
 الذي أنزل جديدا فان الله كان ينزل القرآن شيئا بعد شيء فالمنزل
 أولا هو قديم بالنسبة الى المنزل آخرا وكل ما تقدم على غيره
 فهو قديم في لغة العرب كما قال { كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ } يس 39
 وقال { تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ } يوسف 95 وقال { وَإِذْ لَمْ
 يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسِيْقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ } الأحقاف 11 وقال {
 أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ } {75} أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ
 الْأَقْدَمُونَ } {76} الشعراء 75-76 وكذلك قوله { إِنَّا جَعَلْنَاهُ
 قُرْآنًا عَرَبِيًّا } الزخرف 3 لم يقل جعلناه فقط حتى يظن أنه بمعنى
 خلقناه ولكن قال جعلناه قرآنا عربيا أى صيرناه عربيا لانه
 قد كان قادرا على ان ينزله عجميا فلما أنزله عربيا كان قد جعله

⁶الصفدية ج: 2 ص: 85

عربيا دون عجمي وهذه المسئلة من أصول أهل الإيمان والسنة التي فارقوا بها الجهمية من المعتزلة والفلاسفة ونحوهم⁷

اصطلاح المتكلمين على ان القديم هو مالا أول لوجوده أو مالم يسبقه عدم ثم يقول بعضهم وقد يستعمل القديم فى المتقدم على غيره سواء كان أزليا أو لم يكن كما قال تعالى { حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ } يس39 وقال { وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِيَّائِنَا الَّذِي كُنَّا نَعْبُدُونَ } 75 { أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ } 76 { الشعراء75-76 وتخصيص القديم بالأول عرف اصطلاحى ولا ريب انه أولى بالقدم فى لغة العرب ولهذا كان لفظ المحدث فى لغة العرب بازاء القديم قال تعالى { مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ } الأنبياء2 وهذا يقتضى أن الذى نزل قبله ليس يمحدث بل متقدم وهذا موافق للغة العرب التى نزل بها القرآن⁸

كلام الله عز وجل صفة له قائمة بذاته

ليس بمخلوق

⁷منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 256 و الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 1
ومجموع الفتاوى ج: 12 ص: 522

⁸مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 105

قال تعالى { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ } {1} مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ } {2} لَا هِيَءَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ } {3} الأنبياء 1-3 فإن الله سبحانه أخبر أن القرآن منزل منه و أنه تنزيل منه و أنه كلامه و أنه قوله و أنه كفر من قال أنه قول البشر و أخبر أنه قول رسول كريم من الملائكة و رسول كريم من البشر و الرسول يتضمن المرسل فبين أن كلا من الرسولين بلغه لم يحدث هو منه شيئا و أخبر أنه جعله قرآنا عربيا و قال عما ينزل منه جديدا بعد نزول غيره قديما { مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ } {الأنبياء 2} و أخبر أن للكلام المعين و قتا معينًا كما قال تعالى { فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى {طه 11} و قال { وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ } {الأعراف 11} والذين قالوا أنه مخلوق ليس معهم حجة إلا ما يدل أنه تكلم بمشيئته و قدرته و هذا حق لكن ضموا إلى ذلك أن ما كان بمشيئته لا يقوم بذاته فغلطوا و لبسوا الحق بالباطل فضموا ما نطق به القرآن الموافق للشرع و العقل إلى ما أحدثوه من البدع و التشبهات وكذلك الذين قالوا أنه قديم ليس معهم إلا ما يدل على أنه قائم بذاته لكن ضموا إلى ذلك أن ما يقوم بذاته لا يكون بمشيئته و قدرته فأخطأوا في ذلك و لبسوا الحق بالباطل و أولئك فسروا قوله { جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا } {الزخرف 3} بأنه جعله بائنا عنه مخلوقا و قالوا جعل بمعنى خلق و هؤلاء قالوا جعلناه سميناه كما في قوله { وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاتًا } {الزخرف 19} و هذا إنما يقال فيمن اعتقد في الشيء صفة حقا أو باطلا إذا كانت الصفة خفية فيقال أخبر عنه بكذا و كون القرآن أمر ظاهر لا يحتاج إلى الإخبار ثم كل من أخبر بأنه عربي فقد جعله عربيا بهذا الاعتبار و الرب تعالى إختص بجعله عربيا فإنه هو الذى تكلم به و أنزله فجعله قرآنا عربيا بفعل قام بنفسه و هو تكلم به و

إختره لأن يتكلم به عربيا عن غير ذلك من الألسنة باللسان العربي و أنزله به ولهذا قال أحمد الجعل من الله قد يكون خلقا و قد يكون غير خلق فالجعل فعل والفعل قد يكون متعديا إلى مفعول مباين له كالخلق و قد يكون الفعل لازما و إن كان له مفعول فى اللغة كان مفعول قائما بالفعل مثل التكلم فإن التكلم فعل يقول بالمتكلم و الكلام نفسه قائم بالمتكلم فهو سبحانه جعله قرآنا عربيا فالجعل قائم به و القرآن العربى قائم به فإن الكلام يتضمن شيئين يتضمن فعلا هو التكلم و الحروف المنظومة و الأصوات الحاصلة بذلك الفعل و لهذا يجعل القول تارة نوعا من الفعل و تارة قسيما للفعل كما قد بسطت هذه الأمور فى غير هذا الموضع و الله أعلم وقد ذكرت فى غير هذا الموضع أنه ما احتج أحد بدليل سمعي أو عقلي على باطل إلا و ذلك الدليل إذا أعطى حقه و ميز ما يدل عليه مما لا يدل تبين أنه يدل على فساد قول المبطل المحتج به و أنه دليل لأهل الحق و أن الأدلة الصحيحة لا يكون مدلوها إلا حقا و الحق لا يتناقض بل يصدق بعضه بعضا و الله أعلم⁹

فالقرآن ليس بمخلوق لا فى ذاته ولا خارجا عن ذاته بل تكلم بمشيئته وقدرته وهو حادث فى ذاته وهل يقال أحدثه فى ذاته على قولين أصحهما أنه يقال ذلك كما قال تعالى { وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ } الشعراء 5 وقال النبى ان الله يحدث من أمره ما شاء وان مما أحدث أن لا تكلموا فى الصلاة وقد بوب البخارى فى صحيحه لهذا بابا دل عليه الكتاب والسنة وهذا بخلاف المخلوق فانه ليس فى عقل ولا شرع ولا لغة ان الانسان يسمى ما قام به من الافعال والاقوال خلقا له ويقول أنا

⁹مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 27- 28

خلقت ذلك بل يقول أنا فعلت وتكلمت وقد يقول أنا أحدثت هذه
 الاقوال والافعال وكما قال النبي اياكم ومحدثات
 الامور فان كل بدعة ضلالة وقال المدينة حرم ما بين عير
 الى ثور من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله
 والملائكة والناس أجمعين الفعل وانما مقصوده من أحدث فيها
 بدعة تخالف ما قد سن وشرع ويقال للجرائم الاحداث ولفظ
 الاحداث يريدون به ابتداء ما لم يكن قبل ذلك ومنه قوله ان
 الله يحدث من أمره ما شاء { وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ
 مُحَدَّثٍ } الشعراء5 ولا يسمون مخلوقا الا ما كان باننا عنه
 كقوله { وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ } المائدة110
 واذا قالوا عن كلام المتكلم انه مخلوق ومختلف فمرادهم أنه
 مكذوب مفترى كقوله { وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ الْعُنكَبُوتِ }¹⁰

فان السلف وائمة السنة والحديث يقولون يتكلم بمشيئته وقدرته
 وكلامه ليس بمخلوق بل كلامه صفة له قائمة بذاته وائمة
 السنة كعبدالله بن المبارك واحمد بن حنبل والبخارى وعثمان بن
 سعيد الدارمي ومن لا يحصى من الائمة وذكره حرب بن
 اسماعيل الكرمانى عن سعيد بن منصور واحمد بن حنبل
 واسحق بن ابراهيم وسائر اهل السنة والحديث متفقون على أنه
 متكلم بمشيئته وانه لم يزل متكلما اذا شاء وكيف شاء وقد
 سمى الله القرآن العزيز حديثا فقال { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ
 { الزمر23 وقال { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا } النساء87
 وقال { مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ } الأنبياء2 وقال
 النبي ان الله يحدث من أمره ما يشاء وهذا مما احتج به
 البخارى فى صحيحه وفى غير صحيحه واحتج به غير البخارى

¹⁰مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 328

كنعيم بن حماد وحماد بن زيد ومن المشهور عن السلف ان القرآن العزيز كلام الله غير مخلوق منه بدأ واليه يعود وأما الجهمية و المعتزلة فيقولون ليس له كلام قائم بذاته بل كلامه منفصل عنه مخلوق عنه و المعتزلة يطلقون القول بأنه يتكلم بمشيئته ولكن مرادهم بذلك انه يخلق كلاما منفصلا عنه و الكلابية والسلمية يقولون انه لا يتكلم بمشيئته وقدرته بل كلامه قائم بذاته بدون قدرته ومشيئته مثل حياته وهم يقولون الكلام صفة ذات لا صفة فعل يتعلق بمشيئته وقدرته واولئك يقولون هو صفة فعل لكن الفعل عندهم هو المفعول المخلوق بمشيئته وقدرته وأما السلف وأئمة السنة وكثير من أهل الكلام كالهشامية والكرامية واصحاب ابي معاذ التومنى وزهير اليامى وطوائف غير هؤلاء يقولون انه صفة ذات وفعل هو يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما قائما بذاته وهذا هو المعقول من صفة الكلام لكل متكلم فكل من وصف بالكلام كالملائكة والبشر والجن وغيرهم فكلامهم لا بد ان يقوم بأنفسهم وهم يتكلمون بمشيئتهم وقدرتهم والكلام صفة كمال لا صفة نقص ومن تكلم بمشيئته اكمل ممن لا يتكلم بمشيئته فكيف يتصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق¹¹

القلوب اللاهية

قال تعالى { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ } {1} مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ } {2} لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلَكُمُ أَفْتَاتُونَ السَّحَرِ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ } {3} الأنبياء 1-3 فتجدهم يسمعون القرآن بقلوب لاهية وألسن لاغية وحرركات مضطربة وأصوات

¹¹مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 219

لا تقبل عليه قلوبهم ولا ترتاح إليه نفوسهم فاذا سمعوا المكاء
و التصديّة أصغت القلوب واتصل المحبوب بالمحب
وخشعت الأصوات وسكنت الحركات فلا سعة ولا عطاس ولا
لغط ولا صياح وان قرأوا شيئاً من القرآن أو سمعوه كان على
وجه التكلف والسخرّة كما لا يسمع الانسان ما لا حاجة له به ولا
فائدة له فيه حتى إذا ما سمعوا زممار الشيطان أحبوا ذلك وأقبلوا
عليه وعكفت أرواحهم عليه¹²

الطريق الشرعي في طلب العلم والدين

قال تعالى { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ } {1}
مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ } {2}
لَأَهِيَّةَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلَكُم
أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ } {3} {الأنبياء 1-3} والناس لهم في
طلب العلم والدين طريقان مبتدعان وطريق شرعي فالطريق
الشرعي هو النظر فيما جاء به الرسول والإستدلال بأدلته
والعمل بموجبها فلا بد من علم بما جاء به وعمل به لا يكفي
أحدهما وهذا الطريق متضمن للأدلة العقلية والبراهين
اليقينية فإن الرسول بين بالبراهين العقلية ما يتوقف السمع عليه
والرسل بينوا للناس العقليات التي يحتاجون إليها كما ضرب الله
في القرآن من كل مثل وهذا هو الصراط المستقيم الذي أمر الله
عباده أن يسألوه هدايته وأما الطريقان المبتدعان فأحدهما
طريق أهل الكلام البدعي والرأي البدعي فإن هذا فيه باطل كثير
وكثير من أهله يفرطون فيما أمر الله به ورسوله من الأعمال
فبيقى هؤلاء في فساد علم وفساد عمل وهؤلاء منحرفون إلى
اليهودية الباطلة والثاني طريق أهل الرياضة والتصوف
والعبادة البدعية وهؤلاء منحرفون إلى النصرانية الباطلة فإن

¹²مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 634

هؤلاء يقولون إذا صفى الإنسان نفسه على الوجه الذي يذكرونه
فاضت عليه العلوم بلا تعلم وكثير من هؤلاء تكون عبادته
مبتدعة بل مخالفة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
فيبقون في فساد من جهة العمل وفساد من نقص العلم حيث لم
يعرفوا ما جاء به الرسول وكثير ما يقع من هؤلاء وهؤلاء
وتقدح كل طائفة في الأخرى وينتحل كل منهم اتباع الرسول
والرسول ليس ما جاء به موافقا لما قال هؤلاء ولا هؤلاء { مَا
كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ } آل عمران 67 وما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا أصحابه على طريقة أهل البدع من أهل الكلام والرأي
ولا على طريقة أهل البدع من أهل العبادة والتصوف بل كان
على ما بعثه الله من الكتاب والحكمة وكثير من أهل النظر
يزعمون أنه بمجرد النظر يحصل العلم بلا عبادة ولا دين ولا
تزكية للنفس وكثير من أهل الإرادة يزعمون أن طريق الرياضة
بمجرده تحصل المعارف بلا تعلم ولا نظر ولا تدبير للقرآن
والحديث وكلا الفريقين غلط بل لتزكية النفس والعمل بالعلم
وتقوى الله تأثير عظيم في حصول العلم لكن مجرد العمل لا يفيد
ذلك إلا بنظر وتدبير وفهم لما بعث الله به الرسول ولو تعبد
الإنسان ما عسى أن يتعبد لم يعرف ما خص الله به محمدا صلى
الله عليه وسلم إن لم يعرف ذلك من جهته وكذلك لو نظر
واستدل ماذا عسى أن ينظر لم يحصل له المطلوب إلا بالتعلم من
جهته ولا يحصل التعلم المطابق النافع إلا مع العمل به وإلا فقد
قال الله تعالى { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } الصف 5 وقال {
وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } 109 { وَنَقَلَبُ أُمَّدَتَهُمْ
وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَدَّرُهُمْ فِي طُعْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ } 110 { الأنعام 109-110 وقال { ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ
فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 وكذلك لو جاع وسهر وخلا وصمت
وفعل ماذا عسى أن يفعل لا يكون مهتديا إن لم يتعبد بالعبادات
الشرعية وإن لم ينلق علم الغيب من جهة الرسول قال تعالى

لأفضل الخلق الذي كان أزكى الناس نفسا وأكملهم عقلا قبل الوحي { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الشورى 52 وقال { وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ } الزخرف 36 أي عن الذكر الذي أنزلته قال المفسرون يعيش عنه فلا يلتفت إلى كلامه ولا يخاف عقابه ومنه قوله { وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ } الأنبياء 50 وقوله { مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ } الأنبياء 2 وشاهده في الآية الأخرى { وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُّحَدَّثٍ } الشعراء 5 { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي } طه 124 ثم قال { قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمِ تُنْسَى } طه 126 فكل من عشا عن القرآن فإنه يقيض له شيطان يضلّه ولو تعبد بما تعبد ويعيش روى عن ابن عباس يعمى وكذلك قال عطاء وابن زيد ابن أسلم وكذلك أبو عبيدة قال تظلم عينه واختاره ابن قتيبة ورجحه على قول من قال يعرض والعشا ضعف في البصر ولهذا قيل فيه يعيش وقالت طائفة يعرض وهو رواية الضحاك عن ابن عباس وقاله قتادة واختاره الفراء والزجاج وهذا صحيح من جهة المعنى فإن قوله يعيش ضمن معنى يعرض ولهذا عدى بحرف الجار عن كما يقال أنت أعمى عن محاسن فلان إذا أعرضت فلم تنظر إليها فقوله يعيش أي يكن أعشى عنها وهو دون العمى فلم ينظر إليها إلا نظرا ضعيفا¹³

انقسم الناس في الرسل ثلاثة أقسام

¹³ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 428-432

قال تعالى {1} { مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمْعَوْهُ
وَهُمْ يَلْعَبُونَ {2} { لَاهِيَةً فُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ
هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ {3} { قَالَ رَبِّي
يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {4} { بَلْ قَالُوا
أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ
الْأَوَّلُونَ {5} { مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ {6}
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ {7} { وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا
خَالِدِينَ {8} { ثُمَّ صَدَقْنَاَهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا
الْمُسْرِفِينَ {9} { لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ {10}
وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
آخَرِينَ {11} { فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ {12} { لَا
تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُسْأَلُونَ {13} { قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ {14} { فَمَا زَالَتْ تِلْكَ
دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ {15} { الأنبياء 2-15 انقسم
الناس في الرسل ثلاثة أقسام قوم انكروا توسطهم بتبليغ
الرسالة فكذبوا بالكتب والرسل مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط
وشعيب وقوم فرعون وغيرهم ممن يخبر الله أنهم كذبوا
المرسلين فإنهم كذبوا جنس الرسل لم يؤمنوا ببعضهم دون بعض
ومن هؤلاء منكروا النبوات من البراهمة وفلاسفة الهند
المشركين وغيرهم من المشركين وكل من كذب الرسل لا يكون
إلا مشركا وكذلك من كذب ببعضهم دون بعض كما قال تعالى
{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا
بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا {150} { أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا

{151} النساء 150-151 والفلاسفة والملاحدة وغيرهم منهم
من يجعل النبوات من جنس المنامات ويجعل مقصودها التخيل
فقط قال تعالى { بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ

فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ { الأنبياء 5 } فهؤلاء مكذبون بالنبوات ومنهم من يجعلهم مخصوصين بعلم ينالونه بقوة قدسية بلا تعلم ولا يثبت ملائكة تنزل بالوحى ولا كلاما لله يتكلم به بل يقولون أنه لا يعلم الجزئيات فلا يعلم لا موسى ولا محمدا ولا غيرهما من الرسل ويقولون خاصية النبي هذه القوة العلمية القدسية قوة يؤثر بها فى العالم وعنها تكون الخوارق وقوة تخيلية وهو أن تمثل له الحقائق فى صور خيالية فى نفسه فيرى فى نفسه أشكالا نورانية ويسمع فى نفسه كلاما فهذا هو النبي عندهم وهذه الثلاث توجد لكثير من آحاد العامة الذين غيرهم من النبيين أفضل منهم وهؤلاء وإن كانوا أقرب من الذين قبلهم فهم من المكذبين للرسل¹⁴

ليس فى النساء نبية

قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } {7} وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ } {8} الأنبياء 7- 8

يبين أنه لم يرسل ملائكة بل رجالا من أهل القرى ليبين أن هذا معتاد معروف ليس هو أمرا لم تجر به عادة الرب كقوله قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } {7} وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ } {8} الأنبياء 7- 8¹⁵

¹⁴مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 282

¹⁵النبوات ج: 1 ص: 16

المقصود بيان أن أهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذبك فيه الكافرون¹⁶

وقد حكى الإجماع على انه لم يكن في النساء نبية غير واحد كالقاضي أبي بكر بن الطيب والقاضي أبي يعلى وأبي المعالي الجويني وخلاف ابن حزم شاذ مسبوق بالإجماع فإن دعواه أن أم موسى كانت نبية هي ومريم قول لا يعرف عن أحد من السلف والأئمة وقد ثبت في الصحيح عدد من كمل من النساء وليس فيهن أم موسى بل قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم يعني ممن قبلنا فذكرتا والتي حضنت موسى وفيمن كمل ممن ليس بنبي خديجة وآسية امرأة فرعون وغيرهما والأنبياء أفضل من غيرهم فلو كانت نبية لكان غير النبي أفضل منه أو غير الكامل أفضل من الكامل¹⁷

أمر الله سبحانه باستشهاد أهل الكتاب

قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } {7} وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ } {8} الأنبياء 7- 8 أن السلطان الذي أيد الله به رسوله من أنواع الحجج المعجزات وأنواع القدر الباهرات أعظم مما أيد به غيره ونبوته هي التي طبق نورها مشارق الأرض ومغاربها وبه ثبتت نبوات من تقدمه وتبين الحق من الباطل والا فلولاً رسالته لكان الناس في ظلمات بعضها فوق

¹⁶الجواب الصحيح ج: 2 ص: 358

¹⁷الصفدية ج: 1 ص: 198

بعض وأمر مريخ يؤفك عنه من أفك الكتابيون منهم والأمينون ولهذا لما كان ما يقال له إلا ما قد قيل للرسل من قبله أمره الله سبحانه باستشهاد أهل الكتاب على مثل ما جاء به وهذا من بعض حكمة إقرارهم بالجزية كقوله تعالى {فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ۖ} {يونس 94} وقوله {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} {7} وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ} {8} الانبياء 7-8¹⁸

وكانت العرب لا عهد لها بالنبوة من زمن إسماعيل فقال الله لهم {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} {الأنبياء 7} فاسألوا أهل الذكر يعني أهل الكتاب إن كنتم لا تعلمون هل أرسل إليهم رجالا أو ملائكة ولهذا قال له {قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاءِ مَنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ} {الأحقاف 9} وقال {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} {آل عمران 144} بين أن هذا الجنس من الناس معروف قد تقدم له نظراء وأمثال وهو سبحانه أمر أن يسأل أهل الكتاب وأهل الذكر عما عندهم من العلم في أمور الأنبياء هل هو من جنس ما جاء به محمد أو هو مخالف له ليتبين بإخبار أهل الكتاب المتواترة جنس ما جاءت به الأنبياء وحينئذ فيعرف قطعا أن محمدا نبي بل هو أحق بالنبوة من غيره والثاني أن يسألوهم عن خصوص محمد وذكره عندهم وهذا يعرفه الخاصة منهم ليس هو معروفا كالأول يعرفه كل كتابي¹⁹

¹⁸مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 17

¹⁹النبوات ج: 1 ص: 17

فإن من الكفار من كان يزعم أن الله لا يرسل إلا ملكاً أو بشراً معه ملك ويتعجبون من إرسال بشر ليس معه ملك ظاهر قال تعالى { وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ } {8} وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ } {9} الانعام 8-9 فبين سبحانه أنكم لا تطيقون التلقي عن الملك فلو أنزلناه ملكاً لجعلناه في صورة بشر وحينئذ كنتم تظنونه بشراً فيحصل اللبس عليكم فأمر الله تعالى بسؤال أهل الكتاب عن أمرهم أكان بشراً أم كان ملكاً ليقيم الحجة بذلك على من أنكر إرسال بشر كما قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } {7} وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ } {8} ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ } {9} الانبياء 7-9 وأهل الذكر هم أهل الذكر الذي أنزله الله تعالى²⁰

إن الله أمر بسؤال العلم

قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } {7} وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ } {8} {الأنبياء 7-8}

وأما سؤال المخلوق المخلوق أن يقضى حاجة نفسه أو يدعو له فلم يؤمر به بخلاف سؤال العلم فإن الله أمر بسؤال العلم كما في قوله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ

²⁰الجواب الصحيح ج: 2 ص: 362

الدُّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ { الأنبياء 7 وهذا لأن العلم يجب بذله فمن سئل عن علم يعلمه فكتمه أجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وهو يزكو على التعليم لا ينقص بالتعليم كما تنقص الأموال بالبذل ولهذا يشبه بالمصباح وكذلك من له عند غيره حق من عين أو دين كالأمانات مثل الوديعة والمضاربة لصاحبها أن يسألها ممن هي عنده وكذلك مال الفئء وغيره من الأموال المشتركة التي يتولى قسمتها ولى الأمر للرجل أن يطلب حقه منه كما يطلب حقه من الوقف والميراث والوصية لأن المستولى يجب عليه أداء الحق الى مستحقه ومن هذا الباب سؤال النفقة لمن تجب عليه وسؤال المسافر الضيافة لمن تجب عليه كما استطعم موسى والخضر أهل القرية وكذلك الغريم له أن يطلب دينه ممن هو عليه وكل واحد من المتعاقدين له أن يسأل الآخر أداء حقه اليه فالبائع يسأل الثمن والمشتري يسأل المبيع ومن هذا الباب قوله تعالى { وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا { النساء 21

لفظ العقل في القران

قال تعالى { لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ { الأنبياء 10} الناس يدركون بعقولهم الامور الدنيا فيعرفون ما يجلب لهم منفعة في الدنيا وما يجلب لهم مضرة وهذا من العقل الذى ميز به الانسان فانه يدرك من عواقب الافعال ما لا يدركه الحس ولفظ العقل فى القران يتضمن ما يجلب به المنفعة وما يدفع به المضرة²²

²¹مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 185

²²مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 311

قال تعالى { لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }
 { الأنبياء 10 } قال تعالى { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى }
 طه 54 { أى العقول وقال تعالى { هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حُجْرٍ }
 { الفجر 5 } أى لذى عقل وقال تعالى { وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ }
 { البقرة 197 } وقال { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا }
 { يَعْقِلُونَ } { الأنفال 22 } وقال تعالى { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ }
 { تَعْقِلُونَ } { يوسف 2 } فإنما مدح الله وأثنى على من كان له عقل فأما
 من لا يعقل فإن الله لم يحمده ولم يثن عليه ولم يذكره بخير قط بل
 قال تعالى عن أهل النار { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي }
 { أَصْحَابِ السَّعِيرِ } { الملك 10 } وقال تعالى { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ }
 { كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا }
 { يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ }
 { أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ } { الأعراف 179 } وقال { أَمْ تَحْسَبُ }
 { أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ }
 سبيلاً { الفرقان 44 }²³

ان اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة وهو
 الذي يسمى عرضاً قائماً بالعاقل وعلى هذا دل القرآن في قوله
 تعالى لعلمكم تعقلون وقوله { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ }
 { فَتَكُونُوا لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا } { الحج 46 } وقوله { قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ }
 { الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ } { آل عمران 118 } ونحو ذلك مما يدل
 على ان العقل مصدر عقل يعقل عقلاً وإذا كان كذلك فالعقل لا

²³مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 437

يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه ولا العمل بلا علم بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم ولهذا قال أهل النار {لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} {الملك} 10 وقال تعالى {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} {الحج} 46 والعقل المشروط في التكليف لا بد أن يكون علوما يميز بها الانسان بين ما ينفعه وما يضره فالمجنون الذي لا يميز بين الدراهم والفلوس ولا بين أيام الاسبوع ولا يفقه ما يقال له من الكلام ليس بعاقل أما من فهم الكلام ويميز بين ما ينفعه وما يضره فهو عاقل ثم من الناس من يقول العقل هو علوم ضرورية ومنهم من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الانسان التي بها يعمل ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبى وغيرهما ان العقل غريزة وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء كما أن في العين قوة بها يبصر وفي اللسان قوة بها يذوق وفي الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاء²⁴

لطائف لغوية

- 1- قال تعالى { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ } {1} { مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ } {2} { لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ } {3} { الأنبياء } 1-3
- 3- فالمحدث يقابل القديم وكان القرآن ينزل شيئا فشيئا فما

²⁴مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 286

تقدم نزوله فهو متقدم على ما تأخر نزوله وما تأخر نزوله محدث بالنسبة إلى ذلك المتقدم ولهذا قال { مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ } {الأنبياء 2} فدل أن الذكر منه محدث ومنه ما ليس بمحدث²⁵

2- قال تعالى { افْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ } {1} { مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ } {2} { لَا هِيَءَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ } {3} {الأنبياء 1-3} والذكر مصدر يضاف تارة إلى الفاعل وتارة إلى المفعول كما يقال دق الثوب ودق القصار ويقال أكل زيد وأكل الطعام ويقال ذكر الله أي ذكر العبد ويقال ذكر الله أي ذكر الله الذي ذكره هو مثل ذكره عبده ومثل القرآن الذي هو ذكره وقد يضاف الذكر إضافة الأسماء المحضة فقوله ذكرى إن أضيف إضافة المصادر كان المعنى الذكر الذي ذكرته وهو كلامه الذي أنزله وإن أضيف إضافة الأسماء المحضة فذكره هو ما اختص به من الذكر والقرآن مما اختص به من الذكر قال تعالى { وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ } {الأنبياء 50} وقال { مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ } {الأنبياء 2} وقال { إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ } {يس 69} وقال { بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } {النحل 44} ²⁶

²⁵الصفدية ج: 2 ص: 85

²⁶منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 156-155

3- قال تعالى { قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } الأنبياء 4 سميع منزه عن الصم عليم منزه عن الجهل²⁷

4- قال تعالى { مَا آمَنْتَ قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ } الأنبياء 6 وقال تعالى { وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ } الأنبياء 11 لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب وأمثال هذه الأمور التي فيها الحال والمحال كلاهما داخل في الاسم ثم قد يعود الحكم على الحال وهو السكان وتارة على المحل وهو المكان وكذلك في النهر يقال حفرت النهر وهو المحل وجرى النهر وهو الماء ووضعت الميزاب وهو المحل وجرى الميزاب وهو الماء وكذلك القرية قال تعالى { وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً } النحل 112 وقوله { وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ } 4 { فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ } 5 الأعراف 4-5 وقال في آية أخرى { أَقَامِنَ أَهْلَ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ } الأعراف 97 فجعل القرى هم السكان وقال { وَكَأَيِّنْ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ } محمد 13 وهم السكان وكذلك قوله تعالى { وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا } الكهف 59 وقال تعالى { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا } البقرة 259 فهذا المكان لا السكان لكن لابد أن يلحظ أنه كان مسكونا فلا يسمى قرية الا اذا كان قد عمر للسكنى مأخوذ من القرى وهو الجمع ومنه قولهم قريت الماء في

²⁷الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407

الحوض اذا جمعته فيه ونظير ذلك لفظ الانسان يتناول الجسد والروح ثم الاحكام تتناول هذا تارة وهذا تارة لتلازمهما فكذلك القرية اذا عذب أهلها خربت واذا خربت كان عذابا لأهلها فما يصيب أحدهما من الشر ينال الآخر كما ينال البدن والروح ما يصيب أحدهما فقوله {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ} يوسف 82 مثل قوله { قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً } النحل 112 فاللفظ هنا يراد به السكان من غير اضرار ولا حذف²⁸

5- قال تعالى { وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ } الأنبياء 8 قال الشاعر ساعد به جسد مورس من الدماء مانع ويبس والجسد الأحمر والمجسد ما اشبع صبغته من الثياب لكامل ما لصق به من الصبغ فاللفظ فيه معنى التكاثر والتلاصق ولهذا يقول الفقهاء نجاسة متجسدة وغير متجسدة وهو في القرآن يراد به الجسد المصمت المتلاصق المتكاثف او الذى لا حياة فيه وقد ذكر الله تعالى لفظة الجسد فى أربعة مواضع فقال تعالى { وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ } الأنبياء 8 وقال تعالى { وَالْأَقْيِنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ } ص 34 وقال { وَاتَّخَذَ قَوْمٌ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ } الأعراف 148 وقال تعالى { فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ } طه 88 كأنه عجل مصمت لا جوف له²⁹

²⁸مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 163

²⁹مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 219 و مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 216

6- قال تعالى { ثُمَّ صَدَقْنَاهُمْ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا
الْمُسْرِفِينَ } الأنبياء 9 فالاسراف مجاوزة الحد تعدى الحد
ومجاوزة القصد³⁰

³⁰مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 695

الانبياء 16-29

{16} وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ
لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا
فَاعِلِينَ {17} بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا
هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ {18} وَلَهُ مَنْ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ {19} يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا
يَفْتُرُونَ {20} أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ
يُنشِرُونَ {21} لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ
اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ {22} لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ
وَهُمْ يُسْأَلُونَ {23} أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا
بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعَىٰ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ {24} وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ {25}
وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ {26}
لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {27} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ
خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ {28} وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ
فَذَلِكُمْ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {29}

لله سبحانه في كل ما يخلقه حكمة يحبها ويرضاها

قال تعالى { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ {16}
لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ {17}
الانبياء 16-17 أن الله سبحانه حكيم رحيم و قد أخبر أنه لم يخلق

المخلوقات إلا بحكمته كما قال في قوله تعالى {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا} ص27 و
قال تعالى {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ} {190} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا
وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} {191} آل

عمران 190-191 و قال تعالى {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ} {16} لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آتَاخَذَنَاهُ
مِن لَّدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ} {17} الانبياء 16-17 و قال و هذا يبين أن
معنى قوله في سائر الآيات بالحق هو لهذا المعنى الذي
يتضمن حكمته كما قال {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ} الأنعام 73 و قوله {وَمَا خَلَقْنَا
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ
فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} الحجر 85 والمراد هنا أنه سبحانه بين
أنه إنما خلق المخلوقات لحكمته و هذا معنى قوله بالحق
و قد ذم من ظن أنه خلق ذلك باطلا و عبثا فقال {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا
خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} المؤمنون 115 و قال
{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى} القيامة 36 و قال {إِنَّ فِي
خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِّأُولِي
الْأَلْبَابِ} {190} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ
وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا
سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} {191} آل عمران 190-191 فلا بد من
جزاء العباد على أعمالهم فلهذا قيل {فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ
{الحجر 85 و لله سبحانه في كل ما يخلقه حكمة يحبها و
يرضاها و هو سبحانه أحسن كل شيء خلقه و أتقن كل ما صنع
فما وقع من الشر الموجود في المخلوقات فقد وجد لأجل تلك
الحكمة المطلوبة المحبوبة المرضية فهو من الله حسن جميل و

هو سبحانه محمود عليه و له الحمد على كل حال و إن كان شرا
بالنسبة إلى بعض الأشخاص³¹

{ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ }

قال تعالى { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ } {16}
لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آتَاخَذُنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ } {17}
الانبياء 16-17 و الله تعالى يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد و ما
شاء كان و ما لم يشأ لم يكن لكن المدح فى هذا الكلام معناه أنه
مطلق المشيئة لا معوق له إذا أراد شيئاً كما قال النبى صلى الله
عليه و سلم لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم
إرحمني إن شئت و لكن ليعزم المسألة فإن الله لا مكروه له فبين
صلى الله عليه و سلم أنه لا يفعل إلا بمشيئته ليس له مكروه حتى
يقال له إفعل إن شئت و لا يفعل إن لم يشأ فهو سبحانه إذا
أراد شيئاً كان قادراً عليه لا يمنع منه مانع لا يعنى بذلك أنه
يفعل لمجرد مشيئة ليس معها حكمة بل يفعل عندهم ما وجود
فعله و عدمه بالنسبة إليه سواء من كل وجه فإن هذا ليس بمدح
بل المعقول من هذا أنه صفة ذم فمن فعل لمجرد إرادته الفعل من
غير حكمة لفعله و لا تضمن غاية مجردة كان إن لا يفعل خير له
و قد ذم الله سبحانه في كتابه من نسبه إلى هذا فقال تعالى و { وَمَا
خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ } ص 27 و قال تعالى { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا
خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } {115} فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكِ
الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } {116} المؤمنون 115-
116 قال المفسرون العبث أن يعمل عملاً لا لحكمة و هو جنس

³¹مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 102

من اللعب و قال { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
لَاعِبِينَ {16} لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْنَا مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا
فَاعِلِينَ {17} الانبياء 16-17 و قال { أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ
سُدًى {القيامة} 36 قال المفسرون و أهل اللغة السدي المهمل

الذي لا يؤمر و لا ينهى كالذي يترك الإبل سدى مهمله و قال
تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ
فَيَكُونُ {الأنعام} 73 و قال تعالى { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ
الْجَمِيلِ {85} إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ {86} الحجر 85- 86

وقد بين سبحانه الفرق بين ما أمر به و ما نهى عنه و بين من
يحمده و يكرمه من أوليائه و من يذمه و يعاقبه من أعدائه و أنهم
مختلفون لا يجوز التسوية بينهما و جعل خلاف ذلك من المنكر
الذي لا مساغ له فقال تعالى { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ
{35} مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ {36} القلم 35- 36 و قال { أَمْ
نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ
نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ {ص} 28 و قال تعالى

{ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ
{الجاثية} 21 فبين أن هذا الحكم سيء في نفسه ليس الحكم به
مساويا للحكم بالتفاضل ثم قال { وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ {الجاثية} 22
فأخبر أنه خلق الخلق ليجزى كل نفس بما كسبت و أنه لا يظلم
أحدا فينقص من حسناته شيئا بل كما قال { وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا
حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا {الكهف} 49 و قد نزه نفسه في غير
موضع من القرآن أن يظلم أحدا من خلقه فلا يؤتية أجره أو
يحمل عليه ذنب غيره فقال تعالى { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا {طه} 112 و قال تعالى
{ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ {28} مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ

لَدِيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِّلْعَبِيدِ {29} ق28- 29 و قال تعالى {
 ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَفْسُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ {100} وَمَا
 ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لِّمَا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ
 تَثْبِيْبٍ {101} } هود 100-101 و في الحديث الصحيح الإلهي
 يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي و جعلته بينكم محرما فلا
 تظالموا³²

وهو أنهم قالوا اتخذ الله ولدا وهذا إنما قالوه في الملائكة والأنبياء
 كالمرسوخ والعزير فبين سبحانه أن الذين قيل فيهم إنه اتخذهم
 أولادا هم عباد قانتون له كما ذكر في الأنبياء {وَقَالُوا اتَّخَذَ
 الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ} {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ
 وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} {27} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا
 يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ} {28}
 الأنبياء 26-28 فإن الضمير في قوله وقالوا عائد على
 المشركين وهم إنما قالوا ذلك في الملائكة وأما المسيح وعزير
 فإنما قال ذلك فيهما أهل الكتاب وسياق الآية يبين ذلك فإنه قال
 {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ} {16} لَوْ أَرَدْنَا أَنْ
 نَّتَّخِذَ لَهَوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ} {17} بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ
 عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ} {18}
 وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
 عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} {19} يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا
 يَفْتُرُونَ} {20} أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنْ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ} {21} لَوْ
 كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا

³²مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 175

يَصِفُونَ {22} لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ {23} أَمْ اتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَلْبِي
 بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ {24} وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ
 قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ {25}
 وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ {26} الْأَنْبِيَاءُ
 16-26 وقوله تعالى {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

لَا عِيبَ} الْأَنْبِيَاءُ 16 وقوله {لَهُوَ} الْأَنْبِيَاءُ 17 قد فسر بالولد
 والمرأة وفسر باللعب فإن هذه الآية نظير قوله {وَمَا خَلَقْنَا
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَا عِيبَ} {38} مَا خَلَقْنَا هُمَا إِلَّا
 بِالْحَقِّ {الدخان 38 39 فنزه نفسه أن يكون فعله كفعل اللاعب
 العابث الذي لا يقصد غاية محمودة يريد سوق الوسائل إليها فإن
 هذا فعل الجاد الذي يجيء بالحق واللغو باطل ولهذا تنزه سبحانه
 عن أن يخلقهما باطلا {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

لَا عِيبَ} الْأَنْبِيَاءُ 16 فاللاعب صاحب باطل لا صاحب حق
 والذين فسروا بالولد والزوجة قالوا ذلك لأن من المشركين من
 جعل لله ولدا وصاحبة وقالوا إنه ضاهى الحق وهم يسمون المرأة
 لهوا والولد لهوا وقال ابن قتيبة أصل اللغو الجماع وكنى عنه
 باللغو كما كنى عنه بالسر والنبي صلى الله عليه وسلم قد
 يجعل ملاعبة الرجل امرأته من اللغو الذي ليس بباطل والرب
 تعالى منزّه عن اللعب مطلقا فإن الذي يلاعب امرأته إنما يفعل
 ذلك لحاجته إلى المرأة وحكمة ذلك بقاء النسل والله تعالى منزّه
 عن الولادة فتضمنت هذه الآية تنزيهه عن الخلق عبثا لا لحكمة
 فإن ذلك لعب وعبث وتضمنت تنزيهه عن أن يتخذ ما يلهى به
 كالمرأة والولد ولهذا بين بعد ذلك أنه إنما خلق ذلك بالحق وأنه
 منزّه عن الأولاد وقال {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ
 { الْأَنْبِيَاءُ 18 واللغو كله باطل في حق الله تعالى وإن كان بعضه
 من الحق في حق العباد وهو سبحانه وتعالى قال {لَوْ أَرَدْنَا
 أَنْ نَتَّخِذَ لَهُوَ لَاتَّخَذْنَا مِنْ لَدُنَّا} الْإِنْبِيَاءُ 17 فإن ما يلهو به

اللاهي يكون عنده لا يكون بعيدا عنه ونحن خلقنا السماوات والأرض وما بينهما فكيف يكون هذا لعبا بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ثم قال { **وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ** } 19 { **يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ** } 20 { **الأنبياء 19- 20** } ثم رد على من أشرك به ثم حكى قول المشركين الذين قالوا اتخذ الرحمن ولدا قال سبحانه { **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ** } 26 { **لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ** } 27 { **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مَنْ خَشِيَتِهِ مُشْفِقُونَ** } 28 { **وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ** } 29 { **الأنبياء 26- 29** } فهذه صفة الملائكة والمسيح والعزير ونحوهما أيضا هم بهذه الصفة فإنهم عباد مكرمون³³

بيان بطلان قول الجهمية أن الله لا يستحق أن يعبد كما إنه يفعل بلا حكمة و لا رحمة

قال تعالى { **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ** } 16 { **لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَا مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ** } 17 { **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ** } 18 { **الانبياء 16- 18** } و أن المنكرين لكونه يحب من الجهمية و من و افهم حقيقة قولهم أنه لا يستحق أن يعبد كما أن قولهم إنه يفعل بلا حكمة و لا رحمة يقتضي أنه لا يحمد فهم إنما يصفونه بالقدرة و القهر و هذا إنما يقتضى الإجلال فقط لا

³³رسالة في فنون الأشياء ج: 1 ص: 19-22

يفتضى الإكرام و المحبة و الحمد و هو سبحانه الأكرم قال تعالى
{إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} {12} إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ {13} {البروج 12-
13- ثم قال { وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ} {14} ذُو الْعَرْشِ
الْمَجِيدُ} {15} فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ} {16} {البروج 14-16} و قال شعيب
{وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} {هود 90
و في أول ما نزل وصف نفسه بأنه الذي خلق و بأنه الأكرم
والجهمية ليس عندهم إلا كونه خالقا مع تقصيرهم في إثبات كونه
خالقا لا يصفونه بالكرم ولا الرحمة ولا الحكمة و إن أطلقوا
ألفاظها فلا يعنون بها معناها بل يطلقونها لأجل مجيئها في
القرآن ثم يلحدون في أسمائه و يحرفون الكلم عن مواضعه فتارة
يقولون الحكمة هي القدرة و تارة يقولون هي المشيئة و تارة
يقولون هي العلم و أن الحكمة و إن تضمنت ذلك و استلزمته
فهي أمر زائد على ذلك فليس كل من كان قادر أو مريدا كان
حكيمًا و لا كل من كان له علم يكون حكيمًا حتى يكون عاملا
بعلمه قال ابن قتيبة و غيره الحكمة هي العلم و العمل به و
هي أيضا القول الصواب فتتناول القول السديد و العمل المستقيم
الصالح و الرب تعالى أحكم الحاكمين و أحكم الحكماء و
الأحكام الذي في مخلوقاته دليل على علمه و هم مع سائر
الطوائف يستدلون بالأحكام على العلم و إنما يدل إذا كان الفاعل
حكيمًا يفعل لحكمة و هم يقولون إنه لا يفعل لحكمة و إنما
يفعل بمشيئة تخص أحد المتماثلين بلا سبب يوجب التخصيص و
هذا مناقض للحكمة بل هذا سفه و هو قد نزه نفسه عنه في
قوله { لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَا مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا
فَاعِلِينَ} {17} بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ
وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ} {18} {الأنبياء 17-18} وقد أخبر أنه إنما
خلق السموات و الأرض و ما بينهما بالحق و أنه لم يخلقها باطلا
و أن ذلك ظن الذين كفروا و قال {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا
{المؤمنون 115} و قال {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى

{ القيامة 36 أي مهملا لا يؤمر و لا ينهى و هذا إستفهام إنكار على من جوز ذلك على الرب و الجهمية المجبرة تجوز ذلك عليه و لا تنزله عن فعل و إن كان من منكرات الأفعال و لا تنعته بلوازم كرمه و رحمته و حكمته و عدله فيعلم أنه يفعل ما هو اللائق بذلك و لا يفعل ما يصاد ذلك بل تجوز كل مقدر أن يكون و أن لا يكون و إنما يجزم بأحدهما لأجل خبر سمعى أو عادة مطردة مع تناقضهم فى الإستدلال بالخبر أخبار الرسل و عادات الرب كما بسط هذا في مواضع مثل الكلام على معجزات الأنبياء و على إرسال الرسل و الأمر و النهى و على المعاد و نحو ذلك مما يتعلق بأفعاله و أحكامه الصادرة عن مشيئته فإنها صادرة عن حكمته و عن رحمته و مشيئته مستلزمة لهذا و هذا لا يشاء إلا مشيئة متضمنة للحكمة و هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها كما ثبت ذلك فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها³⁴

نزّه الله نفسه عن الوالد والولد

قال تعالى { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ {16} لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَّاتَّخَذْنَا مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ {17} الانبياء 16-17 واما انكار الباطل فقد نزّه الله نفسه عن الوالد والولد وكفر من جعل له ولدا أو والدا أو شريكا فقال تعالى فى السورة التى تعدل ثلث القرآن التى هى صفة الرحمن ولم يصح عن النبى فى فضل سورة من القرآن ما صح فى فضلها قال فيها (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {1} اللَّهُ الصَّمَدُ {2} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {3} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {4} الاخلاص 1-4 و على هذه

³⁴مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 297-301

السورة اعتماد الأئمة في التوحيد كالإمام أحمد والفضيل بن عياض وغيرهما من الأئمة قبلهم وبعدهم فنفى عن نفسه الأصول والفروع والنظراء وهي جماع ما ينسب إليه المخلوق من آدميين والبهائم والملائكة والجن بل والنبات ونحو ذلك فإنه ما من شيء من المخلوقات الا ولا بد أن يكون له شيء يناسبه اما أصل واما فرع واما نظير أو اثنان من ذلك أو ثلاثة وهذا في الآدميين والجن والبهائم ظاهر وأما الملائكة فانهم وان لم يتوالدوا بالتناسل فلمهم الامثال والاشباه فإن قوله { لَمْ يَلِدْ } {3} الاخلاص 3 رد لقول من يقول ان له بنين وبنات من الملائكة أو البشر مثل من يقول الملائكة بنات الله أو يقول المسيح أو عزيز ابن الله وقد نفى في كتابه عن نفسه الولادة ونفى اتخاذ الولد جميعا فقال تعالى { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ } {16} { لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَاعِلِينَ } {17} { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ } {18} { وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ } {19} { يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ } {20} { أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ } {21} { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } {22} { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } {23} { أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ إِلَهًا قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ } {24} { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } {25} { الانبياء 16-25 }³⁵

وقال تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {27} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ {28} {الأنبياء 26-28} ومعلوم أن الذين خرقوا

له بنين وبنات بغير علم والذين قالوا ولد الله وإنهم لكاذبون والذين قالوا المسيح بن الله وعزير بن الله لم يرد عقلاؤهم ولادة حسية من جنس ولادة الحيوان بانفصال جزء من ذكره فى أنثاه يكون منه الولد فإن النصارى والصابئين متفقون على نفى ذلك وكذلك مشركوا العرب ما أظن عقلاؤهم كانوا يعتقدون ذلك وإنما وصفوا الولادة العقلية الروحانية مثل ما يقوله النصارى إن الجوهر الذى هو الله من وجه وهو الكلمة من وجه تدرعت بإنسان مخلوق من مريم فيقولون تدرع اللاهوت بالاناسوت فظاهره وهو الدرع والقميص بشر وباطنه وهو المتدرع لاهوت هو الابن الذى هو الكلمة لتولد هذا من الأب الذى هو جوهر الوجود فهذه البنوة مركبة عندهم من أصلين أحدهما أن الجوهر الذى هو الكلمة تولد من الجوهر الذى هو الأب كتولد العلم والقول من العالم القائل

والثانى أن هذا الجوهر اتحد بالمسيح وتدرع به وذلك الجوهر هو الأب من وجه وهو الإبن من وجه فلهذا حكى الله عنهم تارة أنهم يقولون المسيح بن الله وتارة أنهم يقولون إن الله هو المسيح بن مريم وأما حكايته عنهم أنهم قالوا { إِنَّ اللَّهَ تَالِثٌ ثَلَاثَةٌ } المائدة 73 فالمفسرون يقولون الله والمسيح وأمه كما قال { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ } المائدة 116 ولهذا قال فى سياق الكلام { مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ } المائدة 75 أى غاية المسيح الرسالة

و غاية أمه الصديقية لا يبلغان الى اللاهوتية فهذا حجة هذا وهو ظاهر ومن الناس من يزعم أن المراد بذلك الأقانيم الثلاثة وهو الأب والإبن وروح القدس وهذا فيه نظر³⁶

يجيء لفظ الوصف فى القرآن مستعملا فى الكذب

قال تعالى { **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ** } الأنبياء 18 فالواصف ان لم يكن قوله مطابقا كان كاذبا ولهذا انما يجيء الوصف فى القرآن مستعملا فى الكذب بأنه وصف يقوم بالواصف من غير أن يقوم بالموصوف شىء كقوله سبحانه { **سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ** } الأنعام 139 { **وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ** } النحل 116 { **وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ** } الأنبياء 18 { **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ** } الأنعام 100 وقد جاء مستعملا فى الصدق فيما أخرجاه فى الصحيحين عن عائشة أن رجلا كان يكثر قراءة قل هو الله أحد فقال النبى سلوه لم يفعل ذلك فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحبها فقال النبى صلى الله عليه وسلم اخبروه ان الله يحبه³⁷

من سنة الله انه اذا اراد اظهار دينه أقام من يعارضه فيحق الحق بكلماته

³⁶مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 443-444

³⁷مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 319

قال تعالى { **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** **وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ** } الأنبياء 18 قال تعالى { **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا** } الفتح 28 فان الشيطان استعمل حزبه في افساد دين الله الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه ومن سنة الله انه اذا اراد اظهار دينه أقام من يعارضه فيحق الحق بكلماته ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق³⁸

كذلك سنته في الأنبياء الصادقين وأتباعهم من المؤمنين وفي الكذابين بالحق إن هؤلاء ينصرهم ويبقى لهم لسان صدق في الآخرين وأولئك ينتقم منهم ويجعل عليهم اللعنة فهذا وأمثاله يعلم أنه لا يؤيد كذابا بالمعجزة لا معارض لها لأن في ذلك من الفساد والضرر بالعباد ما تمنعه رحمته وفيه من سوء العاقبة ما تمنعه حكمته وفيه من نقص سنته المعروفة وعادته المطردة ما تعلم به مشيئته قال تعالى { **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ** } 44 { **لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ** } 45 { **ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ** } 46 { **فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ** } 47 { **وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ** } 48 { **الْحَاقَّةُ** 44-48 وقال تعالى { **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** **وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ** } الأنبياء 18³⁹

{ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ }

³⁸مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 58

³⁹العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 202

قال تعالى { **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** **وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ { الأنبياء 18** ان فقر الاشياء الى خالقها لازم لها لا يحتاج الى علة كما أن غنى الرب لازم لذاته لا يفتقر في اتصافه بالغنى الى علة وكذلك المخلوق لا يفتقر في اتصافه بالفقر الى علة بل هو فقير لذاته لا تكون ذاته الا فقيرة فقرا لازما لها ولا يستغنى الا بالله وهذا من معاني الصمد وهو الذى يفتقر اليه كل شيء ويستغنى عن كل شيء بل الاشياء مفتقرة من جهة ربوبيته ومن جهة الهيته فما لا يكون به لا يكون وما لا يكون له لا يصلح ولا ينفع ولا يدوم وهذا تحقيق قوله { **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ { الفاتحة 5** فلو لم يخلق شيئا بمشيئته وقدرته لم يوجد شيء وكل الأعمال ان لم تكن لأجله فيكون هو المعبود المقصود المحبوب لذاته والا كانت أعمالا فاسدة فان الحركات تقتقر الى العلة الغائية كما افتقرت الى العلة الفاعلية بل العلة الغائية بها صار الفاعل فاعلا ولولا ذلك لم يفعل فلولا أنه المعبود المحبوب لذاته لم يصلح قط شيء من الأعمال والحركات بل كان العالم يفسد وهذا معنى قوله { **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا { الأنبياء 22** ولم يقل لعدمتا وهذا معنى قول لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل وهو كالدعاء المأثور أشهد أن كل معبود من لدن عرشك الى قرار أرضك باطل الا وجهك الكريم ولفظ الباطل يراد به المعدوم ويراد به ما لا ينفع كقول النبي كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل الا رمية بقوسه وتاديبه فرسه وملاعبته لزوجته فانهن من الحق وقوله عن عمر رضى الله عنه ان هذا الرجل لا يحب الباطل ومنه قول القاسم بن محمد لما سئل عن الغناء قال اذا ميز الله يوم القيامة الحق من الباطل فى ايهما يجعل الغناء قال السائل من الباطل قال فماذا بعد الحق الا الضلال ومنه قوله تعالى { **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ** { الحج 62 } فان الآلهة موجودة ولكن عبادتها ودعاؤها باطل لا ينفع والمقصود منها لا يحصل فهو باطل واعتقاد الوهيتها باطل

اى غير مطابق واتصافها بالالهية فى أنفسها باطل لا بمعنى أنه
 معدوم ومنه قوله تعالى { **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ**
فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ { الأنبياء 18
 وقوله { **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**
 { الإسراء 81 فان الكذب باطل لأنه غير مطابق وكل فعل ما لا
 ينفع باطل لأنه ليس له غاية موجودة محمودة فقول النبي
 أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد ألا كل شيء ما خلا الله
 باطل هذا معناه ان كل معبود من دون الله باطل كقوله
 { **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ**
 { لقمان 30 وقال تعالى { **قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**
أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ
 { 31 } **فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى**
تُصْرَفُونَ { 32 } يونس 31-32 وقد قال قبل هذا { **وَرُدُّوا إِلَى**
اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ { يونس 30 كما
 قال فى الانعام { **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً**
حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ
 { الأنعام 61 وقال { **ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ**
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ { محمد 3 ودخل عثمان أو
 غيره على ابن مسعود وهو مريض فقال كيف تجدك قال أجدنى
 مردودا الى الله مولاي الحق قال تعالى يوم تشهد عليهم
 ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون { **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ**
أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ { 24 } **يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ**
دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ { النور 24-25 وقد
 اقرؤا بوجوده فى الدنيا لكن فى ذلك اليوم يعلمون أنه الحق
 المبين دون ما سواه ولهذا قال { **هُوَ الْحَقُّ** { النور 25

بصيغة الحصر فانه يومئذ لا يبقى أحد يدعى فيه الالهية ولا أحد
يشرك بربه احد⁴⁰

وصف الله تعالى نفسه بالعلو والاستواء على العرش

قال تعالى {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} {19} {يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} {20} {الأنبياء 19- 20} قد وصف الله
تعالى نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بالعلو والاستواء
على العرش والفقوية في كتابه في آيات كثيرة حتى قال بعض
أكابر أصحاب الشافعي في القرآن ألف دليل أو يزيد تدل
على ان الله تعالى عال على الخلق وأنه فوق عباده وقال
غيره فيه ثلاثمائة دليل تدل على ذلك مثل قوله {إِنَّ الَّذِينَ
عِنْدَ رَبِّكَ {الأعراف 206} {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَنْ عِنْدَهُ {الأنبياء 19} فلو كان المراد بأن معنى عنده في
قدرته كما يقول الجهمي لكان الخلق كلهم عنده فانهم كلهم في
قدرته ومشيتته ولم يكن فرق بين من في السموات ومن في
الأرض ومن عنده كما أن الاستواء على العرش لو كان
المراد به الاستيلاء عليه لكان مستويا على جميع المخلوقات
ولكان مستويا على العرش قبل أن يخلقه دائما والاستواء مختص
بالعرش بعد خلق السموات والأرض كما أخبر بذلك في كتابه
فدل على أنه تارة كان مستويا عليه وتارة لم يكن مستويا عليه
ولهذا كان العلو من الصفات المعلومة بالسمع مع العقل والشرع
عند الأئمة المثبتة واما الاستواء على العرش فمن الصفات
المعلومة بالسمع فقط دون العقل والمقصود أنه تعالى وصف

⁴⁰مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 515-517

نفسه بالمعية وبالقرب و المعية معيتان عامة وخاصة
 فالأولى قوله تعالى { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ } الحديد4
 والثانية قوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ
 { النحل128 الى غير ذلك من الآيات وأما القرب فهو
 كقوله { فَإِنِّي قَرِيبٌ } البقرة186 وقوله { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
 مِنْكُمْ } الواقعة85⁴¹

قال الامام أحمد في كتابه الذى كتبه فى الرد على
 الجهمية والزنادقة بيان ما أنكرت الجهمية الضلال أن يكون
 الله على العرش وقد قال تعالى { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ
 اسْتَوَى } طه5 وقال { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
 ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } الأعراف54 فقالوا هو تحت الأرض
 السابعة كما هو على العرش فهو على العرش وفى السموات
 وفى الأرض وفى كل مكان لا يخلو منه مكان ولا يكون فى
 مكان دون مكان ويتلون آيات من القرآن { وَهُوَ اللَّهُ فِي
 السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ } الأنعام3 قلنا قد عرف المسلمون
 أماكن كثيرة ليس فيها من عظيم الرب شىء فقالوا أى شىء قلنا
 أحشاءكم واجوافكم واجواف الخنازير والحشوش والأماكن
 القذرة ليس فيها من عظيم الرب شىء وقد أخبرنا أنه فى السماء
 فقال { أَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ
 تَمُورُ } الملك16 وقد قال جل ثناؤه { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ
 { فاطر10 وقال تعالى { إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } آل
 عمران55 وقال تعالى { بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ } النساء158 وقال
 تعالى { **وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**

⁴¹مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 122 و مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 226

عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ { الأنبياء 19 } وقال تعالى { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ } النحل 50 وقال تعالى { ذِي الْمَعَارِجِ } {3} تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ {4} {المعارج 3-4} وقال تعالى { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } { الأنعام 18 } وقال تعالى { وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } { الشورى 4 } قال فهذا خبر الله أنه في السماء ووجدنا كل شيء في اسفل مذموما يقول جل ثناؤه { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ } { النساء 145 } وقال تعالى { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ } { فصلت 29 } وقلنا لهم أليس تعلمون ان ابليس مكانه مكان والشياطين مكانهم مكان فلم يكن الله ليجتمع هو وابلليس في مكان واحد ولكن معنى قوله عز وجل { وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ } { الأنعام 3 } يقول هو اله من في السموات واله من في الأرض وهو الله على العرش وقد أحاط علمه بما دون العرش لا يخلو من علم الله مكان ولا يكون علم الله في مكان دون مكان وذلك قوله { لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا } { الطلاق 12 } وقال من الاعتبار في ذلك لو أن رجلا كان في يده قدح من قوارير صاف وفيه شيء صاف لكان نظر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح والله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه وخصلة أخرى لو أن رجلا بنى دارا بجميع مرافقها ثم اغلق بابها وخرج كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيت في داره وكم سعة كل بيت من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار فالله عز وجل وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع ما خلق وعلم كيف هو وما هو من غير أن يكون في شيء مما خلق⁴²

⁴²مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 310-312

الله موصوف في الكتاب والسنة بأن المخلوق يكون أمامه وبين يديه فلا يجوز نفي ذلك عنه

قال تعالى {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} {19} {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} {20} {الأنبياء 19- 20} وقال النبي ص في
الأحاديث المستفيضة إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس
والقمر والله موصوف في الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة
بأن المخلوق يكون أمامه وبين يديه في غير موضع فلا يجوز
نفي ذلك عنه⁴³

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا
تصفون كما تصف الملائكة عند ربها قالوا وكيف تصف
الملائكة عند ربها قال يسدون الاول فالاول ويتراصون في
الصف وهذا موافق لقوله تعالى {وَالصَّافَاتِ صَفًّا} {1}
{فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا} {2} {فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا} {3} {الصافات 1-3} ولقوله
عنهم { وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ } {164} {وَإِنَّا لَنَحْنُ
الصَّافُونَ} {165} {وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ} {166} {الصافات 164-
166}⁴⁴

⁴³الاستقامة ج: 1 ص: 131

⁴⁴الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 497

العبادة هي اسم جامع

قال تعالى {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} {19} {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} {20} {الأنبياء 19-20} العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والاعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الامانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهد للكفار والمنافقين والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الأدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وامثال ذلك من العبادة وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والانابة إليه واخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وامثال ذلك هي من العبادة لله وذلك ان العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} {الذاريات 56} وبها ارسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} {الأعراف 59} وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ} {النحل 36} وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} {الأنبياء 25} وقال تعالى {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} {الأنبياء 92} كما قال في الآية الاخرى {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} {المؤمنون 51} وجعل ذلك لازما لرسوله الى الموت قال {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} {الحجر 99} وبذلك وصف ملائكته وانبياءه فقال تعالى {وَلَهُ مَنْ فِي

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا
يَسْتَحْسِرُونَ {19} يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا
يَفْتُرُونَ {20} {الأنبياء 19} وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} {الأعراف 206
وَذُمُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَنْهَا بِقَوْلِهِ وَقَالَ {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ
لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ
{ غافر 60 ونعت صفة خلقه بالعبودية له فقال تعالى
{عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا} {الإنسان 6⁴⁵

كلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته

قال تعالى {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} {19} {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} {20} {الأنبياء 19- 20} فكمال المخلوق في
تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله
وعلت درجته ومن توهم ان المخلوق يخرج من العبودية بوجه
من الوجوه او ان الخروج عنها اكمل فهو من اجهل الخلق
واضلهم وقال تعالى في المسيح {إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ
وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ} {الزخرف 59} وقال تعالى {لَنْ
يَسْتَنْكَفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ
يَسْتَنْكَفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا
{ النساء 172 الى قوله { وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا
نَصِيرًا} {النساء 173

وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى { وَلَهُ مَنْ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا

⁴⁵مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 150-151

يَسْتَحْسِرُونَ {19} يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ {20}
 الانبياء 19-20 وقال {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
 عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} الأعراف 206 وذم المستكبرين
 عنها بقوله {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ
 عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} غافر 60 وقال في وصف
 الملائكة بذلك {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ
 مُّكْرَمُونَ {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {27}
 الأنبياء 26-27 إلى قوله {وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} الأنبياء

46 28

كل محبة وإرادة لا يكون أصلها محبة الله فهي باطلة

قال تعالى {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا
 يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} {19} يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ
 وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} {20} {الأنبياء 19-20} ولما كانت كل
 حركة وعمل في العالم فأصلها المحبة والإرادة وكل محبة وإرادة
 لا يكون أصلها محبة الله وإرادة وجهه فهي باطلة فاسدة كان كل
 عمل لا يراد به وجهه باطلا فأعمال الثقلين الجن والإنس منقسمة
 منهم من يعبد الله ومنهم من لا يعبد بل قد يجعل معه إليها آخر
 وأما الملائكة فهم عابدون لله وجميع الحركات الخارجة عن
 مقدور بني آدم والجن والبهائم فهي من عمل الملائكة وتحريكها
 لما في السماء والأرض وما بينهما فجميع تلك الحركات
 والأعمال عبادات لله متضمنة لمحبهته وإرادته وقصده وجميع
 المخلوقات عابدة لخالقها إلا ما كان من مرده الثقلين وليست
 عبادتها إياه قبولها لتدبيره وتصريفه وخلقه فإن هذا عام لجميع
 المخلوقات حتى كفار بني آدم فلا يخرج أحد عن مشيئته وتدبيره

⁴⁶الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 377 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 177

وذلك بكلمات الله التي كان النبي يستعيز بها فيقول أعوذ
 بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وهذا من
 عموم ربو بيته وملكه وهذا الوجه هو الذي أدركه كثير من
 أهل النظر والكلام حتى فسروا ما في القرآن والحديث من عبادة
 الأشياء وسجودها وتسبيحها بذلك وهم غاطون في هذا
 التخصيص شرعا وعقلا أيضا فإن المعقول الذي لهم يعرفهم
 أن كل شيء وكل متحرك وأن كان له مبدأ فلا بد له من غاية
 ومنتهى كما يقولون لها علتان فاعلية وغائية والذي ذكره إنما
 هو من جهة العلة الفاعلية وبعض المخلوقين كذلك يجعلونه من
 جهة العلة الغائية وهذا غلط فلا يصلح أن يكون شيء من
 المخلوقات علة فاعلية ولا غائية إذ لا يستقل مخلوق بأن يكون
 علة تامة قط ولهذا لم يصدر عن مخلوق واحد شيء قط ولا
 يصدر شيء في الآثار إلا عن اثنين من المخلوقات كما قد بينا
 هذا في غير هذا الموضوع وكذلك لا يصلح شيء من
 المخلوقات أن يكون علة غائية تامة إذ ليس في شيء من
 المخلوقات كمال مقصود حتى من الأحياء فالمخلوقات بأسرها
 يجتمع فيها هذان النقصان أحدهما أنه لا يصلح شيء منها أن
 تكون علة تامة لا فاعلية ولا غائية والثاني أن ما كان فيها علة
 فله علة سواء كان علة فاعلية أو غائية فالله سبحانه رب كل
 شيء ومليكه وهو رب العالمين لا رب لشيء من الأشياء إلا هو
 وهو إله كل شيء وهو في السماء إله وفي الأرض إله وهو الله
 في السموات وفي الأرض لو كان فيهما إلهة إلا الله لفسدنا وما
 من إله إلا الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا
 فعبادة المخلوقات وتسبيحها هو من جهة إلهيته سبحانه وتعالى
 وهو الغاية المقصودة منها ولها وأما في الشرع فإن الله فصل
 بين هذا وبين هذا فقال تعالى { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي
 السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ
 وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ
 يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ } الحج 18 فهذا

السجود الذي فصل بين كثير من الناس الذي يفعلونه وكثير من الناس الذين لا يفعلونه طوعا وهم الذين حق عليهم العذاب ليس هو ما يشترك فيه جميع الناس من خلق الله وربوبيه الله تعالى إياهم وتدبيرهم وكذلك فصل بين الصنفين في قوله تعالى {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} آل عمران 83 وكذلك في قوله {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظُلْماًهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} الرعد 15 وهو سبحانه ذكر في الآية الأخرى سجود المخلوقات إلا الكثير من الناس لأنه ذكر الطوع فقط كما ذكر في التي قبلها أديان الناس فقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} الحج 17 فتضمنت هذه الآية حال المخلوقات إلا الجن فإنهم لم يذكرها باللفظ الخاص لكنهم يندرجون في الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين فإنهم كما قالوا {وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا} الجن 11 وقد ذكر طائفة من أهل العربية أنهم يدخلون في لفظ الناس أيضا وقال سبحانه {أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظُلْمًا لُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ} {48} وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} {49} يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} {50} النحل 48-50 وفي الصحيحين حديث أبي ذر في سجود الشمس تحت العرش إذا غابت وقال تعالى {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِغُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} النور 41 وقال تعالى {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} الحديد 1 {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} الجمعة 1 قال تعالى {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ

السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ
لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا {الإسراء: 44} ⁴⁷

وهو المعبود الذي يستحق العبادة لذاته وهو الله لا إله إلا هو **فلو**
كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا وكل عمل لا يراد به وجهه فهو
باطل وكل عامل لا يكون عمله لله بل لغيره فهو المشرك ⁴⁸

لولا أن الله المعبود المحبوب لذاته لم يصلح قط شيء من الأعمال والحركات بل كان العالم يفسد

قال تعالى { أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ } {21} لَوْ كَانَ
فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا
يَصِفُونَ } {22} لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } {23} أَمْ اتَّخَذُوا
مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِي وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ } {24} {الأنبياء: 21-24
ان فقر الاشياء الى خالقها لازم لها لا يحتاج الى علة كما أن غنى
الرب لازم لذاته لا يفتقر في اتصافه بالفقر الى علة وكذلك
المخلوق لا يفتقر في اتصافه بالفقر الى علة بل هو فقير لذاته لا
تكون ذاته الا فقيرة فقرا لازما لها ولا يستغنى الا بالله وهذا

⁴⁷قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 25-27

⁴⁸النبوات ج: 1 ص: 82

من معانى الصمد وهو الذى يفتقر اليه كل شىء ويستغنى
عن كل شىء بل الاشياء مفتقرة من جهة ربوبيته ومن جهة
الهيته فما لا يكون به لا يكون وما لا يكون له لا يصلح ولا ينفع
ولا يدوم وهذا تحقيق قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5
فلو لم يخلق شيئاً بمشيئته وقدرته لم يوجد شىء وكل الأعمال ان
لم تكن لأجله فيكون هو المعبود المقصود المحبوب لذاته والا
كانت أعمالاً فاسدة فان الحركات تفتقر الى العلة الغائية كما
افتقرت الى العلة الفاعلية بل العلة الغائية بها صار الفاعل فاعلاً
ولولا ذلك لم يفعل فلولا أنه المعبود المحبوب لذاته لم يصلح
قط شىء من الأعمال والحركات بل كان العالم يفسد وهذا معنى
قوله {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} الأنبياء 22 ولم يقل
لعدمتا وهذا معنى قول لبيد ألا كل شىء ما خلا الله باطل
وهو كالدعاء المأثور أشهد أن كل معبود من لدن عرشك الى
قرار أرضك باطل الا وجهك الكريم ولفظ الباطل
يراد به المعدوم ويراد به ما لا ينفع كقول النبی كل لهو
يلهو به الرجل فهو باطل الا رمية بقوسه وتاديبه فرسه وملاعبته
لزوجته فانهن من الحق وقوله عن عمر رضى الله عنه
ان هذا الرجل لا يحب الباطل ومنه قول القاسم بن محمد لما
سئل عن الغناء قال اذا ميز الله يوم القيامة الحق من الباطل فى
ايهما يجعل الغناء قال الباطل قال فماذا بعد الحق
الا الضلال ومنه قوله تعالى {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا
يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} الحج 62 فان الالهة موجودة
ولكن عبادتها ودعاؤها باطل لا ينفع والمقصود منها لا يحصل
فهو باطل واعتقاد الوهيتها باطل اى غير مطابق واتصافها
بالالهية فى أنفسها باطل لا بمعنى أنه معدوم ومنه قوله تعالى
{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ
مِمَّا تَصِفُونَ} الأنبياء 18 وقوله {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ
الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} الإسراء 81 فان الكذب باطل لأنه
غير مطابق وكل فعل ما لا ينفع باطل لأنه ليس له غاية موجودة

محمودة فقول النبي أُصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد
الأكل شيء ما خلا الله باطل هذا معناه ان كل معبود من
دون الله باطل كقوله {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ} لقمان 30 وقال تعالى {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ
مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ
فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} {31} فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا
الضَّلَالُ فَأَتَى تُصْرَفُونَ} {32} يونس 31-32 وقد قال قبل هذا
{ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ }
يونس 30 كما قال فى الانعام { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ
وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّقْتَهُ رُسُلُنَا وَهُمْ
لَا يُفِرُّطُونَ } الأنعام 61 وقال {ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا
الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ} {محمد 3
ودخل عثمان أو غيره على ابن مسعود وهو مريض فقال كيف
تجدك قال أجدنى مردودا الى الله مولاي الحق قال تعالى {يَوْمَ
تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ} {24} يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ
الْحَقُّ الْمُبِينُ} {النور 24-25} وقد اقرؤا بوجوده فى الدنيا لكن فى
ذلك اليوم يعلمون أنه الحق المبين دون ما سواه ولهذا قال {
هُوَ الْحَقُّ} {النور 25} بصيغة الحصر فانه يومئذ لا يبقى أحد
يدعى فيه الالهية ولا أحد يشرك بربه احدا⁴⁹

العرش مخلوق

⁴⁹مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 515-517

قال تعالى { أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْسِرُونَ } {21} لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهًا إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } {22} لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } {23} أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ إِلَهًا قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ } {24} {الأنبياء 21-24} ان العرش مخلوق فإنه يقول { وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } {التوبة 129} وهو خالق كل شيء العرش وغيره ورب كل شيء العرش وغيره وفي حديث أبي رزين قد أخبر النبي بخلق العرش⁵⁰

قال تعالى { لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهًا إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } {الأنبياء 22} تخصيص العرش بالربوبية في قوله { رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } {التوبة 129} فإنه قد يخص لعظمته و لكن يجوز ذلك في سائر المخلوقات فيقال { رَبُّ الْعَرْشِ } {التوبة 129} و { رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ } {الأنعام 164}⁵¹

لا صلاح للموجودات إلا أن يكون كمال محبتها وحركتها لله تعالى

قال تعالى { أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْسِرُونَ } {21} لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهًا إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } {22} لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } {23} أَمْ اتَّخَذُوا

⁵⁰ مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 214

⁵¹ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 379

مِنْ دُونِهِ إِلَهَةٌ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي
 بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ {24} {الأنبياء 21-24
 والشيء قد يحب من وجه دون وجه وليس شيء يحب لذاته من
 كل وجه إلا الله وحده ولا تصلح الإلهية إلا له و{لَوْ كَانَ فِيهِمَا
 إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} {الأنبياء 22} والإلهية المذكورة في كتاب الله
 هي العبادة والتأله ومن لوازم ذلك أن يكون هو الرب الخالق
 وأما ما يظنه طوائف من أهل الكلام أن الألوهية هي نفس
 الربوبية وأن ما ذكر في القرآن من نفي إله آخر والأمثال
 المضروبة البينة فالمقصود به نفي رب يشركه في خلق العالم
 كما هو عادتهم في كتب الكلام فهذا قصور وتقصير منهم في فهم
 القرآن وما فيه من الحجج والأمثال أتوا فيه من جهة أن مبلغ
 علمهم هو ما سلكوه من الطريقة الكلامية فاعتقدوا أن
 المقصودين واحد وليس كذلك بل القرآن ينفي أن يعبد غير الله أو
 أن يتخذها إلهاً فيحبه ويخضع له محبة الإله وخضوعه كما بينت
 ذلك عامة آيات القرآن مثل قوله تعالى {وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً} {البقرة 165} ولهذا قال الخليل {لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ
 {الأنعام 76} ومن المعلوم أن كل حي فله إرادة وعمل بحسبه
 وكل متحرك فأصل حركته المحبة والإرادة ولا صلاح
 للموجودات إلا أن يكون كمال محبتها وحركتها لله تعالى كما لا
 وجود لها إلا أن يبدعها الله ولهذا قال تعالى {لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ
 إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} {الأنبياء 22} ولم يقل لعدمها إذ هو قادر علي أن
 يبقيها علي وجهة الفساد لكن لا يمكن أن تكون سالحة إلا أن
 يعبد الله وحده لا شريك له فإن صلاح الحي إنما هو صلاح
 مقصوده ومراده وصلاح الأعمال والحركات بصلاح إرادتها
 ونياتها ولهذا كان من أجمع الكلام وأبلغه قوله إنما الأعمال
 بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوي وهذا يعم كل عمل وكل نية⁵²

⁵²قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 14

ولما كانت كل حركة وعمل في العالم فأصلها المحبة والإرادة وكل محبة وإرادة لا يكون أصلها محبة الله وإرادة وجهه فهي باطلة فاسدة كان كل عمل لا يراد به وجهه باطلا فأعمال الثقلين الجن والإنس منقسمة منهم من يعبد الله ومنهم من لا يعبد بل قد يجعل معه إليها آخر وأما الملائكة فهم عابدون لله وجميع الحركات الخارجة عن مقدور بني آدم والجن والبهائم فهي من عمل الملائكة وتحريكها لما في السماء والأرض وما بينهما فجميع تلك الحركات والأعمال عبادات لله متضمنة لمحبتة وإرادته وقصده وجميع المخلوقات عابدة لخالقها إلا ما كان من مردة الثقلين وليست عبادتها إياه قبولها لتدبيره وتصريفه وخلقه فإن هذا عام لجميع المخلوقات حتى كفار بني آدم فلا يخرج أحد عن مشيئته وتدبيره وذلك بكلمات الله التي كان النبي يستعيذ بها فيقول أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وهذا من عموم ربو بيته وملكه وهذا الوجه هو الذي أدركه كثير من أهل النظر والكلام حتى فسروا ما في القرآن والحديث من عبادة الأشياء وسجودها وتسبيحها بذلك وهم غالطون في هذا التخصيص شرعا وعقلا أيضا فإن المعقول الذي لهم يعرفهم أن كل شيء وكل متحرك وأن كان له مبدأ فلا بد له من غاية ومنتهى كما يقولون لها علتان فاعلية وغائية والذي ذكروه إنما هو من جهة العلة الفاعلية وبعض المخلوقين كذلك يجعلونه من جهة العلة الغائية وهذا غلط فلا يصلح أن يكون شيء من المخلوقات علة فاعلية ولا غائية إذ لا يستقل مخلوق بأن يكون علة تامة قط ولهذا لم يصدر عن مخلوق واحد شيء قط ولا يصدر شيء في الآثار إلا عن اثنين من المخلوقات كما قد بينا هذا في غير هذا الموضوع وكذلك لا يصلح شيء من المخلوقات أن يكون علة غائية تامة إذ ليس في شيء من

المخلوقات كمال مقصود حتى من الأحياء فالمخلوقات بأسرها
يجتمع فيها هذان النقصان أحدهما أنه لا يصلح شيء منها أن
تكون علة تامة لا فاعلية ولا غائية والثاني أن ما كان فيها علة
فله علة سواء كان علة فاعلية أو غائية فالله سبحانه رب كل
شيء ومليكه وهو رب العالمين لا رب لشيء من الأشياء إلا هو
وهو إله كل شيء وهو في السماء إله وفي الأرض إله وهو الله
في السموات وفي الأرض **لو كان فيهما إلهة إلا الله لفسدنا** وما
من إله إلا الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا
فعبادة المخلوقات وتسيحها هو من جهة إلهيته سبحانه وتعالى
وهو الغاية المقصودة منها ولها⁵³

وإن كانت الإرادة والمحبة تنقسم إلي متبوعة للمراد تكون له
كالسبب الفاعل وإلي تابعة للمراد يكون هو لها كالسبب الفاعل
وتكون عنه كالمسبب المفعول وهذا هو الأصل وإذا علم أن
جميع حركات العالم صادرة عن محبة وإرادة ولا بد للمحبة
والإرادة من سبب فاعل يكون هو المحبوب المراد علم بذلك أنه
لا بد لجميع الحركات من إله يكون المعبود المقصود المراد
المحبوب لها وأنها دالة على الإله الحق من هذا الوجه وأنه لو
كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا وهذا غير هذا الوجه الذي دلت منه
علي ربوبيته وقد بسطنا الكلام علي ذلك في مواضع متعددة إذ
هو أجل العلم الإلهي وأشرفه⁵⁴

⁵³قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 24

⁵⁴قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 215

والخطب فيها التشهد بعد الفاتحة فإن يتضمن إلهيه الرب وهو أن يكون الرب هو المعبود هذا هو الغاية التي ينتهي إليها أعمال العباد و {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} {الأنبياء 22} 55

أساليب البيان في القرآن

قال تعالى { أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ } {21} { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } {22} { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } {23} { أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ } {24} {الأنبياء 21-24} فإن الشيء كلما كان أعم كان أعرف في العقل لكثرة مرور مفرداته في العقل و خير الكلام ما قل و دل فلهذا كانت الأمثال المضروبة في القرآن تحذف منها القضية الجلية لأن في ذكرها تطويلا و عيا و كذلك ذكر النتيجة المقصودة بعد ذكر المقدمتين يعد تطويلا و اعتبر ذلك بقوله {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} {الأنبياء 22} ما أحسن هذا البرهان فلو قيل بعده و ما فسدنا فليس فيهما آلهة إلا الله لكان هذا من الكلام الغث الذي لا يناسب بلاغة التنزيل و انما ذلك من تأليف المعاني في العقل مثل تأليف الأسماء من الحروف في الهجاء و الخط إذا علمنا الصبي الخط نقول با سين ميم صارت بسم فإذا عقل لم يصلح له بعد ذلك أن يقرأه تهجيا فيذهب ببهجة الكلام بل قد صار التأليف مستقرا و كذلك النحوى إذا عرف أن محمد رسول الله مبتدأ و خير لم يلف كلما رفع مثل ذلك أن يقول لأنه مبتدأ و خبر فتأليف الأسماء من الحروف لفظا و معنى و تأليف

55 مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 398

الكلم من الأسماء و تأليف الأمثال من الكلم جنس و احد ولهذا كان المؤلفون للأقيسة يتكلمون أولا فى مفردات الألفاظ و المعاني التى هى الأسماء ثم يتكلمون فى تأليف الكلمات من الأسماء الذى هو الخبر و القصة و الحكم ثم يتكلمون فى تأليف الأمثال المضروبة الذى هو القياس و البرهان و الدليل و الآية و العلامة فهذا مما ينبغى أن يتفطن له فإن من أعظم كمال القرآن تركه فى أمثاله المضروبة و أقيسته المنصوبة لذكر المقدمة الجلية الواضحة المعلومة ثم اتباع ذلك بالأخبار عن النتيجة التى قد علم من أول الكلام أنها هى المقصود بل إنما يكون ضرب المثل بذكر ما يستفاد ذكره و ينتفع بمعرفته فذلك هو البيان هو البرهان و أما ما لا حاجة الى ذكره فذكره عي و بهذا يظهر لك خطأ قوم من البيانيين الجهال و المنطقيين الضلال حيث قال بعض أولئك الطريقة الكلامية البرهانية فى أساليب البيان ليست فى القرآن إلا قليلا و قال الثانى انه ليس فى القرآن برهان تام فهؤلاء من أجهل الخلق باللفظ و المعنى فإنه ليس فى القرآن إلا الطريقة البرهانية المستقيمة لمن عقل و تدبر و أيضا فينبغى أن يعرف أن مدار ضرب المثل و نصب القياس على العموم و الخصوص و السلب و الايجاب فإنه ما من خبر الا و هو اما عام او خاص سالب أو موجب فالمعين خاص محصور و الجزئى أيضا خاص غير محصور و المطلق اما عام و اما فى معنى الخاص فينبغى لمن أراد معرفة هذا الباب أن يعرف صيغ النفي و العموم فإن ذلك يجيء فى القرآن على أبلغ نظام⁵⁶

⁵⁶مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 67

إن الله يعلم ما كان و ما يكون و ما لا يكون لو كان كيف كان يكون

قال تعالى { أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ } {21} لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } {22} لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } {23} أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ إِلَهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ } {24} {الأنبياء 21-24} إن الله يعلم ما كان و ما يكون و ما لا يكون لو كان كيف كان يكون فإن هذا من باب العلم و الخبر بما لا يكون لو كان كيف يكون كقوله { لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا } {الأنبياء 22} و قوله { وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ } {الأنعام 28} و قوله { لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا } {التوبة 47} و قوله { وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ } {الأنفال 23} و أمثال ذلك كما روى أنه يقال للعبد فى قبره حين يفتح له باب إلى الجنة و إلى النار و يقال هذا منزلك و لو عملت كذا وكذا أبدلك الله به منزلاً آخر⁵⁷

قال تعالى { لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا } {الأنبياء 22} ولو تستعمل على وجهين أحدهما على وجه الحزن على الماضي والجزع من المقدور فهذا هو الذي نهى عنه كما قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ } {آل عمران 156} وهذا هو الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال وإن

⁵⁷مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 278

أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن اللو تفتح عمل الشيطان أي تفتح عليك الحزن والجزع وذلك يضر ولا ينفع بل اعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك كما قال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ

{التغابن 11} قالوا هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم والوجه الثاني أن يقال لو لبيان علم نافع كقوله {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} {الأنبياء 22}

ولبيان محبة الخير وإرشدته كقوله لو أن لي مثل ما لفلان عملت مثل ما يعمل ونحو جائز وقول النبي صلى الله عليه وسلم وددت لو أن موسى صبر ليقص الله علينا من خبرهما هو من هذا الباب كقوله {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} {القلم 9} فإن نبينا صلى الله عليه وسلم أحب أن يقص الله خبرهما فذكرها لبيان محبته للصبر المترتب عليه فعرفه ما يكون لما ذلك من المنفعة ولم يكن في ذلك جزع ولا حزن ولا ترك لما يجب من الصبر على المقدور وقوله وددت لو أن موسى صبر قال النحاة تقديره وددت أن موسى صبر وكذلك قوله {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} {القلم 9} تقديره ودوا أن تدهن وقال بعضهم بل هي لو شرطية وجوابها محذوف والمعنى على التقديرين معلوم وهي محبة ذلك الفعل وإرادته ومحبة الخير وإرادته محمود والحزن والجزع وترك الصبر مذموم والله أعلم⁵⁸

لا يحب لذاته إلا الله فإن ذلك من خصائص إلهيته

⁵⁸الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 350 و مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 349

قال تعالى { أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ } {21} لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهًا إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } {22} لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } {23} أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ إِلَهًا قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ } {24} {الأنبياء 21-24

{ سبب المحبة ومما يحقق هذه الأمور أن المحب يجذب والمحبوب يجذب فمن أحب شيئاً جذبته إليه بحسب قوته ومن أحب صورة جذبته تلك الصورة الى المحبوب الموجود في الخارج بحسب قوته فإن المحب علته فاعلية والمحبوب علته غائية وكل منهما له تأثير في وجود المعلول والمحب انما يجذب المحبوب بما في قلب المحب من صورته التي يتمثلها فتلك الصورة تجذبه بمعنى انجذابه اليها لأنها هي في نفسها قصد وفعل فإن في المحبوب من المعنى المناسب ما يقتضي انجذاب المحب اليه كما ينجذب الانسان الى الطعام ليأكله والى امرأة ليياشرها والى صديقه ليعاشره وكما تنجذب قلوب المحبين لله ورسوله الى الله ورسوله والصالحين من عباده لما اتصف به سبحانه من الصفات التي يستحق لأجلها أن يحب ويعبد بل لا يجوز أن يحب شيء من الموجودات لذاته الا هو سبحانه وبحمده فكل محبوب في العالم انما يجوز أن يحب لغيره لا لذاته والرب تعالى هو الذي يجب أن يحب لنفسه وهذا من معاني الهيته {لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهًا إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } {الأنبياء 22} فذلك من خصائص الهيته فلا يستحق ذلك الا الله وحده وكل محبوب سواه ان لم يحب لأجله أو لما يحب لأجله فمحبه فاسدة والله تعالى خلق في النفوس حب الغذاء وحب النساء لما في ذلك من حفظ الأبدان وبقاء الانسان ف ولولا حب النساء لما تزوجوا فانقطع النسل والمقصود بوجود ذلك بقاء كل منهم ليعبدوا الله وحده ويكون هو المحبوب المعبود لذاته الذي لا يستحق ذلك غيره وانما تحب الأنبياء والصالحون تبعاً لمحبه

فإن من تمام حبه حب ما يحبه وهو يحب الأنبياء والصالحين
ويحب الأعمال الصالحة فحبها لله هو من تمام حبه وأما الحب
معه فهو حب المشركين الذين يحبون أندادهم كحب الله فالمخلوق
إذا أحب الله كان حبه جاذبا الى حب الله⁵⁹

لا بد أن يخلص الله الدين والعبادة فلا يعبد إلا إياه ولا يعبد إلا
بما شرع فيكون دينه كله لله والإله هو المألوه الذي تأله القلوب
وكونه يستحق الإلهية مستلزما لصفات الكمال فلا يستحق أن
يكون معبودا محبوبا لذاته إلا هو وكل عمل لا يراد به وجهه فهو
باطل وعبادة غيره وحب غيره يوجب الفساد كما قال تعالى
**{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا
يَصِفُونَ} {الأنبياء 22}** وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا
الموضع وبيننا أن هذه الآية ليس المقصود بها ما يقوله من
يقوله من أهل الكلام من ذكر دليل التمانع الدال على وحدانية
الرب تعالى فإن التمانع وجود المفعول لا يوجب فساده بعد
وجوده وذلك يذكر في الأسباب والبدائيات التي تجري مجرى
العلل الفاعلات والثاني يذكر في الحكم والنهيات التي تذكر
في العلل التي هي الغايات كما في قوله **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ} {5} الفاتحة 5** فقدم الغاية المقصودة على الوسيلة
الموصلة كما قد بسط في غير هذا الموضع⁶⁰

⁵⁹مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 607-608 و الزهد والورع والعبادة ج:

1 ص: 43

⁶⁰اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 461

وهو كما يشهد ربوبيته وتدبيره العالم المحيط وحكمته ورحمته
فكذلك يشهد إلهيته العامة فانه { وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي
الْأَرْضِ إِلَهٌ } { الزخرف 84 } إله في السماء وإله في الأرض
{ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ
{ الرحمن 29 } وكذلك قوله { وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي
الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ } { الأنعام 3 } على
أحد القولين على وقف من يقف عند قوله { وَفِي الْأَرْضِ
{ الأنعام 3 } فان المعنى هو في السموات الله وفي الأرض الله ليس
فيهما من هو الله غيره وهذا وان كان مشابها لقوله { وَهُوَ
الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ } { الزخرف 84 } فهو أبلغ
منه ونظيره قوله { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا } { الأنبياء 22 }
وقد قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ
وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
{ الروم 27 } وقوله { سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } { الحديد 1 } وقوله { وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ
{ الرعد 15 } وهذا من معاني ألوهيته وخضوع الكائنات واسلامها
له وافتقارها اليه وسؤالها اياه ودعاء الخلق اياه اما دعاء عبادة
واما دعاء مسألة واما دعاؤهما جميعا ومن أعرض عنه
وقت الاختيار { وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ
إِلَّا إِيَّاهُ } { الإسراء 67 } { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ } { النمل 62 }
ونشهد أن كل معبود سواه من لدن عرشه الى قرار أرضه فإنه
باطل الا وجهه الكريم كما نشهد أنها كلها مفتقرة اليه في مبدئها
نشهد أنها مفتقرة اليه في منتهاها والا كانت باطلة⁶¹

⁶¹مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 404

{ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ }

قال تعالى { أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْسِرُونَ } {21} لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } {22} لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } {23} أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ } {24} {الأنبياء 21-24} فاعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثل شىء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه ثم رسله صادقون مصدقون بخلاف الذين يقولون عليه مالا يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ } {180} وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ } {181} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } {182} {الصافات 180-182} فسيح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسول وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل

ثلث القرآن حيث يقول (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {1} اللَّهُ الصَّمَدُ {2} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {3} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {4} الاخلاص 1-4⁶²

وأصل دين المسلمين أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتبه وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل بل يثبتون له تعالى ما أثبتته لنفسه ويفنون عنه ما نفاه عن نفسه ويتبعون في ذلك أقوال رسله ويجتنون ما خالف أقوال الرسل كما قال تعالى { فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ { الأنبياء 22 } أي عما يصفه الكفار المخالفون للرسول وقال تعالى { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ {180} وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ {181} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {182} الصافات 181-182

{وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ {181} الصافات 181 لسلامة ما قالوه من النقص والعيب } وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {182} الصافات 182 فالرسل وصفوا الله بصفات الكمال ونزهوه عن النقائص المناقضة للكمال ونزهوه عن أن يكون له مثل في شيء من صفات الكمال وأثبتوا له صفات الكمال على وجه التفصيل ونفوا عنه التمثيل فأتوا بإثبات مفصل ونفي مجمل فمن نفى عنه ما أثبتته لنفسه من الصفات كان معطلا ومن جعلها مثل صفات المخلوقين كان ممثلا والمعطل يعبد عدما والممثل يعبد صنما وقد قال تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ { الشورى 11 } وهو رد على الممثلة } وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ { الشورى 11 } وهو رد على المعطلة⁶³

⁶²مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 130 و العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 14

⁶³الجواب الصحيح ج: 4 ص: 405-406

ليس في الكائنات ما يسكن العبد اليه ويطمئن به الا الله

سبحانه

قال تعالى { أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْسِرُونَ } {21} لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } {22} لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } {23} أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ } {24} {الأنبياء 21-24} فليس في الكائنات ما يسكن العبد اليه ويطمئن به ويتنعم بالتوجه اليه الا الله سبحانه ومن عبد غير الله وإن أحبه وحصل له به مودة في الحياة الدنيا ونوع من اللذة فهو مفسدة لصاحبه أعظم من مفسدة التذاذ أكل الطعام المسموم { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } {الأنبياء 22} فإن قوامهما بأن تأله الاله الحق فلو كان فيهما آلهة غير الله لم يكن إلها حقا إذ الله لا سمي له ولا مثل له فكانت تفسد لإنتفاء ما به صلاحها هذا من جهة الإلهية⁶⁴

فإن الإنسان خلق محتاجا الى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره ونفسه مريدة دائما ولا بد لها من مراد يكون غاية مطلوبها لتسكن اليه وتطمئن به وليس ذلك إلا الله وحده فلا تطمئن القلوب إلا به ولا تسكن النفوس إلا اليه و { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا

⁶⁴مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 24

{ الأنبياء 22 } فكل مألوه سواه يحصل به الفساد ولا يحصل صلاح القلوب إلا بعبادة الله وحده لا شريك له فإذا لم تكن القلوب مخصصة لله الدين عبت غيره من الآلهة التي يعبدها أكثر الناس مما رضوه لأنفسهم فأشركت بالله بعبادة غيره واستعانته فتعبد غيره وتستعين به لجهلها بسعادتها التي تنالها بعبادة خالقها والإستعانة به فبالعبادة له تستغنى عن معبود آخر وبالإستعانة به تستغنى عن الإستعانة بالخلق وإذا لم يكن العبد كذلك كان مذنباً محتاجاً وإنما غناه فى طاعة ربه وهذا حال الإنسان فإنه فقير محتاج وهو مع ذلك مذنب خطاء فلا بد له من ربه فإنه الذى يسدى مغافره ولا بد له من الإستغفار من ذنوبه قال تعالى { فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ } محمد 19 فبالتوحيد يقوى العبد ويستغنى ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله وبالإستغفار يغفر له ويدفع عنه عذابه { وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } الأنفال 33 فلا يزول فقر العبد وفاقته إلا بالتوحيد فإنه لا بد له منه وإذا لم يحصل له لم يزل فقيراً محتاجاً معذباً فى طلب ما لم يحصل له والله تعالى { لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ } النساء 48 وإذا حصل مع التوحيد الإستغفار حصل له غناه وسعادته وزال عنه ما يعذبه ولا حول ولا قوة إلا بالله والعبد مفتقر دائماً الى التوكل على الله والإستعانة به كما هو مفتقر الى عبادته فلا بد أن يشهد دائماً فقره الى الله وحاجته فى أن يكون معبوداً له وأن يكون معيناً له فلا حول ولا قوة إلا بالله ولا ملجأ من الله إلا إليه⁶⁵

⁶⁵مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 55-56

لا بد للنفس من مراد محبوب لذاته لا تصلح إلا به ولا تكمل إلا به وذلك هو إلهها

قال تعالى { أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ } {21} { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } {22} { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } {23} { أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ } {24} { الأنبياء 21-24

ومذاهب الناس في العبادات وهؤلاء غاية ما عندهم في العبادات والأخلاق والحكمة العملية أنهم رأوا النفس فيها شهوة وغضب من حيث القوة العملية ولها نظر من جهة القوة العلمية فقالوا كمال الشهوة في العفة وكمال الغضب في الحلم والشجاعة وكمال القوة النظرية في العلم والتوسط في جميع ذلك بين الإفراط والتفريط هو العدل وما ذكروه من العمل متعلق بالندب لم يثبتوا خاصية النفس التي هي محبة الله وتوحيده بل ولا عرفوا ذلك كما لم يكن عندهم من العلم بالله إلا قليل مع كثير من الباطل كما بسط الكلام عنهم في موضعه ومحبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح للنفس وهو عبادة الله وحده لا شريك له فلا صلاح للنفس ولا كمال لها إلا في ذلك وبدون ذلك تكون فاسدة لا صلاح لها ولهذا كان هذا هو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل قال الله تعالى { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } آل عمران 85 وقد قال تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } {الذاريات 56} فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده وهي حقيقة قول القائل لا إله إلا الله ولهذا بعث الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب ولا تصلح النفس وتزكو وتكمل إلا بهذا ولفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب فلا بد أن يكون العابد محبا للإله المعبود كمال الحب ولا بد أن يكون ذليلا له كمال الذل فمن أحب شيئا ولم يذل له لم يعبهه ومن خضع له ولم يحبه

لم يعبدته وكمال الحب والذل لا يصلح إلا لله وحده فهو الإله
 المستحق للعبادة التي لا يستحقها إلا هو وذلك يتضمن كمال
 الحب والذل والإجلال والإكرام والتوكل والعبادة فالنفوس
 محتاجة إلى الله من حيث هو معبودها ومنتهى مرادها وبغيتها
 ومن حيث هو ربها وخالقها فمن آمن بالله رب كل شيء وخالقه
 ولم يعبد إلا الله وحده بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه
 وأخشى عنده من كل ما سواه وأعظم عنده من كل ما سواه
 وأرجى عنده من كل ما سواه بل من سوى بين الله وبين بعض
 المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله ويخشاه مثل ما
 يخشى الله ويرجوه مثل ما يرجو الله ويدعوه مثل ما يدعوه فهو
 مشرك الشرك الذي لا يغفره الله ولو كان مع ذلك عفيفا في
 طعامه ونكاحه وكان حكيما شجاعا فما ذكره المتفلسفة من
 الحكمة العملية ليس فيها من الأعمال ما تسعد به النفوس وتتجو
 من العذاب كما أن ما ذكروه من الحكمة النظرية ليس فيها
 الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فليس عندهم
 من العلم ما تهتدي به النفوس ولا من الأخلاق ما هو دين حق
 ولهذا لم يكونوا داخلين في أهل السعادة في الآخرة المذكورين
 في قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى
 وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
 عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } البقرة 62 وهذه
 الفضائل الأربع التي ذكرها المتفلسفة لا بد منها في كمال النفس
 وصلاحها وتزكيتها والمتفلسفة لم يحدوا ما يحتاج إليه بحد يبين
 مقدار ما تحصل به النجاة والسعادة ولكن الأنبياء بينوا ذلك النجاة
 والسعادة ولكن الأنبياء بينوا ذلك وقد قال سبحانه { قُلْ إِنَّمَا
 حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ
 الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ
 مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 33 فهذه الأنواع الأربعة هي التي
 حرمها تحريما مطلقا لم يبيح منها شيئا لأحد من الخلق ولا في
 حال من الاحوال بخلاف الدم والميتة ولحم الخنزير وغير ذلك

فإنه يحرم في حال ويباح في حال وأما الأربعة فهي محرمة مطلقا فالفواحش متعلقة بالشهوة والبغي بغير الحق يتعلق بالغضب والشرك بالله فساد أصل العدل فإن الشرك ظلم عظيم والقول على الله بلا علم فساد في العلم فقد حرم سبحانه هذه الأربعة وهي فساد الشهوة والغضب وفساد العدل والعلم وقوله وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا يتضمن تحريم أصل الظلم في حق الله وذلك يستلزم إيجاب العدل في حق الله تعالى وهو عبادته وحده لا شريك له فإن لنفس لها القوتان العلمية والعملية وعمل الإنسان عمل اختياري والعمل الاختياري إنما يكون بإرادة العبد وكل إنسان له إرادة وعمل بإرادته فإن الإنسان حساس يتحرك بالإرادة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم أصدق الأسماء الحارث وهمام والإرادة لا بد لها من مراد وكل مراد فأما أن يراد لنفسه وأما أن يراد لغيره والمراد لغيره لا بد أن ينتهي إلى مراد لنفسه فالقوة العملية تستلزم أن يكون للإنسان مراد وذلك المراد لنفسه هو علة فاعلة للعلة الفاعلة ولهذا قيل العامة تقول قيمة كل امرئ ما يحسنه والعارفون يقولون قيمة كل امرئ ما يطلب وفي بعض الكتب المتقدمة إنني لا أنظر إلى كلام الحكيم وإنما أنظر إلى همته وهؤلاء المتفلسفة لم يذكروا هذا في كمال النفس وإنما جعلوا كمالها العملي في تعديل الشهوة والغضب بالعفة والحلم وهذا غايته ترك الإسراف في الشهوة والغضب والشهوة هي جلب ما ينفع البدن ويبقي النوع والغضب دفع ما يضر البدن ولم يتعرضوا لمراد الروح الذي يحبه لذاته مع أنهم إنما تكلموا فيما يعود إلى البدن وجعلوا ذلك إصلاحا للبدن الذي هو آلة للنفس وجعلوا كمال النفس في مجرد العلم وقد بسطنا غلطهم في هذا الأصل من وجوه في غير هذا الموضوع وبيننا أن النفس لها كمال في العمل والإرادة كما أن لها كمالا في العلم وأن العلم المجرد ليس كمالا لها ولا صلاحا ولو كان كمالا لم يكن ما عندهم من العلم ما هو كمال النفس وبيننا غلط الجهمية الذين قالوا الإيمان هو مجرد العلم وأن الصواب قول السلف

والأئمة إن الإيمان قول وعمل أصله قول القلب وعمل القلب المتضمن علم القلب وإرادته وإذا كان لا بد للنفس من مراد محبوب لذاته لا تصلح إلا به ولا تكمل إلا به وذلك هو إلهها فليس لها إله يكون به صلاحا إلا الله ولهذا قال الله تعالى {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} {الأنبياء 22} وليس ذلك للإنسان فقط بل للملائكة الجن فإنهم كلهم أحياء عقلاء ناطقون لهم علم وعمل اختياري ولا صلاح لهم إلا بمرادهم المحبوب لذاته وهو معبودهم ولا يجوز أن يكون معبودا محبوبا لنفسه إلا الله فلو كان في السموات والأرض إله إلا الله لفسدتا فلماذا كان دين جميع الرسل عبادة الله وحده لا شريك له وهؤلاء المتفلسفة لا يعرفون ذلك فليس عندهم من صلاح النفس وكمالها في العلم والعمل ما تنجو به من الشقاء فضلا عما تسعد به وهؤلاء المتفلسفة لا يعرفون ذلك فليس عندهم من صلاح النفس وكمالها في العلم والعمل ما تنجو به من الشقاء فضلا عما تسعد به ومما يبين ذلك أن أرسطو معلمهم الأول هو وأتباعه إنما أثبتوا العلة الأولى بالحركة الفلكية فقالوا الحركة الدورية حركة اختيارية نفسانية فقومه بحركته الاختيارية وفساده بعدمها وقوام حركته بما يتحرك لأجله فإن الفاعل بالاختيار إنما قومته بعلمته الغائية التي يتحرك لأجلها وغايته التي يتحرك لأجلها هو العلة الأولى فإنه يتحرك للتشبه بها فجعلوا قوام العالم كله بالعلة الأولى من حيث هو متشبه به لأن المتحرك باختياره لا بد له من مراد ومعلوم أن الحركة الإرادية تطلب مرادا محبوبا لنفسها وتستلزم ذلك اعظم من استلزامها مشبها به فإن كل متحرك بإرادة لا بد له من مراد محبوب لنفسه فإن الإرادة لا بد لها من مراد والمراد يكون إما مرادا لنفسه وإما لغيره والمراد لغيره إنما يراد لذلك الغير بد أن يكون ذلك الغير مرادا لنفسه أو منتهى إلى مراد لنفسه وإلا لزم التسلسل في العلة الغائبة وذلك باطل كبطلان التسلسل في العلة الفاعلية بصريح العقل واتفاق العقلاء وبسط هذا له موضع آخر

وإذا كان الفاعل باختيار يستلزم مرادا لنفسه محبوبا فلا بد أن يكون لما يتحرك في السموات بإرادته سواء كان هؤلاء الملائكة أو ما يسمونه هم نفسا من محبوب مراد لذاته يكون هو الإله المعبود المراد بتلك الحركات وكذلك نفس الإنسان حركتها بالإرادة من لوازم ذاتها فلا بد لها من محبوب مراد لذاته وهو الإله وهذا المحبوب المراد لذاته هو الله تعالى ويمتنع أن يكون غيره كما قد بسط هذا في موضع آخر وبين أن يمتنع أن يكون موجودا بغيره بل هو واجب الوجود بنفسه فيمتنع أنه يكون مرادا لغيره بل مراد لنفسه وكما يمتنع أن يكون للعالم ربان قادران يمتنع أن يكون للعالم إلهان معبودان فإن كون أحدهما قادرا يناقض كون الآخر قادرا لامتناع اجتماع القادرين على مقدور واحد وامتناع كون أحدهما قادرا على الفعل حين يكون الآخر قادرا عليه وامتناع ارتفاع قدرة أحدهما بقدرة الآخر مع التكافؤ كذلك يمتنع أن يكون إلهان معبودان محبوبان لذاتهما لأن كون أحدهما هو المعبود لذاته يناقضه أن يكون غيره معبودا لذاته فإن ذلك يستلزم أن يكون بعض المحبة والعمل لهذا وبعض ذلك لهذا وذلك يناقض كون الحب والعمل كله لهذا فإن الشركة نقص في الحب فلا تكون حركة المتحرك بإرادته له فلا يكون أحدهما معبودا معمولا له إلا إذا لم يكن الآخر كذلك فإن العمل لهذا يناقض أن يكون له شريك فضلا عن أن يكون لغيره وكل من أحب شيئين فإنما يحبهما لثالث غيرهما وإلا فيمتنع أن يكون كل منهما محبوبا لذاته إذ المحبوب لذاته هو الذي تريده النفس وتطلبه وتطمئن إليه بحيث لا يبقى لها مراد غيره وهذا يناقض أن يكون له شريك⁶⁶

⁶⁶الجواب الصحيح ج: 6 ص: 33-39

قال تعالى {يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْزِلُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ} النحل 2 الى غير ذلك من الآيات و قد علم بالتواتر و الاضطرار أن جميع الرسل أخبروا عن الله أنه شهد و يشهد أن لا إله إلا هو بقوله و كلامه و هذا معلوم من جهة كل من بلغ عنه كلامه و لهذا قال تعالى {أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَن قَبْلِي} الأنبياء 24⁶⁷

سبحان الله تنزيه نفسه من السوء

قال تعالى { أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ } {21} لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } {22} لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } {23} أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ } {24} الأنبياء 21-24 و الأمر بتسبيحه يقتضي أيضا تنزيهه عن كل عيب و سوء و إثبات صفات الكمال له فإن التسبيح يقتضي التنزيه و التعظيم و التعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها فيقتضي ذلك تنزيهه و تحميده و تكبيره و توحيده قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا ابن نفيل الحراني ثنا النضر ابن عربي قال سأل رجل ميمون بن مهران عن سبحان الله فقال إسم يعظم الله به و يحاشي به من السوء و قال حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا حفص بن غياث عن حجاج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال سبحان قال تنزيه الله نفسه من السوء و

⁶⁷مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 175

عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا} {الإسراء: 1} قال عجب و عن أبى الأشهب عن الحسن قال سبحان إسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه و قد جاء عن غير و احد من السلف مثل قول ابن عباس أنه

تنزیه نفسه من السوء و روي فى ذلك حديث مرسل و هو يقتضى تنزیه نفسه من فعل السيئات كما يقتضى تنزیهه عن الصفات المذمومة و نفي النقائص يقتضى ثبوت صفات الكمال و فيها التعظيم كما قال ميمون بن مهران إسم يعظم الله به و يحاشى به من السوء و روى عبد بن حميد حدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن عثمان بن عبدالله بن موهب عن موسى بن طلحة قال سئل النبى صلى الله عليه و سلم عن التسبيح فقال إنزاهه عن السوء و قال حدثنا الضحاك ابن مخلد عن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس سبحان الله قال تنزیهه حدثنا كثير بن هشام ثنا جعفر بن برقان ثنا يزيد بن الأصم قال جاء رجل إلى ابن عباس فقال لا إله إلا الله نعرفها أنه لا إله غيره و الحمد لله نعرفها أن النعم كلها منه و هو المحمود عليها و الله أكبر نعرفها أنه لا شيء أكبر منه فما سبحان الله فقال ابن عباس و ما ينكر منها هي كلمة رضىها الله لنفسه و أمر بها ملائكته و فزع إليها الأخيار من خلقه⁶⁸

لا يجوز الخوض فى أمر الله تعالى كما يجوز الخوض فى فعل المخلوقين

قال تعالى { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } {الأنبياء: 23} ان قول القدرية الجهمية المجبرة أعظم مناقضة لما جاءت به

⁶⁸مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 126

الرسل من قول النفاة ولهذا لم يكن هؤلاء مظهرين لهذا فى زمن السلف بل كلما ضعف نور النبوة أظهروا حقيقة قولهم فانه من جنس قول المشركين المكذبين للرسل ومنتهاهم الشرك وتكذيب الرسل وهذا جماع الكفر كما أن التوحيد وتصديق الرسل جماع الايمان ولهذا صاروا مع أهل الكفر المحض من المشركين وأهل الكتاب وبسط هذه الأمور له موضع آخر والمقصود هنا أن القدرية المجبرة من جنس المشركين كما ان النافية من جنس المجوس وان المجبرة ما عندهم سوى القدرة والمشية فى نفس الأمر والنافية تنفي القدرة العامة والمشية التامة وتزعم انها تثبت الحكمة والعدل وفي الحقيقة كلاهما ناف للحكمة والعدل والمشية والقدرة كما قد بسط فى مواضع لامية

وأولئك يتعلقون بقوله { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ } الأنبياء 23 { إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ } الحج 18 وهذا ذكره الله اثباتا لقدرته لا نفيا لحكمته وعدله بل بين سبحانه انه يفعل ما يشاء فلا أحد يمكنه أن يعارضه إذا شاء شيئا بل هو قادر على فعل ما يشاء بخلاف المخلوق الذي يشاء أشياء كثيرة ولا يمكنه أن يفعلها ولهذا قال النبي فى الحديث الصحيح لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت فان الله لا مكره له ولكن ليعزم المسألة وذلك انه إنما يقال افعل كذا ان شئت لمن قد يفعله مكرها فيفعل ما لا يريد لدفع ضرر الاكراه عنه والله تعالى لا مكره له فلا يفعل إلا ما يشاء فقوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ

{ الحج 18 و { يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ } الفتح 14 ونحو ذلك هو لاثبات قدرته على ما يشاء وهذا رد لقول القدرية النفاة الذين يقولون انه لم يشأ كل ما كان بل لا يشاء إلا الطاعة ومع هذا فقد شاءها ولم يكن ممن عصاه وليس هو قادرا عندهم على أن يجعل العبد لا مطيعا ولا عاصيا فهذه الآيات التى تحتج بها المجبرة تدل على فساد مذهب النفاة كما أن الآيات التى يحتج بها النفاة التى تدل على أنه حكم عادل لا يظلم مثقال ذرة وانه لم يخلق الخلق عبثا ونحو ذلك تدل على فساد قول المجبرة

وليس فى هذه الايات ولا هذه ما يدل على صحة قول واحدة من الطائفتين بل ما تحتج به كل طائفة يدل على فساد مذهب الأخرى وكلا القولين باطل وهذا هو الذي نهى عنه النبى فى الحديث الذي فى المسند وغيره وبعضه فى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبى انه خرج على أصحابه وهم يتمارون فى القدر هذا يقول ألم يقل الله كذا وهذا يقول ألم يقل الله كذا فكأنما فقيء فى وجهه حب الرمان فقال أبهذا أمرتم أم إلى هذا دعيتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ولهذا قال أحمد فى بعض مناظرته لمن صار يضرب الآيات بعضها ببعض انا قد نهينا عن هذا فمن دفع نصوصا يحتج بها غيره لم يؤمن بها بل آمن بما يحتج صار ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض وهذا حال أهل الاهواء هم مختلفون فى الكتاب مخالفون للكتاب متفقون على مخالفة الكتاب وقد تركوا كلهم بعض النصوص وهو ما يجمع تلك الاقوال فصاروا كما قال عن أهل الكتاب { وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } المائدة 14 فإذا ترك الناس بعض ما أنزل الله وقعت بينهم العداوة والبغضاء إذ لم يبق هنا حق جامع يشتركون فيه بل { فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } المؤمنون 53 وهؤلاء كلهم ليس معهم من الحق الا ما وافقوا فيه الرسول وهو ما تمسكوا به من شرعه مما أخبر به وما أمر به وأما ما ابتدعوه فكله ضلالة كما قال واياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة وقد تكون تلك البدعة أعظم عندهم مما أخذوا به من الشرعة يجعلون تلك هي الأصول العقلية كالعقدية المجبرة والنفاة فكلهما يجعل ما أحدثوه من الكلام فى الاصول وهو الذي يسمونه العقليات أعظم عندهم مما تلقوه من الشرع⁶⁹

⁶⁹مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 225-227

قال الشيخ أبو عثمان النيسابوري الصابوني الملقب بشيخ
الاسلام في رسالته في السنة قرأت في رسالة أبي بكر
الإسماعيلي الى أهل جيلان أن الله ينزل الى السماء الدنيا على ما
صح به الخبر عن النبي وقد قال عز وجل { هَلْ يَنْظُرُونَ
إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ } البقرة 210 وقال { وَجَاءَ
رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا } الفجر 22 نؤمن بذلك كله على ما جاء
بلا كيف فلو شاء سبحانه أن يبين كيف ذلك فعل فانتبهينا إلى ما
أحكمه وكفنا عن الذي يتشابه اذ كنا قد أمرنا به في قوله { هُوَ
الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ
مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ
الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ
يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } آل
عمران 7 وروى عبدالرحمن بن منده باسناده عن حرب بن
إسماعيل قال سألت اسحق بن إبراهيم قلت حديث النبي
ينزل الله إلى السماء الدنيا قال نعم ينزل الله كل ليلة الى السماء
الدنيا كما شاء وكيف شاء وقال عن حرب لا يجوز الخوض في
أمر الله تعالى كما يجوز الخوض في فعل المخلوقين لقول الله
تعالى { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } الأنبياء 23⁷⁰

البرهان في القرآن وغيره يطلق على ما يفيد العلم واليقين

⁷⁰مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 393

قال تعالى { أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ
مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ
مُعْرِضُونَ } الأنبياء 24

والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة وهي
أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ويسميتها من يسميها من
النظار معجزات وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة وهذه
الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من
لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا في الكتاب
والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان كما قال تعالى وقد
قال في مطالبة أهل الدعوى الكاذبة بالبرهان { أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ
دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ } الأنبياء 24⁷¹

قال تعالى { أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ
مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ
مُعْرِضُونَ } الأنبياء 24

فإن البرهان في القرآن وغيره يطلق على ما يفيد العلم واليقين
كقوله تعالى { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ
نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
{ البقرة 111 و قال تعالى { أَمْنَ بِيْدَأُ الْخَلْقِ تُمْ يَعِيدُهُ وَمَنْ
يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ } النمل 64 فالصادق لا بد له من برهان على صدقه
و الصدق المجزوم بأنه صدق هو المعلوم⁷²

⁷¹الجواب الصحيح ج: 5 ص: 413

⁷²منهاج السنة النبوية ج: 7 ص: 8

بنی آدم محتاجون الى شرع يكمل فطرهم

قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } {الأنبياء 25} وكل أمة مشركة أصل شركها عدم كتاب منزل من السماء وكل أمة مخلصه أصل اخلاصها كتاب منزل من السماء فان بنى آدم محتاجون الى شرع يكمل فطرهم فافتتح الله الجنس بنبوته آدم كما قال تعالى { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا } {البقرة 31} وهلم جرا فمن خرج عن النبوات وقع فى الشرك وغيره وهذا عام فى كل كافر غير كتابى فانه مشرك وشركه لعدم إيمانه بالرسول الذين قال الله فيهم { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } {النحل 36} ولم يكن الشرك أصلا فى الأدميين بل كان آدم ومن كان على دينه من بنيه على التوحيد لله لاتباعهم النبوة قال تعالى { وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا } {يونس 19} قال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام فبتركهم اتباع شريعة الانبياء وقعوا فى الشرك لا بوقوعهم فى الشرك خرجوا عن شريعة الاسلام فان أمرهم بما أمره الله به حيث قال له { فَأَمَّا يَا تِيبُكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {38} { وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } {39} {البقرة 38-39} وقال فى الآية الأخرى { فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } {123} { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } {124} { قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا } {125} { قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى } {126} طه 123-126 فهذا الكلام الذى خاطب الله به آدم

وغيره لما اهبطهم قد تضمن أنه اوجب عليهم اتباع هداه المنزل وهو الوحي الوارد على أنبيائه وتضمن ان من اعرض عنه وان لم يكذب به فانه يكون يوم القيامة في العذاب المهين وان معيشته تكون ضنكا فى هذه الحياة وفي البرزخ والآخرة وهو المضنوكه النكدة المحشوة بأنواع الهموم والغموم والاحزان كما أن الحياة الطيبة هي لمن آمن وعمل صالحا فمن تمسك به فانه لا يشرك بربه فان الرسل جميعهم أمروا بالتوحيد وأمروا به قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 فبين انه لا بد ان يوحى بالتوحيد الى كل رسول وقال تعالى { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ } الزخرف 45 فبين انه لم يشرع الشرك قط فهذان النصان قد دلا على أنه امر بالتوحيد لكل رسول ولم يأمر بالاشراك قط وقد أمر آدم وبنية من حين اهبط باتباع هداه الذي يوحيه الى الأنبياء فثبت ان علة الشرك كان من ترك اتباع الانبياء والمرسلين فيما امروا به من التوحيد والدين لا أن الشرك كان علة للكفر بالرسول فان الاشراك والكفر بالرسول متلازمان فى الواقع فهذا فى الكفار بالنبوات المشركين⁷³

التوحيد هو اصل الدين و أعظم العدل

قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 وقوله { أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } الأعراف 29 أمر مع القسط بالتوحيد الذى هو عبادة الله وحده لا شريك له وهذا أصل الدين وضده هو الذنب الذى لا يغفر

⁷³مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 106- 107

قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } النساء 48 وهو الدين الذي أمر الله به جميع الرسل وأرسلهم به إلى جميع الأمم قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 وقال تعالى { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ } الزخرف 45 وقال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } النحل 36 وقال تعالى { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } الشورى 13 وقال تعالى { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } {51} وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ

فَاتَّقُوا {52} المؤمنون 51- 52 ولهذا ترجم البخارى فى

صحيحه باب ما جاء فى أن دين الأنبياء واحد وذكر الحديث الصحيح فى ذلك وهو الإسلام العام الذى إتفق عليه جميع النبيين قال نوح عليه السلام { وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } يونس 72 وقال تعالى فى قصة إبراهيم { إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِربِّ الْعَالَمِينَ } {131} وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } {132} البقرة 131-132 { وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ } يونس 84 وقال تعالى { قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَآشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } آل عمران 52 وقال فى قصة بلقيس { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي

وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } النمل 44 وقال { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ } المائدة 44 وهذا التوحيد الذى هو اصل الدين هو أعظم العدل وضده وهو الشرك أعظم الظلم كما أخرجاه فى الصحيحين عن عبدالله بن مسعود قال لما

أنزلت هذه الآية {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ
 {الأنعام 82 شق ذلك على أصحاب النبي وقالوا أينما لم يظلم
 نفسه فقال ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح إن الشرك لظلم
 عظيم وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله
 أى الذنب أعظم قال إن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى
 قال ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أى قال
 أن تزاني بحليلة جارك فأنزل الله تصديق ذلك {وَالَّذِينَ لَا
 يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
 وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا {الفرقان 68 الآية وقد
 جاء عن غير واحد من السلف وروى مرفوعا الظلم ثلاثة
 دواوين فديوان لا يغفر الله منه شيئا وديوان لا يترك الله منه شيئا
 وديوان لا يعبأ الله به شيئا فأما الديوان الذى لا يغفر الله منه شيئا
 فهو الشرك فإن الله لا يغفر أن يشرك به وأما الديوان الذى لا
 يترك الله منه شيئا فهو ظلم العباد بعضهم بعضا فإن الله لا بد أن
 ينصف المظلوم من الظالم وأما الديوان الذى لا يعبأ الله به شيئا
 فهو ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه أى مغفرة هذا الضرب
 ممكنة بدون رضى الخلق فإن شاء عذب وهذا الظالم لنفسه وإن
 شاء غفر له⁷⁴

الغاية التي فيها صلاح للنفس

قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ
 أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ {الأنبياء 25 ومحبة الله وتوحيده هو
 الغاية التي فيها صلاح للنفس وهو عبادة الله وحده لا شريك له
 فلا صلاح للنفس ولا كمال لها إلا في ذلك وبدون ذلك تكون
 فاسدة لا صلاح لها ولهذا كان هذا هو دين الإسلام الذي اتفقت
 عليه الرسل قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا

⁷⁴مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 160-162

نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ { الأنبياء 25 وقد قال تعالى
 { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } الذاريات 56 فالغاية
 الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة
 الله وحده وهي حقيقة قول القائل لا إله إلا الله ولهذا بعث الله
 جميع الرسل وأنزل جميع الكتب ولا تصلح النفس وتزكو وتكمل
 إلا بهذا ولفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب فلا بد أن
 يكون العابد محبا للإله المعبود كمال الحب ولا بد أن يكون ذليلا
 له كمال الذل فمن أحب شيئا ولم يذل له لم يعبده ومن خضع له
 ولم يحبه لم يعبده وكمال الحب والذل لا يصلح إلا لله وحده فهو
 الإله المستحق للعبادة التي لا يستحقها إلا هو وذلك يتضمن كمال
 الحب والذل والإجلال والإكرام والتوكل والعبادة فالنفوس
 محتاجة إلى الله من حيث هو معبودها ومنتهى مرادها وبغيتها
 ومن حيث هو ربها وخالقها فمن آمن بالله رب كل شيء وخالقه
 ولم يعبد إلا الله وحده بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه
 وأخشى عنده من كل ما سواه وأعظم عنده من كل ما سواه
 وأرجى عنده من كل ما سواه بل من سوى بين الله وبين بعض
 المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله ويخشاه مثل ما
 يخشى الله ويرجوه مثل ما يرجو الله ويدعوه مثل ما يدعوه فهو
 مشرك الشرك الذي لا يغفره الله ولو كان مع ذلك عفيفا في
 طعامه ونكاحه وكان حكيما شجاعا⁷⁵

كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله

قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ
 أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 فكمال المخلوق في تحقيق
 عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت
 درجته ومن توهم ان المخلوق يخرج من العبودية بوجه من

⁷⁵الجواب الصحيح ج: 6 ص: 27

الوجوه او ان الخروج عنها اكمل فهو من اجهل الخلق و اضلهم
 وقال تعالى فى المسيح { اِنْ هُوَ اِلَّا عَبْدٌ اُنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ
 مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ } الزخرف 59 وقال تعالى { **وَلَهُ مَنْ فِي
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا
 يَسْتَحْسِرُونَ {19} يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا
 يَفْتُرُونَ {20} الْأَنْبِيَاءِ 19- 20** وقال تعالى { لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ
 أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ
 وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا } النساء 172 الى قوله { وَلَا
 يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } النساء 173 وهذا
 ونحوه مما فيه وصف اكابر المخلوقات بالعبادة و ذم من خرج
 عن ذلك متعدد فى القرآن وقد اخبر انه ارسل جميع الرسل بذلك
 فقال تعالى { **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ اِلَّا نُوحِي اِلَيْهِ اَنَّهُ
 لَا اِلَهَ اِلَّا اَنَا فَاعْبُدُونِ } الْأَنْبِيَاءِ 25** ⁷⁶

آعبدوا الله مالكم من إله غيره أول دعوة الرسل وأخرها

قال الله تعالى { **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ اِلَّا نُوحِي اِلَيْهِ
 اَنَّهُ لَا اِلَهَ اِلَّا اَنَا فَاعْبُدُونِ } الْأَنْبِيَاءِ 25** التوحيد الذي جاءت به
 الرسل ونزلت به الكتب وبه بعث الله الأولين والآخرين من
 الرسل قال تعالى { **وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا
 أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ اِلَهَةً يُعْبَدُونَ } الزخرف 45** وقال تعالى
 { **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ
 فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ } النحل 36** وقال
 تعالى { **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ اِلَّا نُوحِي اِلَيْهِ اَنَّهُ لَا**

⁷⁶الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 377 ومجموع الفتاوى ج: 10 ص: 177

إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ { الْأَنْبِيَاء 25 وقد أخبر الله تعالى عن كل من الرسل مثل نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم أنهم قالوا لقومهم آعبدوا الله مالكم من إله غيره وهذا أول دعوة الرسل وأخرها قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المشهور أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أيضا من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه وتعليق النجاة والفلاح واقتضاء السعادة في الآخرة به ومعلوم أن الناس متفاضلون في تحقيقه وحقيقته إخلاص الدين كله لله والفناء في هذا التوحيد مقرون بالبقاء وهو أن تثبت الإلهية الحق في قلبك وتنفي الإلهية ما سواه فتجمع بين النفي والإثبات فتقول لا إله إلا الله فالنفي هو الفناء والإثبات هو البقاء وحقيقته أن تقنى بعبادته عما سواه ومحبته عن محبة ما سواه وبخشيتها عن خشية ما سواه وبطاعته عن طاعة ما سواه وبموالاته عن موالاته ما سواه وبسؤاله عن سؤال ما سواه وبالإستعاذه به عن الإستعاذة بما سواه وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه وبالتفويض إليه عن التفويض إلى ما سواه وبالإنابة إليه عن الإنابة إلى ما سواه وبالتحاكم إليه عن التحاكم إلى ما سواه وبالتخاصم إليه عن التخاصم إلى ما سواه وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا قام يصلي من الليل وقد روي أنه كان يقوله بعد التكبير اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وقال تعالى

{ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ } { الأنعام 14 } وقال { أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّبَعِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا } { الأنعام 114 } وقال { أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ } { 64 } وَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } { 65 } بَلِ اللَّهُ فاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ } { 66 } الزمر 64- 66 وقال تعالى { 160 } قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } { 161 } قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } { 162 } لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } { 163 } قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ ابْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا } { 164 } { الأنعام 161- 164 } وهذا التوحيد كثير في القرآن وهو أول الدين وآخره وباطن الدين وظاهره وذروة سنام هذا التوحيد لأولى العزم من الرسل ثم للخليطين محمد وإبراهيم صلى الله عليهما وسلم تسليما⁷⁷

والله تعالى إنما بعث المسيح بدين الإسلام كما بعث سائر الرسل بدين الإسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له وقد أخبر الله تعالى عن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وغيرهم من الرسل والمؤمنين إلى زمن الحواريين أن دينهم كان الإسلام وانهم قالوا لقومهم { اَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } { الأعراف 59 } قال تعالى عن نوح عليه السلام { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكَيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ

⁷⁷ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 346-349 و مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 154 و العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 42 و الفتاوى الكبرى ج: 1

أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةٌ ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونَ {71} فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ
فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ {72} يونس 71- 72 وقال تعالى عن إبراهيم الخليل
عليه الصلاة والسلام { وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ
سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ
الصَّالِحِينَ } {130} إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ

الْعَالَمِينَ {131} وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ
اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ {132} أَمْ كُنْتُمْ
شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي
قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا
وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ {133} البقرة 130- 133 وقال

تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام { وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ
كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ } يونس 84 وقال
{ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا
لِلَّذِينَ هَادُوا } المائدة 44 وقال عن بلقيس { قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ

نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } النمل 44 وقال عن
الحواريين { وَإِذْ أُوْحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي
قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } المائدة 111 { وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ
مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي
الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } {130} إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ

لِرَبِّ الْعَالَمِينَ {131} وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ
اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } {132} أَمْ
كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ
بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } {133} البقرة 130- 133

وقال تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام { وَقَالَ مُوسَى يَا
قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ } يونس 84
وقال { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ

أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا { المائدة 44 وقال عن بلقيس { قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ { النمل 44 وقال عن الحواريين { وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ { المائدة 111⁷⁸

وقال نوح { وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ { هود 31 وكذلك قال لخاتم الرسل { قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ { الأنعام 50 فتوسط البشر بالرسالة مثل توسط الملك بالرسالة كما قال تعالى { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ { الحج 75⁷⁹

ان اصل دينهم الذي انزل الله به الكتب وأرسل به الرسل ليس فيه شرك كما قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ { الأنبياء 25⁸⁰

الذي جاء به الكتاب والسنة هو توحيد الإلهية

⁷⁸ منهاج السنة النبوية ج: 1 ص: 319-320

⁷⁹ الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 538

⁸⁰ مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 220

قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لا شريك له ولا نجعل مع الله إلهاً آخر والذين كانوا يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والكواكب والعزير والمسيح والملائكة واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ويغوث ويعوق ونسر أو غير ذلك لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو أنها تنزل المطر أو أنها تنبت النبات وإنما كانوا يعبدون الأنبياء والملائكة والكواكب والجن والتماثيل المصورة لهؤلاء أو يعبدون قبورهم ويقولون { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } الزمر 3 ويقولون هم { شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ } يونس 18 فأرسل الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة وقال تعالى { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا } 56 { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } 57 { الاسراء 56-57 قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة فقال الله لهم هؤلاء الذين تدعوهم يتقربون إلي كما تتقربون ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما تخافون عذابي وقال { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ } 22 { وَلَا تَتَفَعَّلِ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ } 23 { سبأ 22-23 فأخبر سبحانه أن ما يدعى من دون الله ليس له مثقال ذرة في الملك ولا شرك في الملك وأنه ليس له من الخلق عون يستعين به وأنه لا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه وقال تعالى { وَكَمْ مِّنْ مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى } النجم 26 وقال تعالى { أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا

يَعْقِلُونَ {43} قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {44} {الزمر 43-44} وقال تعالى {وَيَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا
عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} {يونس 18 الآية} وعبادة الله

وحده هي أصل الدين وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل
وأنزل به الكتب فقال تعالى {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} {الزخرف 45
وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَلْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ

وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} {النحل 36} وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ
قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ

{الأنبياء 25} وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق التوحيد
ويعلمه أمته حتى قال له رجل ما شاء الله وشئت فقال أجعلتني لله
ندا بل ما شاء الله وحده وقال لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد
ولكن ما شاء الله ثم شاء محمد ونهى عن الحلف بغير الله فقال
من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت وقال من حلف بغير الله
فقد أشرك وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال إن الله يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا
وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه
الله أمركم وقال لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن
مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ولهذا اتفق العلماء على
أنه ليس لأحد أن يحلف بمخلوق كالكعبة ونحوها ونهى النبي
صلى الله عليه وسلم عن السجود ولما سجد بعض أصحابه نهاه
عن ذلك وقال لا يصلح السجود إلا لله وقال لو كنت أمرا أحدا أن
يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها وقال لمعاذ بن جبل
رضي الله عنه أرأيت لو مررت بقبر أكنت ساجدا له قال لا قال
فلا تسجد لي ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور
مساجد فقال في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا

قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة رضي الله عنها
ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً وفي
الصحيح عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس إن من كان قبلكم
كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا بيوتي عيدا ولا بيوتكم
قبورا وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبليغي ولهذا اتفق
أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المسجد على القبور ولا
تشرع الصلاة عند القبور بل كثير من العلماء يقول الصلاة
عندها باطلة⁸¹

وذلك أنه علم بالاضطرار أن الرسل كانوا يجعلون ما عبده
المشركون غير الله ويجعلون عابده عابداً لغير الله مشركاً بالله
عادلاً به جاعلاً له ندا فاتهم دعوا الخلق إلى عبادة الله وحده لا
شريك له وهذا هو دين الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسوله
وهو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين غيره
ولا يغفر لمن تركه بعد بلاغ الرسالة كما قال { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ
يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } النساء 48 وهو الفارق
بين أهل الجنة وأهل النار والسعداء والأشقياء كما قال النبي
من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وكما قال
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول
الله فإذا قالوها عصموا منى دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم
على الله وقال من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله وجبت له
الجنة وقال إنى لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا وجد
روحه لها روحاً وهي رأس الدين وقال لعمة أبي طالب يا
عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله وقال من كان

⁸¹مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 397-398 و مجموع الفتاوى ج: 27 ص:

آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة وقال لقنوا موتاكم لا إله إلا الله وكل هذه الأحاديث في الصحاح وهذا من أظهر ما يعلم بالإضطرار من دين النبي صلى الله عليه وسلم وهو توحيد الإلهية أنه لا إله إلا الله وفضائل هذه الكلمة وحقائقها وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون ويعرفه العارفون وهي حقيقة الأمر كله كما قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 فأخبر سبحانه أنه يوحى الى كل رسول بنفى الالوهية عما سواه وإثباتها له وحده⁸²

جميع المسلمين يعتقدون أن كل ما سوى الله مخلوق حادث بعد أن لم يكن وهو المختص بالقدم والأزلية و الذي جاء به الكتاب والسنة هو توحيد الإلهية فلا إله إلا هو فهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه⁸³

إن الله قد عبر عن توحيده ورسوله عبر عن توحيده والقرآن مملوء من ذكر التوحيد بل إنما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب بالتوحيد وأفضل ما نطق به الناطقون هو التوحيد كما قال النبي أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وقال من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة⁸⁴

⁸² مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 256

⁸³ منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 121

⁸⁴ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 351

انما خلق الخلق لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله

قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 فان الله سبحانه و تعالى إنما خلق الخلق لعبادته ليذكروه و يشكروه و يعبدوه و أرسل الرسل و أنزل الكتب ليعبدوا الله وحده و ليكون الدين كله لله و لتكون كلمة الله هي العليا و به انزل الكتب و به أرسل الرسل و عليه جاهد الرسول و المؤمنون قال الله تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } الذاريات 56 و قال تعالى { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبُدُونَ } الزخرف 45 وقال { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } النحل 36 وقد أخبر عن جميع المرسلين ان كلا منهم يقول لقومه { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } الأعراف 59 و قد أمر الله الرسل كلهم بهذا و أن لا يتفرقوا فيه فقال { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 92 و عباداته تكون بطاعته و طاعة رسوله و ذلك هو الخير والبر و التقوى و الحسنات و القربات و الباقيات و الصالحات و العمل الصالح و ان كانت هذه الاسماء بينها فروق لطيفة ليس هذا موضعها و هذا الذى يقاتل عليه الخلق كما قال تعالى { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } الأنفال 39 و فى الصحيحين عن أبى موسى الاشعري رضى الله عنه قال سئل النبي عن الرجل يقاتل شجاعة و يقاتل حمية و يقاتل رياء فأى ذلك فى سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو فى سبيل الله⁸⁵

⁸⁵مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 61 و مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 327
و الحسنه و السيئه ج: 1 ص: 88

وقال تعالى { بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ } البقرة 112
 اخلاص الدين لله وهو عبادته وحده لا شريك له وهو حقيقة قوله
 {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 { وَهُوَ مُحْسِنٌ }
 البقرة 112 ف الأول وهو إسلام الوجه هو النية وهذا
 الثاني وهو الاحسان هو العمل وهذا الذي ذكره في هاتين
 الآيتين هو الايمان العام والاسلام العام الذي أوجبه الله على
 جميع عباده من الأولين والآخرين وهو دين الله العام الذي
 لا يقبل من احد سواه وبه بعث جميع الرسل كما قال تعالى
 {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ
 { النحل 36⁸⁶

أصل الإيمان توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له والإيمان برسله

قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ
 أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 و أصل الإيمان توحيد
 الله بعبادته وحده لا شريك له والإيمان برسله كما قال تعالى
 {فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} {92} عَمَّا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ {93} الحجر 92-93 قال أبو العالية خلتان تسأل العباد
 يوم القيامة عنهما عما كانوا يعملون وعما اجابوا الرسل ولهذا
 يقرر الله هذين الأصلين في غير موضع من القرآن بل يقدمهما
 على كل ما سواهما لأنهما أصل الأصول ومن هذا قوله تعالى
 {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ
 { النحل 36 وكان النبي يقرأ في ركعتي الفجر بسورتي

⁸⁶مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 470

الإخلاص تارة وتارة قوله تعالى { قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ } البقرة 136 الآيات وفي الثانية { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } آل عمران 64 وهذا باب واسع لأن الناس مضطرون إلى هذين الأصلين فلا ينجون من العذاب ولا يسعدون إلا بهما فعليهم أن يؤمنوا بالأنبياء وما جاؤا به وأصل ما جاؤا به أن لا يعبدوا إلا الله وحده كما قال { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 وقال تعالى { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ } الزخرف 45 وقال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } النحل 36 والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه هم وسائط بين الله وبين خلقه في تبليغ كلامه وأمره ونهيه ووعدته ووعيدته وأنبيائه التي أنبأ بها عن أسمائه وصفاته وملائكته وعرشه وما كان وما يكون⁸⁷

دين الأنبياء واحد وإن كانت شرائعهم متنوعة

قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 في توحيد الملة وتعدد الشرائع وتنوعها وتوحد الدين الملى دون الشرعى وما فى ذلك من اقرار ونسخ وجريان ذلك فى اهل الشريعة الواحدة بنوع من الاعتبار قال الله تعالى { وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا } البقرة 124 فهذا نص فى انه امام

⁸⁷مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 279

الناس كلهم وقال {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} النحل 120 وهو القدوة
الذي يؤتم به وهو معلم الخير وقال تعالى في آل عمران
{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} {18} {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا
اختلفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ
{19} آل عمران 18- 19 فاخبر ان الدين عند الله الاسلام وان
الذين اختلفوا من اهل الكتاب وصاروا على ملل شتى ما اختلفوا
الا من بعد ما جاءهم العلم وفيه بيان ان الدين واحد لا اختلاف
فيه وقال في سورة الانبياء {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ
إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} {الأنبياء 25} وقال بعد ان
قص قصصهم {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ
{الأنبياء 92} وقال في اخرها {قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ
إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} {الأنبياء 108} وذكر في النحل دعوة
المرسلين جميعهم واتفاقهم على عبادة الله وحده لا شريك له فقال
{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ
فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ} {النحل 36
الاية وهذا في القرآن المذكور في مواضع كثيرة وكذلك
في الأحاديث الصحيحة مثل ما ترجم عليه البخارى فقال باب
ما جاء في أن دين الأنبياء واحد وذكر الحديث المتفق عليه
عن أبي هريرة عن النبي قال انا معاشر الأنبياء اخوة لعلات
ومثل صفته في التوراة لن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء
فافتح به أعينا عميا وأذانا صما وقلوبا غلفا ولهذا وحد الصراط
والسبيل في مثل قوله تعالى { اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} {6}
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
الضَّالِّينَ} {7} الفاتحة 6-7 والاسلام دين جميع المرسلين⁸⁸

⁸⁸مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 110-111

قال الله سبحانه وتعالى { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الدِّينَ } البينة 5 وقال النبي صلى الله عليه وسلم فمن كانت
هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله و من كانت
هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر
إليه فإنه صلى الله عليه وسلم ميز بين مقصود و مقصود و
هذا المقصود فى الجملة لا بد منه فى كل فعل اختياري قال النبي
صلى الله عليه وسلم أصدق الأسماء حارث و همام فإن
كل بشر بل كل حيوان لا بد له من همة و هو الإرادة و من حرث
و هو العمل إذ من لوازم الحيوان أنه يتحرك بإرادته ثم ذلك الذي
يقصده هو غايته و إن كان قد يحدث له بعد ذلك القصد قصد آخر
و إنما تطمئن النفوس بوصولها الى مقصودها وبها يتميز من
يعبد الله مخلصاً له الدين ممن يعبد الطاغوت أو يشرك بعبادة
ربه و من يريد حرث الآخرة ممن يريد حرث الدنيا و هو الدين
الخالص لله الذي تشترك فيه جميع الشرائع الذي نهى الأنبياء عن
التفرق فيه كما قال تعالى { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا
وَ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ
أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } الشورى 13 ولهذا كان دين
الأنبياء واحداً و إن كانت شرائعهم متنوعة قال تعالى { وَاسْأَلْ
مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً
يُعْبَدُونَ } الزخرف 45 و قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 و قال
تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ } النحل 36 و قال تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ
إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } الذاريات 56 وقال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ
{ البقرة 21 وقال الله تعالى { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ
وَ الْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ
كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ } 79 }

وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ
إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ {80} آل عمران 79- 80⁸⁹

فالدعوة إلى الله تكون بدعوة العبد إلى دينه وأصل عبادته وحده
لا شريك له كما بعث الله بذلك رسله وأنزل به كتبه قال تعالى
{ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا
وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا
فِيهِ } الشورى 13 وقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة
عن رسول الله صلى اله عليه وسلم أنه قال أنا معاشر الأنبياء
ديننا واحد الأنبياء إخوة لعلات وان أولى الناس بابن مريم لانا
أنه ليس بينى وبينه نبى فالدين واحد وإنما تنوعت شرائعهم
ومناهجهم كما قال تعالى { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا
{ المائدة 48 فالرسل متفقون في الدين الجامع للأصول
الاعتقادية والعلمية فالاعتقادية كالإيمان بالله وبرسوله وباليوم
الآخر والعملية كالأعمال العامة المذكورة في الانعام والاعراف
وسورة بنى إسرائيل كقوله تعالى { قُلْ تَعَالَوْا أَنُلِ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ
عَلَيْكُمْ { الأنعام 151 إلى آخر الآيات الثلاث وقوله { وَقَضَى
رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ { الإسراء 23 إلى آخر الوصايا وقوله
{ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ { الأعراف 29 وقوله { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي
الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ
تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ { الأعراف 33⁹⁰

⁸⁹مجموع الفتاوى ج: 26 ص: 23- 25 و مجموع الفتاوى ج: 18 ص:

⁹⁰مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 159

قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 و التوحيد فى العبادات المتضمن للإيمان بالشرع والقدر جميعا فنقول لا بد من الإيمان بخلق الله وأمره فيجب الإيمان بأن الله خالق كل شيء وربّه ومليكه وأنه على كل شيء قدير وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله وقد علم ما سيكون قبل أن يكون وقد المقادير وكتبها حيث شاء كما قال تعالى { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } الحج 70 وفى الصحيح عن النبي أنه قال إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ويجب الإيمان بأن الله أمر بعبادته وحده لا شريك له كما خلق الجن والإنس لعبادته وبذلك أرسل رسله وأنزل كتبه وعبادته تتضمن كمال الذل والحب له وذلك يتضمن كمال طاعته من يطع الرسول فقد أطاع الله وقد قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25⁹¹

وقد تنازع الناس فيمن تقدم من أمة موسى وعيسى هل هم مسلمون أم لا وهو نزاع لفظي فإن الإسلام الخاص الذى بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم المتضمن لشرعية القرآن ليس عليه إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا وأما الإسلام العام المتناول لكل شرعية بعث الله بها نبيا فإنه يتناول إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء ورأس الإسلام مطلقا شهادة أن لا إله إلا الله وبها بعث جميع

⁹¹مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 90

الرسول كما قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } {الأنبياء 25} ⁹²

لا يسمع بي من هذه الامة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار

وقد أرسل الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب بالتوحيد الذى هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } {الأنبياء 25} وقال تعالى { وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبُدُونَ } {الزخرف 45} وقال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ } {النحل 36} وقال تعالى { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } {51} وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ } {52} المؤمنون 51-52 وقد قالت الرسل كلهم مثل نوح وهود وصالح وغيرهم { أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَانْتَفُوا وَأَطِيعُوا } {نوح 3} فكل الرسل دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له والى طاعتهم والايمان بالرسول هو الاصل الثانى من أصلى الاسلام فمن لم يؤمن بأن محمدا رسول الله إلى جميع العالمين وانه يجب على جميع الخلق متابعتة وان الحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه الله والدين ما شرعه فهو كافر ⁹³

⁹²مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 94

⁹³مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 52

ومن حين بعث الله محمدا ما يقبل من أحد بلغته الدعوة إلا الدين الذي بعثه به فان دعوته عامة لجميع الخلائق قال الله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ} سبأ28 وقال لا يسمع بي من هذه الامة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار⁹⁴

أرسل الله سبحانه وتعالى محمد صلى الله عليه وسلم بالحق بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا أرسله إلى جميع الثقليين الجن والإنس عربهم وعجمهم أميهم وكتابيهم وأنزل عليه كتاب أنزله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ويهديهم به إلى صراط مستقيم صراط الذي له ما في السموات وما في الأرض وهو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو دين الله الذي بعث به الرسل قبله كما قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} {25} سورة الأنبياء الآية 25⁹⁵

فإن الله بعث محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا وأنزل عليه الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيما عليه وأكمل له ولأمة الدين وأتم عليهم النعمة وجعلهم خير أمة أخرجت للناس فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله وجعلهم أمة وسطا أي عدلا خيارا

⁹⁴مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 522

⁹⁵الجواب الصحيح ج: 1 ص: 63

ولذلك جعلهم شهداء على الناس هداهم لما بعث به رسله جميعهم من الدين الذي شرعه لجميع خلقه ثم خصهم بعد ذلك بما ميزهم به وفضلهم من الشريعة والمنهاج الذي جعله لهم مثل أصول الإيمان وأعلاها وأفضلها هو التوحيد وهو شهادة أن لا إله إلا الله كما قال تعالى **{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } {الأنبياء 25}**⁹⁶

لما بعث الله خاتم المرسلين وفضل النبيين محمدا صلى الله عليه وسلم إمام التوحيد الذي بعث الله به الرسل قبله وأظهره وخلصه من شوائب الشرك فظهر التوحيد بسببه ظهورا فضله الله به وفضل به امته على سائر من تقدم الانبياء كلهم كانوا مسلمين فان الانبياء جميعهم وأمهم كانوا مسلمين مؤمنين موحدين لم يكن قط دين يقبله الله غير الاسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى **{ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ } {الزخرف 45}** وقال تعالى **{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } {الأنبياء 25}** وقال تعالى **{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } {النحل 36}** وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا معشر الانبياء ديننا واحد وإن أولى الناس بابن مريم لأنا إنه ليس بيني وبينه نبي وقد أخبر الله في القرآن عن جميع الانبياء وأمهم من نوح الى الحواريين أنهم كانوا مسلمين مؤمنين⁹⁷

⁹⁶مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 364

⁹⁷الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 290

لم يشرع الله الشرك قط

الله الذي لا اله الا هو رب العالمين الذي لا اله غيره ولا رب سواه وهو اله ابراهيم واسحاق ويعقوب وسائر الانبياء والمرسلين وهو الذي دعت جميع الرسل الى عبادته وحده لا شريك له ونهوا ان يعبد غيره كما قال الله تعالى **{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ }** {الأنبياء 25⁹⁸}

لم يشرع الله الشرك قط كما قال **{ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ }** {الزخرف 45⁹⁹}

أن الكتب المتقدمة تنطق بأن موسى وغيره دعوا إلى عبادة الله وحده ونهوا عن الشرك فكان في هذا حجة على من ظن أن الشرك دين¹⁰⁰

فإن الله إنما بعث رسله بالتوحيد والنهي عن الشرك كما قال تعالى **{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ }** {الأنبياء 25} فالمسيح صلوات الله عليه وسلامه ومن قبله من الرسل إنما دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له وفي التوراة من ذلك ما يعظم وصفه لم يأمر أحد الأنبياء بأن

⁹⁸الجواب الصحيح ج: 3 ص: 229

⁹⁹مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 183

¹⁰⁰الجواب الصحيح ج: 2 ص: 360

يعبد ملك ولا نبي ولا كوكب ولا وثن ولا أن تسأل ولا تطلب
الشفاعة إلى الله من ميت ولا غائب لا نبي ولا ملك فلم يأمر أحد
من الرسل بأن يدعو الملائكة ويقول اشفعوا لنا إلى الله ولا يدعو
الأنبياء والصالحين الموتى والغائبين ويقول اشفعوا لنا إلى الله
ولا تصور تماثيلهم لا مجسدة ذات ظل ولا مصورة في الحيوان
ولا بجعل دعاء تماثيلهم وتعظيمها قربة وطاعة سواء قصدوا
دعاء أصحاب التماثيل وتعظيمهم والإستشفاع بهم وطلبوا منهم
أن يسألوا الله تعالى وجعلوا تلك التماثيل تذكرة بأصحابها أو
قصدوا دعاء التماثيل ولم يستشعروا أن المقصود دعاء أصحابها
كما فعله جهال المشركين وإن كان في هذا جميعه إنما يعبدون
الشیطان وإن كانوا لا يقصدون عبادته فإنه قد يتصور لهم في
صورة ما يظنون أنها صورة الذي يعظمونه ويقول أنا الخضر
أنا المسيح أنا جرجس أنا الشيخ فلان كما قد وقع هذا لغير
واحد من المنتسبين إلى المسلمين والنصارى وقد يدخل الشيطان
في بعض التماثيل فيخاطبهم وقد يقضي بعض حاجاتهم فبهذا
السبب وأمثاله ظهر الشرك قديما وحديثا وفعل النصارى
وأشباههم ما فعلوه من الشرك وأما الأنبياء والرسل صلوات
الله عليهم وسلامه فنهوا عن هذا كله ولم يشرع أحد منهم شيئا من
ذلك¹⁰¹

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستقبل الرجل القبر في
الصلوة حتى لا يتشبه بالمشركين الذين يسجدون للقبور ففي
الصحيح أنه قال لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها إلى أمثال
ذلك مما فيه تجريد التوحيد لله رب العالمين الذي أنزل الله به
كتبه وأرسل به رسله فأين هذا ممن يصور صور المخلوقين

¹⁰¹الجواب الصحيح ج: 3 ص: 113

في الكنائس ويعظمها ويستشفع بمن صورت على صورته وهل كان أصل عبادة الأصنام في بني آدم من عهد نوح عليه السلام إلا هذا والصلاة إلى الشمس والقمر والكواكب والسجود إليها ذريعة إلى السجود لها ولم يأمر أحد من الأنبياء باتخاذ الصور والاستشفاع بأصحابها ولا بالسجود إلى الشمس والقمر والكواكب وإن كان يذكر عن بعض الأنبياء تصوير صورة لمصلحة فإن هذا من الأمور التي قد تنتوع فيها الشرائع بخلاف السجود لها والاستشفاع بأصحابها فإن هذا لم يشره نبي من الأنبياء ولا أمر قط أحد من الأنبياء أن يدعى غير الله عز وجل لا عند قبره ولا في مغيبه ولا يشفع به في مغيبه بعد موته بخلاف الاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته ويوم القيامة وبالتوسل به بدعائه والإيمان به فهذا من شرع الأنبياء عليهم السلام ولهذا قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25¹⁰²

فإن الله تعالى أرسل الرسل ليدعوا الخلق إلى عبادته وحده لا شريك له كما قال تعالى وأخبر عن كل نبي أنه دعا قومه إلى ذلك { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 فكمال الإنسان وصلاحه وسعادته في أن يعبد الله وحده لا شريك له وهذا هو الإسلام العام الذي بعث الله به جميع الرسل وهو الذي لا يقبل من أحد دينا غيره لا من المتقدمين ولا من المتأخرين¹⁰³

¹⁰²الجواب الصحيح ج: 1 ص: 350

¹⁰³الصفدية ج: 2 ص: 242

من المحبة لله الدعوة إليه وهي الدعوة إلى الإيمان به

قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } {الأنبياء 25} فان الله سبحانه دلنا على نفسه الكريمة بما أخبرنا به فى كتابه العزيز وعلى لسان نبيه وبذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل فقال تعالى { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ } {الشورى 13} وقال { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ } {الزخرف 45} وقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } {الأنبياء 25} وقد ثبت عن النبى أنه قال انا معاشر الأنبياء ديننا واحد والشرائع مختلفة فجميع الرسل متفقون فى الدين الجامع فى الأصول الاعتقادية والعلمية كالايمان بالله ورسله واليوم الآخر والعملية كالأعمال العامة المذكورة فى سورة الأنعام والأعراف وبنى إسرائيل وهو قوله تعالى { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا } {الأنعام 151} الآيات الثلاث وقوله { قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ } {الأعراف 29} الآية وقوله { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ } {الأعراف 33} الآية وقوله { وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ } {الإسراء 23} إلى آخر الوصايا وقوله { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ } {يوسف 108} الآية فالدعوة والعبادة اسم جامع لغاية الحب لله وغاية الذل له فمن ذل له من غير حب لم يكن عبدا بل يكون هو المحبوب المطلق فلا يحب شيئا إلا له ومن أشرك غيره فى هذا وهذا لم يجعل له حقيقة الحب فهو مشرك وإشراكه يوجب نقص الحقيقة كقوله تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ } {البقرة 165} الآية والحب يوجب الذل والطاعة والاسلام أن

يستسلم لله لا لغيره فمن إستسلم له ولغيره فهو مشرك ومن لم يستسلم له فهو متكبر وكلاهما ضد الاسلام والقلب لا يصلح إلا لعبادة الله وحده وتحقيق هذا تحقيق الدعوة النبوية ومن المحبة الدعوة إلى الله وهي الدعوة إلى الايمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم بما أمروا به فالدعوة إليه من الدعوة إلى الله تعالى وما أبغضه الله ورسوله فمن الدعوة إلى الله النهي عنه ومن الدعوة إلى الله أن يفعل العبد ما أحبه الله ورسوله ويترك ما أبغضه الله ورسوله من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة بما أخبر به الرسول من أسماء الله وصفاته ومن سائر المخلوقات كالعرش والكرسي والملائكة والأنبياء وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما¹⁰⁴

والله سبحانه إنما خلق الخلق لعبادته ليذكروه ويشكروه و يعبدون و أرسل الرسل و أنزل الكتب ليعبدوه و حده و يكون الدين كله لله و تكون كلمة الله هي العليا قال تعالى **{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25** و قال **{ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ } الزخرف 45** و قد أمر الرسل كلهم بهذا و أن لا يتفرقوا فيه فقال **{ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 92** و قال **{ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } 51** **{ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً } 52** { المؤمنون 51-52 الآية قال قتادة أى دينكم و احد و ربكم و احد و الشريعة مختلفة و كذلك قال الضحاك و عن ابن عباس أى دينكم دين و احد قال ابن أبي حاتم و روي عن سعيد بن جبير و قتادة و عبد

¹⁰⁴مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 6

الرحمن نحو ذلك قال الحسن بين لهم ما يتقون و ما يأتون ثم قال إن هذه سنتكم سنة واحدة و هكذا قال جمهور المفسرين و الأمة الملة و الطريقة كما قال { إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ الزخرف 22 } كما تسمى الطريق إماما لأن السالك فيها يؤتم به فكذلك السالك يؤمه و يقصده و الأمة أيضا معلم الخير الذي يأتى به الناس و إبراهيم عليه السلام جعله الله إماما و أخبر أنه كان أمة و أمر الله تعالى الرسل أن تكون ملتهم و دينهم و احدا و لا يتفرقون فيه كما في الصحيحين إنا معاشر الأنبياء ديننا و احد و قال تعالى { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا } الشورى 13 الآية و لهذا كان يصدق بعضهم بعضا لا يختلفون مع تنوع شرائعهم فمن كان من الطاعين من الأمراء و العلماء و المشايخ متبعا للرسول صلى الله عليه و سلم أمر بما أمر به و دعا إليه و احب من دعا الى مثل ما دعا إليه فإن الله يحب ذلك فيحب ما يحبه الله لأن قصده عبادة الله و حده و أن يكون الدين لله و من كره أن يكون له نظير يدعو الى ذلك فهذا يطلب أن يكون هو المطاع المعبود و له نصيب من حال فرعون و أشباهه فمن طلب أن يطاع دون الله فهذا حال فرعون و من طلب أن يطاع مع الله فهذا يريد من الناس أن يتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله و الله سبحانه أمر أن لا يعبد إلا إياه و لا يكون الدين إلا له و تكون الموالاة فيه و المعادة فيه و لا يتوكل إلا عليه و لا يستعان إلا به فالمتبع للرسول يأمر الناس بما أمرتهم به الرسل ليكون الدين لله لا له¹⁰⁵

محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الايمان وأكبر أوصله وأجل قواعده

¹⁰⁵مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 218-220

قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 إن المحبة لله نوعان محبة له نفسه ومحبة لما منهم من الاحسان وكذلك الحمد له نوعان حمد لله على ما يستحقه بنفسه وحمد على إحسانه لعبده فالنوعان للرضا كالنوعين للمحبة وأما الرضا به وبدينه وبرسوله فذلك من حظ المحبة ولهذا ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ومن كان يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ انقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار وهذا مما يبين من الكلام على المحبة فنقول فصل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أوصله وأجل قواعده بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين كما أن التصديق أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة إما عن محبة محمودة أو عن محبة مذمومة كما قد بسطنا ذلك في قاعدة المحبة من القواعد الكبار فجميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملاً صالحاً بل جميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً فأشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو كله للذي أشرك وثبت في الصحيح حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار القارئ المرائي والمجاهد المرائي والمتصدق المرائي بل إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه فهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل وانزل به جميع الكتب واتفق عليه أئمة أهل الإيمان

وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه وهذا حقيقة قول لا إله إلا الله وبذلك بعث جميع الرسل قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25¹⁰⁶

العبادة تجمع كمال المحبة وكمال الذل

قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 فإن أصل الشر هو الإشراك بالله كما أن أصل الخير هو الإخلاص لله فإن الله سبحانه خلق الخلق ليعبدوه وحده لا يشركوا به شيئاً وبذلك أرسل الرسل وبه أنزل الكتب كما قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 وقال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } النحل 36 والعبادة تجمع كمال المحبة وكمال الذل فالعابد

محب خاضع بخلاف من يحب من لا يخضع له بل يحبه ليتوسل به إلي محبوب آخر وبخلاف من يخضع لمن لا يحبه كما يخضع للظالم فإن كلا من هذين ليس عبادة محضة وإن كل محبوب لغير الله ومعظم لغير الله ففيه شوب من العبادة كما قال النبي في الحديث الصحيح تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش وذلك كما جاء في الحديث إن الشرك في هذه الأمة أخفي من دبيب النمل مع أنه ليس في الأمم أعظم تحقيقاً للتوحيد من هذه الأمة ولهذا كان شداد بن أوس يقول يا نعايا العرب يا نعايا العرب إن أخوف ما أخوف عليكم الرياء والشهوة الخفية

¹⁰⁶ التحفة العراقية ج: 1 ص: 58-60 و أمراض القلوب ج: 1 ص: 60

قال أبو داود الشهوة الخفية حب الرياسة وفي حديث الترمذي عن كعب بن مالك أن النبي قال ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء علي المال والشرف لدينه قال الترمذي حديث حسن صحيح والحرص يكون علي قدر قوة الحب والبغض وقد قال الله تعالى { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ } يوسف 106 وروي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال للنبي إذا كان الشرك أخفي من دبيب النمل فكيف نتجنبه فقال النبي ألا أعلمك كلمة إذا قلتها نجوت من قليله وكثيره قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم فأمره مع الاستعاذة من الشرك المعلوم بالاستغفار فإن الاستغفار والتوحيد بهما يكمل الدين كما قال تعالى { فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } محمد 19 وقال تعالى { أَلَمْ نَكْتُبْ أَكْثَرُكُمْ لَكَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَرَكَ الْجِبَالَ خَلْفًا لَوَ إِذَا أَثَرُهَا وَإِنْ تَرَىٰ عِبَادًا فَتَلَامِيذًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا } 2 { وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ } 3 { هود 1-3 وفي الحديث إن الشيطان قال أهلكت بني آدم بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك بثنت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يستغفرون لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وهذا كذلك فإن من اتخذ إلهه هواه صار يعبد من يهواه وقد زين له سوء عمله فرآه حسنا قال تعالى { أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا } 102 { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا } 103 { الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } 104 { الكهف 102-104 وقال تعالى { وَكَذَلِكَ زَيَّنْ لِمَنْ لَفِرْ عَوْنًا سُوْءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ الْفِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ } غافر 37 وقال تعالى { وَإِذْ زَيْنُّ لِهْمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ

شَدِيدُ الْعِقَابِ {48} إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ
عَرَّ هَوْلًا دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {49}
الانفال 48-49 وقال تعالى {وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ
{الأنعام 137} وكمال الدين هو أداء الواجبات وترك
المحرمات والفعل والترك أصلهما الحب والبغض فإذا ترك
مأمورا أو فعل محظورا فإنما هو لنقص الإيمان الذي هو
التصديق وحب ما يحبه الله وبغض ما يبغضه الله
والمحوبات علي قسمين قسم يحب لنفسه وقسم يحب لغيره إذ لا
بد من محبوب يحب لنفسه وليس شيء شرع أن يحب لذاته إلا
الله تعالى وكذلك التعظيم لذاته تارة يعظم الشيء لنفسه وتارة
يعظم لغيره وليس شيء يستحق التعظيم لذاته إلا الله تعالى
وكل ما أمر الله أن يحب ويعظم فإنما محبته الله وتعظيمه عبادة الله
فالله هو المحبوب المعظم في المحبة والتعظيم المقصود المستقر
الذي إليه المنتهي وأما ما سوي ذلك فيحب لأجل الله أي لأجل
محبة العبد لله يحب ما أحبه الله فمن تمام محبة الشيء محبة
محبوب المحبوب وبغض بغضه ويشهد لهذا الحديث أوثق عري
الإيمان الحب في الله والبغض في الله وفي السنن من أحب لله
وأبغض لله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان فمن أحب
شيئا لذاته أو عظمه لذاته غير الله فذاك شرك به وإن أحبه
ليتوصل به إلي محبوب آخر وتعظيم آخر سوي الله فهو من
فروع هذا والله سبحانه لم يشرع أن يعبد الإنسان شيئا من دونه
أو يتخذ إليها ليتوصل بعبادته كما قال تعالى {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا
مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبُدُونَ
{الزخرف 45} وقال تعالى {سَلْطَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا
الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ
وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ} آل عمران 151 من أحب شيئا كما يحب
الله أو عظمه كما يعظم الله فقد أشرك

الله أو عظمه كما يعظم الله فقد جعله الله ندا وإن كان يقول إنما
نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفي وأنهم شفعاؤنا عند الله قال تعالى
{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ
وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } البقرة 165 أي يحبونهم كما يحبون
الله والذين آمنوا أشد حبا لله منهم لأنهم أخلصوا لله فلم يجعلوا
المحبة مشتركة بينه وبين غيره فإن الاشتراك فيها يوجب نقصها
والله لا يتقبل ذلك كما في الحديث الصحيح يقول الله تعالى أنا
أغني الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا
منه بريء وهو كله للذي أشرك فالمؤمن الذي يكون الله
ورسوله أحب إليه مما سواهما لا بد أن يكون ما أحبه الله
ورسوله أحب إليه مما لم يحبه الله ورسوله وأن يبغض ما يبغضه
الله ورسوله فلا يكون ذلك البغيض أحب إليه من محبوب الله
ورسوله والحب التام منا مستلزم للإرادة التامة الموجبة
للفعل مع القدرة والبغض التام منا مستلزم للكراهة التامة المانعة
للقدرة فإذا كان العبد قادرا علي محبات الحق ولا يفعلها فلضعف
محبتها في قلبه أو وجود ما يعارض الحق مثل محبته لأهله
وماله فإن ذلك قد يمنعه عن فعل محبوب الحق كما قال
تعالى { قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ
تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا
{ التوبة 24 وقال والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون
أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين وقال له عمر والله
يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال لا يا
عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك قال فأنت أحب إلي من
نفسي قال الآن يا عمر وهذا الحديثان في الصحيح¹⁰⁷

¹⁰⁷قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 98-104

الفرق بين ما يتعلق بالأمور الدينية وبين الكونية

قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 الإرادة و الأذن و الكتاب و الحكم و القضاء و التحريم و غيرها كالأمر و البعث و الأرسال ينقسم فى كتاب الله إلى نوعين أحدهما ما يتعلق بالأمور الدينية التى يحبها الله تعالى و يرضاها و يثيب أصحابها و يدخلهم الجنة و ينصرهم فى الحياة الدنيا و فى الآخرة و ينصر بها العباد من أوليائه المتقين و حزبه المفلحين و عباده الصالحين و الثانى ما يتعلق بالحوادث الكونية التى قدرها الله و قضاها مما يشترك فيها المؤمن و الكافر و البر و الفاجر و أهل الجنة و أهل النار و أولياء الله و أعداؤه و أهل طاعته الذين يحبهم و يحبونه و يصلى عليهم هو و ملائكته و أهل معصيته الذين يبغضهم و يمقتهم و يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون فمن نظر إليها من هذا الوجه شهد الحقيقة الكونية الوجودية فرأى الأشياء كلها مخلوقة لله مدبرة بمشيئته مقهورة بحكمته فما شاء الله كان و إن لم يشأ الناس و ما لم يشأ لم يكن و إن شاء الناس لا معقب لحكمه و لا راد لأمره و رأى أنه سبحانه رب كل شىء و مليكه له الخلق و الأمر و كل ما سواه مربوباً له مدبر مقهور لا يملك لنفسه ضراً و لا نفعاً و لا موتاً و لا حياة و لا نشوراً بل هو عبد فقير إلى الله تعالى من جميع الجهات و الله غنى عنه كما أنه الغنى عن جميع المخلوقات و هذا الشهود فى نفسه حق لكن طائفة قصرت عنه و هم القدرية المجوسية و طائفة و قفت عنده و هم القدرية المشركية أما الأولون فهم الذين زعموا أن فى المخلوقات ما لا تتعلق به قدرة الله و مشيئته و خلقه كأفعال العباد و غلاتهم أنكروا علمه القديم و كتابه السابق و هؤلاء هم أول من حدث من القدرية فى هذه الأمة فرد عليهم

الصحابة و سلف الأمة و تبرؤا منهم و أما الطائفة الثانية
 فهم شر منهم و هم طوائف من أهل السلوك و الإرادة و التأله
 و التصوف و الفقر و نحوهم يشهدون هذه الحقيقة و رأوا أن الله
 خالق المخلوقات كلها فهو خالق أفعال العباد و مرید جميع
 الكائنات و لم يميزوا بعد ذلك بين إيمان و كفر و لا عرفان و لا
 نكر و لاحق و لا باطل و لا مهتدى و لا ضال و لا راشد و لا
 غوي و لا نبى و لا متبىء و لا ولي الله و لا عدو و لا مرضي لله
 و لا مسخوط و لا محبوب لله و لا ممقوت و لا بين العدل و الظلم
 و لا بين البر و العقوق و لا بين أعمال أهل الجنة و أعمال أهل
 النار و لا بين الأبرار و الفجار حيث شهدوا ما تجتمع فيه الكائنات
 من القضاء السابق و المشيئة النافذة و القدرة الشاملة و الخلق العام
 فشهدوا المشترك بين المخلوقات و عموا عن الفارق بينهما و
 صاروا ممن يخاطب بقوله تعالى { أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ
 كَالْمُجْرِمِينَ } 35 { مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } 36 { الْقلم 35-36
 و بقوله تعالى { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ } ص 28
 و بقوله تعالى { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ
 كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا
 يَحْكُمُونَ } الجاثية 21 { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي
 إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا } الأعراف 137 و منه قول النبي صلى الله
 عليه و سلم أعود بكلمات الله التامات التي لا يتجاوزهن بر و لا
 فاجر من شر ما خلق و ذرأ و برأ و من شر ما ينزل من السماء
 و ما يعرج فيها و من شر ما ذرأ في الأرض و ما يخرج منها و
 من شر فتن الليل و النهار و من شر كل طارق إلا طارقا يطرق
 بخير يارحمن فالكلمات التي لا يجاوزهن بر و لا فاجر ليست
 هي أمره و نهيه الشرعيين فإن الفجار عصوا أمره و نهيه بل هي
 التي بها يكون الكائنات و أما الكلمات الدينية المتضمنة لأمره و
 نهيه الشرعيين فمثل الكتب الإلهية التوراة و الأنجيل و الزبور و
 القرآن و قال تعالى { وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ

هِيَ الْعُلْيَا { التوبة 40 وقال صلى الله عليه وسلم واستحلتم
فروجهن بكلمة الله و أما قوله تعالى { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
صِدْقًا وَعَدْلًا } الأنعام 115 فإنه يعم النوعين و أما
الإرسال بالمعنى الأول ففي مثل قوله تعالى { أَلَمْ تَرَ أَنَّا
أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسُّوهُمْ أَرْأَى } مريم 83 و قوله
تعالى { وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ } الحجر 22 وبالمعنى الثانى
فى مثل قوله تعالى { إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ } نوح 1 و
قوله تعالى { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } البقرة 119 و
قوله تعالى { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
رُسُلِنَا } الزخرف 45 و قوله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ } النساء 64 و قوله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ
قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ
{ الأنبياء 25 } و قوله تعالى { إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا
عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا } { 15 } فَعَصَى فِرْعَوْنُ
الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً } { 16 } المزم 15-16¹⁰⁸

قلب الإيمان وأول الإسلام وآخره

قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } { الأنبياء 25 } وتوحيد الله وإخلاص
الدين له فى عبادته وإستعانته فى القرآن كثير جدا بل هو قلب
الإيمان وأول الإسلام وآخره كما قال النبى صلى الله عليه وسلم
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا
رسول الله وقال إنى لأعلم كلمة لا يقولها عند الموت أحد
إلا وجد روحه لها روحا وقال من كان آخر كلامه لا إله

¹⁰⁸مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 58- 61

إلا الله وجبت له الجنة وهو قلب الدين والإيمان وسائر الأعمال كالجوارح له وقول النبي إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرى ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فبين بهذا أن النية عمل القلب وهي أصل العمل وإخلاص الدين لله وعبادة الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ولهذا أنكرنا على الشيخ يحيى الصرصرى ما يقوله فى قصائده فى مدح الرسول من الإستغائة به مثل قوله بك أستغيث وأستعين وأستجد ونحو ذلك وكذلك ما يفعله كثير من الناس من استنجاد الصالحين والمتشبهين بهم والإستعانة بهم أحياء وأمواتا فإنى أنكرت ذلك فى مجالس عامة وخاصة وبينت للناس التوحيد ونفع الله بذلك ما شاء الله من الخاصة والعامة وهو دين الإسلام العام الذى بعث الله به جميع الرسل كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اْعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقال {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} {الأنبياء 25} وقال النبي لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم وقال لابن عباس إذا سألت فاسئل الله وإذا استعنت فاستعن بالله¹⁰⁹

العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه

¹⁰⁹مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 71

قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد ومن هذا الباب لفظ العبادة فإذا أمر بعبادة الله مطلقا دخل في عبادته كل ما أمر الله به فالتوكل عليه مما أمر به والاستعانة به مما أمر به فيدخل ذلك في مثل قوله { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } الذاريات 56 وفي قوله { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا } النساء 36 وقوله { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ } البقرة 21 وقوله { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ } الزمر 2 { قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي } الزمر 14 وقوله { أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ } الزمر 64 ثم قد يقرن بها اسم آخر كما في قوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 وقوله { فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وقول نوح { اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا } نوح 3¹¹⁰

العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الأدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمة والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه

¹¹⁰مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 163

وأمثال ذلك هي من العبادة لله وذلك أن العبادة هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } الذاريات 56 وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } الأعراف 59 وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى { وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ } النحل 36¹¹¹

أحسن الحسنات هو التوحيد

قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 والله سبحانه له حقوق لا يشركه فيها غيره وللرسل حقوق لا يشركهم فيها غيرهم وللمؤمنين على المؤمنين حقوق مشتركة ففي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً يا معاذ أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليه أن لا يعذبهم فالله تعالى مستحق أن يعبد لا يشرك به شيء وهذا هو أصل التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزلت به الكتب قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25¹¹²

¹¹¹الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 362

¹¹²اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 446

فى الصحيحين عن النبى أنه قال الإيمان بضع وستون أو
 بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة
 الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان فذكر أعلا شعب
 الإيمان وهو قول لا إله إلا الله فإنه لا شيء أفضل منها كما فى
 الموطأ وغيره عن النبى أنه قال أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة
 وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك
 له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وفى الترمذي
 وغيره أنه قال من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة
 وفى الصحيح عنه أنه قال لعمة عند الموت يا عم قل لا إله إلا
 الله كلمة أحاج لك بها عند الله وقد تظاهرت الدلائل على
 أن أحسن الحسنات هو التوحيد كما أن أسوأ السيئات هو الشرك
 وهو الذنب الذي لا يغفره الله كما قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ
 يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } النساء 116 وتلك
 الحسنة التي لا بد من سعادة صاحبها كما ثبت فى الصحيح عنه
 حديث الموجبتين موجبة السعادة وموجبة الشقاوة فمن مات يشهد
 أن لا إله إلا الله دخل الجنة وأما من مات يشرك بالله شيئا دخل
 النار وذكر فى الحديث أنها أعلا شعب الإيمان وفى
 الصحيحين عنه أنه قال لو فد عبد القيس أمركم بالإيمان بالله
 أتدرون ما الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول
 الله وتقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتؤدوا خمس المغنم فجعل
 هذه الأعمال من الإيمان وقد جعلها من الإسلام فى حديث
 جبرائيل الصحيح لما أتاه فى صورة أعرابي وسأله عن الإيمان
 فقال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد
 الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره وسأله عن الإسلام فقال
 أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة
 وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت وفى حديث فى
 المسند قال الإسلام علانية والإيمان فى القلب فأصل
 الإيمان فى القلب وهو قول القلب وعمله وهو إقرار بالتصديق

والحب والانقياد وما كان فى القلب فلا بد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح واذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب ايمان القلب ومقتضاه وهى تصديق لما فى القلب ودليل عليه وشاهد له وهى شعبة من مجموع الإيمان المطلق وبعض له لكن ما فى القلب هو الأصل لما على الجوارح كما قال أبو هريرة رضى الله عنه أن القلب ملك والاعضاء جنوده فان طاب الملك طابت جنوده واذا خبث الملك خبثت جنوده وفى الصحيحين عنه أنه قال ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسدت لها سائر الجسد ألا وهى القلب¹¹³

الله هو المعبود والمسئول الذى يخاف ويرجى

قال الله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } {27} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } {28} وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } {29} الأنبياء 26- 29 ان الدين مبني على اصلين ان لا يعبد الا الله وحده لا شريك له ولا يعبد الا بما شرع لا نعبد بالبدع كما قال تعالى { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } {الكهف} 110 ولهذا كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول فى دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا لأحد شيئا وقال الفضيل بن عياض فى قوله تعالى { لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } هود7 قال أخلصه وأصوبه قيل يا أبا علي ما

¹¹³مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 643- 644

أخلصه وأصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على السنة وقد قال الله تعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ } الشورى 21 والمقصود بجميع العبادات ان يكون الدين كله لله وحده فالله هو المعبود والمسئول الذى يخاف ويرجى ويسأل ويعبد فله الدين خالصا { وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا } آل عمران 83 والقرآن مملوء من هذا كما قال تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } 26 { لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } 27 { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } 28 { وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } 29 { الأنبياء 26- 29 الآيات ومثل هذا فى القرآن كثير بل هذا مقصود القرآن ولبه وهو مقصود دعوة الرسل كلهم وله خلق الخلق كما قال تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } الذاريات 56 ¹¹⁴

الشرعية القرآنية الأكمل بسدها لأبواب الشرك

قال الله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } 26 { لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } 27 { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } 28 { وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } 29 { الأنبياء 26- 29 والآيات والكتب الإلهية قد نزهت الرب عز وجل عن الأفعال المذمومة

¹¹⁴مجموع الفتاوى ج: 26 ص: 152

كما نزهته عن صفات النقص وفي الصحيح عن النبي أنه قال يقول الله تعالى كذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك وشتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله أنى يعيدني كما بداني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياي فقوله أنى اتخذت ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وفي الصحيح عن النبي أنه قال ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم ليجعلون له ولدا وشريكا وهو يرزقهم ويعاقبهم ولهذا كان معاذ بن جبل يقول لا ترحموا النصارى فإنهم سبوا الله مسبة ما سبه إياها أحد من البشر فجاءت هذه الشريعة الحنيفية القرآنية وحرمت أن يتكلم في حق الله باسم ابن أو ولد سدا للذريعة كما منعت أن يسجد أحد لغير الله وإن كان على وجه التحية كما منعت أن يصلي أحد عند طلوع الشمس وغروبها لئلا يشبه عباد الشمس والقمر فكانت بسدها للأبواب التي تجعل الله فيها الشريك والولد أكمل من غيرها من الشرائع كما سدت غير ذلك من الذرائع مثل تحريمها قليل المسكر لأنه يجر إلى كثيره فإن أصول المحرمات التي قال الله فيها {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بَعِيرَ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف 33¹¹⁵

الملائكة عبيد مدبرون

قال الله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } {27} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مَنْ

¹¹⁵الجواب الصحيح ج: 4 ص: 152

خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ {28} وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {29} {الأنبياء 26- 29}

الذى عليه أكثر الناس أن جميع الخلق يموتون حتى الملائكة وحتى عزرائيل ملك الموت وروى فى ذلك حديث مرفوع إلى النبى والمسلمون واليهود والنصارى متفقون على إمكان ذلك وقدرة الله عليه وإنما يخالف فى ذلك طوائف من المتفلسفة اتباع أرسطو وأمثالهم ومن دخل معهم من المنتسبين إلى الإسلام أو اليهود والنصارى كأصحاب رسائل إخوان الصفا وأمثالهم ممن زعم أن الملائكة هى العقول والنفوس وأنه لا يمكن موتها بحال بل هى عندهم آله وأرباب لهذا العالم و القرآن و سائر الكتب تنطق بأن الملائكة عبيد مدبرون كما قال الله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {27} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ {28} وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {29} {الأنبياء 26- 29}

وقال سبحانه {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا} النساء 172 و قال تعالى {وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِّن بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ} {النجم 26} و الله سبحانه و تعالى قادر على أن يميتهم ثم يحييهم كما هو قادر على إماتة البشر و الجن ثم إحيائهم و قد قال سبحانه { وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ

{الروم 27¹¹⁶}

¹¹⁶مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 35 و مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 259

فوصفهم سبحانه بأنهم لا يسبقونه بالقول وأنهم بأمره يعملون فلا يخبرون عن شيء من صفاته ولا غير صفاته الا بعد أن يخبر سبحانه بما يخبر به فيكون خبرهم وقولهم تبعا لخبره وقوله كما قال { لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ } {27} الانبياء 27 وأعمالهم تابعة لأمره فلا يعملون الا ما أمرهم هو ان يعملوا به فهم مطيعون لأمره سبحانه وقد وصف سبحانه بذلك ملائكة النار فقال { قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } {التحريم 6} وقد ظن بعضهم أن هذا تأكيد وقال بعضهم بل لا يعصونه فى الماضى ويفعلون ما أمروا به فى المستقبل وأحسن من هذا وهذا أن العاصى هو الممتنع من طاعة الامر مع قدرته على الامتنال فلو لم يفعل ما أمر به لعجزه لم يكن عاصيا فاذا قال { لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ } {التحريم 6} لم يكن فى هذا بيان أنهم يفعلون ما يؤمرون فان العاجز ليس بعاص ولا فاعل لما أمر به وقال { وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } {التحريم 6} ليبين أنهم قادرون على فعل ما أمروا به فهم لا يتركونه لا عجزا ولا معصية والمأمور انما يترك ما أمر به لأحد هذين اما أن لا يكون قادرا وإما أن يكون عاصيا لا يريد الطاعة فاذا كان مطيعا يريد طاعة الأمر وهو قادر وجب وجود فعل ما أمر به فكذلك الملائكة المذكورون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقد وصف الملائكة بأنهم { عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } {26} { لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } {27} { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } {28} { وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكُنَّ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } {29} الانبياء 26-29 فالملائكة مصدقون بخبر ربهم مطيعون لأمره ولا يخبرون حتى يخبر ولا يعملون حتى يأمر

كما قال تعالى { لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } {27}
الانبياء 27¹¹⁷

وإن الملائكة مخلوقون من نور كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح وهم كما قال الله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } {27} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } {28} وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكِ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } {29} الانبياء 26-29 وقد أخبر الله عن الملائكة أنهم أتوا إبراهيم ولوطا في صورة البشر حتى قدم لهم إبراهيم العجل وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وأتاه مرة في صورة أعرابي حتى رآه الصحابة وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم في صورته التي خلق عليها مرتين مرة بين السماء والأرض ومرة في السماء عند سدرة المنتهى¹¹⁸

والملائكة التي أخبر الله ورسوله بها لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ليسوا عشرة ولا تسعة وهم عباد الله أحياء ناطقون ينزلون إلى الأرض و يصعدون إلى السماء ولا يفعلون إلا بأذن ربهم كما أخبر الله عنهم بقوله { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } {27} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } {28} الانبياء 26-28 و قال تعالى { وَكَمْ

¹¹⁷مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 61-62

¹¹⁸منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 534-535

مَنْ مَلَكَ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ
اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى { النجم 26 }¹¹⁹

من الأفعال ما نزه سبحانه نفسه عنه

قال الله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ
مُّكْرَمُونَ {26} لَا يَسْئِفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {27} يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ
خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ {28} وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ
نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {29} الأنبياء 26- 29
وقد قال سبحانه وتعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً سُبْحَانَهُ بَلْ
عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ { الأنبياء 26 } فالإِتخاذ فعل من الأفعال وقد نزه
سبحانه نفسه عنه فعلم أن من الأفعال ما نزه سبحانه نفسه عنه
والجبرية عندهم لا ينزه عن فعل من الأفعال¹²⁰

الأمر بتسبيح الله يقتضي إثبات صفات الكمال له

قال الله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ
مُّكْرَمُونَ {26} لَا يَسْئِفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {27} يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ
خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ {28} وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ
نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {29} الأنبياء 26- 29
والأمر بتسبيحه يقتضي أيضا تنزيهه عن كل عيب و سوء و

¹¹⁹ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 332

¹²⁰ منهاج السنة النبوية ج: 1 ص: 1

إثبات صفات الكمال له فإن التسييح يقتضي التنزيه و
 التعظيم و التعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها
 فيقتضي ذلك تنزيهه و تحميده و تكبيره و توحيده¹²¹

طريقة القرآن فيما يذكره تعالى عن الكفار والفساق

قال الله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ
 مُّكْرَمُونَ } {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } {27} يَعْلَمُ
 مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ
 خَشْيَتِهِ مُشْفَعُونَ } {28} وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ
 نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } {29} الأنبياء 26- 29
 وهذه طريقة القرآن فيما يذكره تعالى عن الكفار والفساق
 والعصاة من اقوالهم وأفعالهم يذكر ذلك على وجه الازم والبغض
 لها ولأهلها وبيان فسادها وضدها والتحذير منها كما أن فيما
 يذكره عن أهل العلم والإيمان ومن فيهم من أنبيائه وأوليائه على
 وجه المدح والحب وبيان صلاحه ومنفعته والترغيب فيه وذلك
 نحو قوله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ
 مُّكْرَمُونَ } {26} الأنبياء 26 { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا } {88} لَقَدْ جِئْتُمْ
 شَيْئًا إِدًّا } {89} تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ
 الْجِبَالُ هَدًّا } {90} أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا } {91} وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ
 أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا } {92} إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي
 الرَّحْمَنِ عَبْدًا } {93} لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا } {94} وَكُلُّهُمْ آتِيهِ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا } {95} مريم 88-95¹²²

¹²¹ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 126

¹²² مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 338-339

نعت صفة خلقه بالعبودية له

قال الله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {27} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ {28} وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {29} } الأنبياء 26- 29

العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والاعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الامانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وامثال ذلك من العبادة وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والانابة إليه واخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمة والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وامثال ذلك هي من العبادة لله وذلك ان العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } الذاريات 56 وبها ارسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه { اَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } الأعراف 59 وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ } النحل 36 وقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 وقال تعالى { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 92 كما قال في الآية الاخرى { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } المؤمنون 51

وجعل ذلك لازماً لرسوله الى الموت قال {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} {الحجر 99} وبذلك وصف ملائكته وانبياءه فقال تعالى {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} {19} {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} {20} {الأنبياء 19} وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} {الأعراف 206} وذم المستكبرين عنها بقوله {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} {غافر 60} ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا} {الإنسان 6} وقال في وصف الملائكة بذلك {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ} {26} {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} {27} {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} {28} {الانبياء 26-28} ¹²³

وقوله تعالى {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} {هود 123} فان التوكل والاستعانة هي من عبادة الله لكن خصت بالذكر ليقصدها المتعبد بخصوصها فانها هي العون على سائر انواع العبادة اذ هو سبحانه لا يعبد الا بمعونته اذا تبين هذا فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ومن توهم ان المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه او ان الخروج عنها اكمل فهو من اجهل الخلق واصلهم قال تعالى بذلك {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ} {26} {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} {27}

¹²³مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 151

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ
مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ {28} الانبياء 26-28¹²⁴

عبادة المخلوقات وتسبيحها هو من جهة الاهيته سبحانه وتعالى

قال الله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ
مُّكْرَمُونَ {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {27} يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ
خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ {28} وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ
نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {29} الانبياء 26-29
ولما كانت كل حركة وعمل في العالم فأصلها المحبة والإرادة
وكل محبة وإرادة لا يكون أصلها محبة الله وإرادة وجهه فهي
باطلة فاسدة كان كل عمل لا يراد به وجهه باطلا فأعمال الثقلين
الجن والإنس منقسمة منهم من يعبد الله ومنهم من لا يعبد بل قد
يجعل معه إلها آخر وأما الملائكة فهم عابدون لله وجميع
الحركات الخارجة عن مقدور بني آدم والجن والبهائم فهي من
عمل الملائكة وتحريكها لما في السماء والأرض وما بينهما
فجميع تلك الحركات والأعمال عبادات لله متضمنة لمحبهته
وإرادته وقصده وجميع المخلوقات عابدة لخالقها إلا ما كان من
مردة الثقلين وليست عبادتها إياه قبولها لتدبيره وتصريفه وخلقه
فإن هذا عام لجميع المخلوقات حتى كفار بني آدم فلا يخرج أحد
عن مشيئته وتدبيره وذلك بكلمات الله التي كان النبي يستعيذ بها
فيقول أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا
فاجر وهذا من عموم ربوبيته وملكه وهذا الوجه هو الذي

¹²⁴مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 177

أدركه كثير من أهل النظر والكلام حتى فسروا ما في القرآن والحديث من عبادة الأشياء وسجودها وتسبيحها بذلك وهم غالطون في هذا التخصيص شرعا وعقلا أيضا فإن المعقول الذي لهم يعرفهم أن كل شيء وكل متحرك وأن كان له مبدأ فلا بد له من غاية ومنتهى كما يقولون لها علتان فاعلية وغائية والذي ذكروه إنما هو من جهة العلة الفاعلية وبعض المخلوقين كذلك يجعلونه من جهة العلة الغائية وهذا غلط فلا يصلح أن يكون شيء من المخلوقات علة فاعلية ولا غائية إذ لا يستقل مخلوق بأن يكون علة تامة قط ولهذا لم يصدر عن مخلوق واحد شيء قط ولا يصدر شيء في الآثار إلا عن اثنين من المخلوقات كما قد بينا هذا في غير هذا الموضوع وكذلك لا يصلح شيء من المخلوقات أن يكون علة غائية تامة إذ ليس في شيء من المخلوقات كمال مقصود حتى من الأحياء فالمخلوقات بأسرها يجتمع فيها هذان النقصان أحدهما أنه لا يصلح شيء منها أن تكون علة تامة لا فاعلية ولا غائية والثاني أن ما كان فيها علة فله علة سواء كان علة فاعلية أو غائية فالله سبحانه رب كل شيء ومليكه وهو رب العالمين لا رب لشيء من الأشياء إلا هو وهو إله كل شيء وهو في السماء إله وفي الأرض إله وهو الله في السموات وفي الأرض لو كان فيهما إلهة إلا الله لفسدتا وما من إله إلا الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا فعبادة المخلوقات وتسبيحها هو من جهة إلهيته سبحانه وتعالى وهو الغاية المقصودة منها ولها وأما في الشرع فإن الله فصل بين هذا وبين هذا فقال تعالى { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ } الحج 18 فهذا السجود الذي فصل بين كثير من الناس الذي يفعلونه وكثير من الناس الذين لا يفعلونه طوعا وهم الذين حق عليهم العذاب ليس هو ما يشترك فيه جميع الناس من خلق الله وربوبية الله تعالى

إياهم وتدبيرهم وكذلك فصل بين الصنفين في قوله تعالى
 { أَفَعَبَرِ دِينَ اللّٰهِ يَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
 طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ } آل عمران 83 وكذلك في
 قوله { وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا
 وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ } الرعد 15 وهو سبحانه ذكر في
 الآية الأخرى سجود المخلوقات إلا الكثير من الناس لأنه ذكر
 الطوع فقط كما ذكر في التي قبلها أديان الناس فقال تعالى
 { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ
 وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللّٰهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللّٰهَ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ شَهِيدٌ } الحج 17 فتضمنت هذه الآية حال المخلوقات إلا
 الجن فإنهم لم يذكروا باللفظ الخاص لكنهم يندرجون في الذين
 آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين فإنهم كما قالوا { وَأَنَا
 مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا } الجن 11
 وقد ذكر طائفة من أهل العربية أنهم يدخلون في لفظ الناس أيضا
 وقال سبحانه { أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُونَ
 عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلّٰهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ } 48 { وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مَا
 فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا
 يَسْتَكْبِرُونَ } 49 { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا
 يُؤْمَرُونَ } 50 { النحل 48-50 وفي الصحيحين حديث أبي ذر في
 سجود الشمس تحت العرش إذا غابت وقال تعالى { أَلَمْ تَرَ أَنَّ
 اللّٰهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلٌّ قَدْ
 عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ } النور 41 وقال
 تعالى { سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 } الحديد 1 { يُسَبِّحُ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ
 الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } الجمعة 1 قال تعالى { تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ

السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا {الإسراء: 44} ¹²⁵

جعل الملائكة والأنبياء وسائط كفر

قال الله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {27} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ {28} وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {29} الأنبياء 26- 29

فمن اعتقد أنه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجون اليه فيه فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويجتنبون المضار لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها حتى قال { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ {الأنعام: 51} وقال { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا {56} أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا {57} الإسراء: 56-57 } وقالت طائفة من السلف

كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة فبين الله لهم أن الملائكة والأنبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلاً وأنهم يتقربون إلى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه وقال تعالى { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ

¹²⁵قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 28

كُونُوا عِبَاداً لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ
 الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ {79} وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ
 وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ {80} آل
 عمران 79- 80 فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبیین
 أربابا كفر فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم
 ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم
 غفران الذنب وهداية القلوب وتفريج الكرب وسد الفاقات فهو
 كافر بإجماع المسلمين

قال تعالى {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ
 مُّكْرَمُونَ {26} لَا يَسْئِفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {27} يَعْلَمُ
 مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مَنْ
 خَشِيَئِهِ مُشْفِقُونَ {28} وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ
 نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {29} الانبياء 26-29¹²⁶

إقرار المشرك بأن الله رب كل شيء لا ينجيه من عذاب الله ان لم يقترن به اقراره بأنه لا اله الا الله

هذا أصل عظيم على المسلم أن يعرفه فإنه أصل الإسلام الذي
 يتميز به أهل الإيمان من أهل الكفر وهو الإيمان بالوحدانية
 والرسالة شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد
 وقع كثير من الناس في الإخلال بحقيقة هذين الأصلين أو أحدهما
 مع ظنه أنه في غاية التحقيق والتوحيد والعلم والمعرفة فإقرار
 المشرك بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه لا ينجيه من عذاب
 الله ان لم يقترن به اقراره بأنه لا اله الا الله فلا يستحق العبادة

¹²⁶مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 125

أحد الا هو وأن محمدا رسول الله فيجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر فإنه سبحانه أخبر عن المشركين كما تقدم بأنهم أثبتوا وسائط بينهم وبين الله يدعونهم ويتخذونهم شفعا بدون اذن الله قال تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {27} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ {28} الأنبياء 26- 28¹²⁷

الملائكة رسل الله في تنفيذ أمره الكوني

قال الله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {27} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ {28} وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {29} الأنبياء 26- 29

فإن اسم الملائكة والملك يتضمن أنهم رسل الله كما قال تعالى { جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا فَاطِرًا 1 } فالملائكة رسل الله في تنفيذ أمره الكوني الذي يدبر به السموات والأرض وأمره الديني الذي تنزل به الملائكة فإنه قال { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ } الحج 75 وملائكة الله لا يحصي عددهم إلا الله ومن المعلوم أن الملائكة لهم من العلوم والأحوال والإرادات والأعمال ما لا يحصيه إلا ذو الجلال ووصفهم في القرآن بالتسبيح والعبادة لله أكثر من أن يذكر هنا وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة عن النبي قال ألا تصفون كما تصف الملائكة عند

¹²⁷مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 106

ربها قال يتمون الصف الأول ويتراصون في الصف وفي
 الصحيحين عن قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة في حديث
 المعراج عن النبي لما ذكر صعوده إلى السماء السابعة قال فرجع
 لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي
 فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم
 وقال البخاري وقال همام عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة
 عن النبي أنه قال إذا أمن القارئ فأمنوا فإنه من وافق تأمينه
 تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وفي الرواية الأخرى في
 الصحيحين إذا قال آمين فإن الملائكة الملائكة في السماء تقول
 آمين وفي الصحيح أيضا عن أبي صالح عن أبي هريرة أن
 رسول الله قال إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا
 ولك الحمد فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من
 ذنبه وفي الصحيح عن عروة عن عائشة زوج النبي أنها سمعت
 رسول الله يقول أن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر
 الأمر قضى في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه
 إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم وفي
 الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي قال أن الله ملائكة سيارة
 فضلاء يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا
 معهم وحف بعضهم بعضا بأجنتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين
 السماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء فيسألهم الله
 وهو أعلم من أين جئتم فيقولون جئنا من عند عبادك في
 الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك قال
 وما يسألوني قالوا يسألونك جنتك قال وهل رأوا جنتي قالوا لا أي
 رب قال فكيف لو رأوا جنتي قالوا ويستجيرونك قال ومم
 يستجيرونني قالوا من نارك قال وهل رأوا ناري قالوا يا رب لا
 قال فكيف لو رأوا ناري قالوا ويستغفرونك قال فيقول قد غفرت
 لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا قال يقولون رب
 فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم قال فيقول وله قد
 غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم وفي الصحيحين عن

عروة عن عائشة حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فدنادني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا وأمثال هذه الأحاديث الصحاح مما فيها ذكر الملائكة الذين في السموات وملائكة الهواء والجبال وغير ذلك كثيرة وكذلك الملائكة المتصرفون في أمور بني آدم مثل قوله في الحديث المتفق عليه حديث الصادق المصدوق إذ يقول ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال اكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح وفي الصحيح حديث البراء بن عازب قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان اهجهم أو هاجهم وجبريل معك وفي الصحيح أيضا أن النبي قال له أجب عني اللهم أيده بروح القدس وفي الصحيح عن أنس قال كأي أنظر إلى غبار ساطع في سكة بني غنم موكب جبريل وفي الصحيحين عن عائشة أن الحارث بن هشام قال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي قال أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول وإتيان جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم تارة في صورة أعرابي وتارة في صورة دحية الكلبي ومخاطبته وإقراؤه إياه كثيرا أعظم من أن يذكر هنا وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال النبي يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر والعصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم

وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم 2
يصلون وأتيناهم وهم يصلون وفي الصحيحين عن عائشة
قالت حشوت للنبي وسادة فيها تماثيل كأنها نمرقة فجاء فقام
وجعل يتغير وجهه فقلت ما لنا يا رسول الله قال ما بال هذه
الوسادة قالت وسادة جعلتها لك لتضطجع عليها قال أما علمت أن
الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة إن من صنع الصور يعذب يوم
القيامة يقال أحيوا ما خلقتم وفي الصحيحين عن ابن عباس قال
سمعت أبا طلحة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة تماثيل وكذلك في
الصحيحين عن عبدالله بن عمر قال وعد النبي جبريل فقال إنا لا
ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة وفي الصحيحين عن أبي هريرة
عن النبي قال إن الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه
الذي صلى فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث وأمثال
هذه النصوص التي يذكر فيها من أصناف الملائكة وأوصافهم
وأفعالهم ما يمنع أن تكون على ما يذكرونه من العقول والنفوس
أو أن يكون جبريل هو العقل الفعال وتكون ملائكة الآدميين هي
القوى الصالحة والشياطين هي القوى الفاسدة كما يزعم هؤلاء
وأیضا فزعمهم أن العقول والنفوس التي جعلوها الملائكة
وزعموا أنها معلولة عن الله صادرة عن ذاته صدور المعلول
عن علته هو قول بتولدها عن الله وأن الله ولد الملائكة وهذا مما
رده الله ونزه نفسه عنه وكذب قائله وبين كذبه بقوله { لَمْ يَلِدْ
وَلَمْ يُولَدْ } {3} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {4} {الاحلاص 3-4} وقال
تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَہُ بَلْ عِبَادٌ
مُّكْرَمُونَ } {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِہِ يَعْمَلُونَ } {27} يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مَنْ
حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ } {28} {الأنبياء 26-28} فأخبر أنهم معبدون أي
مذللون مصرفون مدينون مقهورون ليسوا كالمعلول المتولد تولدا
لازما لا يتصور أن يتغير عن ذلك وأخبر أنهم عباد لله لا
يشبهون به كما يشبه المعلول بالعلة والولد بالوالد كما يزعمه

هؤلاء الصابئون وقال تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وُلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانُونَ } {116} بَدِيعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } {117} البقرة 117- 118 فأخبر أنه يقتضي كل شيء بقوله كن لا بتولد المعلول عنه¹²⁸

ما قال قوم من أهل الملل قولاً في الله إلا وقول النصارى أقبح منه

قال الله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وُلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } {27} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ } {28} وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } {29} { الأنبياء 26- 29
ففي الجملة ما قال قوم من أهل الملل قولاً في الله إلا وقول النصارى أقبح منه ولهذا كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول لا ترحمهم فلفد سبوا الله مسبة ما سبه إياها أحد من البشر ولهذا يعظم الله فريتهم على الله في القرآن أشد من تعظيم افتراء غيرهم كقوله { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وُلَدًا } {88} لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا } {89} تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا } {90} أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وُلَدًا } {91} وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وُلَدًا } {92} إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا } {93} {93} لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا } {94} وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا } {95} { مريم 88- 95 وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال يقول الله عز وجل

¹²⁸مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 124- 128

كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك فأما شتمه إياي فقولهُ اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد وأما تكذيبه إياي فقولهُ لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ورواه البخاري عن ابن عباس عن النبي قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فزعم أنني لا أقدر أن أعيده كما كان وأما شتمه إياي فقولهُ لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة ولا ولدا وفي الصحيحين عن أبي موسى قال قال رسول الله ما أحد أصبر علي أذى سمعه من الله عز وجل إنه يشرك به ويجعل له ند وهو يعافيهم ويرزقهم ويدفع عنهم¹²⁹

وقد يتبنى الرجل ولد غيره فيتخذه ولدا ويجعله بمنزلة الولد وإن لم يكن متولدا عنه كما كانت تفعله أهل الجاهلية من العرب وغيرهم ولهذا نزه الله تعالى نفسه عن الولادة وعن اتخاذ الولد فقال تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } الأنبياء 26¹³⁰

الله سبحانه هو خالق الأسباب كلها

قال الله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } 26 { لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } 27 { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ

¹²⁹الجواب الصحيح ج: 4 ص: 458

¹³⁰الجواب الصحيح ج: 4 ص: 474

حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ {28} وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكِ
 نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {29} الأنبياء 26- 29
 وقال تعالى {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} {القصص 88} كما قيل
 فى تفسيرها كل عمل باطل إلا ما أريد به وجهه فمن عمل لغير
 الله ورجاه بطل سعيه والراجي يكون راجيا تارة بعمل يعمله لمن
 يرجوه وتارة بإعتماد قلبه عليه والتجائه إليه وسؤاله فذاك نوع
 من العبادة له وهذا نوع من الإستعانة به وقد قال تعالى {إِيَّاكَ
 نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} {الفاتحة 5} وقال {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ
 {هود 123} وقال {قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ
 مَتَاب} {الرعد 30} ومما يوضح ذلك أن كل خير ونعمة
 تنال العبد فإنما هي من الله وكل شر ومصيبة تندفع عنه أو
 تكشف عنه فإنما يمنعها الله وإنما يكشفها الله وإذا جرى ما جرى
 من أسبابها على يد خلقه فالله سبحانه هو خالق الأسباب كلها
 سواء كانت الأسباب حركة حى بإختياره وقصده كما يحدثه
 تعالى بحركة الملائكة والجن والإنسن والبهائم أو حركة جماد
 بما جعل الله فيه من الطبع أو بقاسر يقسره كحركة الرياح والمياه
 ونحو ذلك فالله خالق ذلك كله فإنه لا حول ولا قوة إلا به وما شاء
 كان وما لم يشأ لم يكن فالرجاء يجب أن يكون كله للرب والتوكل
 عليه والدعاء له فإنه إن شاء ذلك ويسره كان وتيسر ولو لم يشأ
 الناس وإن لم يشأه ولم ييسره ولم يكن وإن شاءه الناس وهذا
 واجب لو كان شيء من الأسباب مستقلا بالمطلوب فإنه لو قدر
 مستقلا بالمطلوب وإنما يكون بمشيئة الله وتيسيره لكان الواجب
 أن لا يرجى إلا الله ولا يتوكل إلا عليه ولا يسأل إلا هو ولا
 يستعان إلا به ولا يستغاث إلا هو فله الحمد وإليه المشتكى وهو
 المستعان وهو المستغاث و لا حول و القوة إلا به فكيف و ليس
 شيء من الأسباب مستقلا بمطلوب بل لا بد من إنضمام أسباب
 أخر إليه و لا بد أيضا من صرف الموانع و المعارضات عنه
 حتى يحصل المقصود فكل سبب فله شريك و له ضد فان لم

يعاونه شريكه و لم يصرف عنه ضده لم يحصل سببه فالمطر و حده لا ينبت النبات إلا بما ينضم اليه من الهواء والتراب وغير ذلك ثم الزرع لا يتم حتى تصرف عنه الأفات المفسده له و الطعام و الشراب لا يغذى إلا بما جعل فى البدن من الأعضاء والقوى ومجموع ذلك لا يفيد إن لم تصرف المفسدات و المخلوق الذي يعطيك أو ينصرك فهو مع أن الله يخلق فيه الإرادة والقوة والفعل فلا يتم ما يفعله إلا بأسباب كثيرة خارجة عن قدرته تعاونه على مطلوبه و لو كان ملكا مطاعا و لا به أن يصرف عن الأسباب المعاونه ما يعارضها و يمانعها فلا يتم المطلوب إلا بوجود المقتضى و عدم المانع وكل سبب معين فإنما هو جزء من المقتضى فليس فى الوجود شيء واحد هو مقتضيا وإن سمي مقتضيا وسمى سائر ما يعينه شروطا فهذا نزاع لفظي وحينئذ فيقال لا بد من وجود المقتضى والشروط وإنتفاء الموانع وإما أن يكون في المخلوقات علة تامة تستلزم معلولها فهذا باطل ومن عرف هذا حق المعرفة إنفتح له باب توحيد الله و علم أنه لا يستحق لأن يدعى غيره فضلا عن أن يعبد غيره ولا يتوكل على غيره ولا يرجى غيره وهذا مبرهن بالشرع والعقل ولا فرق فى ذلك بين الأسباب العلوية والسفلية وأفعال الملائكة والأنبياء والمؤمنين وشفاعتهم وغير ذلك من الأسباب فإن من توكل فى الشفاعة أو الدعاء على ملك أو نبي أو رجل صالح أو نحو ذلك قيل له هذا أيضا سبب من الأسباب فهذا الشافع والداعى لا يفعل ذلك إلا بمشيئة الله وقدرته بل شفاعة أهل طاعته لا تكون إلا لمن يرضاه كما قال تعالى { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى } الأنبياء 28 فليس أحد يشفع عنده إلا بإذنه الإذن القدري الكونى فإن شفاعته من جهة أفعال العباد لا تكون إلا بمشيئته وقدرته فليس كالمخلوق الذي يشفع إليه شافع تكون شفاعته بغير حول المشفوع إليه وقوته بل هو سبحانه خالق شفاعة الشافع كسائر التحولات ولا حول ولا قوة إلا به الحول يتضمن التحول من حال إلى حال بحركة أو إرادة أو غير ذلك

فالشافع لا حول له فى الشفاعة ولا غيرها إلا به ثم أهل طاعته الذين تقبل شفاعتهم لا يشفعون إلا لمن إرتضى فلا يطلبون منه ما لا يحب أن يطلب منه بل الملائكة الذين هم ملائكته كما قال فيهم { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } {27} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } {28} وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } {29} الأنبياء 26-29

والصادر عنهم إما قول وإما عمل فالقول لا يسبقونه به بل لا يقولون حتى يقول ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وعلينا أن نكون معه ومع رسله هكذا فلا نقول فى الدين حتى يقول ولا نتقدم بين يدي الله ورسوله ولا نعبده إلا بما أمر وأعلى من هذا أن لا نعمل إلا بما أمر فلا تكون أعمالنا إلا واجبة أو مستحبة وإذا كان هكذا فى مثل هذه الأسباب فكيف بمن توكل أو رجا أسبابا غير هذه من الكواكب أو غيرها أو من أفعال الأدميين من الملوك والرؤساء والأصحاب والأصدقاء والمماليك والأتباع وغير ذلك ومما ينبغى أن يعلم ما قاله طائفة من العلماء قالوا الإلتفات إلى الأسباب شرك فى التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص فى العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح فى الشرع وإنما التوكل والرجاء معنى يتألف من موجب التوحيد والعقل والشرع وبيان ذلك أن الإلتفات الى السبب هو إعتقاد القلب عليه ورجاؤه والإستناد إليه وليس فى الخلوقات ما يستحق هذا لانه ليس مستقلا لا بد له من شركاء وأضداد ومع هذا كله فان لم يسخره مسبب الأسباب لم يسخر وهذا مما يبين أن الله رب كل شيء ومليكه وأن السموات والأرض وما بينهما والأفلاك وما حوته لها خالق مدبر غيرها وذلك أن كل ما يصدر عن فلك أو كوكب أو ملك أو غير ذلك فإنك تجده ليس مستقلا بإحداث شيء

من الحوادث بل لا بد من مشارك ومعاونوه و مع ذلك له معارضات وممانعات¹³¹

{ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ }

قال تعالى { لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } الأنبياء 27
والله تعالى رب الملائكة وهم { لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ
يَعْمَلُونَ } الأنبياء 27 و { لَا يَعصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا
يُؤْمَرُونَ } التحريم 6 وهو مع هذا خالقهم وخالق أفعالهم وقدرتهم
وهو غنى عنهم¹³²

فإن ما في الأجسام من حركه طبيعية فإنما أصلها السكون فإنه إذا
خرجت عن مستقرها كانت بطبعها تطلب مستقرها وما فيها من
حركة قسرية فأصلها من القاسر القاهر فلم تبق حركة اختيارية
إلا عن الإرادة والحركات إما إرادية وإما طبيعية وإما قسرية
لأن الفاعل المتحرك إن كان له شعور بها فهي الإرادية وإن لم
يكن له شعور فإن كانت علي وفق طبع المتحرك فهي الطبيعية
وإن كانت علي خلاف ذلك فهي القسرية وبينا أن ما السموات
والأرض وما بينهما من حركة الأفلاك والشمس والقمر والنجوم
وحركة الرياح والسحاب والمطر والنبات وغير ذلك فإنما هو
بملائكة الله تعالى الموكلة بالسموات والأرض الذين { لَا يَسْبِقُونَهُ
بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } الأنبياء 27 كما قال تعالى

¹³¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 166- 173

¹³² مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 232

{فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} {النازعات 5} {فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا} {الذاريات 4} وكما دل الكتاب والسنة علي أصناف الملائكة وتوكلهم بأصناف المخلوقات ولفظ الملك يشعر بأنه رسول منفذ لأمر غيره فليس لهم من الأمر شيء بل {وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي سَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مَن بَعْدَ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى} {النجم 26} و {وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} {64} {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} {65} مريم 64-65¹³³

قال الله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } {26} { لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } {27} { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَن ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } {28} { وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } {29} { الأنبياء 26-29} فبين سبحانه أنهم عباد أكرمهم وأنهم لا يسبقونه بالقول فلا يقولون حتى يقول وهم بأمره يعملون فلا يعملون حتى يأمرهم وأنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى وأنهم من خشيته مشفقون¹³⁴

قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة فأخبرهم الله تعالى أن هؤلاء الذين يدعونهم من الملائكة والأنبياء هم عباد الله كما أنتم عباده يرجون رحمته كما

¹³³قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 10

¹³⁴الصفدية ج: 1 ص: 209

ترجون رحمته ويخافون عذابه كما تخافون عذابه ويتقربون إليه
كما تتقربون إليه بل قد ثبت في الصحيح عن عائشة عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال خلقت الملائكة من نور وخلقت
الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم¹³⁵

قال تعالى {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ
عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ
{سبأ} 23 وقد جاءت الاحاديث الصحيحة والاثار عن الصحابة
والتابعين تخبر بما يوافق تفسير هذه الاية من حال الملائكة مع
الله كما وصفهم تعالى في الاية الاخرى فقال { **بَلْ عِبَادٌ**
مُّكْرَمُونَ } {26} **لَا يَسْتَفِئُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ**

يَعْمَلُونَ } {27} {الانبياء 26-27} ففي الحديث الصحيح الذي رواه
احمد والبخاري وغيرهما عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن
عكرمة عن ابي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان الله اذا قضى الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها
خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا
ما ذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو
السمع وهم هكذا ووصف سفيان بيده فأقامها منحرفة وربما ادرك
الشهاب المسترق قبل ان يرمى بها الى صاحبه فيحرقه وربما لم
يدركه فيرمى بها الى الذي يليه ثم يرمى بها الى الذي يليه الى
الذي يليه ثم يلقبها الى الارض فتلقى على لسان الساحر او لسان
الكاهن فيكذب عليها مائة كذبة فيقولون قد اخبر يوم كذا وكذا
بكذا وكذا فوجدنا حقا للكلمة التي سمعت من السماء¹³⁶

¹³⁵الصفدية ج: 2 ص: 287

¹³⁶الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 531

الملائكة ليست أربابا ولا تسمى في الشريعة أربابا

المتفلسفة أتباع أرسطو لا يعرفون الملائكة بل ولا الجن وإنما علمهم معرفة الأجسام الطبيعية وتكلموا في الإلهيات بكلام قليل نزر باطله أكثر من حقه كما قد بسط في موضع آخر وهؤلاء يزعمون أن العقل الأول أبدع ما دونه من العقول والأفلاك إلى أن ينتهي الأمر إلى العقل العاشر فهو مبدع ما تحت فلك القمر وهذا كله من أعظم الكفر عند الرسل وأتباعهم أهل الملل فإن مضمون هذا أن ملكا من الملائكة خلق كل ما تحت السماء وملكا فوّه خلق كل ما سوى الله سبحانه وهذا من أعظم الكفر في دين المرسلين وأهل الملل المسلمين واليهود والنصارى قال تعالى

{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ} {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} {27} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} {28} {الأنبياء 26-28} فأخبر أن الملائكة لا تسبقه بالقول ولا تعمل إلا بأمره فضلا عن أن يكون ملك خلق كل شيء وهؤلاء يقولون إن الوحي والكلام الذي جاءت به الرسل إنما هو فيض من هذا العقل الفعال على قلوب الأنبياء والله تعالى عند هؤلاء لم يكن يعرف موسى ولا عيسى ولا إبراهيم ولا محمدا ولا غيرهم من الرسل ولا يعرف الجزئيات بل عند أرسطو وأتباعه أنه لا يعلم شيئا من الأشياء بل ولا خلق عندهم شيئا بل ولا يقدر عندهم على خلق شيء فضلا عن أن يكون على كل شيء قدير وأن يكون أحاط بكل شيء علما وأرسطو وقومه كانوا مشركين يعبدون الأصنام بمقدونية وأثينية وغيرهما من مدائن فلاسفة اليونان وكان وزيراً للإسكندر بن فيليبس المقدوني وكان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو ثلاثمائة سنة ولم يكن وزيراً لذي القرنين الذي بنى سد يأجوج ومأجوج وعامة علم القوم علم الطبيعيات والحسابيات وأما العلم الإلهي وهو الذي

يسمونه علم ما بعد الطبيعة وهو منتهى فلسفتهم فإنما تكلموا فيه على أمور كلية قسموا الوجود إلى جوهر وتسعة أعراض يجمعها بيتان زيد الطويل الأسود بن مالك في داره بالأمس كان متكى في يده سيف نضاه فانتضى فهذه عشر مقولات سوا وهي الجوهر والكم والكيف والأين ومتى والإضافة والملك والوضع وأن يفعل وأن يفعل وقد نازعه أتباعه وغيرهم في هذا الحصر وقالوا إنه لا دليل عليه ومنهم من جعلها ثلاثة ومنهم من قال غير ذلك وأثبت العلة الأولى بناء على حركة الفلك وأنه يتحرك حركة شوقية فلا بد له مما يتشبه به فالعلة الأولى هي غاية لحاجة الفلك إليها من جهة أنه متحرك ليتشبه بها كحركة المؤتمر بإمامه والمقتدي بقوته وقد يقولون كتحرريك المعشوق لعاشقه وكلام أرسطو في ذلك موجود وقد نقلته بألفاظه وتكلمت عليه في غير هذا الموضع وقد ذكر ذلك في مقالة اللام وهي آخر فلسفته ومنتهى حكمته¹³⁷

وإنما يقوم الدليل على أن الحوادث تصدر عن حركات حي مختار وتلك هي الملائكة التي أخبرت بها الأنبياء وليست الملائكة هي العقول التي يثبتها هؤلاء فإن العقل الأول عند هؤلاء هو المبدع لكل ما سوى الله والعقل الفعال عندهم هو المبدع لكل ما تحت فلك القمر وأهل الملل يعلمون بالاضطرار من دين الرسل أنه ليس عندهم أحد غير الله يخلق جميع المبدعات ولا أنهم أثبتوا ملكا من الملائكة أبدع كل ما تحت السماء بل الملائكة عندهم عباد الله ليس فيهم من هو مستقل بإحداث جميع الحوادث فضلا عن أن يكون مبدعا لكل ما سوى الله وسواه كما يقوله هؤلاء الفلاسفة في العقل الأول قال الله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ

¹³⁷الجواب الصحيح ج: 5 ص: 26-29

مُكْرَمُونَ {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {27} يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ
خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ {28} الأنبياء 26-28¹³⁸

فيقال لاريب أن تسمية هذه أربابا هو كلام اليونانيين وأمثالهم من
المشركين فأنهم يصرحون في كتبهم بتسمية هذه المجردات التي
يقولون أنها الملائكة أربابا وآلهة ويقولون هي الأرباب الصغرى
والآلهة الصغرى وهؤلاء المتفلسفة الصابئة يعبدون الملائكة
والكواكب وأما الرسل وأتباعهم الموحدون فقد قال الله تعالى
{ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ {26} لَا
يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {27} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشِيَّتِهِ
مُشْفِقُونَ {28} وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِك نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ
كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {29} الأنبياء 26-29 ثم هذا معلوم
بالاضطرار أن الملائكة ليست أربابا ولا تسمى في الشريعة
أربابا¹³⁹

الله سبحانه وتعالى نفى الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك والبدع

ان الله سبحانه وتعالى نفى الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك ومن
شابههم من أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين الذين يظنون أن
للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه كما يشفع

¹³⁸الصفدية ج: 1 ص: 157

¹³⁹بغية المرتاد ج: 1 ص: 376

الناس بعضهم عند بعض فيقبل المشفوع اليه شفاعه شافع لحاجته اليه رغبة ورهبة وكما يعامل المخلوق المخلوق بالمعاوضة فالمشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعاء من الملائكة والأنبياء والصالحين ويصورون تماثيلهم فيستشفعون بها ويقولون هؤلاء خواص الله فنحن نتوسل الى الله بدعائهم وعبادتهم ليشفوعوا لنا كما يتوسل الى الملوك بخواصهم لكونهم أقرب الى الملوك من غيرهم فيشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك وقد يشفع أحدهم عند الملك فيما لا يختاره فيحتاج الى إجابة شفاعته رغبة ورهبة فأنكر الله هذه الشفاعه فقال تعالى

عن الملائكة { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ {26} لَا يَسْئِفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {27} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مَنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ {28} } الانبياء 26-28 وقال تعالى { وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ {18} } يونس 18 فهذه الشفاعه التي أثبتها المشركون للملائكة والأنبياء والصالحين حتى

صوروا تماثيلهم وقالوا استشفاعنا بتماثيلهم استشفاع بهم وكذلك قصدوا قبورهم وقالوا نحن نستشفع بهم بعد مماتهم ليشفوعوا لنا الى الله وصوروا تماثيلهم فعبدوهم كذلك وهذه الشفاعه أبطلها الله ورسوله وذم المشركين عليها وكفرهم بها قال الله تعالى عن قوم نوح { وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ إِلَهَتِكُمْ وَلَا تَدْرُنَّ وِدًّا وَلَا سُوعَاءً وَلَا يَعْثُونَ وَيَعُوقُونَ وَنَسْرًا {23} } وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا {24} } نوح 23-24 قال ابن عباس وغيره هؤلاء قوم صالحون كانوا في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فعبدوهم وهذا مشهور في كتب التفسير والحديث وغيرها كالبخارى وغيره وهذه أبطلها النبي وحسم مادتها وسد ذريعتها حتى لعن من إتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى فيها وإن كان المصلى فيها لا يستشفع بهم ونهى عن الصلاة الى القبور وأرسل على بن

أبى طالب فأمره أن لا يدع قبراً مشرفاً الا سواه ولا تمثالاً إلا طمسه ومحاه ولعن المصورين وعن أبى الهياج الأسدى قال لى على بن أبى طالب لأبعثك على ما بعثنى رسول الله ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته وفى لفظ ولا صورة إلا طمستها أخرجها مسلم¹⁴⁰

الشافع سائل لا تجب طاعته فى الشفاعة

قال الله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } {27} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ } {28} وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } {29} الأنبياء 26- 29
وأما الشافع فسائل لا تجب طاعته فى الشفاعة وان كان عظيماً وفى الحديث الصحيح أن النبى سأل بريرة أن تمسك زوجها ولا تفارقه لما أعتقت وخيرها النبى فاخترت فراقه وكان زوجها يحبها فجعل يبكى فسألها النبى أن تمسكه فقالت أتأمرنى فقال لا انما أنا شافع وإنما قالت أتأمرنى وقال انما أنا شافع لما استقر عند المسلمين أن طاعة أمره واجبة بخلاف شفاعة فإنه لا يجب قبول شفاعته ولهذا لم يلماها النبى صلى الله عليه وسلم على ترك قبول شفاعته فشفاعة غيره من الخلق أولى أن لا يجب قبولها والخالق جل جلاله أمره أعلى وأجل من أن يكون شافعا الى مخلوق بل هو سبحانه أعلى شأناً من أن يشفع أحد عنده الا بإذنه قال تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ

¹⁴⁰مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 149-152

يَعْمَلُونَ {27} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ {28} وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {29} الانبياء

141 29-26

فبين أنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الرب فعلم أنه لا بد أن يؤذن لهم فيمن يشفعون فيه وأنهم لا يؤذن لهم إذن مطلق¹⁴²

محمد سيد الشفعاء

ونهى سبحانه أن يضرب له مثل بالمخلوق فلا يشبهه بالمخلوق الذي يحتاج إلى الأعوان والحجاب ونحو ذلك قال تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} البقرة 186 وقال تعالى { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِنَّ مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ {22} وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ } {23} سبأ 22-23 ومحمد سيد الشفعاء لديه وشفاعته أعظم الشفاعات وجاهه عند الله أعظم الجاهات ويوم القيامة إذا طلب الخلق الشفاعة من آدم ثم من نوح ثم من إبراهيم ثم من موسى ثم من عيسى كل واحد يحيلهم على الآخر فإذا جاءوا إلى المسيح يقول إذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

¹⁴¹مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 317

¹⁴²الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 146

قال فإذا رأيت ربى خررت له ساجدا وأحمد ربى
 بمحامد يفتحها على لا أحسنها الآن فيقال أى محمد إرفع رأسك
 وقل يسمع وسل تعطه وإشفع تشفع قال فيحد لى حدا فأدخلهم
 الجنة الحديث فمن أنكر شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم
 فى أهل الكبائر فهو مبتدع ضال كما ينكرها الخوارج والمعتزلة
 ومن قال إن مخلوقا يشفع عند الله بغير إذنه فقد خالف إجماع
 المسلمين ونصوص القرآن قال تعالى { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ
 إِلَّا بِإِذْنِهِ } البقرة 255 وقال تعالى **{ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ**

ارْتَضَى } الأنبياء 28 وقال تعالى { وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ
 لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى
 { النجم 26 وقال تعالى { وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ
 إِلَّا هَمْساً } 108 { يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ
 وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا } 109 طه 108-109 وقال تعالى { مَا مِنْ
 شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ } يونس 3 وقال تعالى { مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ
 مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ } السجدة 4 ومثل هذا فى القرآن كثير فالدين
 هو متابعة النبى بأن يؤمر بما أمر به وينهى عما نهى عنه ويحب
 ما أحبه الله ورسوله من الأعمال والأشخاص ويبغض ما أبغضه
 الله ورسوله من الأعمال والأشخاص والله سبحانه وتعالى قد
 بعث رسوله محمدا بالفرقان ففرق بين هذا وهذا فليس لأحد أن
 يجمع بين ما فرق الله بينه¹⁴³

وقال تعالى { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي
 سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا
 شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } السجدة 4 وقال { قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ
 مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ

¹⁴³مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 341

وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنْ ظَهِيرٍ {22} وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ {23} سبأ 22-23 فنفي عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفي أن يكون لغيره ملك أو قسط من الملك أو يكون عوناً لله ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال تعالى { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } البقرة 255 وقال تعالى عن الملائكة { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى } الأنبياء 28 وقال { وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مَن بَعَدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى } النجم 26 فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن وأما ما أخبر به النبي أنه يكون فأخبر أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أو لا فإذا سجد وحمد ربه بمحامد يفتحها عليه يقال له أي محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع فيقول أي رب أمتي فيجد له حداً فيدخلهم الجنة وكذلك في الثانية وكذلك في الثالثة وقال له أبو هريرة من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه فتلك الشفاعة هي لأهل الإخلاص بأذن الله ليست لمن أشرك بالله ولا تكون إلا بأذن الله وحقيقته أن الله هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص والتوحيد فيغفر لهم بواسطة دعاء الشافع الذي أذن له أن يشفع ليكرمه بذلك وينال به المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون كما كان في الدنيا يستسقى لهم ويدعو لهم وتلك شفاعة منه لهم فكان الله يجيب دعاءه وشفاعته وإذا كان كذلك فالظلم ثلاثة أنواع فالظلم الذي هو شرك لا شفاعة فيه وظلم الناس بعضهم بعضاً لا بد فيه من إعطاء المظلوم حقه لا يسقط حق المظلوم لا بشفاعة ولا غيرها ولكن قد يعطى المظلوم من الظالم كما قد يغفر لظالم نفسه بالشفاعة فالظالم المطلق ما له من شفيع مطاع وأما الموحد فلم يكن ظالماً مطلقاً بل هو موحد مع ظلمه لنفسه وهذا إنما نفعه في الحقيقة إخلاصه لله فيه صار من أهل الشفاعة ومقصود القرآن بنفي الشفاعة نفى الشرك

وهو أن أحدا لا يعبد الا الله ولا يدعو غيره ولا يسأل غيره ولا يتوكل على غيره لا فى شفاعته ولا غيرها فليس له أن يتوكل على أحد فى أن يرزقه وان كان الله يأتيه برزقه بأسباب كذلك ليس له أن يتوكل على غير الله فى أن يغفر له ويرحمه فى الآخرة وان كان الله يغفر له ويرحمه بأسباب من شفاعته وغيرها فالشفاعة التى نفاها القرآن مطلقا ما كان فيها شرك وتلك منتفية مطلقا ولهذا أثبت الشفاعه باذنه فى مواضع وتلك قد بين الرسول أنها لا تكون الا لأهل التوحيد والاخلاص فهى من التوحيد ومستحقها أهل التوحيد¹⁴⁴

وأما شفاعته الرسول صلى الله عليه وسلم ودعاؤه للمؤمنين فهى نافعة فى الدنيا والدين باتفاق المسلمين وكذلك شفاعته للمؤمنين يوم القيامة فى زيادة الثواب ورفع الدرجات متفق عليها بين المسلمين وقد قيل إن بعض أهل البدعة ينكرها وأما شفاعته لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم وأنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية وقال هؤلاء من يدخل النار لا يخرج منها لا بشفاعته ولا غيرها وعند هؤلاء ما ثم إلا من يدخل الجنة فلا يدخل النار ومن يدخل النار فلا يدخل الجنة ولا يجتمع عندهم فى الشخص الواحد ثواب وعقاب وأما الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأئمة كالأربعة وغيرهم فيقرون بما تواترت به الأحاديث الصحيحة عن النبى أن الله يخرج من النار قوما بعد أن يعذبهم الله ما شاء

¹⁴⁴مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 77- 79

أن يعذبهم يخرجهم بشفاعه محمد صلى الله عليه وسلم ويخرج
آخرين بشفاعه غيره ويخرج قوما بلا شفاعه¹⁴⁵

" لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها "

قال الله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } {26} لَا يَسْتَفِئُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } {27} يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مَنْ خَشِيَته مُشْفِقُونَ } {28} وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } {29} الأنبياء 26- 29

ثبت في صحيح مسلم وغيره عن أبي مرثد الغنوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها فلا يجوز أن يصلى الى شىء من القبور لا قبور الأنبياء ولا غيرهم لهذا الحديث الصحيح ولا خلاف بين المسلمين أنه لا يشرع أن يقصد الصلاة الى القبر بل هذا من البدع المحدثه وكذلك قصد شىء من القبور لا سيما قبور الأنبياء والصالحين عند الدعاء فإذا لم يجز قصد استقباله عند الدعاء لله تعالى فدعاء الميت نفسه أولى أن لا يجوز كما أنه لا يجوز أن يصلى مستقبله فلأن لا يجوز الصلاة له بطريق الأولى فعمل أنه لا يجوز أن يسأل الميت شيئاً لا يطلب منه أن يدعو الله له ولا غير ذلك ولا يجوز أن يشكى اليه شىء من مصائب الدنيا والدين ولو جاز أن يشكى اليه ذلك فى حياته فإن ذلك فى حياته لا يفضى الى الشرك وهذا يفضى الى الشرك لأنه فى حياته مكلف أن يجيب سؤال من سأله لما له فى ذلك من الأجر والثواب وبعد الموت ليس مكلفاً بل ما يفعله من ذكر لله تعالى ودعاء

¹⁴⁵مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 153

ونحو ذلك كما أن موسى يصلى فى قبره وكما صلى الأنبياء
 خلف النبي ليلة المعراج ببيت المقدس وتسبيح أهل الجنة
 والملائكة فهم يتمتعون بذلك وهم يفعلون ذلك بحسب ما يسره الله
 لهم ويقدره لهم ليس هو من باب التكليف الذى يمتحن به العباد
 وحينئذ فسؤال السائل للميت لا يؤثر فى ذلك شيئاً بل ما جعله الله
 فاعلا له هو يفعله وإن لم يسأله العبد كما يفعل الملائكة ما
 يؤمرون به وهم انما يطيعون أمر ربهم لا يطيعون أمر مخلوق
 كما قال سبحانه وتعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ
 عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } {27}
 الانبياء 26-27 فهم لا يعملون إلا بأمره سبحانه وتعالى¹⁴⁶

لفظ الأمر اذا أطلق يتناول النهى

قال تعالى { لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } {الأنبياء 27} وكذلك من لم يفعل المأمور فعل بعض المحذور ومن فعل المحذور لم يفعل جميع المأمور فلا يمكن الانسان أن يفعل جميع ما أمر به مع فعله لبعض ما حظر ولا يمكنه ترك كل ما حظر مع تركه لبعض ما أمر فان ترك ما حظر من جملة ما أمر به فهو مأمور ومن المحذور ترك المأمور فكل ما شغله عن الواجب فهو محرم وكل ما لا يمكن فعل الواجب الا به فعليه فعله ما حظر ولا يمكنه ترك كل ما حظر مع تركه لبعض ما أمر فان ترك ما حظر من جملة ما أمر به فهو مأمور ومن المحذور ترك المأمور فكل ما شغله عن الواجب فهو محرم وكل ما لا يمكن فعل الواجب الا به فعليه فعله ولهذا كان لفظ الأمر اذا أطلق يتناول النهى واذا قيد بالنهى كان النهى نظير ما تقدم فاذا

¹⁴⁶مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 354-355

قال تعالى عن الملائكة { لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ } { التحريم 6
دخل في ذلك أنه إذا نهاهم عن شيء اجتنبوه¹⁴⁷

توحيد الإلهية هو الفارق بين الموحدين والمشركين

قال تعالى { يَعْلمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } { الأنبياء 28 فهذا التوحيد توحيد الإلهية يتضمن فعل المأمور وترك المحذور ومن ذلك الصبر على المقذور كما أن الأول يتضمن الإقرار بأنه لا خالق ولا رازق ولا معطي ولا مانع إلا الله وحده فيقتضي أن لا يسأل العبد غيره ولا يتوكل إلا عليه ولا يستعين إلا به كما قال تعالى في النوعين إياك نعبد وإياك نستعين وقال فاعبده وتوكل عليه وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة فمن لم يأت به كان من المشركين الخالدين فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء أما توحيد الربوبية فقد أقر به المشركون وكانوا يعبدون مع الله غيره ويحبونهم كما يحبونه فكان ذلك التوحيد الذي هو توحيد الربوبية حجة عليهم فإذا كان الله هو رب كل شيء ومليكه ولا خالق ولا رازق إلا هو فلماذا يعبدون غيره معه وليس له عليهم خلق ولا رزق ولا بيده لهم منع ولا عطاء بل هو عبد مثلهم لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فإن قالوا ليشفع فقد قال الله { يَعْلمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } { الأنبياء 28 فلا يشفع من له شفاعة من الملائكة والنبيين إلا بإذنه وأما قبورهم وما نصب عليهم من

¹⁴⁷مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 174

قباة وأنصاب أو تماثيلهم التي مثلت على صورهم مجسدة أو مرموقة فجعل الاستشفاع بها استشفاعا بهم فهذا باطل عقلا وشرعا فإنها لا شفاعاة لها بحال ولا لسائر الأصنام التي عملت للكواكب والجن والصالحين وغيرهم وإذا كان الله لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ولا يشفعون إلا لمن ارتضى فما بقي الشفعاء شركاء كشفاعة المخلوق عند المخلوق فإن المخلوق يشفع عنده نظيره أو من هو أعلى منه أو دونه بدون إذن المشفوع إليه ويقبل المشفوع إليه ولا بد شفاعته إما لرغبته إليه أو فيما عنده من قوة أو سبب ينفعه به أو يدفع عنه ما يخشاه وإما لرهبته منه وإما لمحبهته إياه وإما للمعارضة بينهما والمعاونة وإما لغير ذلك من الأسباب وتكون شفاعاة الشفيع هي التي حركت إرادة المشفوع إليه وجعلته مريدا للشفاعة بعد أن لم يكن مريدا لها كأمر الأمر الذي يؤثر في المأمور فيفعل ما أمره به بعد أن لم يكن مريدا لفعله وكذلك سؤال المخلوق للمخلوق فإنه قد يكون محركا له إلى فعل ما سأله فالشفيع كما أنه شافع للطالب شفاعته في الطلب فهو أيضا قد شفع المشفوع إليه فبشفاعته صار المشفوع إليه فاعلا للمطلوب فقد شفع الطالب والمطلوب والله تعالى وتر لا يشفعه أحد فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه فالأمر كله إليه وحده فلا شريك له بوجه ولهذا ذكر سبحانه نفي ذلك في آية الكرسي التي فيها تقرير التوحيد فقال له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وسيد الشفعاء صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إذا سجد وحمد ربه يقال له ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فيحد له حدا فيدخلهم الجنة فالأمر كله لله كما قال قل إن الأمر كله لله وقال لرسوله ليس لك من الأمر شيء وقال ألا له الخلق والأمر فإذا كان لا يشفع عند الله أحد إلا بإذنه فهو يأذن لمن يشاء ولكن يكرم الشفيع بقبول الشفاعاة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء وإذا دعاه الداعي وشفع

عنده الشفيع فسمع الدعاء وقبل الشفاعة لم يكن هذا مؤثراً فيه كما يؤثر المخلوق في المخلوق فإنه سبحانه هو الذي جعل هذا يدعو وهذا يشفع وهو الخالق لأفعال العباد فهو الذي وفق العبد للتوبة ثم قبلها وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه عليه وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه فما يؤثر فيه شيء من المخلوقات بل هو سبحانه الذي جعل ما يفعله سبباً لما يفعله وهذا مستقيم على أصول أهل السنة المؤمنین بالقدر وأن الله خالق كل شيء وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا يكون شيء إلا بمشيئته¹⁴⁸

شرك الفلاسفة أعظم من شرك المشركين

قال تعالى { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } الأنبياء 28 لما صنف طائفة في تقدير الشرك على أصولهم وأثبتوا الشفاعة التي يثبتها المشركون كان شرك هؤلاء شراً من شرك مشركي العرب وغيرهم فان مشركي العرب وغيرهم ممن يقر بأن الرب فاعل بمشيئته وقدرته وأنه خالق كل شيء وأن السموات والأرض مخلوقة لله ليست مقارنة له في الوجود دائمة بدوامه كانوا يعبدون غير الله ليقرّبوهم إليه زلفى ويتخذونهم شفعاء يشفعون لهم عند الله بمعنى أنهم يدعون الله لهم فيجيب الله دعاءهم له وهؤلاء المشركون الذين بين القرآن كفرهم وجاهدتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على شركهم قال تعالى { وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ } يونس 18 وقال تعالى { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن

¹⁴⁸الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 129-131

دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى { الزمر 3 وقال تعالى { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا } 56 { أَوْلِيكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } 57 { الإسراء 56- 57 قالت طائفة من السلف

كان اقوام يدعون الملائكة والانبيا فقال تعالى هؤلاء الذين تدعونهم يتوسلون الى كما تتوسلون الى ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما تخافون عذابي وقال تعالى { مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ } 79 { وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ } 80 { آل عمران 79- 80 وقال تعالى { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ } 22 { وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ } 23 { سبأ 22- 23 وقال تعالى { وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَن بَعَدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى } النجم 26 وقال تعالى { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَن ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ

{ الانبياء 28 ومثل هذا في القران كثير والعرب كانوا مع شركهم وكفرهم يقولون ان الملائكة مخلوقون وكان من يقول منهم ان الملائكة بنات يقولون ايضا انهم محدثون ويقولون انه صاهر إلى الجن فولدت له الملائكة وقولهم من جنس قول النصراني في أن المسيح ابن الله مع ان مريم امه ولهذا قرن سبحانه بين هؤلاء وهؤلاء وقول هؤلاء الفلاسفة شر من قول هؤلاء كلهم فان الملائكة عند من آمن بالنبوات منهم هي العقول العشرة وتلك عندهم قديمة ازلية والعقل رب كل ما سوى الرب عندهم وهذا لم يقل مثله احد من اليهود والنصارى

ومشركي العرب لم يقل احد ان ملكا من الملائكة رب العالم كله ويقولون ان العقل الفعال مبدع لما تحت فلك القمر وهذا ايضا كفر لم يصل اليه احد من كفار اهل الكتاب ومشركي العرب وهؤلاء يقولون ما ذكره ابن سينا واتباعه كصاحب الكتب المضمون بها على غير اهلها ومن وافقهم من القرامطة والباطنية من الملاحدة والجهال الذين دخلوا في الصوفية واهل الكلام كأهل وحدة الوجود وغيرهم يجعلون الشفاعة مبنية على ما يعتقدونه من ان الرب لا يفعل بمشيئته وقدرته وليس عالما بالجزئيات ولا يقدر ان يغير العالم بل العالم فيض فاض عنه بغير مشيئته وقدرته وعلمه فيقولون اذا توجه المستشفع الى من يعظمه من الجواهر العالية كالعقول والنفوس والكواكب والشمس والقمر او الى النفوس المفارقة مثل بعض الصالحين فانه يتصل بذلك المعظم المستشفع به فاذا فاض على ذلك ما يفيض من جهة الرب فاض على هذا المستشفع من جهة شفيعة ويمثلونه بالشمس اذا طلعت على مرآة فانعكس الشعاع الذي على المرآة على موضع اخر فأشرق بذلك الشعاع فذلك الشعاع حصل له بمقابلة المرآة وحصل للمرآة بمقابلة الشمس فهذا الداعي المستشفع اذا توجه الى شفيعه اشرق عليه من جهته مقصود الشفاعة وذلك الشفيع يشرق عليه من جهة الحق ولهذا يرى هؤلاء دعاء الموتى عند القبور وغير القبور ويتوجهون اليهم ويستعينون بهم ويقولون ان ارواحنا اذا توجهت الى روح المقبور في القبور اتصلت به ففاضت عليها المقاصد من جهته وكثير منهم ومن غيرهم من الجهال يرون الصلوة والدعاء عند قبور الانبياء والصالحين من اهل البيت وغيرهم افضل من الصلوات الخمس والدعاء في المساجد وافضل من حج البيت العتيق ومعلوم ان كفر هؤلاء بما يقولونه في الشفاعة اعظم من كفر مشركي العرب بما قالوه فيهم لان كلتي الطائفتين عبدوا من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله لكن العرب اقرؤا بأن الله عالم بهم قادر عليهم يخلق بمشيئته

وقدرته وقالوا إن هؤلاء ينفعوننا بدعائهم لنا وأما مشركوا
 الفلاسفة كما ذكره ابن سينا ومن اتبعه فيقولون إن من يستشفع به
 لا يدعو الله لنا بشئ والله لا يعلم دعائنا ولا دعاءه ولا يسمع
 ندائنا ولا ندائه بل ولا يعرف بنا ولا نراه ولا يعرف به فإنا نحن
 من الجزئيات والله لا يعلم الجزئيات عندهم ولا يقدر على تغيير
 شئ من العالم ولا يفعل بمشيئته لكن قالوا لكن نحن إذا توجهنا
 الى هؤلاء بالدعاء لهم والسؤال منهم بل وبالعبادة لهم فاض علينا
 ما يفيض منهم وفاض عليهم ما يفيض من جهة الله ثم إن
 طائفة من أهل الكلام يردون عليهم باطلهم بقول باطل فيردون
 فاسدا بفساد وإن كان أحدهما أكثر فسادا مثل إنكار كثير منهم
 لكثير من الامور الرياضية كاستدارة الفلك وغير ذلك مما دل
 عليه الكتاب والسنة وآثار السلف مع دلالة العقل أو يفعلون
 كما فعله الشهرستاني في الملل والنحل حيث اخذ يذكر المفاضلة
 بين الارواح العلوية وبين الانبياء ويجعل إثبات هذه وسائط أولى
 من تلك تفضيلا لأقوال الحنفاء على أقوال الصابئة وهذا غلط
 عظيم فان الحنفاء لا يثبتون بين الله وبين مخلوقاته واسطة
 في عبادته وسؤاله وإنما يثبتون الوسائط في تبليغ رسالاته فأصل
 الحنفاء شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً وغيره من
 الرسل رسل الله وأما الوسائط التي يثبتها المشركون
 فيجعلون الملائكة معبودين وهذا كفر وضلال وتوسط الملائكة
 بمعنى تبليغ رسالات الله أو بمعنى أنهم يفعلون ما يفعلونه بأذن
 الله مما اتفق عليه الحنفاء ومعلوم أن المشركين من عباد
 الاصنام وغيرهم كانت الشياطين تضلهم فتكلمهم وتقضى لهم
 بعض حوائجهم وتخبرهم بأمر غائبة عنهم وكان للكهان
 شياطين تخبرهم وتأمرهم وإن كان الكذب فيما يقولونه أكثر من
 الصدق وهكذا المشركون في زماننا الذين يدعون غير الله
 كالشيوخ الغائبين والموتى تتصور لهم الشياطين في صور
 الشيوخ حتى يظنوا ان الشيخ حضر وأن الله صور على صورته
 ملكا وأن ذلك من بركة دعائه وإنما يكون الذي تصور لهم

شيطان من الشياطين وهذا مما نعرف أنه ابتلى في زماننا
 وغير زماننا خلق كثير أعرف منهم عددا وأعرف من ذلك وقائع
 متعددة والشياطين ايضا تضل عباد القبور كما كانت تضل
 المشركين من العرب وغيرهم وكانت اليونان من المشركين
 يعبدون الاوثان ويعانون السحر كما ذكروا ذلك عن أرسطو
 وغيره وكانت الشياطين تضلهم وبهم يتم سحرهم وقد لا
 يعرفونهم أن ذلك من الشياطين بل قد لا يقرون بالشياطين بل
 يظنون ذلك كله من قوة النفس او من أمور طبيعية او من قوى
 فلكية فان هذه الثلاثة هي اسباب عجائب العالم عند ابن سينا
 وموافقيه وهم جاهلون بما سوى ذلك من أفعال الشياطين
 الذين هم أعظم تأثيرا في العالم في الشر من هذا كله وجاهلون
 بملائكة الله الذين يجرى بسببهم كل خير في السماء والارض
 وما يدعونه من جعل الملائكة هي العقول العشرة او هي القوى
 الصالحة في النفس وأن الشياطين هي القوى الخبيثة مما قد
 عرف فساده بالدلائل العقلية بل بالضرورة من دين الرسول
 فاذا كان شرك هؤلاء وكفرهم في نفس التوحيد وعبادة الله وحده
 أعظم من شرك مشركى العرب وكفرهم فأى كمال للنفس في هذه
 الجهالات¹⁴⁹

الناس فى الشفاعة ثلاثة أقسام

قال تعالى { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ
 ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } {الأنبياء 28} والله سبحانه لم
 يجعل له أحدا من الأنبياء والمؤمنين واسطة فى شىء من
 الربوبية والألوهية مثل ما ينفرد به من الخلق والرزق وإجابة
 الدعاء والنصر على الأعداء وقضاء الحاجات وتقريح الكربات

¹⁴⁹الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 101- 106

بل غاية ما يكون العبد سببا مثل أن يدعو أو يشفع والله تعالى يقول { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } البقرة 255 ويقول { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى } الأنبياء 28 ويقول { وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى } النجم 26 وقال تعالى { قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا } 56 { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ

مَحْذُورًا } 57 { الإسرائيليين 56-57 قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء فنهاهم الله عن ذلك في قوله تعالى { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ } 79 { وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } 80 { آل عمران 79-80 فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر ولهذا كان الناس في الشفاعة على ثلاثة أقسام

فالمشركون أثبتوا الشفاعة التي هي شرك كشفاعة المخلوق عند المخلوق كما يشفع عند الملوك خواصهم لحاجة الملوك إلى ذلك فيسألونهم بغير إذنهم وتجيب الملوك سؤالهم لحاجتهم إليهم فالذين أثبتوا مثل هذه الشفاعة عند الله تعالى مشركون كفار لأن الله تعالى لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ولا يحتاج إلى أحد من خلقه بل من رحمته وإحسانه إجابة دعاء الشافعين وهو سبحانه أرحم

بعباده من الوالدة بولدها ولهذا قال تعالى { مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ } السجدة 4 وقال { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } الأنعام 51 وقال تعالى { أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلُوا كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ } 43 { قُلِ اللَّهُ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً } 44 { الزمر 43-44 وقال تعالى عن صاحب يس { أَتَّخِذُ

مِنْ دُونِهِ إِلَهَةٌ إِنْ يُرَدَّنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً
 وَلَا يُقَدُّونَ {23} إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {24} إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ
 فَاسْمَعُونِ {25} يس 23- 25 وأما الخوارج والمعتزلة فانهم
 أنكروا شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر من أمته
 وهؤلاء مبتدعة ضلال مخالفون للسنة المستفيضة عن النبي
 ولإجماع خير القرون والقسم الثالث هم أهل السنة والجماعة
 وهم سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم باحسان أثبتوا ما أثبتته الله في
 كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونفوا ما نفاه الله في كتابه
 وسنة رسوله فالشفاعة التي أثبتوها هي التي جاءت بها الأحاديث
 كشفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إذا جاء الناس
 إلى آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم يأتونه عليه
 السلام قال فأذهب إلى ربي فإذا رأيت ربي خررت له ساجدا
 فأحمد ربي بمحامد يفتحها على لا احسنها الآن فيقول أي محمد
 ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطى واشفع تشفع فهو يأتي ربه
 سبحانه فيبدأ بالسجود والثناء عليه فإذا اذن له في الشفاعة شفع
 بأبي هو وامي وأما الشفاعة التي نفاها القرآن كما عليه
 المشركون والنصارى ومن ضاهاهم من هذه الأمة فينفيها أهل
 العلم والإيمان مثل انهم يطلبون من الأنبياء والصالحين الغائبين
 والميتين قضاء حوائجهم ويقولون إنهم إذا أرادوا ذلك قضوها
 ويقولون إنهم عند الله تعالى كخواص الملوك عند الملوك يشفعون
 بغير إذن الملوك ولهم على الملوك أدلال يقضون به حوائجهم
 فيجعلونهم لله تعالى بمنزلة شركاء الملك وبمنزلة أولاده والله
 تعالى قد نزه نفسه المقدسة عن ذلك كما قال تعالى { وَقُلِ الْحَمْدُ
 لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ
 مِّنَ الذَّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا } الإسراء 111 ولهذا قال النبي صلى الله
 عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى إبن مريم وإنما
 أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله¹⁵⁰

¹⁵⁰ مجموع الفتاوى ج: 24 ص: 341- 343

الشفاعة نوعان

قال تعالى { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } الأنبياء 28 وقال تعالى { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا } {56} أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } {57} الاسراء 56-57 قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء فقال الله تعالى هؤلاء الذين تدعونهم هم عبادى كما أنتم عبادى يرجون رحمتى كما ترجون رحمتى ويخافون عذابى كما تخافون عذابى ويتقربون الى كما تتقربون الى فهى سبحانه عن دعاء الملائكة والأنبياء مع اخباره لنا أن الملائكة يدعون لنا ويستغفرون ومع هذا فليس لنا أن نطلب ذلك منهم وكذلك الأنبياء والصالحون وان كانوا أحياء فى قبورهم وان قدر انهم يدعون للأحياء وان وردت به آثار فليس لأحد أن يطلب منهم ذلك ولم يفعل ذلك أحد من السلف لأن ذلك ذريعة الى الشرك بهم وعبادتهم من دون الله تعالى بخلاف الطلب من أحدهم فى حياته فانه لا يفضى الى الشرك ولأن ما تفعله الملائكة ويفعله الأنبياء والصالحون بعد الموت هو بالامر الكونى فلا يؤثر فيه سؤال السائلين بخلاف سؤال أحدهم فى حياته فانه يشرع اجابة السائل وبعد الموت انقطع التكليف عنهم وقال تعالى { مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُبَشِّرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ } {79} وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } {80} آل عمران 79-80 فبين سبحانه أن من اتخذ الملائكة والنبيين أربابا فهو كافر فالشفاعة نوعان أحدهما الشفاعة التى نفاها الله تعالى كالتى أثبتها المشركون ومن

ضاهاهم من جهال هذه الأمة وضلالهم وهى شرك والثانى
 أن يشفع الشفيع بإذن الله وهذه التى أثبتها الله تعالى لعباده
 الصالحين ولهذا كان سيد الشفعاء إذا طلب منه الخلق الشفاعة
 يوم القيامة يأتى ويسجد قال فأحمد ربي بمحامد يفتحها على لا
 أحسنها الآن فيقال أى محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه
 واشفع تشفع فإذا أذن له فى الشفاعة شفع لمن أراد الله أن يشفع
 فيه¹⁵¹

الشفاعة التى نفاها القرآن مطلقا ما كان فيها شرك

قال تعالى { يَعْلمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ
 ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ } الأنبياء: 28 وقسم من
 الناس غلوا فى الأنبياء والصالحين وفى الملائكة أيضا فجعلوهم
 وسائط فى العبادة فعبدوهم ليقربوهم إلى الله زلفى وصوروا
 تماثيلهم وعكفوا على قبورهم وهذا كثير فى النصرارى ومن
 ضاهاهم من ضلال أهل القبلة ولهذا ذكر الله هذا الضنف فى
 القرآن فى آل عمران وفى براءة فى ضمن الكلام
 على النصرارى وهذا الذى أمره الله أن يقوله لهم هو الذى كتب
 إلى هرقل ملك الروم وهؤلاء قد يظنون أنهم إذا إستشفعوا بهم
 شفّعوا لهم وإن من قصد معظما من الملائكة والأنبياء فاستشفع
 به شفّع له عند الله كما يشفع خواص الملوك عندهم وقد أبطل الله
 هذه الشفاعة فى غير موضع من القرآن وبين الفرق بينه وبين
 خلقه فإن المخلوق يشفع عند المخلوق بغير إذنه ويقبل الشفاعة
 لرغبة أو رهبة أو محبة أو نحو ذلك فيكون الشفيع شريكا
 للمشفوع إليه وهذه الشفاعة منتفية فى حق الله قال تعالى { مَنْ

¹⁵¹ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 330-331

ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ {البقرة 255} وقال تعالى { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى {الأنبياء 28¹⁵²

فمشركو العرب والنصارى والمبتدعون من المسلمين ونحوهم ممن يقول إن الله فاعل مختار فإن هؤلاء يثبتون شفيعا يشفع إلى الله فيقضي حاجته وجعلوا شفيعهم من جنس الذي شفيع عند الملوك فأبطل الله سبحانه وتعالى ذكر ذلك وكفر من أثبت هذه الشفاعة وقال عن الملائكة {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ {الأنبياء 28¹⁵³

وقد وصف الملائكة في القرآن بالخشية والخوف¹⁵⁴

الشفاعة التي اخبرت بها الرسل

قال تعالى { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ {الأنبياء 28} ولا قال احد قط من الادميين ان كوكبا من الكواكب او ان الشمس والقمر ابدعت السموات كلها ولا يقول هذا عاقل بل عباد الشمس والقمر والكواكب يعبدونها كما يعبد عباد الاصنام للاصنام وكما يعبد عباد الانبياء والصالحين لهم ولتمائيلهم وكما يعبدون اخرون

¹⁵²مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 284

¹⁵³الصفدية ج: 2 ص: 289

¹⁵⁴الصفدية ج: 1 ص: 214

الملائكة واخرون يعبدون الجن لما يرجون بعبادتها من جلب
 منفعة او دفع مضرة لا لاعتقادهم انها خلقت العالم بل قد
 يجعلونها شفعاء ووسائط بينهم وبين رب العالمين كما قال تعالى
 { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ
 شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي
 الْأَرْضِ } يونس 18 وقال تعالى { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
 أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } الزمر 3 وقال
 تعالى { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ
 مَنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ } الأنعام 51 وقال تعالى { أَنْ تُبْسَلَ
 نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ } الأنعام 70
 وقال تعالى { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي
 سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا
 شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } السجدة 4 والشفاعة التي اخبرت بها الرسل
 هي أن يأذن الله للشفيع فيشفع فيكون الامر كله لله كما قال تعالى
 { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } البقرة 255 وقال { وَلَا
 يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى } الأنبياء 28 وهذا بخلاف ما اتخذه
 المشركون من الشفعاء¹⁵⁵

الشفاعة إذا كانت بإذن الله لم تكن من دونه

قال تعالى { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ
 ارْتَضَى وَهُمْ مَنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ } الأنبياء 28 فالشفاعة المنفية
 هي الشفاعة المعروفة عند الناس عند الإطلاق وهي أن يشفع
 الشفيع الى غيره ابتداء فيقبل شفاعته فأما إذا أذن له في أن يشفع

¹⁵⁵الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 306-307 و مجموع الفتاوى ج: 1

فشفع لم يكن مستقلا بالشفاعة بل يكون مطيعا له أى تابعا له فى الشفاعة وتكون شفاعته مقبولة ويكون الأمر كله للأمر المسؤول وقد ثبت بنص القرآن فى غير آيه أن أحدا لا يشفع عنده إلا بإذنه كما قال تعالى { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } البقرة 255 وقال { يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا } طه 109 وقال تعالى { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } الأنبياء 28 وأمثال ذلك والذي يبيِّن أن هذه هى الشفاعة المنفية أنه قال { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَاٰلِىٓ وَآلِىٓ وَلَا شَفِيعٌ لَهُمْ يَتَّقُونَ } الأنعام 51 وقال تعالى { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } السجدة 4 فأخبر أنه ليس لهم من دون الله ولى ولا شفيع وأما نفى الشفاعة بدون إذنه فإن الشفاعة إذا كانت بإذنه لم تكن من دونه كما أن الولاية التى بإذنه ليست من دونه كما قال تعالى { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } 55 { وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } 56 { المائدة 55- 56 } وأيضا فقد قال { أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُوبًا أُولُو كَأَنُفَا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ } 43 { قُلِ اللَّهُ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } 44 { الزمر 43-44 } فذم الذين اتخذوا من دون الله شفعا وأخبر أن الله الشفاعة جميعا فعلم أن الشفاعة منتفية عن غيره إذ لا يشفع أحد الا بإذنه وتلك فهى له 156

سلف الأمة وأئمتها أثبتوا ما جاءت به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم من شفاعته لأهل الكبائر من أمته

قال تعالى { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ } {الأنبياء 28} والخوارج والمعتزلة أنكروا شفاعته نبينا صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر من أمته بل أنكروا طائفة من أهل البدع انتفاع الإنسان بشفاعة غيره ودعائه كما أنكروا انتفاعه بصدقة غيره وصيامه عنه وأنكروا الشفاعته بقوله تعالى { مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ } {البقرة 254} وبقوله تعالى { مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ } {غافر 18} وغير ذلك وأما سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة فأثبتوا ما جاءت به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم من شفاعته لأهل الكبائر من أمته وغير ذلك من أنواع شفاعته وشفاعة غيره من الأنبياء والملائكة وقالوا إنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد وأقروا بما جاءت به السنة من انتفاع الإنسان بدعاء غيره وشفاعته والصدقة عنه بل والصوم عنه في أصح قولي العلماء كما ثبتت به السنة الصحيحة الصريحة وبما كان في معنى الصوم وقالوا إن الشفيع يطلب من الله ويسأله ولا تنفع الشفاعته عنده إلا بإذنه قال تعالى { مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } {البقرة 255} وقال { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى } {الأنبياء 28} وقال { وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَن بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى } {النجم 26} وقد ثبت في الصحيح أن سيد الشفعاء صلى الله عليه وسلم إذا طلبت منه الشفاعته بعد أن تطلب من آدم وأولي العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى فيردونها إلى محمد صلى الله عليه وسلم العبد الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال فأذهب إلى ربي فإذا رأيته خررت له ساجدا فأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن فيقول أي

محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاقول رب
أمّتي رب أمّتي فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة

وقال تعالى { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ
كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا } {56} أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ
إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } {57} الاسراء 56-57 قال طائفة

من السلف كان أقوام يدعون العزيز والمسيح والملائكة فأنزل الله
هذه الآية وقد أخبر فيها أن هؤلاء المسؤولين كانوا يتقربون إلى
الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه وقد ثبت في الصحيح أن
أبا هريرة قال يا رسول الله أي الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة
قال يا ابا هريرة لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد
أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس
بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله
فكلما كان الرجل أتم إخلاصا لله كان أحق بالشفاعة وأما من
علق قلبه بأحد من المخلوقين يرجوه ويخافه فهذا من أبعد الناس
عن الشفاعة فشفاعة المخلوق عند المخلوق تكون بإعانة
الشافع للمشفوع له بغير إذن المشفوع عنده بل يشفع إما لحاجة
الشفوع عنده إليه وإما لخوفه منه فيحتاج أن يقبل شفاعته عنده
والله تعالى غني عن العالمين وهو وحده سبحانه يدبر العالمين
كلهم فما من شفيع إلا من بعد إذنه فهو الذي يأذن للشفيع في
الشفاعة وهو يقبل شفاعته كما يلهم الداعي الدعاء ثم يجيب
دعاه فالأمر كله له فإذا كان العبد يرجو شفيعا من

المخلوقين فقد لا يختار ذلك الشفيع أن يشفع له وإن اختار فقد لا
يأذن الله له في الشفاعة ولا يقبل شفاعته وأفضل الخلق محمد
صلى الله عليه وسلم ثم إبراهيم وقد امتنع النبي صلى الله عليه
وسلم أن يستغفر لعمه أبي طالب بعد أن قال لأستغفرن لك ما لم
أنه عنك وقد صلى على المنافقين ودعا لهم فقيل له { وَلَا تُصَلِّ

عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ { التوبة 84

وقال الله له أولا { إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ
{ التوبة 80 فقال لو أعلم اني لو زدت على السبعين يغفر لهم
لزدت فأنزل الله { سِوَاءَ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ
لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ { المنافقون 6¹⁵⁷

لطائف لغوية

1-ولفظ الباطل يراد به المعدوم ويراد به ما لا ينفع كقول
النبي كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل الا رمية بقوسه
وتاديبه فرسه وملاعبته لزوجته فانهن من الحق وقوله
عن عمر رضى الله عنه ان هذا الرجل لا يحب الباطل
ومنه قول القاسم بن محمد لما سئل عن الغناء قال اذا ميز الله يوم
القيامة الحق من الباطل فى ايهما يجعل الغناء قال السائل من
الباطل قال فماذا بعد الحق الا الضلال ومنه قوله تعالى
{ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ
{ الحج 62 فان الالهة موجودة ولكن عبادتها ودعاؤها باطل لا
ينفع والمقصود منها لا يحصل فهو باطل واعتقاد الوهيتها باطل
اي غير مطابق واتصافها بالالهية فى انفسها باطل لا بمعنى أنه
معدوم ومنه قوله تعالى { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ
فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ { الأنبياء 18

¹⁵⁷اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 444

وقوله {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} الإسراء 81 فان الكذب باطل لأنه غير مطابق وكل فعل ما لا ينفع باطل لأنه ليس له غاية موجودة محمودة فقول النبي أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل هذا معناه ان كل معبود من دون الله باطل كقوله {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ} لقمان 30¹⁵⁸

2- قال تعالى {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} {الأنبياء 22} ولو تستعمل على وجهين أحدهما على وجه الحزن على الماضي والجزع من المقدور فهذا هو الذي نهى عنه كما قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ} آل عمران 156 وهذا هو الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن اللو تفتح عمل الشيطان أي تفتح عليك الحزن والجزع وذلك يضر ولا ينفع بل اعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك كما قال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} {التغابن 11} قالوا هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم والوجه الثاني أن يقال لو لبيان علم نافع كقوله {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} {الأنبياء 22} ولبيان محبة الخير وإراشده كقوله لو أن لي مثل ما لفلان لعملت مثل ما يعمل ونحو جائز وقول النبي صلى الله عليه وسلم

¹⁵⁸مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 515-517

وددت لو أن موسى صبر ليقص الله علينا من خبرهما هو من هذا الباب كقوله { وَتَوَّأَوْا لَوْ تَذَهْنُ فَيَذْهَبُونَ } القلم 9 فإن نبينا صلى الله عليه وسلم أحب أن يقص الله خبرهما فذكرها لبيان محبته للصبر المترتب عليه فعرفه ما يكون لما ذلك من المنفعة ولم يكن في ذلك جزع ولا حزن ولا ترك لما يجب من الصبر على المقدور وقوله وددت لو أن موسى صبر قال النحاة تقديره وددت أن موسى صبر وكذلك قوله { وَتَوَّأَوْا لَوْ تَذَهْنُ فَيَذْهَبُونَ } القلم 9 تقديره ودوا أن تذهبن وقال بعضهم بل هي لو شرطية وجوابها محذوف والمعنى على التقديرين معلوم وهي محبة ذلك الفعل وإرادته ومحبة الخير وإرادته محمود والحزن والجزع وترك الصبر مذموم والله أعلم¹⁵⁹

3- قال تعالى { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } الأنبياء 23 ان الوصف هو الاظهار والبيان للبصر أو السمع كما يقول الفقهاء ثوب يصف البشرية او لا يصف البشرية وقال تعالى { سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ } الأنعام 139 وقال { فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } الأنبياء 22 وقال لا تتعت المرأة المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر اليها والنعت الوصف ومثل هذا كثير و الصفة مصدر وصفت الشيء أصفه وصفا وصفة مثل وعد وعدا وعدة ووزن وزنا وزنة وهم يطلقون اسم المصدر على المفعول كما يسمون المخلوق خلقا ويقولون درهم ضرب الامير¹⁶⁰

¹⁵⁹ الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 350 و مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 349

¹⁶⁰ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 340

فالواصف ان لم يكن قوله مطابقا كان كاذبا ولهذا انما يجيء الوصف في القرآن مستعملا في الكذب بأنه وصف يقوم بالواصف من غير أن يقوم بالموصوف شيء كقوله سبحانه { سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ } { الأنعام 139 } وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ } { النحل 116 } وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى } { النحل 62 } { فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } { الأنبياء 22 } وقد جاء مستعملا في الصدق فيما أخرجاه في الصحيحين عن عائشة أن رجلا كان يكثر قراءة قل هو الله أحد فقال النبي سلوه لم يفعل ذلك فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحبها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه ان الله يحبه¹⁶¹

4- قال الله تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } { الأنبياء 26 } ولفظ العبد في القرآن يتناول من عبد الله فأما عبد لا يعبده فلا يطلق عليه لفظ عبده ونحو هذا كثير وقد يطلق لفظ العبد على المخلوقات كلها¹⁶²

5- قال تعالى { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ } { الأنبياء 28 } و الخشية في

¹⁶¹ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 319

¹⁶² مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 43

القرآن مطلقة تتناول خشية الله و خشية عذابه فى الدنيا و
الآخرة¹⁶³

6- الاستثناء فإنه من النفي إثبات عند جمهور العلماء كقولنا لا
إله إلا الله وقوله تعالى {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى
{الأنبياء 28} وقوله {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ
{سبأ 23} وقوله {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ
تَفْسِيرًا} الفرقان 33 وقد ذهب طائفة إلى أن المستثنى مسكوت
عنه لم يثبت له ما ذكر ولم ينف عنه¹⁶⁴

¹⁶³مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 174

¹⁶⁴مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 287 و الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 64

الانبياء 30-47

{أَوْلَمِ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا
فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا
يُؤْمِنُونَ} 30 {وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ
وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} 31 {وَجَعَلْنَا
السَّمَاءَ سَفَقًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ} 32
وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي
فَلَكَ يَسْبَحُونَ} 33 {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِن
مَّتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ} 34 {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم
بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِنَّا تُرْجَعُونَ} 35 {وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ
كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذَّكَّرُ آلِهَتِكُمْ وَهُمْ
بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ} 36 {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ
سَأَرِيكُم آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ} 37 {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا
الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} 38 {لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا
يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ} 39 {بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ} 40 {وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ
فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} 41
قُلْ مَنْ يَكْلُوكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ
رَبِّهِمْ مُعْرَضُونَ} 42 {أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّن دُونِنَا لَا
يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ} 43 {بَلْ
مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ
أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ} 44
قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا

**يُنذِرُونَ {45} وَلَئِن مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ
يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ {46} وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ
الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ {47}**

المنكرون للقوى والطبائع خالفوا الكتاب والسنة و صريح العقل

ومن الناس من ينكر القوى والطبائع كما هو قول أبي الحسن
ومن اتبعه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وهؤلاء
المنكرون للقوى والطبائع ينكرون الاسباب أيضا ويقولون ان الله
يفعل عندها لا بها فيقولون ان الله لا يشبع بالخبز ولا يروى
بالماء ولا ينبت الزرع بالماء بل يفعل عنده لابه وهؤلاء خالفوا
الكتاب والسنة واجماع السلف مع مخالفة صريح العقل والحس
فان الله قال في كتابه { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ
رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَتَ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ
فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
{الأعراف 57 فأخبر أنه ينزل الماء بالسحاب ويخرج الثمر
بالماء وقال تعالى { وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا } البقرة 164 وقال { وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ {ق 9 وقال { قَاتِلُوهُمْ
يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ } التوبة 14 وقال { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ
وَكِتَابٌ مُّبِينٌ } 15 { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ
{المائدة 15-16 وقال { فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا
يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا } البقرة 26 ومثل هذا في القرآن
كثير والناس يعلمون بحسهم وعقلهم أن بعض الأشياء سبب
لبعض كما يعلمون أن الشبع يحصل بالأكل لا بالعد ويحصل
بأكل الطعام لا بأكل الحصى وأن الماء سبب لحياة النبات
والحيوان كما قال { وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا

{ الأنبياء 30 } وان الحيوان يروى بشرب الماء لا بالمشي ومثل ذلك كثير ولبسط هذه المسائل موضع آخر ¹⁶⁵

المخلوقات العلوية والسفلية يمسكها الله بقدرته سبحانه

قال تعالى { أَوْلَم يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ } {30} وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ } {31} وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ } {32} { الأنبياء 30-32 } والارض يحيط الماء بأكثرها والهواء يحيط بالماء والارض والله تعالى بسط الارض للأنام وأرساها بالجبال لئلا تميد كما ترسى السفينة بالاجسام الثقيلة اذا كثرت امواج البحر والامادت والله تعالى { يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } فاطر 41 والمخلوقات العلوية والسفلية يمسكها الله بقدرته سبحانه وما جعل فيها من الطبائع والقوى فهو كائن بقدرته ومشينته سبحانه ¹⁶⁶

وهذا هو القدرة التي تبهر العقول وهو أن يقلب حقائق الموجودات فيحيل الاول ويفنيه ويلاشيه ويحدث شيئا آخر ¹⁶⁷

¹⁶⁵ مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 288

¹⁶⁶ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 596

¹⁶⁷ النبوات ج: 1 ص: 63

جاءت الكتب الإلهية بخطاب الناس بالمعقولات الصحيحة الفطرية فإن الرسل بعثوا بتقرير الفطرة وتكملتها لا بتغيير الفطرة وتحويلها والنفس إنما تنال كمالها بسعادتها ونجاتها بالفطرة المكملة بالشرعة المنزلة ولهذا حيث ذكر الله في كتابه شيئاً من هذه الأسماء التي تدل على الفعل لم يعقل العقلاء من ذلك إلا أنه محدث كقوله تعالى { **وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْهًا مَّحْفُوظًا** **وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ** } **الأنبياء 32** إلى أمثال ذلك من الخطاب الذي قد علم بالإضطرار معناه وأن بناءها أمر حادث كان بعد أن لم يكن¹⁶⁸

الافلاك مستديرة

قال تعالى { **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** } **الأنبياء 33** وكذلك ما يعلم بالمشاهدة والحساب الصحيح من أحوال الفلك علم صحيح لا يدفع والافلاك مستديرة ليست مضلعة ومن قال إنها مضلعة أو جوز ذلك من أهل الكلام فهو وأمثاله ممن يرد على الفلاسفة وغيرهم ما قالوه من علم صحيح معقول مع كونه موافقا للمشروع وهذا من بدع اهل الكلام الذي ذمه السلف وعابوه فانهم ناظروا الفلاسفة في العلم الالهي في مسألة حدوث العالم وإثبات الصانع ومسائل المعاد والنبوات وغير ذلك بطرق فاسدة حائدة من مسلك الشرع والعقل وكان ذلك من أسباب ضلال كثير من الناس حيث ظنوا ان ما يقوله هؤلاء المبتدعون هو الشرع المأخوذ عن الرسول وليس

¹⁶⁸الصفدية ج: 2 ص: 159

الامر كذلك بل كلما علم بالعقل الصريح فلا يوجد عن الرسول
 إلا ما يوافقُه ويصدقُه وما نحن فيه من كرية الافلاك
 واستدارتها من هذا الباب بل هذا مما أجمع عليه سلف الامة من
 الصحابة والتابعين لا يعرف بينهم نزاع في ان الفلك مستدير وقد
 حكى إجماع علماء المسلمين على ذلك غير واحد منهم ابو
 الحسين بن المنادى الامام الذي له أربعمئة مصنف وكان من
 الطبقة الثانية من اصحاب احمد ومنهم ابو محمد بن حزم ومنهم
 ابو الفرج بن الجوزي والاثار بذلك معروفة ثابتة عن السلف كما
 دل على ذلك الكتاب والسنة وقد ذكرنا طرفا من ذلك في
 جواب مسألة سئلنا عنها في هذا الباب فذكرنا دلالة الكتاب
 والسنة على ذلك موافقا لما علم بالحساب العقلي وقد قال
 تعالى **{ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي**
فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } الأنبياء 33 وقال تعالى **{ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ**
تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } يس 40
 وقد ذكر الامام ابو محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم في تفسيره ثنا
 ابي يعنى الامام ابا حاتم الرازي ثنا نصر بن علي حدثني ابي
 عن شعبة بن الحجاج عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن
 جبير عن ابن عباس في قوله **{ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }** يس 40
 قال في فلكة مثل فلكة المغزل وذكر عن احمد الزبيري عن
 شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله **{ يَسْبَحُونَ }**
{ الأنبياء 33 قال يدورون في أبواب السماء كما يدور المغزل في
 الفلكة وقال ثنا الحسن بن الحسن ثنا إبراهيم بن عبدالله بن
 الهروي ثنا حجاج عن ابي جريح اخبرني عبدالله بن كثير انه
 سمع مجاهدا يقول وكل في فلك يسبحون قال النجوم والشمس
 والقمر فلكة كفلكة المغزل وقال مثل ذلك الحسين بن يعنى مجاهد
 حسابان الرحي وهو سفودها القائم الذي يدور عليه والحسبان في
 اللغة سهام قصار الواحدة حسابانة وكان مجاهد يفسر قوله
{ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ } الرحمن 5 الرحمن بهذا وقال غيره
 هو من الحساب قيل هو مصدر وقيل جمع حساب كشهاب

وشهبان قال مجاهد ولا يدور المغزل إلا بالفلكه ولا تدور
 الفلكة إلا بالمغزل ولا يدور الحسبان إلا بالرحى ولا يدور
 الرحي إلا بالحسبان قال فكذلك النجوم والشمس والقمر هي في
 فلك لا يدمن إلا به ولا يدوم إلا بهن قال فنقر بأصبعه قال فقال
 مجاهد يدمن كذلك كما نقر قال فالحسبان والفلك يصيران الى
 شئ واحد غير ان الحسبان في الرحي والفلك في المغزل كل ذلك
 عن مجاهد قلت قوله لا يدوم إلا به أي لا يدور إلا به ومنه
 الدوامه بالضم والتشديد وهي فلكة يرميها الصبي بخيط فتدوم
 على الارض أي تدور ومنه تدويم الطير وهو تحليقه وهو
 دورانه في طيرانه ليرتفع الى السماء وقوله نقر بأصبعه يعني
 نقر بها من الارض وأدارها ليشبه بذلك دوران الفلك وقال
 ابن ابي حاتم قرى على يونس بن عبد الاعلى ثنا ابن وهب ثنا
 السري ابن يحيى قال سأل رجل الحسن البصري عن قوله {
 وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} يس 40 قال يعني استدارتهم وقال
 بنده ثنا أبي ثنا عبيد الله بن عائشة ثنا عبدالواحد بن زياد ثنا ابو
 روق سمعت الضحاك في قوله { وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ
 } يس 40 قال يدور ويذهب ثنا ابي ثنا مسروق بن المرزبان
 ثنا يحيى بن ابي زائدة ثنا ورقاء عن ابن ابي نجيح عن مجاهد كل
 في فلك يسبحون قال الفلك كحديدة الرحي يعني قطب كحديدة
 الرحي وهو قطب الرحي وهو السفود القائم الذي يسمى أيضا
 حسبانا ثنا بن على الحسين بن حنيد ثنا أبو بكر بن أبي شيبه
 ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن الضحاك في فلك يسبحون
 قال الفلك السرعة والجري في الاستدارة ويسبحون يعملون يريد
 أن لفظ الفلك يدل على الاستدارة وعلى سرعة الحركة كما في
 دوران فلكة المغزل ودوران الرحي وقال ثنا أبي ثنا أبو
 صالح حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن
 عباس قوله في فلك يقول دوران وقوله يسبحون يعني يجرون
 وعن إياس بن معاوية قال السماء على الأرض مثل القبة وقد
 بسط القول في ذلك بدلائله من الكتاب والسنة في غير هذا

الموضع ولفظ الفلك في لغة العرب يدل على الاستدارة قال
الجوهري فلانة المغزل سميت بذلك لاستدارتها والفلانة قطعة من
الأرض أو الرمل تستدير وترتفع على ما حولها والجمع فلك
وقال ومنه قيل فلك ثدى الجارية تقليكا ونقلك استدار قلت
والسباحة تتضمن الجري بسرعة كما ذكر ذلك أهل اللغة¹⁶⁹

فمن المعلوم باتفاق من يعلم هذا ان الافلاك مستديرة كرية الشكل
وان الجهة العليا هي جهة المحيط وهي المحدث وان الجهة
السفلى هو المركز وليس للأفلاك الا جهتان العلو
والسفل فقط وأما الجهات الست فهي للحيوان فان له ست
جوانب يؤم جهة فتكون امامه ويخلف اخرى فتكون خلفه وجهة
تحاذى يمينه وجهة تحاذى شماله وجهة تحاذى رأسه وجهة
تحاذى رجليه وليس لهذه الجهات الست فى نفسها صفة لازمة بل
هى بحسب النسبة والاضافة فيكون يمين هذا ما يكون شمال هذا
ويكون امام هذا ما يكون خلف هذا ويكون فوق هذا ما يكون
تحت هذا لكن جهة العلو والسفل للأفلاك لا تتغير فالمحيط
هو العلو والمركز هو السفلى مع أن وجه الارض التى وضعها
الله للأنام وارساها بالجبال هو الذى عليه الناس والبهائم والشجر
والنبات والجبال والأنهار الجارية فأما الناحية الأخرى من
الأرض فالبحر محيط بها وليس هناك شىء من الأدميين وما
يتبعهم ولو قدر أن هناك أحدا لكان على ظهر الأرض ولم
يكن من فى هذه الجهة تحت من فى هذه الجهة ولا من فى هذه
تحت من فى هذه كما أن الافلاك محيطة بالمركز وليس أحد
جانبى الفلك تحت الآخر ولا القطب الشمالى تحت الجنوبى ولا
بالعكس وان كان الشمالى هو الظاهر لنا فوق الأرض وارتفاعه

¹⁶⁹الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 261

بحسب بعد الناس عن خط الاستواء فما كان بعده عن خط الاستواء ثلاثين درجة مثلا كان ارتفاع القطب عنده ثلاثين درجة وهو الذى يسمى عرض البلد فكما أن جوانب الأرض المحيطة بها وجوانب الفلك المستديرة ليس بعضها فوق بعض ولا تحته فكذلك من يكون على الأرض من الحيوان والنبات والأثقال لا يقال أنه تحت أولئك وإنما هذا خيال يتخيله الإنسان وهو تحت اضافى كما لو كانت نملة تمشى تحت سقف فالسقف فوقها وان كانت رجلاها تحاذيه وكذلك من علق منكوسا فانه تحت السماء وان كانت رجلاه تلى السماء وكذلك يتوهم الإنسان اذا كان فى أحد جانبي الأرض أو الفلك ان الجانب الآخر تحته وهذا أمر لا يتنازع فيه اثنان ممن يقول ان الأفلاك مستديرة واستدارة الافلاك كما أنه قول أهل الهيئة والحساب فهو الذى عليه علماء المسلمين كما ذكره ابو الحسن بن المنادى وأبو محمد بن حزم وأبو الفرج بن الجوزى وغيرهم أنه متفق عليه بين علماء المسلمين وقد قال تعالى **{ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }** الأنبياء 33 قال ابن عباس فلانة مثل فلانة المغزل و الفلك فى اللغة هو المستدير ومنه قولهم تفلك ثدى الجارية اذا استدار وكل من يعلم أن الأفلاك مستديرة يعلم أن المحيط هو العالى على المركز من كل جانب ومن توهم أن من يكون فى الفلك من ناحية يكون تحته من فى الفلك من الناحية الاخرى فى نفس الأمر فهو متوهم عندهم¹⁷⁰

أعلم أن الأرض قد اتفقوا على أنها كرية الشكل وهي فى الماء المحيط بأكثرها اذ اليابس السدس وزيادة بقليل والماء أيضا مقبب من كل جانب للأرض والماء الذى فوقها بينه وبين السماء

¹⁷⁰مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 565-567

كما بيننا وبينها مما يلي رؤوسنا وليس تحت وجه الأرض الا
 وسطها ونهاية التحت المركز فلا يكون لنا جهة بينة الا جهتان
 العلو والسفل وانما تختلف الجهات باختلاف الانسان فعلو
 الأرض وجهها من كل جانب وأسفلها ما تحت وجهها ونهاية
 المركز هو الذى يسمى محط الأثقال فمن وجه الأرض والماء
 من كل جهة الى المركز يكون هبوطا ومنه الى وجهها صعودا
 وإذا كانت سماء الدنيا فوق الأرض محيطة بها فالثانية كرية
 وكذا الباقي والكرسى فوق الافلاك كلها والعرش فوق الكرسى
 ونسبة الأفلاك وما فيها بالنسبة الى الكرسى كحلقة فى قلاة
 والجملة بالنسبة الى العرش كحلقة فى فلاة والأفلاك مستديرة
 بالكتاب والسنة والاجماع فان لفظ الفلك يدل على
 الاستدارة ومنه قوله تعالى { **كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**

{ **الأنبياء 33** قال ابن عباس فى فلكة كفلكة المغزل ومنه قولهم
 تفلك ثدى الجارية اذا استدار وأهل الهيئة والحساب متفقون على
 ذلك¹⁷¹

وقد ثبت بالكتاب والسنة واجماع علماء الامة ان الافلاك
 مستديرة قال الله تعالى { **وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**
 { فصلت 37 وقال { **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ**
وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ { الأنبياء 33 وقال تعالى { **لَا الشَّمْسُ**
يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ
يَسْبَحُونَ { يس 40 قال ابن عباس فى فلكة مثل فلكة المغزل
 وهكذا هو فى لسان العرب الفلك الشئ المستدير ومنه يقال تفلك
 ثدى الجارية اذا استدار قال تعالى { **يُكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ**
وَيُكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ { الزمر 5 والتكوير هو التدوير ومنه

¹⁷¹مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 150

قيل كار العمامة وكورها اذا ادارها ومنه قيل للكرة كرة وهي
 الجسم المستدير ولهذا يقال للأفلاك كروية الشكل لأن أصل الكرة
 كورة تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلت الفا وكورت الكارة اذا
 دورتها ومنه الحديث ان الشمس والقمر يكوران يوم القيامة
 كأنهما ثوران في نار جهنم وقال تعالى { الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 بِحُسْبَانٍ } الرحمن 5 مثل حسابان الرحا وقال { مَا تَرَى فِي
 خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ } الملك 3 وهذا انما يكون فيما يستدير
 من اشكال الاجسام دون المضلعات من المثلث او المربع او
 غيرهما فانه يتفاوت لان زواياه مخالفة لقوائمه والجسم المستدير
 متشابه الجوانب والنواحي ليس بعضه مخالفا لبعض وقال
 النبي للاعرابي الذي قال انا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله
 عليك فقال ويحك ان الله لا يستشفع به على احد من خلقه ان
 شأنه اعظم من ذلك ان عرشه على سمواته هكذا وقال بيده
 مثل القبة وانه لينط به اطيط الرحل الجديد براكبه رواه ابو
 داود وغيره من حديث جبير بن مطعم عن النبي وفي الصحيحين
 عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا
 سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فانها اعلى الجنة وأوسط الجنة
 وسقفها عرش الرحمن فقد أخبر ان الفردوس هي الأعلى
 والأوسط وهذا لا يكون الا في الصورة المستديرة فاما المربع
 ونحوه فليس أوسطه أعلاه بل هو متساو وأما إجماع
 العلماء فقال اياس بن معاوية الامام المشهور قاضى البصرة من
 التابعين السماء على الأرض مثل القبة وقال الامام ابو
 الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي من اعيان العلماء المشهورين
 بمعرفة الآثار والتصانيف الكبار في فنون العلوم الدينية من
 الطبقة الثانية من اصحاب احمد لا خلاف بين العلماء ان السماء
 على مثال الكرة وانها تدور بجميع ما فيها من الكواكب كدورة
 الكرة على قطبين ثابتين غير متحركين احدهما في ناحية الشمال
 والآخر في ناحية الجنوب قال ويدل على ذلك ان الكواكب
 جميعها تدور من المشرق تقع قليلا على ترتيب واحد في

حركاتها ومقادير أجزائها الى ان تتوسط السماء ثم تتحدر على ذلك الترتيب كأنها ثابتة في كرة تديرها جميعها دورا واحدا قال وكذلك أجمعوا على ان الارض بجميع حركاتها من البر والبحر مثل الكرة قال ويدل عليه ان الشمس والقمر والكواكب لا يوجد طلوعها وغروبها على جميع من في نواحي الارض في وقت واحد بل على المشرق قبل المغرب قال فكرة الارض مثبتة في وسط كرة السماء كالنقطة في الدائرة يدل على ذلك ان جرم كل كوكب يرى في جميع نواحي السماء على قدر واحد فيدل ذلك على بعد ما بين السماء والارض من جميع الجهات بقدر واحد فاضطرار ان تكون الارض وسط السماء¹⁷²

الخسوف والكسوف لهما أوقات مقدرة

قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } {الأنبياء 33} الخسوف والكسوف لهما أوقات مقدرة كما لطلوع الهلال وقت مقدر وذلك ما أجرى الله عادته بالليل والنهار والشتاء والصيف وسائر ما يتبع جريان الشمس والقمر وذلك من آيات الله تعالى كما قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } {الأنبياء 33} وقال تعالى { هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ } {يونس 5} وقال تعالى { الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ } {الرحمن 5} وقال تعالى { فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } {الأنعام 96} قال تعالى { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ

¹⁷²مجموع الفتاوى ج: 25 ص: 193

{البقرة 189 وقال تعالى {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ} التوبة 36 وقال تعالى وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ {37} وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ {38} وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ {39} لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ {40} يس 37-40 وكما أن العادة التي أجراها الله تعالى أن الهلال لا يستهل الا ليلة ثلاثين من الشهر أو ليلة احدى وثلاثين وان الشهر لا يكون الا ثلاثين أو تسعة وعشرين فمن ظن أن الشهر يكون أكثر من ذلك أو أقل فهو غلط فكذلك أجرى الله العادة أن الشمس لا تكسف الا وقت الاستسرار وأن القمر لا يخسف الا وقت الابدار ووقت إبداره هي الليالي البيض التي يستحب صيام أيامها ليلة الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فالقمر لا يخسف الا في هذه الليالي والهلال يستسر آخر الشهر اما ليلة واما ليلتين كما يستسر ليلة تسع وعشرين وثلاثين والشمس لا تكسف الا وقت استساراه وللشمس والقمر ليالي معتادة من عرفها عرف الكسوف والخسوف كما أن من علم كم مضى من الشهر يعلم أن الهلال يطلع في الليلة الفلانية أو التي قبلها لكن العلم بالعادة في الهلال علم عام يشترك فيه جميع الناس وأما العلم بالعادة في الكسوف والخسوف فإنما يعرفه من يعرف حساب جريانهما وليس خبر الحاسب بذلك من باب علم الغيب ولا من باب ما يخبر به من الأحكام التي يكون كذبه فيها أعظم من صدقه فإن ذلك قول بلا علم ثابت وبناء على غير أصل صحيح وفي سنن أبي داود عن النبي انه قال من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد وفي صحيح مسلم عن النبي انه قال من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم يقبل الله صلاته أربعين يوما والكهان أعلم بما يقولونه من المنجمين

فى الأحكام ومع هذا صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن اتیانهم و مسألتهم فكيف بالمنجم وقد بسطنا هذا فى غير هذا الموضوع عن هذا الجواب¹⁷³

جاءت الكتب الإلهية بخطاب الناس بالمعقولات الصحيحة الفطرية

قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } { الأنبياء 33 } جاءت الكتب الإلهية بخطاب الناس بالمعقولات الصحيحة الفطرية فإن الرسل بعثوا بتقرير الفطرة وتكميلها لا بتغيير الفطرة وتحويلها والنفس إنما تنال كمالها بسعادتها ونجاتها بالفطرة المكملة بالشرعة المنزلة ولهذا حيث ذكر الله في كتابه شيئاً من هذه الأسماء التي تدل على الفعل لم يعقل العقلاء من ذلك إلا أنه محدث كقوله تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } { الأنبياء 33 } إلى أمثال ذلك من الخطاب الذي قد علم بالإضطرار معناه وأن بناءها أمر حادث كان بعد أن لم يكن¹⁷⁴

والسموات مستديرة عند علماء المسلمين وقد حكى اجماع المسلمين على ذلك غير واحد من العلماء وأئمة الإسلام مثل أبى الحسين أحمد بن جعفر بن المنادى أحد الأعيان الكبار من الطبقة الثانية من أصحاب الإمام أحمد وله نحو أربعمائه مصنف وحكى الاجماع على ذلك الامام أبو محمد بن حزم وأبو الفرج بن

¹⁷³ مجموع الفتاوى ج: 24 ص: 254-256

¹⁷⁴ الصفدية ج: 2 ص: 159

الجوزى وروى العلماء ذلك بالأسانيد المعروفة عن الصحابة والتابعين وذكروا ذلك من كتاب الله وسنة رسوله وبسطوا القول فى ذلك بالدلائل السمعية وان كان قد أقيم على ذلك أيضا دلائل حسابية ولا أعلم فى علماء المسلمين المعروفين من أنكروا ذلك الا فرقة يسيرة من أهل الجدل لما ناظروا المنجمين فأفسدوا عليهم فاسد مذهبهم فى الاحول والتأثير خلطوا الكلام معهم بالمناظرة فى الحساب وقالوا على سبيل التجويز يجوز أن تكون مربعة أو مسدسة أو غير ذلك ولم ينفوا أن تكون مستديرة لكن جوزوا ضد ذلك وما علمت من قال أنها غير مستديرة وجزم بذلك الا من لا يؤيه له من الجهال ومن الادلة على ذلك قوله تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } { الأنبياء 33 } وقال تعالى { لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } يس 40 قال ابن عباس وغيره من السلف فى فلكه مثل فلكه المغزل وهذا صريح بالاستدارة والدوران وأصل ذلك أن الفلك فى اللغة هو الشيء المستدير يقال تفلك ثدى الجارية اذا استدار ويقال لفلكه المغزل المستديرة فلكة لاستدارتها فقد اتفق أهل التفسير واللغة على أن الفلك هو المستدير والمعرفة لمعانى كتاب الله انما تؤخذ من هذين الطريقتين من اهل التفسير الموثوق بهم من السلف ومن اللغة التى نزل القرآن بها وهى لغة العرب وقال تعالى { يُكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ } الزمر 5 قالوا و التكوير التدوير يقال كورت العمامة وكورتها اذا دورتها ويقال للمستدير كارة واصله كورة تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت الفا ويقال ايضا كورة واصله كورة وانما حذف عین الكلمة كما قيل فى ثبة وقلة والليل والنهار وسائر أحوال الزمان تابعة للحركة فان الزمان مقدار للحركة والحركة قائمة بالجسم المتحرك فاذا كان الزمان التابع للحركة التابعة للجسم موصوفا بالاستدارة كان الجسم أولى بالاستدارة وقال تعالى { مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ

مِنْ تَفَاوُتِ { الْمَلِكِ 3 } وليس في السماء الا اجسام ما هو متشابه
 فأما التثليث والتربيع والتخميس والتسدیس وغير ذلك ففيها
 تفاوت واختلاف بالزوايا والاضلاع لا خلاف فيه ولا تفاوت اذ
 الاستدارة التي هي الجوانب وفي الحديث المشهور في سنن
 ابي داود وغيره عن جبير بن مطعم أن اعرابيا جاء الى النبي
 فقال يا رسول الله جهدت الأنفس وهلك المال وجاع العيال
 فاستسق لنا فانا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على الله فسبح
 رسول الله حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال
 ويحك ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه شأن الله أعظم من
 ذلك ان عرشه على سماواته هكذا وقال بيده مثل القبة وأنه
 يئط به أطيظ الرجل الجديد براكبه فأخبر النبي صلى
 الله عليه وسلم ان العرش على السماوات مثل القبة وهذا اشارة
 الى العلو والادارة وفي الصحيحين عن النبي قال اذا
 سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فانه أعلى الجنة وأوسط
 الجنة وسقفه عرش الرحمن والاوسط لا يكون أوسط الا في
 المستدير وقد قال اياس بن معاوية السماء على الارض مثل القبة
 والآثار في ذلك لا تحتملها الفتوى وانما كتبت هذا على عجل
 والحس مع العقل يدل على ذلك فانه مع تأمل دوران الكواكب
 القريبة من القطب في مدار ضيق حول القطب الشمالي ثم دوران
 الكواكب المتوسطة في السماء في مدار واسع وكيف يكون في
 أول الليل وفي آخره يعلم ذلك وكذلك من رأى حال الشمس
 وقت طلوعها واستوائها وغروبها في الاوقات الثلاثة على بعد
 واحد وشكل واحد ممن يكون على ظهر الارض علم أنها تجري
 في فلك مستدير وأنه لو كان مربعا لكانت وقت الاستواء أقرب
 الى من تحاذيه منها وقت الطلوع والغروب ودلائل هذا متعددة
 وأما من ادعى ما يخالف الكتاب والسنة فهو مبطل في ذلك وان
 زعم ان معه دليلا حسابيا وهذا كثير فيمن ينظر في الفلك
 وأحواله كدعوى جماعة من الجهال أنهم يغلب وقت طلوع
 الهلال لمعرفة وقت ظهوره بعد استساراه بمعرفة بعده عن

الشمس بعد مفارقتها وقت الغروب وضبطهم قوس الرؤية وهو الخط المعروض مستديرا قطعة من دائرة وقت الاستهلال فان هذه دعوى باطلة اتفق علماء الشريعة الاعلام على تحريم العمل بذلك فى الهلال واتفق أهل الحساب العقلاء على أن معرفة ظهور الهلال لا يضبط بالحساب ضبطا تاما قط ولذلك لم يتكلم فيه حذاق الحساب بل أنكروه وانما تكلم فيه قوم من متأخريهم تقريبا وذلك ضلال عن دين الله وتغيير له شبيهه بضلال اليهود والنصارى عما أمروا به من الهلال الى غاية الشمس وقت اجتماع القرصين الذى هو الاستسرار وليس بالشهور الهلالية ونحو ذلك و النسئء الذى كان فى العرب الذى هو زيادة فى الكفر الذى يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ما ذكر ذلك علماء الحديث والسير والتفسير وغيرهم وقد ثبت فى الصحيحين عن عمر عن النبى أنه قال أنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فمن أخذ علم الهلال الذى جعله الله مواقيت للناس والحج بالكتاب والحساب فهو فاسد العقل والدين والحساب اذا صح حسابه اكثر ما يمكنه ضبط المسافة التى بين الشمس والقمر وقت الغروب مثلا وهو الذى يسمى بعد القمر عن الشمس لكن كونه يرى لا محالة او لا يرى بحال لا يعلم بذلك فان الرؤية تختلف بعلو الأرض وانخفاضها وصفاء الجو وكدره وكذلك البصر وحدته ودوام التحديث وقصره وتصويب التحديق وخطأه وكثرة المترئين وقتهم وغلظ الهلال وقد لا يرى وقت فيزداد نورا ويخلص من الشعاع المانع من رؤيته فيرى حينئذ وكذلك لم يتفقوا على قوس واحد لرؤيته بل اضطربوا فيه كثيرا ولا أصل له وانما مرجعه الى العادة وليس لها ضابط حسابى فمنهم من ينقصه عن عشر درجات ومنهم من يزيد وفى الزيادة والنقص أقوال متقابلة من جنس أقوال من رام ضبط عدد التواتر الموجب لحصول العلم بالمخبر وليس له ضابط عددى اذ للعلم اسباب وراء العدد كما للرؤية وهذا كله اذا فسر الهلال

بما طلع في السماء وجعل وقت الغيم المطبق شكا اما اذا فسر الهلال بما استهله الناس وادركوه وظهر لهم واطهروا الصوت به اندفع هذا بكل تقدير والخلاف في ذلك مشهور بين العلماء في مذهب الامام أحمد وغيره والثاني قول الشافعي وغيره والله أعلم اما قول الأفلاك هل هي السموات أو غيرها ففي ذلك قولان معروفان للناس لكن الذين قالوا أن هذا هو هذا احتجوا بقوله تعالى { أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا } 15 { وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ

سِرَاجًا } 16 { نوح 15-16 قالوا فاخبر الله أن القمر في السموات وقد قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } الأنبياء 33 وقال تعالى { لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } يس 40 فأخبر في الآيتين أن القمر في الفلك

كما اخبر أنه في السموات ولأن الله أخبر انا نرى السموات بقوله { الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ } 3 { ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ } 4 { الملك 3-4 وقال { أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ } ق 6 وأمثال ذلك من النصوص الدالة على أن السماء مشاهدة والمشاهد هو الفلك فدل على أن أحدهما هو

الآخر وأما قول هل الشمس والقمر تحركان بدون الفلك ام حركتهما بحركة الفلك ففيه نزاع ايضا لكن جمهور الناس على أن حركتهما بحركة الفلك وأما قوله تعالى { كُلٌّ فِي

فَلَكَ يَسْبَحُونَ } الأنبياء 33 فلا يمنع أن يكون ما ذكره من أنهم يسبحون تابعا لحركة الفلك كما في الليل والنهار فان تعاقب الليل والنهار تابع لحركة غيرهما وقوله { كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } الأنبياء 33 يتناول الليل والنهار والشمس والقمر كما بين ذلك في سورة الانبياء وكذلك في سورة يس { وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ

مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ {37} وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا
 ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ {38} وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ
 كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ {39} لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا
 اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ {40} يس 40
 فتناول قوله { وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } يس 40 ما تقدم الليل
 والنهار والشمس كما ذكر في سورة الانبياء واذ كان أخبر عن
 الليل والنهار بما أخبر به من انهما يسبحان وذلك تابع لحركة
 غيرهما مثل ذلك ما اخبر به من انهما يسبحان وذلك تابع لحركة
 غيرهما مثل ذلك ما أخبر به من أن الشمس والقمر يسبحان تبعا
 للفلك وعلى ذلك أدلة ليس هذا موضع بسطها وليست
 السموات متصلة بالأرض لا على جبل قاف ولا غيره بل الافلاك
 مستديرة كما أخبر الله ورسوله وكما ذكر ذلك علماء المسلمين
 وغيرهم فذكر أبو الحسين بن المنادى وأبو محمد بن حزم وأبو
 الفرج بن الجوزى وغيرهم اجماع المسلمين على أن الافلاك
 مستديرة وقال ابن عباس في قوله { وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }
 {يس 40} قال في فلكه مثل فلكه المغزل والفلك في لغة العرب
 الشيء المستدير يقال تفلك ثدى الجارية اذا استدار وقد
 خلق الله سبع أرضين بعضهن فوق بعض كما ثبت في الصحاح
 عن النبي أنه قال من ظلم شبرا من الأرض طوقه من
 سبع أرضين يوم القيامة وقد ذكر ابو بكر الانباري الاجماع
 على ذلك واراد به اجماع أهل الحديث والسنة الليل والنهار
 الذى هو حاصل بالشمس هو تبع للسموات والارض لم يخلق هذا
 الليل وهذا النهار قبل هذه السموات والارض بل خلق هذا الليل
 وهذا النهار تبعا لهذه السموات والارض فان الله اذا اطلع الشمس
 حصل النهار واذا غابت حصل الليل فالنهار بظهورها والليل
 بغروبها فكيف يكون هذا الليل وهذا النهار قبل الشمس والشمس
 والقمر مخلوقان مع السموات والأرض وقد قال تعالى
 { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ

يَسْبَحُونَ {الأنبياء 33} وقال تعالى {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} يس 40 قال ابن عباس وغيره من السلف في فلكة مثل فلكة المغزل فقد أخبر تعالى أن الليل والنهار والشمس والقمر في الفلك والفلك هو السموات عند أكثر العلماء بدليل أن الله ذكر في هاتين الآيتين ان الشمس والقمر في الفلك وقال في موضع آخر {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا {15} وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا {16} نوح 15-16 فأخبر أنه جعل الشمس والقمر في السموات وقال تعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} الأنعام 1 بين أنه خلق السموات والأرض وأنه خلق الظلمات والنور لأن الجعل هو التصيير يقال جعل كذا اذا صيره فذكر أنه خلق السموات والأرض وأنه جعل الظلمات والنور لأن الظلمات والنور مجعولة من الشمس والقمر المخلوقة في السموات وليس الظلمات والنور والليل والنهار جسما قائما بنفسه ولكنه صفة و عرض قائم بغيره فالنور هو شعاع الشمس وضوءها الذي ينشره الله في الهواء وعلى الأرض وأما الظلمة في الليل فقد قيل هي كذلك وقيل هي أمر وجودي فهذا الليل وهذا النهار اللذان يختلفان علينا اللذان يولج الله أحدهما في الآخر فيولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخلف أحدهما الآخر يتعاقبان كما قال تعالى {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ} آل عمران 190 وقال تعالى {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ} يس 40 بين سبحانه أنه جعل لكل شيء قدرا واحدا لا يتعداه فالشمس لا ينبغى لها أن تدرك القمر وتلحقه بل لها مجرى قدره الله لها وللقمر مجرى قدره الله له كما قال تعالى {وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ} {37} وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا

ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ {38} وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَا مِنْ مَنَازِلِ حَتَّىٰ عَادَ
 كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ {39} يس 37-39 ثم قال { لَا الشَّمْسُ
 يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ } {40} يس 40
 أى لا يفوته ويتقدم امامه حتى يكون بينهما برزخ بل هو متصل
 به لا هذا يفصل عن هذا ولا هذا يفصل عن هذا { وَكُلٌّ فِي
 فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } {40} يس 40 فالمقصود أن هذا الليل وهذا
 النهار جعلهما الله تبعا لهذه السموات والارض ولكن كان قبل ان
 يخلق الله هذه السموات وهذه الارض وهذا النهار كان العرش
 على الماء كما قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
 فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ل } هود7 وخلق الله من
 بخار ذلك الماء هذه السموات وهو الدخان المذكور فى قوله
 تعالى { ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ
 ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ } {11} فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ
 سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ {12} فصلت 11- 12 وذلك لما كان الماء
 غامرا لتربة الارض وكانت الريح تهب على ذلك الماء فخلق الله
 هذه السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش فتلك
 الايام التى خلق الله تعالى فيها هذه وطلوع الشمس وزوالها
 وغروبها يكون بالمشرق قبل أن يكون بالمغرب فتطلع الشمس
 وتزول وتغرب على ارض الهند والصين والخط قبل أن يكون
 بأرض المغرب ويكون ذلك بأرض العراق قبل أن يكون بأرض
 الشام ويكون بأرض الشام قبل أن يكون بمصر وكل أهل بلد لهم
 حكم طلوعهم وزوالهم وغروبهم فاذا طلع الفجر ببلد دخل
 وقت الفجر ووجبت الصلاة والصوم عندهم وان لم يكن عند
 آخرين لكن يتفاوت ذلك تفاوتا يسيرا بين البلاد المتقاربة واما من
 كان فى أقصى المشرق وأقصى المغرب فيتفاوت بينهما تفاوتا
 كثيرا نحو نصف يوم كامل والله سبحانه قد اخبر بأن الشمس
 والقمر والليل والنهار كل ذلك يسبح فى الفلك فقال تعالى { وَهُوَ
 الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ

{ الأنبياء 33 وقال تعالى { لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ
وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } يس 40 و
الفلك هو المستدير كما ذكر ذلك من ذكره من الصحابة
والتابعين وغيرهم من علماء المسلمين والمستدير يظهر شيئاً بعد
شيء فيراه القريب منه قبل البعيد عنه والله أعلم¹⁷⁵

أخبر سبحانه بخلقه الزمان

قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي
فَلَكَ يَسْبَحُونَ } الأنبياء 33 وقد أخبر سبحانه بخلقه الزمان في
غير موضع كقوله { وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ } الأنعام 1 وقوله
{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ
شُكُوراً } الفرقان 62 وقوله { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ } آل عمران 190¹⁷⁶

فالاقسام التي في القرآن عامتها بالذوات الفاعلة و غير الفاعلة
يقسم بنفس الفعل كقوله { وَالصَّافَّاتِ صَفًّا } { 1 } فَالزَّاجِرَاتِ
زَجْرًا } { 2 } فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا } { 3 } الصَّافَّاتِ 1-3 و كقوله
{ وَالنَّازِعَاتِ } { النازعات 1 } وَالْمُرْسَلَاتِ { المرسلات 1 } و نحو
ذلك و هو سبحانه تارة يقسم بنفس المخلوقات و تارة بربها و
خالقها كقوله { فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } { الذاريات 23 } و
كقوله { وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى } { الليل 3 } و تارة يقسم بها و

¹⁷⁵ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 587-603

¹⁷⁶ الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 344 و مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 492

بربها وفى هذه السورة أقسم بمخلوق و بفعله و أقسم بمخلوق دون فعله فاقسم بفاعله فإنه قال { وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا } {1} وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا } {2} وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا } {3} وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا } {4} الشمس 1-4 فاقسم بالشمس و القمر و الليل و النهار و آثارها و أفعالها كما فرق بينهما في قوله { وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ } فصلت 37 و قال { **كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** } {الأنبياء 33} فإنه بأفعال هذه الأمور و آثارها تقوم مصالحي بني آدم و سائر الحيوان¹⁷⁷

و معلوم أن الشمس لا تزال في الفلك كما أخبر الله تعالى بقوله { **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** } {الأنبياء 33} فهي لا تزال تسبح في الفلك وهي تسجد لله وتستأذنه كل ليلة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم فهي تسجد سجودا يناسبها وتخضع له وتخضع كما يخضع ويخضع كل ساجد من الملائكة والجن والإنس¹⁷⁸

موت النفس فراقها للبدن ليست في نفسها ميتة

قال تعالى { **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مَّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ** } {34} **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فَنْتَنَاءُ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** } {35} {الأنبياء 34-35} فالقلب إذا كان حيا فمات الإنسان بفراق روحه بدنه كان موت النفس فراقها للبدن ليست في نفسها ميتة بمعنى زوال حياتها عنها ولهذا قال تعالى { **وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءُ وَلَكِن لَّا**

¹⁷⁷ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 228-229

¹⁷⁸ رسالة في قنوت الأشياء ج: 1 ص: 37

تَشْعُرُونَ { البقرة 154 وقال تعالى { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ { آل عمران 169 مع انهم موتى داخلون فى قوله { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ { الأنبياء 35 وفى قوله { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ { الزمر 30 وقوله { وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ { الحج 66 فالموت المثبت غير الموت المنفى المثبت هو فراق الروح البدن والمنفى زوال الحياة بالجملة عن الروح والبدن وهذا كما ان النوم اخو الموت فيسمى وفاة ويسمى موتا وان كانت الحياة موجودة فيهما قال الله تعالى { اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ { الزمر 42 وكان النبى إذ استيقظ من منامه يقول الحمد لله الذى أحيانا بعد ما اماتنا وإليه النشور وفى حديث آخر الحمد لله الذى رد على روحى وعافانى فى جسدى وأذن لى بذكره وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا وإذا أوى إلى فراشه يقول اللهم انت خلقت نفسى وأنت توفاهها لك مماتها ومحياها إن امسكتها فارحمها وان ارسلتها فاحفظها لما تحفظ به عبادك الصالحين ويقول باسمك اللهم اموت واحيا¹⁷⁹

قوله { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ { الأنبياء 35 فان ذوق الميت يختلف اختلافا متباينا لكن هذا الاختلاف لا دلالة للفظ عليه فلم يمنع من الاشتراك الذى دل عليه العموم¹⁸⁰

¹⁷⁹ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 110-111

¹⁸⁰ مجموع الفتاوى ج: 31 ص: 171

{ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً } أَي بِالسَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ

قال تعالى { وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مَّتَّ فَهُمُ
الْخَالِدُونَ } {34} كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً
وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } {35} {الأنبياء 34-35} فقوله تعالى { وَإِن
ثُصِّبْتُمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِن تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا
هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ حَدِيثًا } {78} { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ
سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ } {79} {النساء 78-79} ليس المراد بالحسنات
والسيئات في هذه الآية الطاعة والمعاصي وذلك أن الحسنات
والسيئات في الآية المراد بها المسار والمضار دون الطاعات
والمعاصي كما في قوله تعالى { وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } {الأعراف 168} وهو الشر والخير في قوله {
وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً } {الأنبياء 35} وكذلك قوله { إِن
تَمَسَّسْتُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِن تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبُوا
وَتَتَّقُوا لَا يَضْرُوكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا } {آل عمران 120} وقوله
تعالى { وَلَئِن أَدَقْنَا نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ
عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ } {هود 10} وقوله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي
قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ
يَضُرَّرُونَ } {94} { ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ
مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَعْتَةً وَهُمْ لَا
يَسْعُرُونَ } {95} {الأعراف 94-95} ¹⁸¹

وكقوله {إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلٍ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ} {50} قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

الْمُؤْمِنُونَ} {51} التوبة 50- 51 الآية كما قال تعالى { وَتَبَلُّوكم

بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً {الأنبياء 35} اي بالنعمة والمصائب وهذا بخلاف قوله {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا} {الأنعام 160} وأمثال ذلك فان المراد بها الطاعة والمعصية وفي كل موضع ما يبين المراد باللفظ فليس في القرآن العزيز بحمد الله تعالى اشكال بل هو مبين وذلك انه اذا قال ما اصابك وما مسك ونحو ذلك كان من فعل غيرك بك كما قال {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} {النساء 79} وكما قال تعالى {إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ} {50} التوبة 50 وقال تعالى {وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} {الشورى 48}

وإذا قال {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ} {الأنعام 160} كانت من فعله لانه هو الجائى بها فهذا يكون فيما فعله العبد لا فيما فعل به¹⁸²

الله يبتلى بالخلو والمر

قال تعالى { وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ} {34} {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} {35} {الأنبياء 34-35} وقوله {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} {النساء 79} فقد دخل في ذلك نعم الدنيا كلها كالعافية والرزق والنصر وتلك حسنات يبتلى الله العبد بها كما يبتليه بالمصائب هل شكر أم لا وهل يصبر أم لا كما قال تعالى

¹⁸²مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 117

{وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ {الأعراف168 وقال
{وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فَنَتَنَّهُ {الأنبياء35 {فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا
ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ {15} وَأَمَّا إِذَا مَا
ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ {16} {الفجر15-16
الآيات¹⁸³

فإن الله يبتلي بالحلو والمر كما قال تعالى { **وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ**
وَالْخَيْرِ فَنَتَنَّهُ وَإِنَّا تَرَجِعُونَ {الأنبياء35 وقال { **وَبَلَّوْنَاهُمْ**
بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ {الأعراف168 فمن
ابتلاه الله بالمر بالبأساء والضراء والبأس وقدر عليه رزقه فليس
ذلك إهانة له بل هو ابتلاء فإن أطاع الله في ذلك كان سعيدا وإن
عصاه في ذلك كان شقيا كما كان مثل ذلك سببا للسعادة في حق
الأنبياء والمؤمنين وكان شقاء وسببا للشقاء في حق الكفار
والمجرمين وقال تعالى { **وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ**
وَجِبِينَ الْبَأْسِ {البقرة177 وقال تعالى { **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا**
الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ
وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا {البقرة214 { **وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ**
مُنافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ
نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرْثُونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ
{التوبة101 وقال تعالى { **وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ**
الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ {السجدة21 وقال تعالى { **وَلَقَدْ**
أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكْبَرُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ
{المؤمنون76 وكما أن الحسنات وهي المسار الظاهرة التي
يبتلي بها العبد تكون عن طاعات فعلها العبد فكذلك السيئات وهي

¹⁸³مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 100

المكاره التي يبتلي بها العبد تكون عن معاصي فعلها العبد كما قال تعالى { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ } النساء 79 وقال تعالى { أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ } آل عمران 165 وقال تعالى { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } الشورى 30 وقال تعالى { فَكَيْفَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ } النساء 62 وقال تعالى { وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ } الشورى 48 ثم تلك المسار التي هي من ثواب طاعته إذا عصي الله فيها كانت سببا لعذابه والمكاره التي هي عقوبة معصيته إذا أطاع الله فيها كانت سببا لسعادته فتدبر هذا لتعلم أن الأعمال بخواتيمها وأن ما ظاهره نعمة هو لذة عاجلة قد تكون سببا للعذاب وما ظاهره عذاب وهو ألم عاجل قد يكون سببا للنعيم وما هو طاعه فيما يري الناس قد يكون سببا لهلاك العبد برجوعه عن الطاعة إذا ابتلي في هذه الطاعة وما هو معصية فيما يري الناس قد يكون سببا لسعادة العبد بتوبته منه وتصبره على المصيبة التي هي عقوبة ذلك الذنب فالأمر والنهي يتعلق بالشيء الحاصل فيؤمر العبد بالطاعة مطلقا وينهي عن المعصية مطلقا ويؤمر بالشكر على كل ما يتنعم به وأما القضاء والقدر وهو علم الله وكتابه وما طابق ذلك من مشيئته وخلقه فهو باعتبار الحقيقة الأجلة فالأعمال بخواتيمها والمنعم عليهم في الحقيقة هم الذين يموتون على الإيمان¹⁸⁴

قال تعالى { وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ } {34} { كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ

¹⁸⁴قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 169

وَأَلَيْنَا تُرْجَعُونَ {35} {الأنبياء 34-35} فأما من لا يصبر على
 البلاء ولا يشكر على الرخاء فلا يلزم أن يكون القضاء خيرا له
 ولهذا أحببت من أورد على هذا بما يقضى على المؤمن من
 المعاصي بجوابين أحدهما أن هذا إنما يتناول ما أصاب العبد لا
 ما فعله العبد كما قال الأنبياء ونبلوكم بالشر والخير فتنة¹⁸⁵

الإستهزاء بالرسول كفر

قال تعالى { وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا
 الَّذِي يَذَّكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ } {الأنبياء 36
 في الكلام على قوله { قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ
 {65} لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } {66} التوبة 65-66
 تدل على أن الإستهزاء بالله كفر وبالرسول كفر من جهة
 الإستهزاء بالله وحده كفر بالضرورة فلم يكن ذكر الآيات
 والرسول شرطا فعلم أن الإستهزاء بالرسول كفر وإلا لم يكن
 لذكره فائدة وكذلك الآيات و أيضا فالإستهزاء بهذه
 الأمور متلازم والضالون مستخفون بتوحيد الله تعالى دعاء غيره
 من الأموات وإذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا به
 كما قال تعالى { وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي
 بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا } {الفرقان 41} الآية فاستهزأوا بالرسول لما نهاهم
 عن الشرك وما زال المشركون يسبون الأنبياء ويصفونهم
 بالسفاهة والضلال والجنون إذا دعواهم إلى التوحيد لما في
 أنفسهم من عظيم الشرك وهكذا تجد من فيه شبه منهم إذا رأى
 من يدعو إلى التوحيد استهزأ بذلك لما عنده من الشرك قال الله
 تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ

¹⁸⁵ التحفة العراقية ج: 1 ص: 57

الله { البقرة 165 فمن أحب مخلوقاً مثل ما يحب الله فهو مشرك
 ويجب الفرق بين الحب في الله والحب مع الله فهو لاء الذين
 اتخذوا القبور أوثاناً تجدهم يستهزئون بما هو من توحيد الله
 وعبادته ويعظمون ما اتخذوه من دون الله شفعاء ويحلف أحدهم
 اليمين الغموس كاذباً ولا يجترىء أن يحلف بشيخه كاذباً
 وكثير من طوائف متعددة ترى أحدهم يرى أن استغاثته بالشيخ
 إما عند قبره أو غير قبره أنفع له من أن يدعو الله في المسجد
 عند السحر ويستهزىء بمن يعدل عن طريقته إلى التوحيد وكثير
 منهم يخربون المساجد ويعمرون المشاهد فهل هذا إلا من
 استخفافهم بالله وبآياته ورسوله وتعظيمهم للشرك وإذا كان
 لهذا وقف كان وقف الشرك أعظم عندهم مضاهات لمشركي
 العرب الذين ذكروهم الله في قوله { وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ
 الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا } الأنعام 136 الآية فيفضلون ما يجعل
 لغير الله على ما يجعل لله ويقولون الله غني وأهتنا فقيرة
 وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه يبكي عنده ويخشع
 ويتضرع ما لا يحصل له مثله في الجمعة والصلوات الخمس
 وقيام الليل فهل هذا إلا من حال المشركين لا الموحدين ومثل هذا
 أنه إذا سمع أحدهم سماع الآيات حصل له من الخشوع
 والحضور ما لا يحصل له عند الآيات بل يستقلونها ويستهزئون
 بها وبمن يقرؤها مما حصل لهم به أعظم نصيب من قوله { قُلْ
 أِبَالَهُمْ وَعَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ } التوبة 65 والذين يجعلون
 دعاء الموتى أفضل من دعاء الله منهم من يحكي أن بعض
 المريدين استغاث بالله فلم يغثه واستغاث بشيخه فأغاثه وأن
 بعض المأسورين دعا الله فلم يخرجهم فدعا بعض الموتى فجاءه
 فأخرجه إلى بلاد الإسلام وآخر قال قبر فلان الترياق المجرب
 ومنهم من إذا نزل به شدة لا يدعو إلا شيخه قد لهج به كما يلهج
 الصبي بذكر أمه وقد قال تعالى للموحدين { فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ
 فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا } البقرة 200 وقد قال

شعيب { قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ { هود 92 وقال
تعالى { لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ { الحشر 13¹⁸⁶

جهال العوام المبتدعين يجعلون من قال الحق في المخلوق سباباً له شاتماً وهم يسبون الله ويشتمونه

جهال العوام المبتدعين المضاهين للمشركين والنصارى فإنهم
يجعلون من قال الحق في المخلوق سباباً له شاتماً وهم يسبون الله
ويشتمونه ويؤذونه ولا يخافون من سب الخالق وشتمه وأشرك
به ما يخافونه من قول الحق في حق المخلوق كما قال الخليل لهم
{ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ
يُنزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ { 81 } الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ
الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ { 82 } الانعام 81-82 وكما قال تعالى عن
المشركين { وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا
الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ { الأنبياء 36
فلا يغضبون من ذكر الرحمن بالباطل كما يغضبون من ذكر
آلهتهم بالحق وقال تعالى { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ
وَكَلامُهُ ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا
ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد
له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكياً { 171 } لَنْ
يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ { 172 } النساء 171-172
وقد ذكر أهل التفسير أن النصارى نصارى نجران لما قدموا
على النبي قالوا يا محمد لم تذكر صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا

¹⁸⁶مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 48-50

عيسى قال وأى شيء أقول له هو عبد الله قالوا بل هو الله فقال إنه ليس بعار عليه أن يكون عبدا لله فقالوا بلى فأنزل الله هذه الآية وفي الصحيحين عن النبي قال ما أحد اصبر على أذى يسمعه من الله يجعلون له ولدا وشريكا وهو يعافيه ويرزقهم وفي الصحيحين أيضا أنه قال يقول الله شتمة ابن آدم وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك فأما شتمة إياي فقول إني اتخذت ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد وأما تكذيبه إياي فقول لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون على من إعادته وكان معاذ بن جبل يقول عن النصارى لا ترجموهم فلقد سبوا الله مسبة ما سبه إياها أحد من البشر فهؤلاء ينتقصون الخالق ويأنفون أن يذكر المخلوق بما يستحقه ويجعلون ذلك تنقيصا له وإنما هو إعطاؤه حقه وخفض له عن درجة الإلهية التي لا يستحقها إلا الله وهذه حال من أشبههم من بعض الوجوه ومنها ظنه أن كل ما كان قرابة جاز التوسل إليه بكل وسيلة¹⁸⁷

الله سبحانه خلق نفس الإنسان متحركة بالطبع حركة لا بد فيها من الشر لحكمة بالغة ورحمة سابعة

قال الله تعالى { خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ } { الأنبياء 37 } فله الحمد على كل حال لأنه لا يفعل إلا الخير والإحسان الذي يستحق الحمد عليه سبحانه وتعالى وإن كان العباد لا يعلمون وهو سبحانه خلق الإنسان وخلق نفسه متحركة بالطبع حركة لا بد فيها من الشر لحكمة بالغة ورحمة سابعة فإذا قيل فلم يخلقها على غير هذا الوجه

¹⁸⁷مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 239-240

قيل كان يكون ذلك خلقا غير الإنسان وكانت الحكمة التي خلقها
 بخلق الانسان لا تحصل وهذا سؤال الملائكة حيث قالوا {
 أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ
 وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } البقرة 30 فعلم من الحكمة
 في خلق هذا ما لم تعلمه الملائكة فكيف يعلمه آحاد الناس
 ونفس الإنسان خلقت كما قال تعالى { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ
 هَلُوعاً } 19 { إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً } 20 { وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ
 مَنُوعاً } 21 { المعارج 19-21 وقال الله تعالى { خُلِقَ الْإِنْسَانُ
 مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ } الأنبياء 37 فقد
 خلقت خلقه تستلزم وجود ما وجد منها لحكمة عظيمة ورحمة
 عميمة فكان ذلك خيرا ورحمة وإن كان فيه شر إضافي كما تقدم
 فهذا من جهة الغاية مع أنه لا يضاف الشر إلى الله وأما
 الوجه الثاني من جهة السبب فإن هذا الشر إنما وجد لعدم العلم
 والإرادة التي تصلح النفس فإنها خلقت بفطرتها تقتضي معرفة
 الله ومحبته وقد هديت إلى علوم وأعمال تعينها على ذلك وهذا
 كله من فضل الله وإحسانه لكن النفس المذنبة لما لم يحصل لها
 من يكملها بل حصل لها من زين لها السيئات من شياطين الانس
 والجن مالت إلى ذلك وفعلت السيئات فكان فعلها للسيئات مركبا
 من عدم ما ينفع وهو الأصل ووجود هؤلاء الذين خيروها والعدم
 لا يضاف إلى الله وهؤلاء القول فيهم كالقول فيها خلقهم
 لحكمة فلما كان عدم ما تعمل به وتصلح هو أحد السببين
 وكان الشر المحض الذي لا خير فيه هو العدم المحض والعدم لا
 يضاف إلى الله فإنه ليس شيئا والله خالق كل شيء كانت السيئات
 منها باعتبار ذاتها في نفسها مستلزمة للحركات الإرادية التي
 تحصل منها عدم مع ما يصلحها تلك السيئات والعبد إذا اعترف
 أن الله خالق افعاله فإن اعترفه إقرارا بخلق الله لكل شيء و
 بكلماته التامات و اعترافا بفقره إليه و أنه أن لم يهده فهو ضال

فحضع لعزته و حكمته فهذا حال المؤمنين و إن إعترف إحتجاجا
بالقدر فهذا الذنب أعظم من الأول و هذا من أتباع الشيطان¹⁸⁸

صفات الكمال لا تصلح على وجه الكمال الا لله وحده

قال تعالى { وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }
{ الأنبياء 38 } صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة العلم والقدرة
والغنى وان شئت ان تقول العلم والقدرة والقدرة إما على الفعل
وهو التأثير وإما على الترك وهو الغنى والأول اجود وهذه
الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال الا لله وحده فانه الذي احاط
بكل شىء علما وهو على كل شىء قدير وهو غنى عن العالمين
وقد امر الرسول ان يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله { قُلْ لَا
أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ
إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ } { الأنعام 50 } وكذلك قال نوح عليه
السلام { وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ
إِنِّي مَلَكٌ } { هود 31 } فهذا أول أولى العزم وأول رسول بعثه الله
تعالى إلى أهل الأرض وهذا خاتم الرسل وخاتم اولى العزم
كلاهما يتبرأ من ذلك وهذا لأنهم يطالبون الرسول تارة بعلم
الغيب كقوله قال تعالى { وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ } { الأنبياء 38 } و { يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ
إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي } { الأعراف 187 } وتارة بالتأثير كقوله {
وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا } { 90 } أو
تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا
تَفْجِيرًا } { 91 } أو تُسْقِطُ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتِ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي

¹⁸⁸الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 80 و مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 315 و
مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 214

بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا {92} أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى
 فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى نُنزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ
 سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا {93} {الإسراء 90-93
 وتارة يعييبون عليه الحاجة البشرية كقوله { وَقَالُوا مَالِ هَذَا
 الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ
 فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا {7} أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ
 مِنْهَا {8} {الفرقان 7-8} فأمره ان يخبر انه لا يعلم الغيب ولا يملك
 خزائن الله ولا هو ملك غنى عن الاكل والمال إن هو الا متبع لما
 اوحى اليه واتباع ما اوحى اليه هو الدين وهو طاعة الله وعبادته
 علما وعملا بالباطن والظاهر وانما ينال من تلك الثلاثة بقدر
 ما يعطيه الله تعالى فيعلم منه ما علمه اياه ويقدر منه على ما
 اقدره الله عليه ويستغنى عما اغناه الله عنه من الامور المخالفة
 للعادة المطردة او لعادة غالب الناس¹⁸⁹

الله سبحانه علق الثواب والعقاب والحمد والذم بالإيمان به وتوحيده وطاعته

قال تعالى { لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمْ
 النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ } {39} بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً
 فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَبْطِعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ } {40} وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ
 بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِئُونَ } {41} قُلْ مَن يَكْلُؤْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ
 عَن ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ } {42} أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّن دُونِنَا لَا
 يَسْتَبْطِعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ } {43} بَلْ مَتَّعْنَا
 هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي

¹⁸⁹مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 312- 313

الأَرْضَ نَنْقُصَهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْعَالِبُونَ {44} الأنبياء 39-44
 فى الحديث الصحيح عن النبى أنه قال يقول الله تعالى أنا عند
 ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى إن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى
 نفسى وإن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منهم وإن تقرب
 إلى شيراً تقربت منه ذراعاً وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت منه
 باعاً وإن أتانى يمشى أتيته هرولة والله سبحانه يولى عباده
 إحساناً وجوداً وكرماً لا حاجة إليهم كما قال تعالى {وَقُلِ الْحَمْدُ
 لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ
 مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا} {الإسراء 111} ولا يحاسب العباد إلا
 هو وحده وهو الذى يجازيهم بأعمالهم {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
 خَيْرًا يَرَهُ} {7} وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} {8} الزلزلة 7-8
 وهو الذى يرزقهم ويعافئهم وينصرهم ويهديهم لا أحد غيره يفعل
 ذلك قال تعالى { أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُونِ
 الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ} {20} {أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ
 إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُنُوٍّ وَنُفُورٍ} {21} الملك 20-21
 وقال تعالى {قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ
 عَن ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ} {الأنبياء 42} وأصح القولين فى الآية
 أن معناه من ذا الذى يكلوكم بدلاً من الله من الذى يدفع الآفات
 عنكم التى تخافونها من الإنس والجن¹⁹⁰

قال تعالى { لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَن وُجُوهِهِمْ
 النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} {39} بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً
 فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ} {40} وَلَقَدْ اسْتَهْزِئُ
 بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِئُونَ} {41} قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ

¹⁹⁰مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 372-374

عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ {42} {الأنبياء 39-42} وهو سبحانه علق الوعد والوعيد والثواب والعقاب والحمد والذم بالإيمان به وتوحيده وطاعته فمن كان أكمل في ذلك كان احق بتولى الله له بخير الدنيا والآخرة ثم جميع عبادته مسلمهم وكافرهم هو الذى يرزقهم وهو الذى يدفع عنهم المكاره وهو الذى يقصدونه فى النوائب قال تعالى { وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجَّارُونَ } {النحل 53} وقال تعالى { قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ } {الأنبياء 42} أى بدلا عن الرحمن هذا اصح القولين كقوله تعالى { وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ } {الزخرف 60} أى لجعلنا بدلا منكم كما قاله عامة المفسرين ومنه قول الشاعر فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردة باتت على طهيان أى بدلا من ماء زمزم فلا يكأ الخلق بالليل والنهار فيحفظهم ويدفع عنهم المكاره إلا الله قال تعالى { أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُم مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ } {20} { أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ } {21} {الملك 20-21} ¹⁹¹

القلب الحى المنور يسمع ويبصر ويعقل والقلب الميت

فإنه لا يسمع ولا يبصر

قال تعالى { قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ } {45} { وَلَئِن مَّسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ } {46} {الأنبياء 45-46} و العمل له أثر فى القلب من نفع وضر وصلاح قبل أثره فى الخارج فصلاحتها عدل لها وفسادها ظلم لها قال بعض السلف إن للحسنة لنورا فى القلب

¹⁹¹مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 441

وقوة في البدن وضياء في الوجه وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وإن للسيئة لظلمة في القلب وسوادا في الوجه ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبغضا في قلوب الخلق وأصل صلاح القلب هو حياته واستنارته لذلك ذكر الله حياة القلوب ونورها وموتها وظلمتها في غير موضع كقوله ياسين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وفي الحديث الصحيح مثل البيت يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه كمثل الحي والميت وفي الصحيح أيضا اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذها قبورا وفي الدعاء المأثور اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا والربيع هو المطر الذي ينزل من السماء فينبت به النبات قال النبي صلى الله عليه وسلم إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم والفصل الذي ينزل فيه أول المطر تسميه العرب الربيع لنزول المطر الذي ينبت الربيع فيه وغيرهم يسمى الربيع الفصل الذي يلي الشتاء فإن منه تخرج الأزهار التي تخلق منها الثمار وتنبت الأوراق على الأشجار والقلب الحي المنور فإنه لما فيه من النور يسمع ويبصر ويعقل والقلب الميت فإنه لا يسمع ولا يبصر قال تعالى { قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ } الأنبياء 45¹⁹²

سمع الحق يوجب قبوله ايجاب الاحساس بالحركة

وايجاب علم القلب

قال تعالى { قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ } {45} { وَلَئِن مَسَّئَهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ } {46} الأنبياء 45-46 أن المسمع وإن كان أصله نفس السمع الذي يشبه الإدراك لكن إذا كان المسموع طلبا

¹⁹²أمراض القلوب ج: 1 ص: 9

ففائدته وموجبه الاستجابة والقبول واذا كان المسموع خبراً
ففائدته التصديق والاعتقاد فصار يدخل مقصوده وفائدته في
مسماه نفيًا وإثباتًا فيقال فلان يسمع لفلان أى يطيعه فى أمره أو
يصدق فى خبره وفلان لا يسمع ما يقال له أى لا يصدق الخبر
ولا يطيع الأمر كما بين الله السمع عن الكفار فى غير موضع
كقوله { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ
وَنِدَاءَ } البقرة 171 وقوله { وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ
{ الأنبياء 45 وذلك لأن سمع الحق يوجب قبوله ايجاب
الاحساس الحركة وايجاب علم القلب حركة القلب فان الشعور
بالملائم يوجب الحركة اليه والشعور بالمنافر يوجب النفرة عنه
فحيث انتفى موجب ذلك دل على إنتفاء مبدئه ولهذا قال تعالى
{ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ } الأنعام 36
ولهذا جعل سمع الكفار بمنزلة سمع البهائم لأصوات الرعاة أى
يسمعون مجرد الأصوات سمع الحيوان لا يسمعون ما فيها من
تأليف الحروف المتضمنة للمعانى السمع الذى لا بد أن يكون
بالقلب مع الجسم¹⁹³

الانسان مضطر الى شرع فى حياته الدنيا

قال تعالى { قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا
مَا يُنذَرُونَ } الأنبياء 45

والانسان مضطر الى شرع فى حياته الدنيا فإنه لا بد له من
حركة يجلب بها منفعة وحركة يدفع بها مضرته والشرع هو
الذى يميز بين الأفعال التى تنفعه والأفعال التى تضره وهو عدل
الله فى خلقه ونوره بين عباده فلا يمكن الأدميين أن يعيشوا بلا

¹⁹³مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 195

شرع يميزون به بين ما يفعلونه ويتركونه وليس المراد بالشرع مجرد العدل بين الناس في معاملاتهم بل الانسان المنفرد لا بد له من فعل وترك فإن الانسان همام حارث كما قال النبي أصدق الأسماء حارث وهمام وهو معنى قولهم متحرك بالارادات فإذا كان له إرادة فهو متحرك بها ولا بد أن يعرف ما يريد هل هو نافع له أو ضار وهل يصلحه أو يفسده وهذا قد يعرف بعضه الناس بفطرتهم كما يعرفون انتفاعهم بالأكل والشرب وكما يعرفون ما يعرفون من العلوم الضرورية بفطرتهم وبعضهم يعرفونه بالإستدلال الذي يهتدون به بعقولهم وبعضه لا يعرفونه إلا بتعريف الرسل وبيانهم لهم وهدايتهم لهم وفي هذا المقام تكلم الناس في أن الأفعال هل يعرف حسننها وقبيحها بالعقل أم ليس لها حسن ولا قبيح يعرف بالعقل كما قد بسط في غير هذا الموضوع وبيننا ما وقع في هذا الموضوع من الاشتباه فإنهم اتفقوا على أن كون الفعل يلائم الفاعل أو ينافره يعلم بالعقل وهو أن يكون الفعل سببا لما يحبه الفاعل ويلتذ به وسببا لما يبغضه ويؤذيه وهذا القدر يعلم بالعقل تارة وبالشرع أخرى وبهما جميعا أخرى لكن معرفة ذلك على وجه التفصيل ومعرفة الغاية التي تكون عاقبة الأفعال من السعادة والشقاوة في الدار الآخرة لا تعرف الا بالشرع فما أخبرت به الرسل من تفاصيل اليوم الآخر وأمرت به من تفاصيل الشرائع لا يعلمه الناس بعقولهم كما أن ما أخبرت به الرسل من تفاصيل أسماء الله وصفاته لا يعلمه الناس بعقولهم وان كانوا قد يعلمون بعقولهم جمل ذلك وهذا التفصيل الذي يحصل به الايمان وجاء به الكتاب هو ما دل عليه قوله تعالى {قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ}

{ الأنبياء 45¹⁹⁴

" كل من عمل سوءا فهو جاهل "

قال تعالى { قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ } {45} وَلَئِن مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ } {46} الأنبياء 45-46 قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءا فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازا وإن لم يكن كل من ترك شيئا من الأعمال كافرا أو خارجا عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء ولهذا يسمي الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتى وعميا وصما وبكما وضالين وجاهلين ويصفهم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون ويصف المؤمنين بأولي الألباب والنهي وأنهم مهتدون وأن لهم نورا وأنهم يسمعون ويعقلون¹⁹⁵

{ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ }

قال تعالى { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } {الأنبياء 47} وفى الصحيحين عن النبي أنه قال كلمتان

¹⁹⁵ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 78

خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال عن ساقى عبد الله بن مسعود لهما في الميزان أثقل من أحد وفي الترمذى وغيره حديث البطاقة وصحيحه الترمذى والحاكم وغيرهما في الرجل الذى يؤتى به فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر فيوضع فى كفة ويؤتى له ببطاقة و فيها شهادة أن لا اله الا الله قال النبى فطاشت السجلات وتقلت البطاقة وهذا وأمثاله مما يبين أن الاعمال توزن بموازين تبين بها رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس فهو ما به تبين العدل والمقصود بالوزن العدل كموازين الدنيا وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب¹⁹⁶

وقال تعالى { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ } الأنبياء 47 ان الله سبحانه مقدس منزه ان يظلم احدا كما قال { وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } الكهف 49 وقد أمر عباده ان يكونوا قوامين بالقسط وقال { أَفَمَنْ هُوَ قَانِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ } الرعد 33 فهو يقوم عليها بكسبها لا بكسب غيرها وهذا من قيامه بالقسط وقال تعالى { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ } الأنبياء 47 وايضا فمن قيامه بالقسط وقيامه على كل نفس بما كسبت انه لا يظلم مثقال ذرة كما قال { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ } الزلزلة 7 الى اخرها¹⁹⁷

¹⁹⁶ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 302

¹⁹⁷ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 182

أن سائر أهل السنة الذين يقرون بالقدر ليس فيهم من يقول إن الله تعالى ليس بعدل ولا من يقول إنه ليس بحكيم ولا فيهم من يقول إنه يجوز أن يترك واجبا ولا أن يفعل قبيحا فليس في المسلمين من يتكلم بمثل هذا الكلام الذي أطلقه ومن أطلقه كان كافرا مباح الدم باتفاق المسلمين ولكن هذه مسألة القدر والنزاع فيها معروف بين المسلمين فأما نفاة القدر كالمعتزلة ونحوهم فقولهم هو الذي ذهب إليه متأخرو الإمامية وأما المثبتون للقدر وهو جمهور الأمة وأئمتها كالصحابية والتابعين لهم بإحسان وأهل البيت وغيرهم فهؤلاء تنازعوا في تفسير عدل الله وحكمته والظلم الذي يجب تنزيهه عنه وفي تعليل أفعاله وأحكامه ونحو ذلك فقالت طائفة إن الظلم ممتنع منه غير مقدر وهو محال لذاته كالجمع بين النقيضين وإن كل ممكن مقدر فليس هو ظلما وهؤلاء هم الذين قصدوا الرد عليهم وهؤلاء يقولون إنه لو عذب المطيعين ونعم العصاة لم يكن ظلما وقالوا الظلم التصرف فيما ليس له والله تعالى له كل شيء أو هو مخالفة الأمر والله لا أمر له وهذا قول كثير من أهل الكلام المثبتين للقدر ومن وافقهم من الفقهاء أصحاب الأئمة الأربعة وقال طائفة بل الظلم مقدر ممكن والله تعالى منزه لا يفعله لعدله ولهذا مدح الله نفسه حيث أخبر أنه لا يظلم الناس شيئا والمدح إنما يكون بترك المقدر عليه لا بترك الممتنع قالوا وقد قال تعالى { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا } طه 112 قالوا الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره والهضم أن يهضم حسناته وقال تعالى { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ } 100 { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيبٍ } 101 { هود 100-

101 فأخبر أنه لم يظلمهم لما أهلكهم بل أهلكهم بذنوبهم وقال تعالى { وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } الزمر 69 فدل على أن القضاء بينهم بغير القسط ظلم

والله منزله عنه وقال تعالى { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ
الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا
وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ } الأنبياء 47 أي لا تنقص من حسناتها ولا
تعاقب بغير سيئاتها فدل على أن ذلك ظلم ينزه الله عنه وقال
تعالى { قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ {28} مَا
يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ {29} ق 28- 29 وإنما نزه
نفسه عن أمر يقدر عليه لا عن الممتنع لنفسه ومثل هذا في
القرآن في غير موضع مما يبين أن الله ينتصف من العباد
ويقضي بينهم بالعدل وأن القضاء بينهم بغير العدل ظلم ينزه الله
عنه وأنه لا يحمل على أحد ذنب غيره وقال تعالى { وَلَا
تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ } الأنعام 164 فإن ذلك ينزه الله عنه بل
لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقد ثبت في الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يقول يا عبادي إني
حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا فقد
حرم على نفسه الظلم كما كتب على نفسه الرحمة في قوله {
كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } الأنعام 54 وفي الحديث الصحيح
لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو موضوع عنده فوق
العرش إن رحمتي غلبت غضبي والأمر الذي كتبه الله على نفسه
أو حرمه على نفسه لا يكون إلا مقدوراً له سبحانه فالممتنع لنفسه
لا يكتبه على نفسه ولا يحرمه على نفسه وهذا القول قول
أكثر أهل السنة والمثبتين للقدر من أهل الحديث والتفسير والفقهاء
والكلام والتصوف من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم¹⁹⁸

لطائف لغوية

¹⁹⁸ منهاج السنة النبوية ج: 1 ص: 135

1- قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } الأنبياء 33 ولفظ الفلك يدل على الاستدارة مطلقا كقوله تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } الأنبياء 33 وقوله تعالى { لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } يس 40 يقتضى أنها فى فلك مستدير مطلقا كما قال ابن عباس رضى الله عنهما فى فلكة مثل فلكة المغزل¹⁹⁹

2- قال تعالى { وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مَّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ } الأنبياء 34 قوله تعالى { أَفَإِن مَّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ } الأنبياء 34 تقدم الاستفهام فى أول الجملة فى الجملة الشرطية { وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ } الأنبياء 34 فلم يحتج إلى ذكره ثانية بل ذكره يفسد الكلام و مثله قوله { أَفَإِن مَّتَّ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ } آل عمران 144 و قوله { أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ } البقرة 87 و قوله { أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ } البقرة 100 و هذا من فصيح الكلام و بليغه²⁰⁰

3- قال تعالى { وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مَّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ } {34} كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فَنُنَّا

¹⁹⁹ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 557

²⁰⁰ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 422-423

وَالْيَنَّا تُرْجَعُونَ {35} الأنبياء 34-35 وَنَبَلُّوكم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً
أي بالسراء والضراء²⁰¹

4- قال تعالى { وَلَئِن مَّسَّئَهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا
إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ } الأنبياء 46 وهذه اللام الأولى تسمى اللام
الموطئة للقسم واللام الثانية تسمى لام جواب القسم والكلام إذا
اجتمع فيه شرط وقسم وقدم القسم سد جواب القسم مسد جواب
الشرط والقسم²⁰²

²⁰¹أمراض القلوب ج: 1 ص: 57

²⁰²الجواب الصحيح ج: 2 ص: 121

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا
لِّلْمُتَّقِينَ {48} الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّن
السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ {49} وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ
مُنْكَرُونَ {50} وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلِ وَكُنَّا بِهِ
عَالِمِينَ {51} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي
أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ {52} قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا
عَابِدِينَ {53} قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ {54} قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ {55}
قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا
عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ {56} وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ
أَنْ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ {57} فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ
إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ {58} قَالُوا مِن فَعَلٍ هَذَا بِالْهَيْتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ
الظَّالِمِينَ {59} قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ
إِبْرَاهِيمُ {60} قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَشْهَدُونَ {61} قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا
إِبْرَاهِيمُ {62} قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا
يَنْطِقُونَ {63} فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ
الظَّالِمُونَ {64} ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا
هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ {65} قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ {66} أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ {67} قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ {68} قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ

إِبْرَاهِيمَ {69} وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ {70}
وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
لِلْعَالَمِينَ {71} وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا
جَعَلْنَا صَالِحِينَ {72} وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا
وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ
وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ {73} وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا
وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا
قَوْمَ سَوْءٍ فَاسْقِينَ {74} وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ
الصَّالِحِينَ {75} وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ {76} وَنَصَرْنَاهُ مِنَ
الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ
أَجْمَعِينَ {77}

قيل الفرقان هو التوراة وقيل هو الحكم بنصره على
فرعون

قال تعالى { **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا**
لِّلْمُتَّقِينَ {الانبياء 48} قيل الفرقان هو التوراة وقيل هو الحكم
 بنصره على فرعون كما في قوله { **إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا**
أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ {الأنفال 41} وكذلك قوله { **قَدْ**
جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ {المائدة 15} قيل النور
 هو محمد عليه الصلاة والسلام وقيل هو الإسلام
 وقوله { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ**
نُورًا مُّبِينًا {النساء 174} قيل البرهان هو محمد وقيل هو
 الحجة والدليل وقيل القرآن والحجة والدليل تتناول الآيات التي
 بعث بها محمد لكنه هناك جاء بلفظ آتينا وجاءكم وهنا قال
 { **وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ {آل عمران 4}** جاء بلفظ الانزال فلماذا شاع
 بينهم أن القرآن والبرهان يحصل بالعلم والبيان كما حصل

بالقرآن ويحصل بالنظر والتمييز بين أهل الحق والباطل بأن
ينجى هؤلاء وينصرهم ويعذب هؤلاء فيكون قد فرق بين
الطائفتين كما يفرق المفرق بين أولياء الله وأعدائه بالاحسان الى
هؤلاء وعقوبة هؤلاء وهذا كقوله في القرآن في قوله { إِنْ
كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّنْفِي
الْجَمْعَانِ } الأنفال 41 قال الوالبي عن ابن عباس يوم الفرقان
يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل قال ابن أبي حاتم
وروى عن مجاهد ومقسم وعبيدالله بن عبدالله والضحاك وقتادة
ومقاتل بن حيان نحو ذلك²⁰³

نهى الله عن خشية الظالم وأمر بخشيته

قال تعالى { الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ
{ الأنبياء 49} فلا يزول فقر العبد وفاقته إلا بالتوحيد فإنه لا بد له
منه وإذا لم يحصل له لم يزل فقيرا محتاجا معذبا في طلب ما لم
يحصل له والله تعالى { لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ } النساء 48 وإذا
حصل مع التوحيد الإستغفار حصل له غناه وسعادته وزال عنه
ما يعذبه ولا حول ولا قوة إلا بالله والعبد مفتقر دائما الى
التوكل على الله والإستعانة به كما هو مفتقر الى عبادته فلا بد أن
يشهد دائما فقره الى الله وحاجته في أن يكون معبودا له وأن
يكون معينا له فلا حول ولا قوة إلا بالله ولا ملجأ من الله إلا اليه
قال تعالى { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ } آل
عمران 175 فدللت الآية على أن الشيطان يجعل أولياءه مخوفين
ويجعل ناسا خائفين منهم ودلت الآية على أن المؤمن لا يجوز
له أن يخاف أولياء الشيطان ولا يخاف الناس كما قال { فَلَا

²⁰³مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 11

تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُونَ} المائدة:44 فخوف الله أمر به وخوف أولياء الشيطان نهى عنه قال تعالى { لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَآخِشُونِي } البقرة:150 فنهى عن خشية الظالم وأمر بخشيته وقال { الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا } الأحزاب:39 وقال تعالى { الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ } الأنبياء:49 وقال { فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ } النحل:51 و { وَإِيَّايَ فَاتَّقُونَ } البقرة:41 وبعض الناس يقول يارب إني أخافك وأخاف من لا يخافك فهذا كلام ساقط لا يجوز بل على العبد أن يخاف الله وحده ولا يخاف أحداً فإن من لا يخاف الله أذل من أن يخاف فإنه ظالم وهو من أولياء الشيطان فالخوف منه قد نهى الله عنه وإذا قيل قد يؤذيني قيل إنما يؤذيك بتسليط الله له وإذا أراد الله دفع شره عنك دفعه فالأمر لله وإنما يسلط على العبد بذنوبه وأنت إذا خفت الله فاتقيته وتوكلت عليه كفاك شر كل شر ولم يسلطه عليك فإنه قال { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } الطلاق:3 وتسليطه يكون بسبب ذنوبك وخوفك منه فإذا خفت الله وتبت من ذنوبك واستغفرت له لم يسلط عليك كما قال { وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } الأنفال:33 وفي الآثار يقول الله أنا الله لا إله إلا أنا ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيها بيدي فمن أطاعني جعلت قلوب الملوك عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا أنفسكم بسبب الملوك ولكن توبوا إلى وأطيعون أعطفهم عليكم²⁰⁴

الخشية من الله تكون لكمال العلم

²⁰⁴مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 57-58 و منهاج السنة النبوية ج: 2 ص:

وقال تعالى { الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ } الأنبياء 49 و الخشية فى القرآن مطلقة تتناول خشية الله و خشية عذابه فى الدنيا و الآخرة²⁰⁵

والخشية من الله تكون لكمال العلم فإن الله تعالى يقول { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } فاطر 28 وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء وقرأ عليه ابن مسعود سورة النساء فلما بلغ إلى قوله { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } النساء 41 قال حسبك فنظرت إلى عينيه وهما تذر فان وقد قال تعالى { قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ } الأحقاف 9 وفي صحيح مسلم أنه قال لما قتل عثمان بن مظعون قال ما أدري والله وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم وفي الترمذي وغيره عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظت السماء وحق لها أن تئنط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله وددت أنني كنت شجرة تعضد وقوله وددت أنني كنت شجرة تعضد قيل إنه من قول أبي ذر لا من قول النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ } {57} وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ } {58} وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ } {59} وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ } {60} المؤمنون 57-60 وفي الترمذي عن عائشة قالت قلت يا رسول الله هو الرجل يزني ويسرق ويخاف

²⁰⁵مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 174

فقال لا يا بنت الصديق ولكنه الرجل يصلي ويتصدق ويخاف أن
لا يقبل منه²⁰⁶

وفى الأثر أظنه عن عمر بن الخطاب أو عن ابن مسعود من قال
أنه مؤمن فهو كافر ومن قال أنه في الجنة فهو في النار وقال
والذي لا اله غيره ما أمن أحد على إيمان يسلبه عند الموت ألا
يسلبه وقال أبو العالية أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله
كلهم يخاف النفاق على نفسه وقال الصديق رضى الله عنه أن الله
ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وغفر لهم سيئها فيقول
الرجل ابن أنا من هؤلاء يعنى وهو منهم وذكر أهل النار بأقبح
أعمالهم وأحبط حسنها فيقول القائل لست من هؤلاء يعنى وهو
منهم هذا الكلام أو قريبا منه فليبرد القلب من وهج حرارة
هذه الشهادة انها سبيل مهيع لعباد الله مع أن الازدياد من مثل هذه
الشهادة هو النافع فى الأمر الغالب ما لم يفض الى تسخط
للمقدور أو يأس من روح الله أو فتور عن الرجاء²⁰⁷

القرآن أفضل الذكر

قال تعالى { وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ

{ الأنبياء 50

قال تعالى لما أهبط آدم من الجنة { فَاِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مَّيِّ هُدًى فَمَنْ
اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } {123} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي

²⁰⁶ منهاج السنة النبوية ج: 6 ص: 13- 15

²⁰⁷ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 353

فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى {124} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمِ تُنْسَى {126} طه 123-126 فقد أخبر أن من اتبع الهدى الذي أتانا منه وهو ما جاءت به الرسل فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكره وهو الذكر الذي أنزله وهو كتبه التي بعث بها رسله بدليل أنه قال بعد ذلك { كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمِ تُنْسَى } طه 126 والذكر مصدر يضاف تارة إلى الفاعل وتارة إلى المفعول كما يقال دق الثوب ودق القصار ويقال أكل زيد وأكل الطعام ويقال ذكر الله أي ذكر العبد ويقال ذكر الله أي ذكر الله الذي ذكره هو مثل ذكره عبده ومثل القرآن الذي هو ذكره وقد يضاف الذكر إضافة الأسماء المحضة فقوله ذكرى إن أضيف إضافة المصادر كان المعنى الذكر الذي ذكرته وهو كلامه الذي أنزله وإن أضيف إضافة الأسماء المحضة فذكره هو ما اختص به من الذكر والقرآن مما اختص به من الذكر قال تعالى { وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ } الأنبياء 50 وقال { مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ } الأنبياء 2 وقال { إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ } يس 69 وقال { بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } النحل 44²⁰⁸

والقرآن أفضل الذكر كما قال تعالى { وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ } الأنبياء 50 وقال تعالى { وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا } طه 99 وقال تعالى { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ

²⁰⁸ منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 155-156

مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى { طه 124 وقال
{ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ { الشعراء 5²⁰⁹

ما وافق الكتاب والسنة فهو حق وما خالف ذلك فهو

خطأ

قال تعالى { وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ
{ الأنبياء 50

والناس لهم في طلب العلم والدين طريقان مبتدعان وطريق شرعي فالطريق الشرعي هو النظر فيما جاء به الرسول والإستدلال بأدلته والعمل بموجبها فلا بد من علم بما جاء به وعمل به لا يكفي أحدهما وهذا الطريق متضمن للأدلة العقلية والبراهين اليقينية فإن الرسول بين بالبراهين العقلية ما يتوقف السمع عليه والرسول بينوا للناس العقليات التي يحتاجون إليها كما ضرب الله في القرآن من كل مثل وهذا هو الصراط المستقيم الذي أمر الله عباده أن يسألوه هدايته وأما الطريقان المبتدعان فأحدهما طريق أهل الكلام البدعي والرأي البدعي فإن هذا فيه باطل كثير وكثير من أهله يفرطون فيما أمر الله به ورسوله من الأعمال فيبقى هؤلاء في فساد علم وفساد عمل وهؤلاء منحرفون إلى اليهودية الباطلة والثاني طريق أهل الرياضة والتصوف والعبادة البدعية وهؤلاء منحرفون إلى النصرانية الباطلة فإن هؤلاء يقولون إذا صفى الإنسان نفسه على الوجه الذي يذكرونه فاضت عليه العلوم بلا تعلم وكثير من هؤلاء تكون عبادته مبتدعة بل مخالفة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فيبقون في فساد من جهة العمل وفساد من نقص

²⁰⁹مجموع الفتاوى ج: 23 ص: 284

العلم حيث لم يعرفوا ما جاء به الرسول وكثير ما يقع من هؤلاء
 وهؤلاء وتقدح كل طائفة في الأخرى وينتحل كل منهم اتباع
 الرسول والرسول ليس ما جاء به موافقا لما قال هؤلاء ولا
 هؤلاء { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا
 مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } آل عمران 67 وما كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه على طريقة أهل البدع من
 أهل الكلام والرأي ولا على طريقة أهل البدع من أهل العبادة
 والتصوف بل كان على ما بعثه الله من الكتاب والحكمة
 وكثير من أهل النظر يزعمون أنه بمجرد النظر يحصل العلم بلا
 عبادة ولا دين ولا تركية للنفس وكثير من أهل الإرادة يزعمون
 أن طريق الرياضة بمجرد حصول المعارف بلا تعلم ولا نظر
 ولا تدبر للقرآن والحديث وكلا الفريقين غالط بل لتزكية النفس
 والعمل بالعلم وتقوى الله تأثير عظيم في حصول العلم لكن مجرد
 العمل لا يفيد ذلك إلا بنظر وتدبر وفهم لما بعث الله به الرسول
 ولو تعبد الإنسان ما عسى أن يتعبد لم يعرف ما خص الله به
 محمدا صلى الله عليه وسلم إن لم يعرف ذلك من جهته
 وكذلك لو نظر واستدل ماذا عسى أن ينظر لم يحصل له
 المطلوب إلا بالتعلم من جهته ولا يحصل التعلم المطابق النافع
 إلا مع العمل به وإلا فقد قال الله تعالى { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ
 قُلُوبَهُمْ } الصف 5 وقال { وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لِآ
 يُؤْمِنُونَ } 109 { وَنَقَلْبُ أَفْنَدْتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ
 مَرَّةٍ وَنَدَّرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } الأنعام 109-110
 وقال { ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 وكذلك لو
 جاع وسهر وخلا وصمت وفعل ماذا عسى أن يفعل لا يكون
 مهتديا إن لم يتعبد بالعبادات الشرعية وإن لم يتلق علم الغيب من
 جهة الرسول قال تعالى لأفضل الخلق الذي كان أزكى الناس
 نفسا وأكملهم عقلا قبل الوحي { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ
 أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا
 نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

{ الشورى 52 وقال { وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ { الزخرف 36 أي عن الذكر الذي أنزلته قال المفسرون يعيش عنه فلا يلتفت إلى كلامه ولا يخاف عقابه ومنه قوله { **وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ** { الأنبياء 50 وقوله { مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ { الأنبياء 2 وشاهده في الآية الأخرى { وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ { الشعراء 5 { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي { طه 124 ثم قال { قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَمَا نَسَى الْيَوْمَ نَسِيًّا { طه 126 فكل من عشا عن القرآن فإنه يقيض له شيطان يضلّه ولو تعبد بما تعبد ويعش روى عن ابن عباس يعمى وكذلك قال عطاء وابن زيد ابن أسلم وكذلك أبو عبيدة قال تظلم عينه واختاره ابن قتيبة ورجحه على قول من قال يعرض والعشا ضعف في البصر ولهذا قيل فيه يعيش وقالت طائفة يعرض وهو رواية الضحاك عن ابن عباس وقاله قتادة واختاره الفراء والزجاج وهذا صحيح من جهة المعنى فإن قوله يعيش ضمن معنى يعرض ولهذا عدى بحرف الجار عن كما يقال أنت أعمى عن محاسن فلان إذا عرضت فلم تنظر إليها فقوله يعيش أي يكن أعشى عنها وهو دون العمى فلم ينظر إليها إلا نظرا ضعيفا²¹⁰

قال تعالى { **وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ** { الأنبياء 50

فما وافق الكتاب والسنة فهو حق وما خالف ذلك فهو خطأ وقد قال تعالى { **وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ { 36** } وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ

²¹⁰ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 428-430

مُهْتَدُونَ {37} حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا آيَاتِ بِنِّي وَبَيْنِكَ بُعْدَ
 الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ {38} الزخرف 36-38 وذكر
 الرحمن هو ما أنزله على رسوله قال تعالى {وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ
 أَنْزَلْنَاهُ {الأنبياء 50} وقال تعالى {وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ
 {القلم 52} ²¹¹

قال الله تعالى {وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا
 فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} الزخرف 36 وذكر الرحمن هو الذكر الذي بعث
 به رسوله مثل القرآن فمن لم يؤمن بالقرآن ويصدق خبره ويعتقد
 وجوب امره فقد اعرض عنه فيقيض له الشيطان فيقترن به قال
 تعالى {وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ {الأنبياء 50} وقال تعالى
 {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ أَعْمَى} {124} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ
 بَصِيرًا {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ
 تُنْسَى} {126} طه 124- 126 فدل ذلك على ان ذكره هو آياته
 التي انزلها ولهذا لو ذكر الرجل الله سبحانه وتعالى دائما ليلا
 ونهارا مع غاية الزهد وعبده مجتهدا في عبادته ولم يكن متبعا
 لذكره الذي انزله وهو القرآن كان من اولياء الشيطان ولو طار
 فى الهواء او مشى على الماء فان الشيطان يحمله فى الهواء
 وهذا مبسوط فى غير هذا الموضوع ²¹²

²¹¹مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 413

²¹²مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 173

عكوف المشركين وعكوف المسلمين

قال تعالى { وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ } {51} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ } {52} قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ } {53} قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } {54} الأنبياء 51-54

ولهذا جاءت الشريعة بالاكتكاف الشرعي في المساجد بدل ما كان يفعل قبل الإسلام من المجاورة بغار حراء ونحوه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى قبضه الله والاعتكاف من العبادات المشروعة بالمساجد باتفاق الأئمة كما قال تعالى { وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي

الْمَسَاجِدِ } البقرة 187 أي في حال عكوفكم في المساجد لا تباشروهن وإن كانت المباشرة خارج المسجد ولهذا قال الفقهاء إن ركن الاعتكاف لزوم المسجد لعبادة الله ومحظوره الذي يبطله مباشرة النساء فأما العكوف والمجاورة عند شجرة أو حجر تمثال أو غير تمثال أو العكوف والمجاورة عند قبر نبي أو غير نبي أو مقام نبي أو غير نبي فليس هذا من دين المسلمين بل هو من جنس دين المشركين الذين أخبر الله عنهم بما ذكره في كتابه

حيث قال تعالى { وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ } {51} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ } {52} قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ } {53} قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } {54} قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ } {55} قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ } {56} وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ } {57} فَجَعَلَهُمْ جُذُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ } {58} قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ } {59} قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ } {60} قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ } {61} قَالُوا أَنْتَ

فَعَلْتِ هَذَا بِالْهَتِّنَا يَا إِبْرَاهِيمُ {62} قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا
فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ {63} فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ
أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ {64} ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتِ مَا هُوَ لَاءِ
يَنْطِقُونَ {65} قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا
يَضُرُّكُمْ {66} أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ {67} قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ {68}
قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ {69} وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا
فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ {70} وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي
بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ {71} الأنبياء 51-71 فهذا عكوف

المشركين وذاك عكوف المسلمين فعكوف المؤمنين في
المساجد لعبادة الله وحده لا شريك له وعكوف المشركين على ما
يرجونه ويخافونه من دون الله ومن يتخذونهم شركاء لله وشفعاء
عند الله فإن المشركين لم يكن أحد منهم يقول إن العالم له
خالقان ولا إن الله معه إله يساويه في صفاته هذا لم يقله أحد من
المشركين بل كانوا يقرون بأن خالق السموات والأرض واحد
كما أخبر الله عنهم بقوله {وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ
{العنكبوت 61 وكانوا يتخذون آلهتهم وسائط تقرّبهم إلى الله
زلفى وتشفع لهم²¹³

الذي يأتي بالحق خلاف اللاعب

قال إبراهيم لما آتاه الله رشده من قبل التوراة والقرآن { وَلَقَدْ
آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ {51} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ {52} قَالُوا وَجَدْنَا

²¹³ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 441-442

أَبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ {53} قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {54} الْأَنْبِيَاءَ 51-54 فهو لما قال ما قال { قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ } الأنبياء 55 فالذي يأتي بالحق خلاف اللاعب فإنه يقصد أن يخبر بصدق ويأمر بما ينفع وهو العدل بخلاف اللاعب العابث فإنه ليس مقصوده هذا بل اللهو واللعب ولهذا قد يشتم الإنسان على وجه اللعب ويفعل به أفعال منكرة فلا ينكر ذلك كما ينكره من الجاد المحق ولهذا كان عامة اللهو باطلا ليس له منفعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كل لهو يلهو به الرجل لهو باطل إلا رمية بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبة امرأته فإنه من الحق فالحق ضد الباطل واللهو باطل ولهذا تنزه سبحانه عن أن يخلقهما باطلا { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ } الأنبياء 16 فاللاعب صاحب باطل لا صاحب حق ولهذا لما دخل عمر على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده الأسود بن سريع ينشده فأسكته مرتين أو ثلاثا قال من هذا الذي تسكتني له قال هذا رجل لا يحب الباطل فإن عمر كان لا يحبه ولا يصبر على صاحبه والنبي صلى الله عليه وسلم كان أحلم وأصبر من عمر فهو أيضا لا يحب الباطل لكنه يصبر ويحتمل منه ما لم يكن محرما ولكن هو لا منفعة فيه لفاعله فإذا فعله احتمله عليه فهذا بيان قول من فسر اللاعب بالعبث وله نظائر²¹⁴

أكثر ديانات الخلق إنما هي عادات أخذوها عن آبائهم وأسلافهم

قال تعالى { وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ } {51} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ النَّمَاتِئِلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا

²¹⁴رسالة في قنوت الأشياء ج: 1 ص: 20

عَاكِفُونَ {52} قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ {53} قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {54} الأنبياء 51-54 وأكثر ديانات الخلق إنما هي عادات أخذوها عن آبائهم وأسلافهم وتقليدهم في التصديق والتكذيب والحب والبغض والموالات والمعاداة كما قال تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنْبَغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ} لقمان 21 وقال تعالى {يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ} {66} وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا {67} الأحزاب 66- 67 وقال تعالى {وَمَا تَفْرَقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِّيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْرثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ} الشورى 14²¹⁵

الشرك بعبادة الكواكب وقع كثيرا وكذلك الشرك بالمقبورين من دعائهم والتضرع إليهم والرغبة إليهم

قال تعالى { وَ لَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ } {51} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ {52} قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ {53} قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {54} قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ } {55} قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ } {56} وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ } {57} فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ } {58} الأنبياء 51-58 فإن من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب ويدعو لها بأنواع الأدعية

²¹⁵قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 142

والتعزيّيات ويلبس لها من اللباس والخواتم ما يظن مناسبة لها
 ويتحرى الأوقات والأمكنة والأبخرة المناسبة لها في زعمه وهذا
 من أعظم أسباب الشرك الذي ضل به كثير من الأولين
 والآخرين حتى شاع ذلك في كثير ممن ينتسب إلى الإسلام
 وصنف فيه بعض المشهورين كتابا سماه السر المكتوم في
 السحر ومخاطبة النجوم على مذهب المشركين من الهند
 والصائبين والمشركين من العرب وغيرهم مثل طمطم الهندي
 وملكوشا البابلي وابن وحشية وأبي معشر البلخي وثابت بن قرّة
 وأمثالهم ممن دخل في الشرك وأمن بالجبت والطاغوت وهم
 منتسبون إلى أهل الإسلام كما قال تعالى { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
 أَوْتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ هُوَلاءِ أهدى من الذين آمنوا سبيلاً } {51} أُولَئِكَ
 الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا } {52} النساء-51-
 52 وقد قال غير واحد من السلف الجبت السحر والطاغوت
 الأوثان وبعضهم قال الشيطان وكلاهما حق وهؤلاء يجمعون
 بين الجبت الذي هو السحر والشرك الذي هو عبادة الطاغوت
 كما يجمعون بين السحر وعبادة الكواكب وهذا مما يعلم
 بالاضطرار من دين الإسلام بل ودين جميع الرسل أنه شرك
 محرم بل هذا من أعظم أنواع الشرك الذي بعثت الرسل بالنهي
 عنه ومخاطبة إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه لقومه
 كانت في نحو هذا الشرك وكذلك قوله تعالى { وَكَذَلِكَ نُرِي
 إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ } {75}
 الأنعام-75 إلى قوله تعالى { إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } {83} الأنعام-83
 فإن إبراهيم عليه السلام سلك هذه السبيل لأن قومه كانوا يتخذون
 الكوكب أربابا يدعونها ويسألونها ولم يكونوا هم ولا أحد من
 العقلاء يعتقد أن كواكبا من الكواكب خلق السموات والأرض
 وإنما كانوا يدعونها من دون الله على مذهب هؤلاء المشركين
 ولهذا قال الخليل عليه السلام { إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ } {26}

إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ {27} الزخرف 26-27 والخليل صلوات الله عليه أنكر شركهم بعبادة الكواكب العلوية وشركهم بعبادة الأوثان التي هي تماثيل وطلاسم لتلك الكواكب أو هي تماثيل لمن مات من الأنبياء والصالحين وغيرهم وكسر الأصنام كما قال تعالى عنه { فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ } {58} الانبياء 58 والمقصود هنا أن الشرك بعبادة الكواكب وقع كثيرا وكذلك الشرك بالمقبورين من دعائهم والتضرع إليهم والرغبة إليهم ونحو ذلك²¹⁶

عاب الله سبحانه من عبد ما تنتفى فيه هذه الصفات

قال تعالى { قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ } {الأنبياء 63} أن مجرد سلب هذه الصفات نقص لذاته سواء سميت عمى وصمما وبكما أو لم تسم والعلم بذلك ضروري فأما اذا قدرنا موجودين أحدهما يسمع ويبصر ويتكلم والآخر ليس كذلك كان الاول اكمل من الثاني ولهذا عاب الله سبحانه من عبد ما تنتفى فيه هذه الصفات فقال تعالى عن إبراهيم الخليل { إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا } {مريم 42} وقال ايضا فى قصته { قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ } {الأنبياء 63}²¹⁷

تباح عند الحاجة الشرعية المعارض

²¹⁶ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 406

²¹⁷ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 88

قال تعالى { قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ
{ الأنبياء 63

في الحديث الصحيح لما سئل عن الغيبة فقال هي ذكرك أخاك بما يكره قيل يا رسول الله أرأيت ان كان في أختي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبتته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهتته بين الفرق بين الغيبة والبهتان وان الكذب عليه بهت له كما قال سبحانه {وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ} النور 16 وقال تعالى { وَلَا يَأْتِينَ بُهْتَانٍ يَفْتَرِيَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ } الممتحنة 12 وفي الحديث الصحيح ان اليهود قوم بهت فالكذب على الشخص حرام كله سواء كان الرجل مسلما أو كافرا بدأ او فاجرا لكن الاقتراء على المؤمن أشد بل الكذب كله حرام ولكن تباح عند الحاجة الشرعية المعاريض وقد تسمى كذبا لأن الكلام يعنى به المتكلم معنى وذلك المعنى يريد ان يفهمه المخاطب فاذا لم يكن على ما يعنیه فهو الكذب المحض وان كان على ما يعنیه ولكن ليس على ما يفهمه المخاطب فهذه المعاريض وهي كذب باعتبار الافهام وان لم تكن كذبا باعتبار الغاية السائغة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات كلهن في ذات الله قوله لسارة أختي وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله إني سقيم وهذه الثلاثة معارضيض وبها احتج العلماء على جواز التعريض لمظلوم وهو أن يعنى بكلامه ما يحتمله اللفظ وإن لم يفهمه المخاطب ولهذا قال من قال من العلماء إن ما رخص فيه رسول الله انما هو من هذا كما في حديث أم كلثوم بنت عقبة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الكاذب بالذى يصلح بين الناس فيقول خيرا او ينمى خيرا ولم يرخص فيما يقول الناس انه كذب الا في ثلاث في الاصلاح بين الناس وفي الحرب وفي الرجل يحدث امرأته قال فهذا كله من المعاريض خاصة ولهذا نفى عنه النبي اسم الكذب

باعتبار القصد والغاية كما ثبت عنه انه قال الحرب خدعة
وانه كان اذا اراد غزوة وري بغيرها ومن هذا الباب قول
الصديق فى سفر الهجرة عن النبى هذا الرجل يهدينى السبيل
وقول النبى للكافر السائل له فى غزوة بدر نحن من ماء
وقوله للرجل الذى حلف على المسلم الذى اراد الكفار اسره انه
أخى وعنى أخوة الدين وفهموا منه أخوة النسب فقال النبى إن
كنت لأبرهم وصدقهم المسلم أخوه المسلم²¹⁸

لا إله الا الله هى حقيقة الأمر كله

قال تعالى { قَالَ أَقْتَعِبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا
يَضُرُّكُمْ } {66} أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ } {67} الانبياء 66-67 ذلك أنه علم بالاضطرار أن
الرسل كانوا يجعلون ما عبده المشركون غير الله ويجعلون عابده
عابدا لغير الله مشركا بالله عادلا به جاعلا له ندا فانهم دعوا
الخلق إلى عبادة الله وحده لا شريك له وهذا هو دين الله الذى
أنزل به كتبه وأرسل به رسله وهو الاسلام العام الذى لا يقبل الله
من الاولين والآخرين غيره ولا يغفر لمن تركه بعد بلاغ الرسالة
كما قال { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونِ ذَلِكَ لِمَنْ
يَشَاءُ } النساء 48 وهو الفارق بين أهل الجنة وأهل النار
والسعداء والأشقياء كما قال النبى من كان آخر كلامه لا إله
إلا الله وجبت له الجنة وقال من مات وهو يعلم أن لا إله
إلا الله وجبت له الجنة وقال إنى لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند
الموت إلا وجد روحه لها روحا وهى رأس الدين قال صلى الله
عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله الا الله

²¹⁸مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 223

وأنى رسول الله فإذا قالوها عصموا منى دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله وفضائل هذه الكلمة وحقائقها وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون ويعرفه العارفون وهى حقيقة الأمر كله كما قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 فأخبر سبحانه أنه يوحى الى كل رسول بنفى الالوهية عما سواه وإثباتها له وحده وقال تعالى { قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ } 66 { أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } 67 { الانبياء 66-67 فهذا الخليل الذى جعله الله امام الأئمة الذين يهتدون بأمره من الانبياء والمرسلين بعده وسائر المؤمنين قال { يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ } 78 { إِنِّي وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 79 { الأنعام 78-79²¹⁹

لفظ العقل فى القرآن يتضمن ما يجب به المنفعة وما يدفع به المصرة

قال تعالى { قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ } 66 { أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } 67 { الانبياء 66-67 الناس يدركون بعقولهم الامور الدنيا فيعرفون ما يجلب لهم منفعة فى الدنيا وما يجلب لهم مصرة وهذا من العقل الذى ميز به الانسان فانه يدرك من عواقب الافعال ما لا يدركه الحس ولفظ العقل فى القرآن يتضمن ما يجلب به المنفعة وما يدفع به المصرة²²⁰

²¹⁹مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 259- 260

²²⁰مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 311

ان اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة وهو الذي يسمى عرضاً قائماً بالعاقل وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى لعلمكم تعقلون وقوله { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا } الحج 46 وقوله { قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ } آل عمران 118 ونحو ذلك مما يدل على ان العقل مصدر عقل يعقل عقلاً وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه ولا العمل بلا علم بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم ولهذا قال أهل النار { لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } الملك 10 وقال تعالى { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا } الحج 46 والعقل المشروط في التكليف لا بد أن يكون علوماً يميز بها الانسان بين ما ينفعه وما يضره فالمجنون الذي لا يميز بين الدراهم والفلس ولا بين أيام الاسبوع ولا يفقه ما يقال له من الكلام ليس بعاقل أما من فهم الكلام ويميز بين ما ينفعه وما يضره فهو عاقل ثم من الناس من يقول العقل هو علوم ضرورية ومنهم من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الانسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبى وغيرهما ان العقل غريزة وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء كما أن في العين قوة بها يبصر وفي اللسان قوة بها يذوق وفي الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاء²²¹

²²¹مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 286

قال تعالى { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى } طه 54 أى العقول وقال تعالى { هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حُجْرٍ } الفجر 5 أى لذي عقل وقال تعالى { وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ } البقرة 197 وقال { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ } الأنفال 22 وقال تعالى { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } يوسف 2 فإنما مدح الله وأثنى على من كان له عقل فأما من لا يعقل فإن الله لم يحمده ولم يثن عليه ولم يذكره بخير قط بل قال تعالى عن أهل النار { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } الملك 10 وقال تعالى { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ } الأعراف 179 وقال { أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا } الفرقان 44²²²

لسان الشرك لا يكون له لسان التوحيد

قال تعالى { قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ } الأنبياء 68 فإنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن لسان الشرك لا يكون له لسان التوحيد وأن أقوال المشركين الذين قالوا { لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَدْرُنَّ وِدًّا وَلَا سُوعَاءَ وَلَا يَعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا } نوح 23 والذين قالوا { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } الزمر 3 والذين قالوا { وَمَا نَحْنُ بِنَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ } هود 53 وقالوا { إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ } هود 54 والذين { قَالُوا حَرِّقُوهُ }

²²²مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 437

وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ { الأنبياء 68 } ونحو هؤلاء ليس
هذا هو لسان التوحيد²²³

سلب النار طبيعتها

قال تعالى { قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ } {69}
وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ {70} { الأنبياء 69-70 } فسلب
النار طبيعتها (مواضيع اخرى عن سنة الله في نصر المؤمنين
واهلاك الكافرين)²²⁴

عمود الكتاب والإسلام بالشام

قال تعالى { وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ } {70} وَنَجَّيْنَاهُ
وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ {71} { الأنبياء 70-
71 } ثبت للشام وأهله مناقب بالكتاب والسنة وآثار العلماء وهي
أحد ما اعتمده في تحضيض المسلمين على غزو التتار وأمرى
لهم بلزوم دمشق ونهيب لهم عن الفرار إلى مصر وإستدعائى
العسكر المصرى إلى الشام وتثبيت الشامى فيه وقد جرت في
ذلك فصول متعددة وهذه المناقب أمور أحدها البركة فيه ثبت
ذلك بخمس آيات من كتاب الله تعالى قوله تعالى في قصة موسى
{ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ
أَنْ يَهْلِكَ عِدْوُكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ
{ الأعراف 129 } إلى قوله { فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ
بِالْغَوَةِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ } {135} فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ

²²³مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 349

²²⁴مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 192

بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ {136} وَأُورَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا {137}

الاعراف 135-137 ومعلوم أن نبي إسرائيل إنما أورثوا مشارق أرض الشام ومغاربها بعد أن أغرق فرعون في اليم وقوله تعالى {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ {الإسراء 1} وحوله أرض الشام وقوله تعالى في قصة إبراهيم { وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ } {70} وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ } {71} الأنبياء 70-71 ومعلوم أن إبراهيم إنما نجاه الله ولوطا إلى أرض الشام من أرض الجزيرة والفرات وقوله تعالى {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا } {الأنبياء 81} وإنما كانت تجرى إلى أرض الشام التي فيها مملكة سليمان وقوله تعالى في قصة سبأ {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا فُرُى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ } {سبأ 18} وهما كانا بين اليمن مساكن سبأ وبين منتهى الشام من العمارة القديمة كما قد ذكره العلماء فهذه خمس نصوص حيث ذكر الله أرض الشام في هجرة إبراهيم إليها ومسرى الرسول إليها وانتقال بنى إسرائيل إليها ومملكة سليمان بها ومسير سبأ إليها وصفها بأنها الأرض التي باركنا فيها وأيضا ففيها الطور الذي كلم الله عليه موسى والذي أقسم الله به في سورة الطور وفي {وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ } {1} وَطُورِ سِينِينَ } {2} التين 1-2 وفيها

المسجد الأقصى وفيها مبعث أنبياء بنى إسرائيل وإليها هجرة إبراهيم وإليها مسرى نبينا ومنها معراجها وبها ملكه وعمود دينه وكتابه وطائفة منصوره من أمته وإليها المحشر والمعاد كما أن من مكة المبدأ فمكة أم القرى من تحتها دحيت الأرض والشام إليها يحشر الناس كما في قوله {لَأَوَّلِ الْحَشْرِ } {الحشر 2} نبه

على الحشر الثانى فمكة مبدأ وإيليا معاد فى الخلق وكذلك فى الأمر فإنه أسرى بالرسول من مكة إلى إيليا ومبعثه ومخرج دينه من مكة وكمال دينه وظهوره وتمامه حتى مملكة المهدي بالشام فمكة هى الأول والشام هى الآخر فى الخلق والأمر فى الكلمات الكونية والدينية ومن ذلك أن بها طائفة منصوره إلى قيام الساعة التى ثبت فيها الحديث فى الصحاح من حديث معاوية وغيره لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة وفيهما عن معاذ بن جبل قال وهم فى الشام وروى وهم بأكناف بيت المقدس وفى تاريخ البخارى مرفوعا قال وهم بدمشق قال وفى صحيح مسلم عن النبى أنه قال لا يزال أهل المغرب ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة قال أحمد بن حنبل أهل المغرب هم أهل الشام وهم كما قال لوجهين أحدهما أن فى سائر الحديث بيان أنهم أهل الشام الثانى أن لغة النبى صلى الله عليه وسلم وأهل مدينته فى أهل المغرب هم أهل الشام ومن يغرب عنهم كما أن لغتهم فى أهل المشرق هم أهل نجد والعراق فإن التغريب والتشريق من الأمور النسبية فكل بلد له غرب قد يكون شرقا لغيره وله شرق قد يكون غربا لغيره فالإعتبار فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم بما كان غربا وشرقا له حيث تكلم بهذا الحديث وهى المدينة ومن علم حساب الأرض كطولها وعرضها علم أن حران والرقه وسيمسياط على سمت مكة وأن الفرات وما على جانبيها بل أكثره على سمت المدينة بينهما فى الطول درجتين فما كان غربى الفرات فهو غربى المدينة وما كان شرقىها فهو شرقى المدينة فأخبر أن أهل الغرب لا يزالون ظاهرين وأما أهل الشرق فقد يظهرون تارة ويغلبون أخرى وهكذا هو الواقع فإن جيش الشام ما زال منصورا وكان أهل المدينة يسمون الأوزاعى إمام أهل المغرب ويسمون الثورى شرقيا ومن أهل المشرق وفى الصحيحين أيضا عن ابن عمر عن

النبى صلى الله عليه وسلم أنه أخبر أن ملائكة الرحمن مظلة
أجنتها بالشام ومن ذلك انها خيرة الله من الأرض أن
أهلها خيرة الله وخيار أهل الأرض وإستدل أبوداود فى سننه على
ذلك بحديثين حديث عبدالله بن خوالة الأزدي عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال ستجدون أجنادا جندا بالشام وجندا باليمن
وجندا بالعراق فقال الخوالى يا رسول الله إخر لى قال عليك
بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبى إلى خيرته من عباده فمن
ابى فليلحق بيمنه وليتق من غدره فإن الله قد تكفل لى بالشام
وأهله وكان الخوالى يقول ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه
ففى هذا الحديث مناقب أنها خيرة وحديث عبدالله بن عمرو
عن النبى قال ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الأرض
ألزمهم مهاجر إبراهيم ويبقى فى الأرض شرار أهلها تلفظهم
أرضوهم تقدرهم نفس الرحمن تحشرهم النار مع القردة
والخنازير تبيت معهم حيث ما باتوا وتقبل معهم حيث ما قالوا
فقد أخبر أن خير أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم بخلاف من
يأتى إليه أو يذهب عنه ومهاجر إبراهيم هى الشام وفى هذا
الحديث بشرى لأصحابنا الذين هاجروا من حران وغيرها إلى
مهاجر إبراهيم وإتبعوا ملة إبراهيم ودين نبيهم محمد تسليما
وبيان أن هذه الهجرة التى لهم بعد هجرة أصحاب رسول الله إلى
المدينة لأن الهجرة إلى حيث يكون الرسول وأثاره وقد جعل
مهاجر إبراهيم يعدل لنا مهاجر نبينا فإن الهجرة إلى مهاجره
إنقطعت بفتح مكة ومن ذلك أمر النبى بها فى حديث الترمذى
ومن ذلك إن الله قد تكفل بالشام وأهله كما فى حديث الخوالى
ومن ذلك إن ملائكة الرحمن باسطة أجنتها على الشام
كما فى الصحيح من حديث عبدالله بن عمر ومن ذلك أن عمود
الكتاب والإسلام بالشام كما قال النبى رأيت كأن عمود الكتاب
أخذ من تحت رأسى فأتبعته بصرى فذهب به إلى الشام وعمود
الكتاب والإسلام ما يعتمد عليه وهم حملته القائمون به ومن ذلك
أنها عقر دار المؤمنين كما قال النبى وعقر دار المؤمنين

الشام ومن ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا الأصل مثل وصفه أهل الشام بأنه لا يغلب منافقوهم مؤمنهم كما رواه أحمد فى المسند وبهذا استدلت أقوم من قضاة القضاة وغيرهم فى فتن قام فيها علينا قوم من أهل الفجور والبدع الموصوفين بخصال المنافقين لما خوفونا منهم فأخبرتهم بهذا الحديث وإن منافقينا لا يغلبوا مؤمنينا وقد ظهر مصداق هذه النصوص النبوية على أكمل الوجوه فى جهادنا للتتار وأظهر الله للمسلمين صدق ما وعدناهم به وبركة ما أمرناهم به وكان ذلك فتحا عظيما ما رأى المسلمون مثله منذ خرجت مملكة التتار التى أذلت أهل الإسلام فإنهم لم يهزموا ويغلبوا كما غلبوا على باب دمشق فى الغزوة الكبرى التى أنعم الله علينا فيها من النعم بما لا نحصيه خصوصا وعموما والحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضاه وكما ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله²²⁵

والآثار فى هذا المعنى متعاضدة ولكن الجواب ليس على البديهة على عجل وقد دل الكتاب والسنة وما روى عن الأنبياء المتقدمين عليهم السلام مع ما علم بالحس والعقل وكشوفات العارفين ان الخلق والأمر ابتداء من مكة أم القرى فهى أم الخلق وفيها ابتدئت الرسالة المحمدية التى طبق نورها الأرض وهى جعلها الله قياما للناس إليها يصلون ويحجون ويقوم بها ما شاء الله من مصالح دينهم ودنياهم فكان الإسلام فى الزمان الأول ظهوره بالحجاز أعظم ودلت الدلائل المذكورة على أن ملك النبوة بالشام والحشر إليها فالى بيت المقدس وما حوله يعود الخلق

²²⁵مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 505- 511 و مجموع الفتاوى ج: 15

والأمر وهناك يحشر الخلق والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام وكما أن مكة أفضل من بيت المقدس فأول الأمة خير من آخرها وكما أنه في آخر الزمان يعود الأمر إلى الشام كما أسرى بالنبي من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فخير أهل الأرض في آخر الزمان ألزمهم مهاجر إبراهيم عليه السلام وهو بالشام فالأمر مساسه كما هو الموجود والمعلوم وقد دل القرآن العظيم على بركة الشام في خمس آيات و البركة تتناول البركة في الدين والبركة في الدنيا وكلاهما معلوم لا ريب فيه فهذا من حيث الجملة والغالب²²⁶

جعل الله سبحانه إبراهيم وآله أئمة للحنفاء المخلصين أهل محبة الله وعبادته

قال تعالى { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ } {72} وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ {73} الانبياء 72-73 وإنما دين الحق هو تحقيق العبودية بكل وجه وهو تحقيق محبة الله بكل درجة وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه وتكمل محبة الرب لعبده وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا وكلما كان في القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك وكلما كان فيه عبودية لغير الله كان فيه حب لغير الله بحسب ذلك وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة وكل عمل لا يراد به وجه فهو باطل فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله ولا يكون لله إلا ما أحبه الله ورسوله وهو المشروع فكل عمل أريد به غير الله لم يكن لله وكل عمل لا يوافق شرع الله

²²⁶مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 41

لم يكن لله بل لا يكون إلا ما جمع الوصفين أن يكون لله وأن
 يكون موافقا لمحبة الله ورسوله وهو الواجب والمستحب كما قال
 { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ
 رَبِّهِ أَحَدًا } {الكهف 110} فلا بد من العمل الصالح وهو الواجب
 والمستحب ولا بد أن يكون خالصا لوجه الله تعالى كما قال تعالى
 { بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ
 عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {البقرة 112} وقال النبي صلى الله عليه
 وسلم من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد وقال النبي
 صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما
 نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله
 ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما
 هاجر إليه وهذا الأصل هو أصل الدين وبحسب تحقيقه يكون
 الدين وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وإليه دعا الرسول
 وعليه جاهد وبه أمر وفيه رغب وهو قطب الدين الذي تدور
 عليه رحاه والشرك غالب على النفوس وهو كما جاء في
 الحديث وهو في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل وفي حديث آخر
 قال أبو بك الجواب يا رسول الله كيف تنجو منه وهو أخفى من
 دبيب النمل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بك الجواب
 ألا أعلمك كلمة إذا قلتها نجوت من دقه ووجه قل اللهم إني أعوذ
 بك أن أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم وكان عمر
 يقول في دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك
 خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا وكثيرا ما يخالط النفوس من
 الشهوات الخفية ما يفسد عليها تحقيق محبتها وعبوديتها له
 وإخلاص دينها له كما قال شداد بن أوس يا بقايا العرب إن
 أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية قيل لأبي داود
 السجستاني وما الشهوة الخفية قال حب الرئاسة وعن كعب بن
 مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما ذنبان جائعان
 أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال
 والشرف لدينه قال الترمذي حديث حسن صحيح فبين صلى

الله عليه وسلم أن الحرص على المال والشرف في فساد الدين لا
ينقص عن فساد الذنبيين الجائعين لزرية الغنم وذلك بين فإن
الدين السليم لا يكون فيه هذا الحرص وذلك أن القلب إذا ذاق
حلاوة عبوديته ومحبته له لم يكن شيء أحب عليه من ذلك حتى
يقدمه عليه وبذلك يصرف عن أهل الإخلاص السوء والفحشاء
كما قال تعالى { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ
عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } يوسف 24 فإن المخلص ذاق من حلاوة
عبوديته ما يمنعه من عبوديته لغيره ومن حلاوة محبته ما
يمنعه عن محبة غيره إذ ليس عند القلب لا أحلى ولا أذى ولا
أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله
ومحبته له وإخلاصه الدين له وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله
فيصير القلب منيباً إلى الله خائفاً منه راغباً راهباً كما قال تعالى
{ مَنْ حَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ } ق 33 إذ المحب
يخاف من زوال مطلوبه وحصول مرغوبه فلا يكون عبد الله
ومحبه إلا بين خوف ورجاء قال تعالى { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ
يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ
عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً } الإسراء 57 وإذا كان العبد
مخلصاً له اجتباؤه ربه فيحبي قلبه واجتذبه إليه فينصرف عنه ما
يضاد ذلك من السوء والفحشاء ويخاف من حصول ضد ذلك
بخلاف القلب الذي لم يخلص لله فإنه في طلب وإرادة وحب
مطلق فيهوى ما يسنح له ويتشبث بما يهواه كالغصن أي نسيم مر
بعطفه أماله فتارة تجتذبه الصور المحرمة وغير المحرمة فيبقى
أسيراً عبداً لمن لو اتخذه هو عبداً له لكان ذلك عيباً ونقصاً وذماً
وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة فترضيه الكلمة وتغضبه الكلمة
ويستعبده من يثنى عليه ولو بالباطل ويعادي من يذمه ولو بالحق
وتارة يستعبده الدرهم والدينار وأمثال ذلك من الأمور التي
تستعبد القلوب والقلوب تهواها فيتخذ إلهه هواه ويتبع هواه بغير
هدى من الله ومن لم يكن خالصاً عبداً له قد صار قلبه معبداً
لربه وحده لا شريك له بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه

ويكون ذليلاً له خاضعاً وإلا استعبدته الكائنات واستولت على قلبه الشياطين وكان من الغاوين إخوان الشياطين وصار فيه من السوء والفحشاء ما لا يعلمه إلا الله وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه فالقلب إن لم يكن حنيفاً مقبلاً على الله معرضاً عما سواه وإلا كان مشركاً قال تعالى { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } الروم 30 إلى قوله { كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } الروم 32 وقد جعل الله سبحانه إبراهيم وآل إبراهيم أئمة لهؤلاء الحنفاء المخلصين أهل محبة الله وعبادته وإخلاص الدين له كما جعل فرعون وآل فرعون أئمة المشركين المتبعين أهواءهم قال تعالى في إبراهيم { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ } 72 { وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } 73 { الانبياء 72-73 وقال في فرعون وقومه { وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ } 41 { وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ } 42 { القصص 41-42 مأمورون أن لا نخاف إلا الله ولا نتوكل إلا على الله ولا نرغب إلا إلى الله ولا نستعين إلا بالله وأن لا تكون عبادتنا إلا لله فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول ونطيعه ونتأس به فالحلال ما أحله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه قال تعالى { وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ } التوبة 59 فجعل الإيتاء لله والرسول كما قال { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا } الحشر 7 وجعل التوكل على الله وحده بقوله { وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ } التوبة 59 ولم يقل ورسوله كما قال في الآية الأخرى { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } آل عمران 173 ومثله قوله { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ { الأَنْفَالُ 64 أَي حَسْبِكَ وَحَسْبَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا قَالَ
 { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ { الزَّمْرُ 36 ثُمَّ قَالَ { سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ
 فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ { التَّوْبَةُ 59 فَجَعَلَ الْإِيْتَاءَ لِلَّهِ وَالرَّسُولَ وَقَدَّمَ ذَكَرَ
 الْفَضْلَ لِأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ
 وَهُوَ الْفَضْلُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَ { إِنَّا إِلَى اللَّهِ
 رَاغِبُونَ { التَّوْبَةُ 59 فَجَعَلَ الرَّغْبَةَ إِلَى اللَّهِ وَحَدَّهُ كَمَا فِي قَوْلِهِ {
 فَإِذَا فَرَعْتَ فَإِنصَبْ { 7 } وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ { 8 } الشَّرْحُ 7-8
 وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبْنِ عَبَّاسٍ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ
 اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعْنْتَ فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ وَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى مِثْلِ هَذَا فِي
 غَيْرِ مَوْضِعٍ فَجَعَلَ الْعِبَادَةَ وَالْخَشْيَةَ وَالتَّقْوَى لِلَّهِ وَجَعَلَ الطَّاعَةَ
 وَالْمَحَبَّةَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ كَمَا فِي قَوْلِ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ { أَنْ اْعْبُدُوا
 اللَّهَ وَانْتَقُوا وَاطِيعُونَ { نُوحٍ 3 وَقَوْلِهِ { وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ { النُّورُ 52 وَأَمْثَالُ ذَلِكَ
 فَالرَّسُلُ أَمْرُوا بِعِبَادَتِهِ وَحَدَّهُ وَالرَّغْبَةَ إِلَيْهِ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ وَالتَّاعَةَ
 لَهُمْ فَأَضَلَّ الشَّيْطَانُ النَّصَارَى وَأَشْبَاهَهُمْ فَأَشْرَكُوا بِاللَّهِ وَعَصَوْا
 الرَّسُولَ فَاتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ
 بِنَ مَرْيَمَ فَجَعَلُوا يَرْغَبُونَ إِلَيْهِمْ وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَيْهِمْ وَيَسْأَلُونَهُمْ مَعَ
 مَعْصِيَتِهِمْ لِأَمْرِهِمْ وَمَخَالَفَتِهِمْ لِسُنَّتِهِمْ وَهُدَى اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ
 الْمَخْلُصِينَ أَهْلَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَاتَّبَعُوهُ
 فَلَمْ يَكُونُوا مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ فَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ
 وَأَسْلَمُوا وَجُوهَهُمْ لِلَّهِ وَأَنَابُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَأَحْبَبُوهُ وَخَافُوهُ
 وَسَأَلُوهُ وَرَغَبُوا إِلَيْهِ وَفَوَّضُوا أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ وَأَطَاعُوا
 رِسْلَهُ وَعَزَّرُوهُمُ وَوَقَرُوهُمُ وَأَحْبَبُوهُمُ وَوَالَوْهُمُ وَاتَّبَعُوهُمُ وَاقْتَفَوْا
 آثَارَهُمُ وَاهْتَدَوْا بِمَنَارِهِمْ وَذَلِكَ هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ
 الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِنَ الرُّسُلِ وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ
 دِينًا إِلَّا إِيَّاهُ وَهُوَ حَقِيقَةُ الْعِبَادَةِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ فَسَأَلْنَا اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ
 يَثْبِتَنَا عَلَيْهِ وَيَكْمِلَهُ لَنَا وَيَمِيتَنَا عَلَيْهِ وَسَائِرَ إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ

والحمد وحده صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم²²⁷

قال تعالى { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ } {72} وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } {73}

الانبياء 72-73 قال تعالى { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } {الروم 30} الى قوله { كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } {الروم 32} وقد جعل الله سبحانه ابراهيم وآل ابراهيم ائمة لهؤلاء الحنفاء المخلصين اهل المحبة لله وعبادته واخلاص الدين له كما جعل فرعون وآل فرعون ائمة المشركين المتبعين اهواءهم قال تعالى فى ابراهيم { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ } {72} وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } {73} {الأنبياء 72-73} وقال فى فرعون وقومه { وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ } {41} وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ } {42} {القصص 41-42} ولهذا يصير اتباع فرعون اولا الى ان لا يميزوا بين ما يحبه الله ويرضاه وبين ما قدر الله وقضاه بل ينظرون الى المشيئة المطلقة الشاملة ثم فى آخر الأمر لا يميزون بين الخالق والمخلوق بل يجعلون وجود هذا وجود هذا ويقول محققوهم الشريعة فيها طاعة ومعصية والحقيقة فيها معصية بلا طاعة والتحقيق ليس فيه طاعة ولا معصية وهذا تحقيق مذهب فرعون وقومه الذين انكروا الخالق وانكروا تكليمه

²²⁷الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 397-402

لعبدته موسى وما ارسله به من الأمر والنهي وما ابراهيم وآل
 ابراهيم الحنفاء والأنبياء فهم يعلمون انه لا بد من الفرق بين
 الخالق والمخلوق ولا بد من الفرق بين الطاعة والمعصية وان
 العبد كلما ازداد تحقيقا ازدادت محبته لله وعبوديته له وطاعته له
 واعراضه عن عبادة غيره ومحبة غيره وطاعة غيره وهؤلاء
 المشركون الضالون يسوون بين الله وبين خلقه والخليل يقول {
 قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ} {75} أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ
 الْأَقْدَمُونَ} {76} فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ} {77} الشعراء
 228 77-75

موسى ومحمد من آل ابراهيم بل هم سادات آل ابراهيم صلوات الله عليهم أجمعين

قال تعالى { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا
 صَالِحِينَ } {72} وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ
 الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } {73}

228 مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 218

و أهل السنة والاثبات(الذين يثبتون صفات الله سبحانه وتعالى) موافقون لآل ابراهيم أئمة الهدى وقال تعالى { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ } {72} وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } {73} الأنبياء 72-73 وموسى ومحمد من آل ابراهيم بل هم سادات آل ابراهيم صلوات الله عليهم أجمعين²³⁰

أن الله يجعل المسلم مسلماً والإمام الهادي إماماً هادياً

قال تعالى { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ } {72} وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } {73} الانبياء 72-73 فلما كان من طبع النفس الملازم لها وجود الإرادة والعمل إذ هو حارث همام فإن عرفت الحق وأرادته وأحبته وعبدته فذلك من تمام إنعام الله عليها وإلا فهي بطبعها لا بد لها من مراد معبود غير الله ومرادات سيئة تضرها فهذا الشر قد تركب من كونها لم تعرف الله ولم تعبده وهذا معبود فعبدت غيره وهذا هو الشر الذي تعذب عليه وهو من مقتضى طبعها مع

²²⁹مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 333

²³⁰مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 171

عدم هداها فإن الله خالق هذا كله وإرادة النفس لما يريد
 من الذنوب وفعلها هو من جملة مخلوقات الله تعالى فإن الله خالق
 كل شيء وهو الذي ألهم النفس التي سواها فجورها وتقواها
 وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم آت نفسي
 تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها وهو
 سبحانه جعل إبراهيم وآله أئمة يهدون بأمره قال تعالى
 { وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ
 الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } {الأنبياء 73} وجعل
 فرعون وآله أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون قال
 تعالى { وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا
 يُنصَرُونَ } {القصص 41} لكن هذا لا يضاف مفردا إلى الله
 تعالى لوجهين من جهة علته الغائبة ومن جهة سببه وعلته
 الفاعلة أما الغائبة فإن الله إنما خلقه لحكمة هي باعتبارها خير
 لا شر وإن كان شرا إضافيا فإذا أضيف مفردا توهم المتوهم
 مذهب جهنم أن الله يخلق الشر المحض الذي لا خير فيه لأحد لا
 لحكمة ولا رحمة والأخبار والسنة والاعتبار تبطل هذا المذهب
 كما أنه إذا قيل محمد وأمه يسفكون الدماء ويفسدون في الأرض
 كان هذا ذما لهم وكان باطلا وإذا قيل يجاهدون في سبيل الله
 لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله ويقتلون من منعهم
 من ذلك كان هذا مدحا لهم وكان حقا فإذا قيل إن الرب تبارك
 وتعالى حكيم رحيم أحسن كل شيء خلقه وأنقن ما صنع هو
 أرحم الراحمين أرحم بعباده من الوالدة بولدها والخير كله بيديه
 والشر ليس إليه بل لا يفعل إلا خيرا وما خلقه من ألم لبعض
 الحيوانات أو من أعمالهم المذمومة فله فيها حكمة عظيمة ونعمة
 جسيمة كان هذا حقا وهو مدح للرب وثناء عليه وأما إذا قيل
 إنه يخلق الشر الذي لا خير فيه ولا منفعة لأحد ولا له فيها حكمة
 ولا رحمة ويعذب الناس بلا ذنب لم يكن هذا مدحا للرب ولا ثناء
 عليه بل كان بالعكس وقد بينا بعض ما في خلق جهنم وإبليس
 من السيئات من الحكمة والرحمة وما لم نعلم أعظم مما علمناه

فتبارك الله أحسن الخالقين وأرحم الراحمين وخير الغافرين ومالك يوم الدين الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد الذي لا يحصي العباد ثناء عليه بل هو كما أتى على نفسه الذي له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه يرجعون الذي يستحق الحمد والحب والرضا لذاته وإحسانه إلى عباده سبحانه وتعالى يستحق أن يحمد لما له في نفسه من المحامد والإحسان إلى عباده هذا حمد شكر وذاك حمد مطلقاً²³¹

أثبت مشيئة العبد وجعلها لا تحصل إلا بمشيئة الله تعالى

قال تعالى { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ } {72} وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } {73} الانبياء 72-73 فجمهور أهل السنة من السلف والخلف يقولون إن العبد له قدرة وإرادة وفعل وهو فاعل حقيقة والله خالق ذلك كله كما هو خالق كل شيء كما دل على ذلك الكتاب والسنة قال تعالى عن إبراهيم { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ } البقرة 128 وقال تعالى عن إبراهيم { رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي } إبراهيم 40 وقال تعالى { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا } السجدة 24 وقال تعالى { وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } الانبياء 73 وقال { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً } {19} إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً } {20} وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً } {21} المعارج 19-21 فأخبر أن الله يجعل المسلم

²³¹الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 68-70

مسلمًا والمقيم الصلاة مقيم للصلاة والإمام الهادي إمامًا هاديًا
وقال عن المسيح صلى الله عليه وسلم { وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا
كُنْتُ } مريم 31 إلى قوله { وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا
شَقِيًّا } مريم 32 فبين أن الله هو الذي جعله براء بوالدته ولم يجعله
جبارًا شقيًا وهذا صريح قول أهل السنة في أن الله عز وجل
خالق أفعال العباد وقال تعالى عن فرعون وقومه { وَجَعَلْنَاهُمْ
أَيِّمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ } القصص 41 وقد قال تعالى { لِمَنْ شَاءَ
مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ } 28 { وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ } 29 { التكوير 28- 29 وقال تعالى { إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ
فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا } 29 { وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } 30 { الإنسان 29- 30 وقوله { كَلَّا إِنَّهُ
تَذْكِرَةٌ } 54 { فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ } 55 { المدثر 54- 55 فأثبت مشيئة
العبد وقوله كلا إلا بمشيئة الرب تعالى وهذا صريح قول
أهل السنة في إثبات مشيئة العبد وأنها لا تكون إلا بمشيئة الرب
وقد أخبر أن العباد يفعلون ويصنعون ويعملون ويؤمنون
ويكفرون ويتقون ويفسقون ويصدقون ويكذبون ونحو ذلك في
مواضع كثيرة وأخبر أن لهم استطاعة وقوة في غير موضع
وأئمة أهل السنة وجمهورهم يقولون إن الله خالق هذا كله والخلق
عندهم ليس هو المخلوق فيفرقون بين كون أفعال العباد مخلوقة
مفعولة للرب وبين أن يكون نفس فعله الذي هو مصدر فعل يفعل
فعلًا فإنها فعل للعبد بمعنى المصدر وليست فعلًا للرب تعالى
بهذا الاعتبار بل هي مفعولة له والرب تعالى لا يتصف
بمفعولاته ولكن هذه الشناعات لزمّت من لا يفرق بين فعل
الرب ومفعوله ويقول مع ذلك إن أفعال العباد فعل لله كما يقول
ذلك الجهم بن صفوان وموافقوه والأشعري وأتباعه ومن وافقهم

من أتباع الأئمة ولهذا ضاق بهؤلاء البحث في هذا الموضوع كما
قد بسط في موضعه²³²

وأهل السنة يقولون بهذا العلم الضروري فيقولون إن العبد فاعل
والله خلقه فاعلا والعبد مرید مختار والله جعله مریدا مختار
قال الله تعالى { إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا } {29}
وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } {30}
الإنسان 29- 30 وقال تعالى { لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ } {28}
وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } {29} التكوير 28-29
فأثبت مشيئة العبد وجعلها لا تحصل إلا بمشيئة الله تعالى وقال
الخليل صلى الله عليه وسلم { رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ
ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ } إبراهيم 40 وقال { فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ
النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ } إبراهيم 37 وقال هو وإسماعيل صلى الله
عليهما وسلم { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً
لَّكَ } البقرة 128 وقال { وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا
{ الأنبياء 73 وقال { وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ
{ القصص 41 وأمثال ذلك في الكتاب والسنة فدليلهم اقتضى
مشيئة العبد وأنه فاعل بالاختيار وهذا الدليل اقتضى أن هذه
المشيئة والاختيار حصلت بمشيئة الرب فكلا الأمرين حق
فمن قال إن العبد لا مشيئة له ولا اختيار أو قال إنه لا قدرة له أو
أنه لم يفعل ذلك الفعل أو لا أثر لقدرة فيه ولم يحدث تصرفاته
فقد أنكر موجب الضرورة الأولى ومن قال إن إرادته وفعله
حدثت بغير سبب اقتضى حدوث ذلك وأن العبد أحدث ذلك وحاله
عند إحداثه كما كان قبل إحداثه بل خص أحد الزمانين بالإحداث
من غير سبب اقتضى تخصيصه وأنه صار مریدا فاعلا محدثا

²³² منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 110

بعد أن لم يكن كذلك من غير شيء جعله كذلك فقد قال بحدوث الحوادث بلا فاعل وإذا قالوا الإرادة لا تعقل كان هذا كلاما لا حقيقة له فإن الإرادة أمر حادث فلا بد له من محدث وهذا كما قالوا إن الباري يحدث إرادة لا في محل بلا سبب اقتضى حدوثها ولا إرادة فارتكبوا ثلاث محالات حدوث حادث بلا إرادة من الله وحدوث حادث بلا سبب حادث وقيام الصفة بنفسها لا في محل وإن شئت قلت كونه مريدا أمر ممكن والممكن لا يترجح وجوده على عدمه ولا يترجح أحد طرفيه على الآخر إلا بمرجح تام وهذا مما يحتج به الرازي عليهم وهو صحيح في نفسه لكنه تناقض في مسألة حدوث العالم²³³

وجمهور أهل السنة يقولون إن العبد فاعل لفعله حقيقة لا مجازا وإنما نازع في ذلك طائفة من متكلمة أهل الاثبات كالأشعري ومن اتبعه والقرآن مملوء بما يدل على أن أفعال العباد حادثة بمشيئة الله وقدرته وخلقه فيجب الإيمان بكل ما في القرآن ولا يجوز أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض²³⁴

استعمل الاسم على وجه يختص بمراد الشارع لم يستعمل مطلقا

قال تعالى { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ } {72} وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } {73}

²³³ منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 237

²³⁴ منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 259

الانبياء 72-73 وبسبب الكلام في مسألة الايمان
تتازع الناس هل في اللغة أسماء شرعية نقلها الشارع عن
مسماتها في اللغة أو أنها باقية في الشرع على ما كانت عليه في
اللغة لكن الشارع زاد في أحكامها لا في معنى الاسماء وهكذا
قالوا في إسم الصلاة و الزكاة و الصيام و
الحج إنها باقية في كلام الشارع على معناها اللغوى لكن زاد
في أحكامها ومقصودهم ان الايمان هو مجرد التصديق وذلك
يحصل بالقلب واللسان وذهبت طائفة ثالثة الى أن الشارع
تصرف فيها تصرف أهل العرف فهي بالنسبة الى اللغة مجاز
وبالنسبة الى عرف الشارع حقيقة و التحقيق أن الشارع لم
ينقلها ولم يغيرها ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة كما يستعمل
نظائرها مثل الزكاة هي اسم لما تزكو به النفس وزكاة النفس
زيادة خيرها وذهاب شرها والإحسان الى الناس من أعظم ما
تزكو به النفس كما قال تعالى { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ
وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا } التوبة 103 وكذلك ترك الفواحش مما تزكو
به قال تعالى { وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا
مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٍ أَبَدًا } النور 21 وأصل زكاتها بالتوحيد واخلاص
الدين لله قال تعالى { وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ } {6} الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ } {7} فصلت 6-7 وهى عند المفسرين التوحيد وقد بين
النبي مقدار الواجب وسماها الزكاة المفروضة فصار لفظ الزكاة
إذا عرف باللام ينصرف اليها لأجل العهد ولفظ الايمان
أمر به مقيدا بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله وكذلك لفظ
الإسلام بالإستسلام لله رب العالمين وقد بين الرسول تلك
الخصائص والاسم دل عليها فلا يقال أنها منقولة ولا أنه زيد في
الحكم دون الاسم بل الاسم انما استعمل على وجه يختص بمراد
الشارع لم يستعمل مطلقا وهو إنما قال { أَقِيمُوا الصَّلَاةَ } بعد
أن عرفهم الصلاة المأمور بها فكان التعريف منصرفا الى
الصلاة التى يعرفونها لم يرد لفظ الصلاة وهم لا يعرفون معناها
ولهذا كل من قال فى لفظ الصلاة أنه عام للمعنى اللغوى أو أنه

مجمل لتردده بين المعنى اللغوي والشرعي ونحو ذلك فأقوالهم ضعيفة فان هذا اللفظ انما ورد خبرا أو أمرا فالخبر كقوله { أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى {9} عَبْدًا إِذَا صَلَّى {10} } العلق 9-10 وسورة اقرأ من أول ما نزل من القرآن وكان بعض الكفار أما أبو جهل أو غيره قد نهى النبي عن الصلاة وقال لئن رأيتك يصلي لأطأن عنقه فلما رآه ساجدا رأى من الهول ما أوجب نكوصه على عقبه فإذا قيل { أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى {9} عَبْدًا إِذَا صَلَّى {10} } العلق 9-10 فقد علمت تلك الصلاة الواقعة بلا إجمال في اللفظ ولا عموم ثم أنه لما فرضت الصلوات الخمس ليلة المعراج أقام النبي لهم الصلوات بمواقيتها صبيحة ذلك اليوم وكان جبرائيل يؤم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون يأتون بالنبي فإذا قيل لهم { أَقِيمُوا الصَّلَاةَ } عرفوا أنها تلك الصلاة وقيل أنه قبل ذلك كانت له صلاتان طرفي النهار فكانت أيضا معروفة فلم يخاطبوا بإسم من هذه الأسماء الا ومسماه معلوم عندهم فلا اجمال في ذلك ولا يتناول كل ما يسمى حجا ودعاءا وصوما فإن هذا انما يكون اذا كان اللفظ مطلقا وذلك لم يرد²³⁵

فإن الصلاة أيضا تعم الصلاة المفروضة والتطوع وقد يدخل فيها كل ذكر الله إما لفظا وإما معنى قال ابن مسعود رضي الله عنه ما دمت تذكر الله فأنت في صلاة وإن كنت في السوق وقال معاذ بن جبل مدارس العلم التسبيح فإن الزكاة وإن كانت قد صارت حقيقة شرعية في الزكاة المفروضة فإنها اسم لكل نفع للخلق من نفع بدني أو مالي²³⁶

²³⁵ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 299-300

²³⁶ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 1

عماد الدين الذي لا يقوم إلا به هو الصلوات الخمس المكتوبات

قال تعالى { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ } {72} وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } {73} الانبياء 72-73 فالصلاة لها شأن انفردت به على سائر الأعمال قال تعالى { وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ } الانبياء 73 خص الصلاة بالذكر مع دخولها في جميع الخيرات فالصلاة لها شأن انفردت به على سائر الأعمال و تبين ذلك من وجوه نذكر بعضها مما انتزعه الإمام احمد وغيره منها أن كل عبادة من العبادات فإن الصلاة مقرونة بها فإن العبادة تعم جميع الطاعات و قد خصت الصلاة بذلك الأمر و الاصطبار عليها فإذا ذكرت الزكاة قيل { وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ } الانبياء 73 و إذا ذكرت المناسك قيل { فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ } الكوثر 2 { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الأنعام 162 و إن ذكر الصوم قيل { وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ } البقرة 45 فإن الصبر المعدود في المثاني هو الصوم قال صلى الله عليه و سلم صوم شهر الصبر و ثلاثة أيام من كل شهر²³⁷

وعماد الدين الذي لا يقوم إلا به هو الصلوات الخمس المكتوبات و يجب على المسلمين من الاعتناء بها ما لا يجب من الاعتناء بغيرها كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله إن

²³⁷ شرح العمدة ج: 4 ص: 88-89

أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه
ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة وهي أول ما
أوجبه الله من العبادات والصلوات الخمس تولى الله إيجابها
بمخاطبة رسوله ليلة المعراج وهي آخر ما وصى به النبي صلى
الله عليه وسلم أمته وقت فراق الدنيا جعل يقول الصلاة الصلاة
وما ملكت أيمانكم وهي أول ما يحاسب عليه العبد من عمله
وآخر ما يفقد من الدين فإذا ذهبت ذهب الدين كله وهي عمود
الدين فمتى ذهبت سقط الدين قال النبي رأس الأمر الإسلام
وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله وأمر
الصلاة عظيم شأنها أن تذكر ههنا فإنها قوام الدين وعماده
وتعظيمه تعالى لها في كتابه فوق جميع العبادات فإنه سبحانه
يخصها بالذكر تارة ويقرنها بالزكاة تارة وبالصبر تارة وبالانسك
تارة²³⁸

بالقيام بالصلاة والزكاة والصبر يصلح حال الراعي والرعية

قال تعالى { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا
صَالِحِينَ } {72} وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ
الْخَيْرَاتِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } {73}
الانبياء 72-73 وأعظم عون لولي الأمر خاصة ولغيره
عامة ثلاثة أمور أحدها الإخلاص لله والتوكل عليه بالدعاء
وغيره وأصل ذلك المحافظة على الصلوات بالقلب والبدن الثاني
الإحسان إلى الخلق بالنعف والمال الذي هو الزكاة الثالث الصبر

²³⁸مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 430

على أذى الخلق وغيره من النوائب ولهذا جمع الله بين الصلاة والصبر وأما قرانه بين الصلاة والزكاة في القرآن فكثير جدا قال تعالى { وَجَعَلْنَا هُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } الأنبياء 73 فبالقيام بالصلاة والزكاة والصبر يصلح حال الراعي والرعية إذا عرف الإنسان ما يدخل في هذه الأسماء الجامعة يدخل في الصلاة من ذكر الله تعالى ودعائه وتلاوة كتابه وإخلاص الدين له والتوكل عليه وفي الزكاة بالإحسان إلى الخلق بالمال والنفع من نصر المظلوم وإغاثة الملهوف وقضاء حاجة المحتاج ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كل معروف صدقة فيدخل فيه كل إحسان ولو ببسط الوجه والكلمة الطيبة ففي الصحيحين عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا شيئا قدمه وينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئا قدمه فينظر أمامه فتستقبله النار فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمره فليفعل فإن لم يجد فبكلمة طيبة وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم إن أثقل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لأم سلمة يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة²³⁹

الله سبحانه و تعالى أمر في كتابه بإقامة الصلاة و ذم المصلين الساهين عنها

²³⁹السياسة الشرعية ج: 1 ص: 112

قال تعالى { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ } {72} وَجَعَلْنَا هُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } {73}

الانبياء 72-73 وان الله سبحانه وتعالى أمر في كتابه بإقامة الصلاة و ذم المصلين الساهين عنها المضيعين لها فقال تعالى في غير موضع { أَقِيمُوا الصَّلَاةَ } وإقامتها تتضمن إتمامها بحسب الإمكان كما سيأتي في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال أقيموا الركوع و السجود فإني أراكم من بعد ظهري و في رواية أتموا الركوع و السجود و سيأتي تقرير دلالة ذلك وقد أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين وأخرج أصحاب السنن أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأصحاب المسانيد كمسند احمد وغير ذلك من أصول الإسلام عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فدخل رجل ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ارجع فصل فإنك لم تصل فرجع الرجل فصلى كما كان صلى ثم سلم عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم و عليك السلام ثم قال ارجع فصل فإنك لم تصل حتى فعل ذلك ثلاث مرات فقال الرجل والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا فعلمني قال إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راعكاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم اجلس حتى تطمئن جالساً ثم افعل ذلك في صلاتك كلها وفي رواية للبخاري إذا قمت إلى الصلاة فاسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر و اقرأ بما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راعكاً ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تستوي وتطمئن جالساً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تستوي قائماً ثم افعل ذلك في صلاتك كلها و في رواية له ثم اركع حتى تطمئن راعكاً ثم ارفع حتى تستوي قائماً و باقيه مثله و في رواية و إذا فعلت هذا فقد تمت صلاتك و ما انتقصت من

هذا فإنما انتقصته من صلاتك وعن رفاعه بن رافع رضي الله عنه أن رجلا دخل المسجد فذكر الحديث و قال فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنه لا تتم صلاة لأحد من الناس حتى يتوضأ فيضع الوضوء مواضعه ثم يكبر و يحمد الله عز و جل و يثني عليه و يقرأ بما شاء من القرآن ثم يقول الله أكبر ثم يركع حتى يطمئن راعيا ثم يقول الله أكبر ثم يرفع رأسه حتى يستوي قائما ثم يسجد حتى يطمئن ساجدا ثم يقول الله أكبر ثم يرفع رأسه حتى يستوي قاعد ثم يقول الله أكبر ثم يسجد حتى تطمئن مفاصله ثم يرفع رأسه فيكبر فإذا فعل ذلك فقد تمت صلاته و في رواية إنها لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمر الله عز و جل فيغسل وجهه و يديه إلى المرفقين و يمسح برأسه و رجليه إلى الكعبين ثم يكبر الله و يحمده ثم يقرأ من القرآن ما أذن له و تيسر و ذكر نحو اللفظ الأول و قال ثم يكبر فيسجد فيمكن وجهه و ربما قال جبهته من الأرض حتى تطمئن مفاصله و تسترخي ثم يكبر فيستوي قاعدا على مقعدته و يقيم صلبه فوصف الصلاة هكذا أربع ركعات حتى فرغ ثم قال لا تتم صلاة لأحدكم حتى يفعل ذلك رواه أهل السنن أبو داود و النسائي و ابن ماجه و الترمذي و قال حديث حسن و الروايتان لفظ أبي داود و في رواية ثالثة له قال إذا قمت فتوجهت إلى القبلة فكبر ثم اقرأ بأمر القرآن و بما شاء الله أن تقرأ فإذا ركعت فضع راحتك على ركبتيك و امدد ظهرك و قال إذا سجدت فمكّن لسجودك فإذا رفعت فاقعد على فخذك اليسرى و في رواية أخرى قال إذا أنت قمت في صلاتك فكبر الله عز و جل ثم اقرأ ما تيسر عليك من القرآن و قال فيه فإذا جلست في وسط الصلاة فاطمئن و افترش فخذك اليسرى ثم تشهد ثم إذا قمت فمثل ذلك حتى تفرغ من صلاتك و في رواية أخرى قال فتوضأ كما أمرك الله ثم تشهد فأتم ثم كبر فإن كان معك قرآن فقرأ به و إلا فاحمد الله عز و جل و كبره و هله و قال فيه و إن انتقصت منه شيئا انتقصت من صلاتك فالنبي صلى الله عليه وسلم أمر ذلك المسيء في

صلاته بأن يعيد الصلاة و أمر الله و رسوله إذا أطلق كان مقتضاه الوجوب و أمره إذا قام إلى الصلاة بالطمأنينة كما أمره بالركوع و السجود و أمره المطلق على الإيجاب و أيضا قال له فإنك لم تصل فنفي أن يكون عمله الأول صلاة و العمل لا يكون منفيا إلا إذا انتفى شيء من واجباته فأما إذا فعل كما أوجبه الله عز و جل فإنه لا يصح نفيه لانتفاء شيء من المستحبات التي ليست بواجبة²⁴⁰

جاء ذكر الصلاة في القرآن مجملا فبينه الرسول

قال تعالى { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ } {72} { وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } {73} الانبياء 72-73 جعل الله الاسلام مبينا على أركان خمسة ومن أكدها الصلاة وهي خمسة فروض وقرن معها الزكاة فمن أكد العبادات الصلاة وتليها الزكاة ففي الصلاة عبادته وفي الزكاة الاحسان الى خلقه فكرر فرض الصلاة في القرآن في غير آيه ولم يذكرها إلا قرن معها الزكاة من ذلك قوله تعالى { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ } البقرة 43 وقال { فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ } التوبة 11 وقال { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ } البينة 5 وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رواه مسلم من حديث عمر أن جبريل سأل النبي عن الاسلام فقال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان

²⁴⁰القواعد النورانية ج: 1 ص: 25- 26

وحج البيت وعنه قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا إله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا من دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ولما بعث معاذ الى اليمن قال له إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوك لذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب فصل وجاء ذكر الصلاة في القرآن مجملا فبينه الرسول وان بيانه أيضا من الوحي لأنه سبحانه أنزل عليه الكتاب والحكمة قال حسان بن عطية كان جبريل ينزل على النبي بالسنة يعلمه إياها كما يعلمه القرآن فقد سمى الله الزكاة صدقة وزكاة ولفظ الزكاة في اللغة يدل على النمو والزرع يقال فيه زكا إذا نما ولا ينمو إلا إذا خلس من الدغل فلهذا كانت هذه اللفظة في الشريعة تدل على الطهارة {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} الشمس 9 {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} الأعلى 14 نفس المتصدق تزكو وماله يزكو يطهر ويزيد في المعنى²⁴¹

ذكر الخاص مع العام يكون لأسباب متنوعة

قال تعالى { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ } 72 { وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } 73

²⁴¹مجموع الفتاوى ج: 25 ص: 6- 8

الانبياء 72-73 فإن قيل فإذا كان جميع ما يحبه الله داخلا في اسم العبادة لماذا عطف عليها غيرها كقوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 وقوله {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 وقول نوح {أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا} نوح 3 وكذلك قول غيره من الرسل قيل هذا له نظائر كما في قوله {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} العنكبوت 45 والفحشاء من المنكر وكذلك قوله {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ} النحل 90 وإيتاء ذي القربى هو من العدل والاحسان كما ان الفحشاء والبغي من المنكر وكذلك قوله {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} الأعراف 170 واقامة الصلاة من اعظم التمسك بالكتاب وكذلك قوله {وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ} الأنبياء 73 خص الصلاة بالذكر مع دخولها في جميع الخيرات وكذلك قوله {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا} الأنبياء 90 ودعاؤهم رغبا ورهبا من الخيرات وامثال ذلك في القرآن كثير وهذا الباب يكون تارة مع كون احدهما بعض الآخر فيعطف عليه تخصيصا له بالذكر لكونه مطلوبا بالمعنى العام والمعنى الخاص وتارة تكون دلالة الاسم تتنوع بحال الانفراد والاقتران فاذا افرد عم واذا قرن بغيره خص كاسم الفقير و المسكين لما

افرد احدهما في مثل قوله {لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} البقرة 273 وقوله {إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ} المائدة 89 دخل فيه الآخر ولما قرن بينهما في قوله {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ} التوبة 60 صارا نوعين وقد قيل ان الخاص المعطوف على العام لا يدخل في العام حال اقتران بل يكون من هذا الباب والتحقيق ان هذا ليس لازما قال تعالى {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ} البقرة 98 وقال تعالى {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ

وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ { الأحزاب 7 وذكر الخاص مع
 العام يكون لأسباب متنوعة تارة لكونه له خاصية ليست لسائر
 أفراد العام كما في نوح و ابراهيم وموسى وعيسى وتارة لكون
 العام فيه اطلاق قد لا يفهم منه العموم كما في قوله { هُدَى
 لِّلْمُتَّقِينَ } {2} الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
 يُنْفِقُونَ } {3} وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
 {4} البقرة 2-4 فقوله { يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ } {3} البقرة 3 يتناول
 الغيب الذي يجب الايمان به لكن فيه اجمال فليس فيه دلالة على
 ان من الغيب ما انزل اليك وما انزل من قبلك وقد يكون
 المقصود انهم يؤمنون بالمخبر به وهو الغيب وبالاخبار بالغيب
 وهو ما انزل إليك وما انزل من قبلك ومن هذا الباب قوله تعالى
 { اَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ } { العنكبوت 45
 وقوله { وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ } { الأعراف 170
 و تلاوة الكتاب هي اتباعه كما قال ابن مسعود فى قوله
 تعالى { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ } { البقرة 121 قال
 يحللون حلاله ويحرمون حرامه ويؤمنون بمتشابهة ويعملون
 بمحكمه فاتباع الكتاب يتناول الصلاة وغيرها لكن خصها بالذكر
 لمزيتها وكذلك قوله لموسى { اِنْنِي اَنَا اللهُ لَا اِلَهَ اِلَّا اَنَا فَاعْبُدْنِي
 وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي } طه 14 واقامة الصلاة لذكره من اجل
 عبادته وكذلك قوله تعالى { اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ
 الْوَسِيلَةَ } { المائدة 35 وقوله { اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ
 } { التوبة 119 فإن هذه الامور هي ايضا من تمام تقوى الله
 وكذلك قوله { فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } { هود 123 فان التوكل
 والاستعانة هي من عبادة الله لكن خصت بالذكر ليقصدها المتعبد
 بخصوصها فانها هي العون على سائر انواع العبادة اذ هو
 سبحانه لا يعبد الا بمعونته اذا تبين هذا فكمال المخلوق فى
 تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله
 وعلت درجته ومن توهم ان المخلوق يخرج من العبودية بوجه

من الوجوه او ان الخروج عنها اكمل فهو من اجهل الخلق
واصلهم قال تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ
مُّكْرَمُونَ } 26 { لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } 27
الانبياء 26-27 الى قوله { وَهُمْ مِّنْ خَشِيَّتِهِ مُسْفِقُونَ } 28
الانبياء 28²⁴²

الفاحشة اسمها ضد الجمال فإن الله سماها فاحشة وسوءا وفسادا وخبثا

قال تعالى { وَلَوْطاً أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي
كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ } 74 { وَأَدْخَلْنَاهُ
فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ } 75 { الأنبياء 74-75 قوله ص
إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى
قلوبكم وأعمالكم فعلم أن مجرد الجمال الظاهر في الصور
والثياب لا ينظر الله إليه وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال فإن
كان الظاهر مزيئا مجملا بحال الباطن أحبه الله وإن كان مقبحا
مدنسا بقبح الباطن أبغضه الله فإنه سبحانه يحب الحسن الجميل
ويبغض السيئ الفاحش وأهل جمال الصورة يبتلون بالفاحشة
كثيرا واسمها ضد الجمال فإن الله سماها فاحشة وسوءا وفسادا
وخبثا قال تعالى { وَلَوْطاً أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ
الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ } الأنبياء 74
والفاحش والخبث ضد الطيب والجميل فإذا كان كذلك أبغضه الله
ولم يحبه ولم يكن مندرجا في الجميل ونظير ذلك قوله ص إن

²⁴²الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 375 و شرح العمدة ج: 4 ص: 88 و
مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 174-177

الله لا يحب الفحش ولا التفحش وقوله إن الله يبغض الفاحش
البيذى²⁴³

أهل الفواحش الذين لا يبغضون أبصارهم ولا يحفظون فروجهم
فقد وصفهم الله من السكره والعمه والجهالة وعدم العقل وعدم
الرشد والبغض وطمس الأبصار هذا مع ما وصفهم به من
الخبث والفسوق والعدوان والإسراف والسوء والفحش والفساد
والإجرام فقال عن قوم لوط { أ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } النمل 55
فوصفهم بالجهل وقال { لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ
{ الحجر 72 وقال { أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ } هود 78 وقال
{ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ } القمر 37 وقال { بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ
{ الأعراف 81 وقال { فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ
{ الأعراف 84 وقال { إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَاسْقِينِ } الأنبياء 74
وقال { أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ
الْمُنْكَرَ } العنكبوت 29 إلى قوله { قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ
المُفْسِدِينَ } العنكبوت 30 إلى قوله { بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
{ العنكبوت 34 وقوله { مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ
{ الذاريات 34²⁴⁴

وقد قال تعالى { إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ } التوبة 28 وقال
{ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ } الحج 30
وقال { إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ
عَمَلِ الشَّيْطَانِ } المائدة 90 وقال عن المنافقين { فَأَعْرِضُوا

²⁴³ الاستقامة ج: 1 ص: 358

²⁴⁴ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 400

عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ { التوبة 95 وقال عن قوم لوط { وَنَجَّيْنَاهُ
مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ { الأنبياء 74 وقال اللوطية
عن لوط وأهله { أَخْرَجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ
{ الأعراف 82 قال مجاهد عن ادبار الرجال ويقال فى دخول
الغانط أعود بك من الخبث والخبائث ومن الرجس النجس
الخبيث المخبث وهذه النجاسة تكون من الشرك والنفاق
والفواحش والظلم ونحوها وهى لا تزول إلا بالتوبة عن ترك
الفاحشة وغيرها فمن تاب منها فقد تطهر وإلا فهو متنجس وإن
إغتسل بالماء من الجنابة فذاك الغسل يرفع حدث الجنابة ولا
يرفع عنه نجاسة الفاحشة التى قد تنجس بها قلبه وباطنه فإن تلك
نجاسة لا يرفعها الإغتسال بالماء وإنما يرفعها الإغتسال بماء
التوبة النصوح المستمرة إلى الممات وهذا معنى ما رواه ابن
أبى الدنيا وغيره ثنا سويد بن سعيد ثنا مسلم بن خالد عن
إسماعيل بن كثير عن مجاهد قال لو أن الذى يعمل يعنى عمل
قوم لوط إغتسل بكل قطرة فى السماء وكل قطرة فى الأرض لم
يزل نجسا ورواه ابن الجوزى وروى القاسم بن خلف فى
كتاب ذم اللواط بإسناده عن الفضيل بن عياض أنه قال لو
أن لوطيا إغتسل بكل قطرة نزلت من السماء للقى الله غير طاهر
وقد روى أبو محمد الخلال عن العباس الهاشمى ذلك مرفوعا
وحديث إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود اللوطيان لو إغتسلا
بماء البحر لم يجزهما إلا أن يتوبا ورفع مثل هذا الكلام منكر
وإنما هو معروف من كلام السلف وكذلك روى عن أبى
هريرة وابن عباس قالا خطبنا رسول الله فقال فى خطبته من
نكح امرأة فى دبرها أو غلاما أو رجلا حشر يوم القيامة أنتن من
الجيفة يتأذى به الناس حتى يدخله الله نار جهنم ويحبط الله عمله
ولا يقبل منه صرفا ولا عدلا ويجعل فى تابوت من نار ويسمر
عليه بمسامير من حديد فتشك تلك المسامير فى وجهه وجسده
قال أبو هريرة هذا لمن لم يتب وذلك أن تارك اللواط متطهر كما
دل عليه القرآن ففاعله غير متطهر من ذلك فيكون متنجسا فإن

ضد الطهارة النجاسة لكن النجاسة أنواع مختلفة تختلف أحكامها ومن هنا غلط بعض الناس من الفقهاء فإنهم لما رأوا ما دل عليه القرآن من طلب طهارة الجنب بقوله { وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا } {المائدة6} قالوا فيكون الجنب نجسا وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة أن النبي قال إن المؤمن لا ينجس لما إنخس منه وهو جنب وكره أن يجالسه فهذه النجاسة التي نفاها النبي هي نجاسة الطهارة بالماء التي ظنها أبوهريرة والجنبات تمنع الملائكة أن تدخل بيتا فيه جنب وقال أحمد إذا وضع الجنب يده في ماء قليل انجس الماء فظن بعض أصحابه أنه أراد النجاسة الحسية وإنما أراد الحكمية فإن الفرع لا يكون أقوى من الأصل ولا يكون الماء أعظم من البدن بل غايته أن يقوم به المانع الذي قام بالبدن والجنب ظاهره ممنوع من الصلاة فيكون الماء كذلك طاهرا لا يتوضأ به للصلاة²⁴⁵

لفظ الصالح خلاف الفاسد فاذا أطلق فهو الذي أصل جميع امره

قال تعالى { وَلَوْطَأُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ } {74} وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ } {75} {الأنبياء74-75} وكذلك لفظ الصالح و الشهيد و الصديق يذكر مفردا فيتناول النبيين قال تعالى في حق الخليل { وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } {العنكبوت27} وقال { وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } {النحل122} وقال الخليل { رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } {الشعراء83}

²⁴⁵مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 385- 393

وقال يوسف { تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } يوسف 101
 وقال سليمان { وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ }
 النمل 19 وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث
 الصحيح المتفق على صحته لما كانوا يقولون في آخر صلاتهم
 السلام على الله قبل عباده السلام على فلان فقال لنا رسول الله
 ذات يوم ان الله هو السلام فاذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل
 التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة
 الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فاذا قالها
 أصابت كل عبد صالح لله في السماء والأرض الحديث
 وقد يذكر الصالح مع غيره كقوله تعالى { فَأَوْلئك مَعَ
 الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ
 وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقًا } النساء 69 قال الزجاج وغيره الصالح
 القائم بحقوق الله وحقوق عباده ولفظ الصالح خلاف الفاسد
 فاذا أطلق فهو الذي أصلح جميع امره فلم يكن فيه شيء من
 الفساد فاستوت سريرته وعلايته وأقواله وأعماله على ما
 يرضى ربه وهذا يتناول النبيين ومن دونهم²⁴⁶

لطائف لغوية

1- قال تعالى { وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ }
 { الأنبياء 50 } الذكر مصدر يضاف تارة إلى الفاعل وتارة إلى
 المفعول كما يقال دق الثوب ودق القصار ويقال أكل زيد وأكل
 الطعام ويقال ذكر الله أي ذكر العبد ويقال ذكر الله أي ذكر الله
 الذي ذكره هو مثل ذكره عبده ومثل القرآن الذي هو ذكره
 وقد يضاف الذكر إضافة الأسماء المحضة فقوله ذكرى إن
 أضيف إضافة المصادر كان المعنى الذكر الذي ذكرته وهو

²⁴⁶ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 57

كلامه الذي أنزله وإن أضيف إضافة الأسماء المحضة فذكره هو ما اختص به من الذكر والقرآن مما اختص به من الذكر قال تعالى **{ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ } الأنبياء 50** وقال **{ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ } الأنبياء 2** وقال **{ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ } يس 69** وقال **{ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } النحل 44**²⁴⁷

و ذكر الله يراد به تارة ذكر العبد ربه ويراد به الذكر الذى أنزله الله كما قال تعالى **{ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ } الأنبياء 50** وقال نوح **{ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ } الأعراف 63** وقال **{ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ } الحجر 6** وقال **{ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ } الأنبياء 2** وقال **{ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ } الزخرف 44** وقال **{ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ } 27** **{ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ } 28** التكوير 27-28 وقال **{ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ } يس 69**

248

2- قال تعالى **{ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ } الأنبياء 50** أنه لما أنزل قوله ذلك الكتاب وتلك آيات الكتاب ونحو ذلك لم يكن الكتاب المشار إليه قد أنزل تلك الساعة وإنما كان قد أنزل قبل ذلك فصار كالعائب الذي يشار إليه كما يشار إلى العائب وهو باعتبار حضوره عند النبي يشار

²⁴⁷ منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 155-156

²⁴⁸ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 562

إليه كما يشار إلى الحاضر كما قال تعالى { وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ } {الأنبياء: 50} ولهذا قال غير واحد من السلف ذلك الكتاب أي هذا الكتاب يقولون المراد هذا الكتاب وإن كانت الإشارة تكون تارة إشارة غائب وتارة إشارة حاضر²⁴⁹

3- قال تعالى { إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ النَّمَاتِئِلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ } {52} قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ } {53} {الأنبياء: 52-53}

53

المقصود بالإعتكاف العبادة والصلاة²⁵⁰

4- قال تعالى { قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } {الأنبياء: 54} عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد ولفظ الضلال إذا أطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان عمدا أو جهلا ولزم أن يكون معذبا كقوله { إِنَّهُمْ أَلَفُوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ } {69} فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ } {70} وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ } {71} الصافات 69- 71 وقوله { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا } {67} رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا } {68} {الأحزاب: 67- 68} وقوله { فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } {طه: 123} ثم يقرن بالغى والغضب كما في قوله { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى } {النجم: 2}

²⁴⁹الجواب الصحيح ج: 2 ص: 275

²⁵⁰مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 261

وفى قوله { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } الفاتحة 7
وقوله { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ } القمر 47²⁵¹

5- قال تعالى { قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُ هُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ }
الأنبياء 60 ولفظ الفتى فى اللغة هو الشاب والحدث كما
ذكر ذلك أهل اللغة ومنه قول تعالى { وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ }
يوسف 36 وقوله { إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ } الكهف 13
{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ { الكهف 60 وقد فتى يفتى فهو فتى أى بين
الفتا والأفتا من الدواب خلاف المسان وقد يعبر بالفتى عن
المملوك مطلقا كما قال تعالى { مِّنْ فِتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ
النساء 25²⁵²

أن لفظ الفتى فى الكتاب والسنة ولغة العرب ليس من هو من
أسماء المدح كما ليس هو من أسماء الذم ولكن بمنزلة اسم الشاب
والكهل والشيخ ونحو ذلك والذين قالوا عن إبراهيم سمعنا فتى
يذكرهم يقال له إبراهيم هم الكفار ولم يقصدوا مدحه بذلك وإنما
الفتى كالشباب الحدث²⁵³

²⁵¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 167

²⁵² مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 91

²⁵³ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 70

6- قال تعالى { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ } {72} وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } {73}

الانبياء 72-73 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتفريد وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم الذى بعث الله به رسوله والعمل به جميعا فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما فى قوله { اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا وكذلك قوله { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } { البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } الأعراف 43 وانما هداهم بأن ألهمهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتناء كما فى قوله { وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الأنعام 87 وكما فى قوله { شَاكِرًا لِأَلْنَعْمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ } النحل 121 { اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } الشورى 13 وكذلك قوله تعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ } التوبة 33 والهدى هنا هو الايمان ودين الحق هو الاسلام واذا أطلق الهدى كان كالايمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا²⁵⁴

7- قال تعالى { وَلَوْطًا أَنبِيَاءَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَاسِقِينَ } الأنبياء 74 لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب وأمثال هذه الأمور التى فيها الحال والمحال كلاهما داخل فى الاسم ثم قد يعود الحكم على الحال وهو السكان وتارة على المحل وهو المكان وكذلك فى النهر يقال حفرت النهر وهو المحل وجرى النهر وهو الماء

²⁵⁴مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 166

ووضعت الميزاب وهو المحل وجرى الميزاب وهو الماء وكذلك
 القرية قال تعالى { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً
 {النحل112 وقوله { وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا
 أَوْ هُمْ قَائِلُونَ }4 { فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا
 كُنَّا ظَالِمِينَ }5 { الأعراف4-5 وقال في آية أخرى { أَفَأَمِنَ
 أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ } الأعراف97
 فجعل القرى هم السكان وقال { وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً
 مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ } محمد13
 وهم السكان وكذلك قوله تعالى { وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا
 ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا } الكهف59 وقال تعالى { أَوْ كَالَّذِي
 مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا } البقرة259 فهذا
 المكان لا السكان لكن لابد أن يلحظ أنه كان مسكونا فلا يسمى
 قرية الا اذا كان قد عمر للسكنى مأخوذ من القرى وهو الجمع
 ومنه قولهم قريت الماء فى الحوض اذا جمعته فيه ونظير ذلك
 لفظ الانسان يتناول الجسد والروح ثم الاحكام تتناول هذا
 تارة وهذا تارة لتلازمهما فكذلك القرية اذا عذب أهلها خربت
 واذا خربت كان عذابا لأهلها فما يصيب أحدهما من الشر ينال
 الآخر كما ينال البدن والروح ما يصيب أحدهما فقولهُ { وَاسْأَلِ
 الْقَرْيَةَ } يوسف82 مثل قوله { قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً
 {النحل112 فاللفظ هنا يراد به السكان من غير اضمار ولا
 حذف²⁵⁵

وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ
الْكَرْبِ الْعَظِيمِ {76} وَنَصْرَانَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ {77}
وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ
غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ {78} فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ
وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ
وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ {79} وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ
لِتُخَفِّنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ {80} وَسَلَّمْنَا
الرَّيْحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ {81} وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ
يَغْوُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ
حَافِظِينَ {82} وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ {83} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ
وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى
لِلْعَابِدِينَ {84} وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ
الصَّابِرِينَ {85} وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ
الصَّالِحِينَ {86} وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ
نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ
إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ {87} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ
الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ {88} وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ
رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ {89} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَابًا وَيَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا

**خَاشِعِينَ {90} وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ
رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ {91} إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ
أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون {92}**

**قد يخص الله بعض الأنبياء والعلماء والحكام بعلم دون
غيره**

قال تعالى { وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ
عَنَمَ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ } {78} فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا
حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا
فَاعِلِينَ } {79} الأنبياء 78- 79 والأصول التي لا تتناقض فيها
ما أثبت بنص أو إجماع وما سوى ذلك فالتناقض موجود فيه
وليس هو حجة على أحد والقياس الصحيح الذي لا يتناقض هو
موافق للنص والإجماع بل ولا بد أن يكون النص قد دل على
الحكم كما قد بسط في موضع آخر وهذا معنى العصمة فان كلام
المعصوم لا يتناقض ولا نزاع بين المسلمين أن الرسول معصوم
فيما بلغه عن الله تعالى فهو معصوم فيما شرعه للأمة باجماع
المسلمين وكذلك الأمة أيضا معصومة أن تجتمع على ضلالة
بخلاف ما سوى ذلك ولهذا كان مذهب أئمة الدين ان كل أحد من
الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله فانه الذي فرض الله
على جميع الخلائق الإيمان به وطاعته وتحليل ما حله وتحريم
ما حرمه وهو الذي فرق الله به بين المؤمن والكافر وأهل الجنة
وأهل النار والهدى والضلال والغي والرشاد فالمؤمنون أهل
الجنة وأهل الهدى والرشاد هم متبعون والكفار أهل النار وأهل
الغي والضلال هم الذين لم يتبعوه إذا خص أحد العلماء بعلم أمر
وفهمه لم يوجب ذم من يحصل ومن آمن به باطنا
وظاهرا وإجتهد في متابعتة فهو من المؤمنين السعداء وان كان
قد أخطأ وغلط في بعض ما جاء به فلم يبلغه أو لم يفهمه قال الله
تعالى عن المؤمنين { رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا

{البقرة 286} و قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله قال قد فعلت وفي السنن عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر وقد قال تعالى {وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ} {78} فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا {79} {الأنبياء 78-79} فقد خص أحد النبيين الكريمين بالتنفهم مع ثنائه على كل منهما بأنه أوتي علما وحكما فهكذا إذا خص الله أحد العالمين بعلم أمر وفهمه لم يوجب ذلك ذم من لم يحصل له ذلك من العلماء بل كل من إتقى الله ما إستطاع فهو من أولياء الله المتقين وإن كان قد خفى عليه من الدين ما فهمه غيره وقد قال واثلة بن الأسقع وبعضهم يرفعه الى النبي من طلب علما فأدرکه فله أجران ومن طلب علما فلم يدرکه فله أجر وهذا يوافق ما في الصحيح عن عمر وبن العاص وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر²⁵⁶

وثبت عنه في الصحيح أنه كان يقول لمن بعثه أميرا على سرية وجيش وإذا حاصرت أهل حصن فسألك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله فإنك لا تدري ما حكم الله فيهم ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك وهذا يوافق ما ثبت في الصحيح أن سعد بن معاذ لما حكمه النبي في بنى قريظة وكان النبي قد حاصرهم فنزلوا على حكمه فأنزلهم على حكم سعد بن معاذ لما طلب منهم حلفا وهم من الأنصار أن يحسن

²⁵⁶مجموع الفتاوى ج: 33 ص: 29 و مجموع الفتاوى ج: 20 ص:

226 و مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 360

اليهم وكان سعد بن معاذ خلاف ما يظن به بعض قومه كان مقدا لرصى الله ورسوله على رصى قومه ولهذا لما مات إهتز له عرش الرحمن فرحا بقوم روجه فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى حريمهم وتقسم أموالهم فقال النبى لقد حكمت فيهم بحكم الملك وفى رواية لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات والعلماء ورثة الأنبياء وقد قال تعالى { وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ } {78} فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ } {79}

الانبياء 78-79 فهذان نبىان كريمان حكما فى حكومة واحدة فخص الله أحدهما بفهمها مع ثنائه على كل منهما بأنه آتاه حكما وعلما فكذلك العلماء المجتهدون رضى الله عنهم للمصيب منهم أجران وللاخر أجر وكل منهم مطيع لله بحسب إستطاعته ولا يكلفه الله ما عجز عن علمه ومع هذا فلا يلزم الرسول قول غيره ولا يلزم ما جاء به من الشريعة شىء من الأقوال المحدثه لاسيما إن كانت شنيعة ولهذا كان الصحابة إذا تكلموا بإجتهادهم ينزهون شرع الرسول من خطئهم وخطأ غيره كما قال عبد الله بن مسعود فى المفوضة أقول فيها برأى فان يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه وكذلك روى عن الصديق فى الكلاله وكذلك عن عمر فى بعض الأمور مع أنهم كانوا يصيبون فيما يقولونه على هذا الوجه حتى يوجد النص موافقا لإجتهادهم كما وافق النص إجتهااد ابن مسعود وغيره وإنما كانوا أعلم بالله ورسوله وبما يجب من تعظيم شرع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يضيفوا اليه الا ما علموه منه وما أخطوا فيه وإن كانوا مجتهدين قالوا إن الله ورسوله بريئان منه وقد قال الله تعالى { وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } {النور 54} وَقَالَ { فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ }

{ النور 54 وقال { فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ
{ الأعراف 6²⁵⁷

اختص سليمان بالفهم واثني عليهما بالحكم والعلم

قال تعالى { وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ
غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ } {78} فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا
حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا
فَاعِلِينَ } {79} الأنبياء 78- 79 والفهم أخص من العلم والحكم
قال الله تعالى { فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا
{ الأنبياء 79 وقال النبي رب مبلغ أوعى من سامع
وقال بلغوا عني ولو آية²⁵⁸

وقد بينا في رسالة رفع الملام عن الأئمة الأعلام بينا ان
أحدا من أئمة الاسلام لا يخالف حديثا صحيحا بغير عذر بل لهم
نحو من عشرين عذرا مثل أن يكون احدهم لم يبلغه الحديث أو
بلغه من وجه لم يثق به أو لم يعتقد دلالاته على الحكم او اعتقد أن
ذلك الدليل قد عارضه ما هو أقوى منه كالناسخ أو ما يدل على
الناسخ وأمثال ذلك والاعذار يكون العالم فى بعضها مصيبا
فيكون له اجران ويكون فى بعضها مخطئا بعد اجتهاده فيثاب
على اجتهاده وخطؤه مغفور له لقوله تعالى { رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن
نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } البقرة 286 وقد ثبت فى الصحيح ان الله

²⁵⁷مجموع الفتاوى ج: 33 ص: 40- 42

²⁵⁸مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 310

استجاب هذا الدعاء وقال قد فعلت ولأن العلماء ورثة الانبياء وقد ذكر الله عن داود وسليمان انهما حكما في قضية وأنه فهمها أحدهما ولم يعب الآخر بل اتنى على كل واحد منهما بأنه آتاه حكما وعلما²⁵⁹

فقال تعالى { وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ } {78} فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ } {79} الأنبياء 78- 79 فاخص سليمان بالفهم واثني عليهما بالحكم والعلم وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا اجتهد الحاكم فاصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر فتبين أن المجتهد مع خطئه له أجر وذلك لأجل اجتهاده وخطؤه مغفور له لأن درك الصواب في جميع أعيان الاحكام اما متعذر أو متعسر وقد قال تعالى { وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ } الحج 78 وقال تعالى { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ } البقرة 185 وفي الصحيحين عن النبي أنه قال لأصحابه عام الخندق لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة فأدركتهم صلاة العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلي إلا في بني قريظة وقال بعضهم لم يرد منا هذا فصلوا في الطريق فلم يعب واحدة من الطائفتين فالأولون تمسكوا بعموم الخطاب فجعلوا صورة الفوات داخله في العموم والآخرين كان معهم من الدليل ما يوجب خروج هذه الصورة عن العموم فان المقصود المبادرة الى القوم وهي مسألة اختلف فيها الفقهاء اختلفا مشهورا هل يخص العموم بالقياس ومع هذا فالذين صلوا في الطريق كانوا اصوب وكذلك بلال رضي الله عنه لما باع

²⁵⁹مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 305

الصاعين بالصاع امره النبي برده ولم يرتب على ذلك حكم آكل
الربا من التفسيق واللعن والتعليظ لعدم علمه بالتحريم وكذلك
عدي بن حاتم وجماعة من الصحابة لما اعتقدوا أن قوله تعالى
{ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ }
{ البقرة 187 معناه الحبال البيض والسود فكان احدهم يجعل
عاقلين ابيض واسود ويأكل حتى يتبين احدهما من الآخر فقال
النبي لعدي إن وسادك إذا لعريض انما هو بياض النهار
وسواد الليل فأشار الى عدم فقهه لمعنى الكلام ولم يرتب على
هذا الفعل ذم من افطر في رمضان وإن كان من اعظم الكبائر
بخلاف الذين أفتوا المشجوج في البرد بوجوب الغسل فاغتسل
فمات فانه قال قتلوه قتلهم الله هل سألوا اذا لم يعلموا انما شفاء
العبي السؤال فان هؤلاء أخطأوا بغير اجتهاد إذ لم يكونوا من
أهل العلم وكذلك لم يوجب على أسامة بن زيد قودا ولادية
ولا كفارة لما قتل الذي قال لا إله إلا الله في غزوة الحركات فانه
كان معتقدا جواز قتله بناء على أن هذا الاسلام ليس بصحيح مع
أن قتله حرام وعمل بذلك السلف وجمهور الفقهاء في أن ما
استباحه أهل البغي من دماء أهل العدل بتأويل سائغ لم يضمن
بقود ولا دية ولا كفارة وان كان قتلهم وقتالهم محرما وهذا
الشرط الذي ذكرناه في لحوق الوعيد لا يحتاج أن يذكر في كل
خطاب لاستقرار العلم به في القلوب كما أن الوعد على العمل
مشروط باخلاص العمل لله وبعدم حبوط العمل بالردة ثم أن هذا
الشرط لا يذكر في كل حديث فيه وعد ثم حيث قدر قيام الموجب
للوعيد فان الحكم يختلف عنه لمانع وموانع لحوق الوعيد متعددة
منها التوبة ومنها الاستغفار ومنها الحسنات الماحية للسيئات
ومنها بلاء الدنيا ومصائبها ومنا شفاة شفيح مطاع ومنها رحمة
ارحم الراحمين فاذا عدمت هذه الأسباب كلها ولن تعدم إلا في
حق من عتا وتمرد وشرد على الله شراد البعير على أهله فهناك
يلحق الوعيد به وذلك أن حقيقة الوعيد بيان أن هذا العمل سبب
في هذا العذاب فيستفاد من ذلك تحريم الفعل وقبحه أما أن كل

شخص قام به ذلك السبب يجب وقوع ذلك المسبب به فهذا باطل
قطعا لتوقف ذلك المسبب على وجود الشرط وزوال جميع
الموانع²⁶⁰

أما أنواع الاختلاف فهي في الأصل قسمان اختلاف تنوع
واختلاف تضاد واختلاف التنوع كل واحد من المختلفين
مصيب فيه بلا تردد لكن الذم واقع على من بغى على الآخر فيه
وقد دل القرآن على حمد كل واحد من الطائفتين في مثل هذا إذا
لم يحصل من أحدهما بغى كما في قوله قال تعالى { وَدَاوُودَ
وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا
لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ } {78} فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا
وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ } {79}
الأنبياء 78- 79 فخص سليمان بالفهم وأثنى عليهما بالعلم
والحكم²⁶¹

أن الناس تختلف أحوالهم في المعرفة والخبرة والنظر
والاستدلال في جميع المعارف فقد يتقطن الإنسان لدلالة لا
يتقطن لها غيره وقد يتبين له ما يخفى على غيره حتى الأنبياء
يتفاضلون²⁶²

²⁶⁰ مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 252-255 و منهاج السنة النبوية ج: 3
ص: 411

²⁶¹ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 39

²⁶² الجواب الصحيح ج: 6 ص: 494

واجتهاد العلماء فى الأحكام كاجتهاد المستدلين على جهة الكعبة
 فاذا صلى أربعة أنفس كل واحد منهم بطائفة الى أربع جهات
 لاعتقادهم أن القبلة هناك فان صلاة الأربعة صحيحة والذي
 صلى الى جهة الكعبة واحد وهو المصيب الذي له أجران كما فى
 الصحيح عن النبى أنه قال إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله
 أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر **وعلى الحكام ان لا يحكموا الا
 بالعدل** ²⁶³

إذا أريد بالخطأ الاثم فليس المجتهد بمخطيء بل كل مجتهد مصيب مطيع لله

قال تعالى { وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ
 غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ } {78} فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا
 حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا
 فَاعِلِينَ } {79} الأنبياء 78- 79 فإذا أريد بالخطأ الاثم فليس
 المجتهد بمخطيء بل كل مجتهد مصيب مطيع لله فاعل ما أمره
 الله به واذا أريد به عدم العلم بالحق فى نفس الأمر فالمصيب
 واحد وله أجران كما فى المجتهدين فى جهة الكعبة إذا صلوا إلى
 أربع جهات فالذي أصاب الكعبة واحد وله أجران لاجتهاده
 وعمله كان أكمل من غيره والمؤمن القوي أحب الى الله من
 المؤمن الضعيف ومن زاده الله علما وعملا زاده أجران بما زاده
 من العلم والعمل قال تعالى { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى

²⁶³مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 374

قَوْمِهِ نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ { الأنعام 83 } قال مالك عن زيد بن أسلم بالعلم وكذلك قال في قصة يوسف { مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ { يوسف 76 } وقد تبين ان جميع المجتهدين إنما قالوا بعلم واتبعوا العلم وان الفقه من أجل العلوم وانهم ليسوا من الذين لا يتبعون الا الظن لكن بعضهم قد يكون عنده علم ليس عند الآخر اما بان سمع ما لم يسمع الآخر واما بأن فهم ما لم يفهم الآخر كما قال تعالى { وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ {78} فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا {79} الانبياء 78-79 } وهذه حال أهل الاجتهاد والنظر والاستدلال في الاصول والفروع ولم يفرق أحد من السلف والأئمة بين أصول وفروع بل جعل الدين قسمين أصولاً وفروعاً لم يكن معروفاً في الصحابة والتابعين ولم يقل أحد من السلف والصحابة والتابعين ان المجتهد الذي استفرغ وسعه في طلب الحق يائتم لا في الاصول ولا في الفروع ولكن هذا التفريق ظهر من جهة المعتزلة وأدخله في أصول الفقه من نقل ذلك عنهم وحكوا عن عبيد الله بن الحسن العنبري انه قال كل مجتهد مصيب ومراده انه لا يائتم وهذا قول عامة الأئمة كابي حنيفة والشافعي وغيرهما ولهذا يقبلون شهادة أهل الأهواء ويصلون خلفهم ومن ردها كمالك وأحمد فليس ذلك مستلزماً لاثمهما لكن المقصود انكار المنكر وهجر من أظهر البدعة فاذا هجر ولم يصل خلفه ولم تقبل شهادته كان ذلك منعا له من إظهار البدعة ولهذا فرق أحمد وغيره بين الداعية للبدعة المظهر لها وغيره وكذلك قال الخرقي ومن صلى خلف من يجهر ببدعة أو منكر اعاد وبسط هذا له موضع آخر ²⁶⁴

وما كان منها من الاجتهاديات المتنازع فيها التي أقرها الله ورسوله كاجتهاد الصحابة في تأخير العصر عن وقتها يوم قريظة أو فعلها في وقتها فلم يعنف النبي واحدة من الطائفتين وكما قطع بعضهم نخل بني النضير وبعضهم لم يقطع فأقر الله الأمرين وكما ذكر الله عن داود وسليمان أنهما حكما في الحرث ففهم الحكومة أحدهما وأثنى على كل منهما بالعلم والحكم به وكما قال إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر فما وسعه الله ورسوله وسع وما عفى الله عنه ورسوله عفى عنه وما اتفق عليه المسلمون من إيجاب أو تحريم أو استحباب أو إباحة أو عفو بعضهم لبعض عما أخطأ فيه وإقرار بعضهم لبعض فيما اجتهدوا به فهو مما أمر الله به ورسوله فإن الله ورسوله أمر بالجماعة ونهى عن الفرقة ودل على أن الأمة لا تجتمع على ضلالة ودل على أن الأمة لا تجتمع على ضلالة على ما هو مسطور في مواضعه²⁶⁵

ان هذا الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا

قال تعالى { وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ } {78} فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ } {79} الأنبياء 78- 79 ان الله سبحانه أمرنا بالمعروف وهو طاعته وطاعة رسوله وهو الصلاح والحسنات

²⁶⁵مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 344

والخير والبر ونهى عن المنكر وهو معصيته ومعصية رسوله وهو الفساد والسيئات والشر والفجور وقيد الايجاب بالاستطاعة والوسع وابعح مما حرم ما يضطر المرء اليه غير باغ ولا عاد فقال تعالى اتقوا الله حق تقاته سورة آل عمران 102 وقال فاتقوا الله ما استطعتم سورة التغابن 16 وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثره سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا امرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم فأوجب مما امر به ما يستطاع وكذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث آخر انكم لن تحصوا او تستطيعوا كل ما امرتم به ولكن وقال ان هذا الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا وهذا العام المجمل فقال {وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ} {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعَلَمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ} الانبياء 266 79 78

جميع المتلفات تضمن بالجنس بحسب الامكان

قال تعالى {وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ} {78} {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعَلَمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ} {79} الانبياء 78- 79 ان جميع المتلفات تضمن

²⁶⁶الاستقامة ج: 2 ص: 315

بالجنس بحسب الامكان مع مراعاة القيمة حتى الحيوان كما انه
 فى القرض يجب فيه رد المثل واذا اقترض حيوانا رد مثله كما
 اقترض النبى بكرا ورد خيرا منه فإن الشافعى قد نص على أنه
 إذا هدم داره بناها كما كانت فضمنه بالمثل وقد روى عنه فى
 الحيوان نحو ذلك وكذلك فى المغرور يضمن ولده بمثلهم كما
 قضت به الصحابه وكذلك اذا استثنى رأس المبيع ولم يذبحه فان
 الصحابة قضوا بشرائه اى برأس مثله فى القيمة وهذا احد
 القولين فى مذهب احمد وغيره وقصة داود وسليمان
 عليهما السلام من هذا الباب فان الماشية كانت قد اتلفت حرث
 القوم وهو بستانهم قالوا وكان عينا والحرث اسم للشجر والزرع
 فقضى داود بالغنم لاصحاب الحرث كانه ضمنهم ذلك بالقيمة ولم
 يكن لهم مال الا الغنم فأعطاهم الغنم بالقيمة واما سليمان فحكم
 بأن اصحاب الماشية يقومون على الحرث حتى يعود كما كان
 فضمنهم اياه بالمثل واعطاهم الماشية يأخذون منفعتها عوضا عن
 المنفعة التى فاتت من حين تلف الحرث الى ان يعود وبذلك افتى
 الزهرى لعمر بن عبد العزيز لما كان قد اعتدى بعض بنى أمية
 على بستان له فقلعوه وسألوه ما يجب فى ذلك فقال يغرسه كما
 كان فقيل له إن ربيعة وأبا الزناد قالوا تجب القيمة فغلظ الزهرى
 القول فيهما وتكلم فيها بكلام مضمونه أنهما خالفا السنة
 وهذا موجب الأدلة فان الواجب ضمان المتلف بالمثل بحسب
 الامكان قال تعالى {وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا} الشورى 40 وقال
 { فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ
 { البقرة 194 وقال { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ
 { النحل 126 وقال { وَالْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ } البقرة 194 فاذا اتلف
 نقدا او حبوبا ونحو ذلك امكن ضمانها بالمثل وان كان المتلف
 ثيابا او أنية او حيوانا فهنا مثله من كل وجه وقد يتعذر فالأمر
 دائر بين شئئين اما ان يضمنه بالقيمة وهى دراهم مخالفة للمتلف
 فى الجنس والصفة لكنها تساويه فى المالىه واما ان يضمنه بثياب
 من جنس ثياب المثل او أنية من جنس أنيته او حيوان من جنس

حيوانه مع مراعاة القيمة بحسب الامكان ومع كون قيمته بقدر قيمته فهنا المالية مساوية كما في النقد وامتاز هذا بالمشاركة في الجنس والصفة فكان ذلك امثل من هذا وما كان امثل فهو اعدل فيجب الحكم به اذا تعذر المثل من كل وجه ونظير هذا ما ثبت بالسنة واتفاق الصحابة من القصاص في اللطمة والضربة وهو قول كثير من السلف وقد نص عليه احمد في رواية اسماعيل بن سعيد الشالنجي التي شرحها الجوزجاني في كتابه المسمى بالمترجم فقال طائفة من الفقهاء المساواة متعذرة في ذلك فيرجع الى التعزير فيقال لهم ما جاءت به الآثار هو موجب القياس فان التعزير عقاب غير مقدر الجنس ولا الصفة ولا القدر والمرجع فيه الى اجتهاد الوالى ومن المعلوم الأمر بضرب يقارب ضربة وان لم يعلم انه مساو له اقرب الى العدل والمماثلة من عقوبة تخالفه في الجنس والوصف غير مقدره اصلا واعلم ان المماثل من كل وجه متعذر حتى في المكيلات فضلا عن غيرها فانه اذا اتلف صاعا من بر فضمن بصاع من بر لم يعلم ان احد الصاعين فيه من الحب ما هو مثل الآخر بل قد يزيد احدهما على الآخر ولهذا قال تعالى { وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } الأنعام 152 فان تحديد الكيل والوزن مما قد يعجز عنه البشر ولهذا يقال هذا امثل من هذا اذا كان اقرب الى المماثلة منه اذا لم تحصل المماثلة من كل وجه²⁶⁷

²⁶⁷مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 563-565 و مجموع الفتاوى ج: 30

الله سبحانه أنطق الأشياء نطقاً معتاداً ونطقاً خارجاً عن

المعتاد

قال تعالى { وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ
عَنَّمُ الْقَوْمَ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ } {78} فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا
حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا
فَاعِلِينَ } {79} الأنبياء 78- 79 وقال الامام أحمد في الجزء
الذي فيه الرد على الجهمية والزنادقة وكذلك الله تكلم كيف
شاء من غير ان نقول جوف ولا فم ولا شفان وقال بعد ذلك
بل نقول ان الله لم يزل متكلماً اذا شاء ولا نقول انه كان ولا يتكلم
حتى خلق وكلامه فيه طول قال باب ما انكرت الجهمية
من ان الله كلم موسى فقلنا لم انكرتم ذلك قالوا ان الله لم
يتكلم ولا يتكلم انما كون شيئاً فعبر عن الله وخلق صوتاً فأسمعه
وزعموا ان الكلام لا يكون الا من جوف ولسان وشفنين فقلنا
هل يجوز ان يكون لمكون غير الله ان يقول يا موسى { يَا
مُوسَى } {11} { إِنِّي أَنَا رَبُّكَ } {12} طه 11-12 او يقول { إِنِّي
أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي } طه 14 فمن
زعم ان ذلك غير الله فقد ادعى الربوبية ولو كان كما زعم
الجهمي ان الله كون شيئاً كان يقول ذلك المكون يا موسى ان
الله رب العالمين ولا يجوز ان يقول اني انا الله رب
العالمين وقد قال جل ثناؤه { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا
{ النساء 164 وقال { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ
رَبُّهُ } { الأعراف 143 وقال { إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ
بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي } { الأعراف 144 فهذا منصوص القرآن واما
ما قالوا ان الله لم يتكلم ولا يكلم فكيف يصنعون بحديث الاعمش
عن خيثمة عن عدى بن حاتم الطائي قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما منكم من احد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه
ترجمان واما قولهم ان الكلام لا يكون الا من جوف وفم
وشفتين ولسان فنقول ليس الله قال للسماوات والارض { إِنِّيَا

طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ { فصلت 11 } أتراها انها قالت
 بجوف وفم وشفنتين ولسان وقال { وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ
 الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ } الأنبياء 79 اتراها انها يسبحن بجوف وفم
 ولسان وشفنتين ولكن الله انطقها كيف شاء وكذلك الله تكلم كيف
 شاء من غير ان نقول جوف ولا فم ولا شفتان ولا لسان²⁶⁸

أن الله سبحانه أنطق الأشياء نطقاً معتاداً ونطقاً خارجاً عن
 المعتاد قال تعالى { الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ
 أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } يس 65 وقال تعالى { حَتَّىٰ إِذَا مَا
 جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ } 20 { وَقَالُوا لِيُجْلِدِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ
 الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ } فصلت 20- 21 وقد قال تعالى { يَوْمَ تَشْهَدُ
 عَلَيْهِمُ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } النور 24 وقد
 قال تعالى { إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ
 } ص 18 وقد ثبت أن الحصى كان يسبح في يد النبي صلى الله
 عليه وسلم وأن الحجر كان يسلم عليه وأمثلة ذلك من إنطاق
 الجمادات²⁶⁹

أن الله يلهم الحيوان من الأصوات ما به يعرف بعضها مراد
 بعض وقد سمى ذلك منطقاً وقولاً في قول سليمان { عَلَّمْنَا
 مَنطِقَ الطَّيْرِ } النمل 16 وفي قوله { قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ
 ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

²⁶⁸ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 153-154

²⁶⁹ الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 302

{ النمل 18 وفى قوله { وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ
وَ الطَّيْرَ { الأنبياء 79²⁷⁰

ما فعل الله بأسباب يمكن طلبه بطلب الأسباب

و أما قول القائل أن الغذاء و القوام هو من فعل الله فلا يمكن طلبه كالحياة فليس كذلك هو بل ما فعل الله بأسباب يمكن طلبه بطلب الأسباب كما مثله فى الحياة و الموت فإن الموت يمكن طلبه و دفعه بالأسباب التى قدرها الله فإذا أردنا أن يموت عدو الله سعينا فى قتله و إذا أردنا دفع ذلك عن المؤمنين دفعناه بما شرع الله الدفع به قال تعالى فى داود عليه السلام { وَ عَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ نَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بِأْسِكُمْ { الأنبياء 80 و قال تعالى { فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ { النساء 102 و هذا مثل دفع الحر و البرد عنا هو من فعل الله فاللباس و الإكتساب و مثل دفع الجوع و العطش هو من فعل الله بالطعام و الشراب و هذا كما أن إزهاق الروح هو من فعل الله و يمكن طلبه بالقتل و حصول العلم و الهدى فى القلب هو من فعل الله و يمكن طلبه بأسبابه المأمور بها و بالدعاء²⁷¹

أخبر الله بأنه بارك فى أرض الشام

روى أبو داود فى سننه عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ستكون هجرة بعد هجرة فخير أهل الأرض ألزمهم مهاجر

²⁷⁰ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 91

²⁷¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 539

إبراهيم وفي سننه أيضا عن عبدالله بن خولة عن النبي قال إنكم ستجدون أجنادا جندا بالشام وجندا باليمن وجندا بالعراق فقال ابن خولة يا رسول الله اختر لي فقال عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من خلقه فمن أبى فليخلق بيمنه وليتق من غدره فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله وكان الخوالى يقول من تكفل الله به فلا ضيعة عليه وهذان نسان في تفضيل الشام وفي مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي قال لا يزال أهل المغرب ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة قال الإمام احمد أهل المغرب هم أهل الشام وهو كما قال فإن هذه لغة أهل المدينة النبوية فى ذلك وفي الكتب المعتمد عليها مثل مسند أحمد وغيره عدة آثار عن النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا الأصل مثل وصفه أهل الشام بأنه لا يغلب منافقوهم مؤمنهم وقوله رأيت كأن عمود الكتاب وفى رواية عمود الإسلام أخذ من تحت رأسى فأتبعته نظرى فذهب به إلى الشام وعمود الكتاب والإسلام ما يعتمد عليه وهم حملته القائمون به ومثل قوله عقر دار المؤمنين الشام ومثل ما فى الصحيحين عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة وفيهما أيضا عن معاذ بن جبل قال وهم بالشام وفى تاريخ البخارى قال وهم بدمشق وروى وهم بأكناف بيت المقدس وفى الصحيحين أيضا عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخبر أن ملائكة الرحمن مظلة أجنحتها بالشام والآثار فى هذا المعنى متعاضدة ولكن الجواب ليس على البديهة على عجل وقد دل الكتاب والسنة وما روى عن الأنبياء المتقدمين عليهم السلام مع ما علم بالحس والعقل وكشوفات العارفين ان الخلق والأمر ابتداء من مكة أم القرى فهى أم الخلق وفيها ابتدئت الرسالة المحمدية التى طبق نورها الأرض وهى جعلها الله قياما للناس إليها يصلون ويحجون

ويقوم بها ما شاء الله من مصالح دينهم ودنياهم فكان الإسلام في الزمان الأول ظهوره بالحجاز أعظم ودلت الدلائل المذكورة على أن ملك النبوة بالشام والحشر إليها فالى بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر وهناك يحشر الخلق والإسلام فى آخر الزمان يكون أظهر بالشام وكما أن مكة أفضل من بيت المقدس فأول الأمة خير من آخرها وكما أنه فى آخر الزمان يعود الأمر إلى الشام كما أسرى بالنبي من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فخير أهل الأرض فى آخر الزمان ألزمهم مهاجر إبراهيم عليه السلام وهو بالشام فالأمر مساسه كما هو الموجود والمعلوم وقد دل القرآن العظيم على بركة الشام فى خمس آيات قوله { وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا } الأعراف 137 والله تعالى إنما أورث بنى إسرائيل أرض الشام وقوله { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ } الإسراء 1 وقوله { وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ } الأنبياء 71 وقوله { وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا } الأنبياء 81 وقوله تعالى { وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً } سبأ 18 الآية فهذه خمس آيات نصوص و البركة تتناول البركة فى الدين والبركة فى الدنيا وكلاهما معلوم لا ريب فيه فهذا من حيث الجملة والغالب²⁷²

" والله لله أرحم بعباده من هذه الوالدة بولدها "

²⁷²مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 41 و مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 32

قال تعالى { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } الأنبياء 83 وهو سبحانه الرحمن الرحيم الغفور الودود الجواد الماجد وهو سبحانه الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم وهو أرحم الراحمين وخير الراحمين كما قال أيوب **مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين** سورة الأنبياء 83²⁷³

وهو أرحم الراحمين وهو ارحم بعباده من الوالدة بولدها كما اقسم على ذلك النبي فقال والله الله أرحم بعباده من هذه الوالدة بولدها²⁷⁴

وهو سبحانه الضار النافع قادر على أن يضر من يشاء وإن كان ما ينزله من الضر بعبديه هو رحمة في حقهم كما قال أيوب { **مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** } الأنبياء 83 وقال تعالى { وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ } الأنعام 17 وقال أيضا لرسوله محمد صلى الله عليه سلم { قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ } الأعراف 188 وقال تعالى { وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ } البقرة 177 وهو سبحانه يحدث ما يحدثه من الضرر بمن لا يوصف بمعصية من الأطفال والمجانين والبهائم لما في ذلك منة الحكمة والنعمة

والرحمة كما هو مبسوط في غير هذا الموضوع²⁷⁵

²⁷³رسالة في معنى كون الرب عادلا ج: 1 ص: 137

²⁷⁴مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 400

²⁷⁵مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 275

حسن الأدب في السؤال والدعاء

قال تعالى { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } {الأنبياء 83} لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى { فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ } الشعراء 213 قال الله تعالى { وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } يونس 10 وفي الحديث أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله رواه ابن ماجه وابن ابي الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره دعوة أخي ذي النون { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } {الأنبياء 87} ما دعا بها مكروب الا فرج الله كربته سماها دعوة لانها تتضمن نوعي الدعاء فقوله لا اله الا انت اعتراف بتوحيد الالهية وتوحيد الالهية يتضمن احد نوعي الدعاء فان الاله هو المستحق لان يدعى دعاء عبادة ودعاء مسألة وهو الله لا اله الا هو وقوله { إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } {الأنبياء 87} اعتراف بالذنب وهو يتضمن طلب المغفرة فان الطالب السائل تارة يسأل بصيغة الطلب وتارة يسأل بصيغة الخبر اما بوصف حاله واما بوصف حال المسؤول وإما بوصف الحالين كقول نوح عليه السلام { قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } {هود 47} فهذا ليس بصيغة طلب وانما هو إخبار عن الله انه ان لم يغفر له ويرحمه خسر ولكن هذا الخبر يتضمن سؤال المغفرة وأظن البيهقي رواه مرفوعا بهذا اللفظ وقد سئل سفيان بن عيينة عن قوله أفضل الدعاء يوم عرفة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فذكر هذا الحديث وأنشد قول أمية بن ابي الصلت يمدح ابن جدعان أذكر حاجتي ام قد كفاني حباؤك ان شيمتك

الحياء إذا اثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الثناء قال فهذا مخلوق يخاطب مخلوقاً فكيف بالخالق تعالى ومن هذا الباب الدعاء المأثور عن موسى عليه السلام اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وانت المستعان وبك المستغاث و عليك التكلان فهذا خبر يتضمن السؤال ومن هذا الباب قول ايوب عليه السلام { أَنِّي مَسْنِي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } الأنبياء 83 فوصف نفسه ووصف ربه بوصف يتضمن سؤال رحمته بكشف ضره وهى صيغة خبر تضمنت السؤال وهذا من باب حسن الأدب فى السؤال والدعاء فقول القائل لمن يعظمه ويرغب إليه انا جائع انا مريض حسن ادب فى السؤال وان كان فى قوله اطعمنى وداونى ونحو ذلك مما هو بصيغة الطلب حازم من المسؤول فذاك فيه اظهار حاله وإخباره على وجه الذل والافتقار المتضمن لسؤال الحال وهذا فيه الرغبة التامة والسؤال المحض بصيغة الطلب وهذه الصيغة صيغة الطلب والاستدعاء إذا كانت لمن يحتاج اليه الطالب او ممن يقدر على قهر المطلوب منه ونحو ذلك فإنها تقال على وجه الأمر إما لما فى ذلك من حاجة الطالب واما لما فيه من نفع المطلوب فاما اذا كانت منة الفقير من كل وجه للغنى من كل وجه فانها سؤال محض بتذلل وافتقار واطهار الحال ووصف الحاجة والافتقار هو سؤال بالحال وهو ابلغ من جهة العلم والبيان وذلك اظهر من جهة القصد والارادة فلهذا كان غالب الدعاء من القسم الثانى لأن الطالب السائل يتصور ومقصوده ومراده فيطلبه ويسأله فهو سؤال بالمطلوب والقصد الأول وتصريح به باللفظ وان لم يكن فيه وصف لحال السائل والمسؤل فان تضمن وصف حالهما كان اكمل من النوعين فانه يتضمن الخبر والعلم المقتضى للسؤال والإجابة ويتضمن القصد والطلب الذى هو نفس السؤال فيتضمن السؤال والمقتضى له والاجابة كقول النبى صلى الله عليه وسلم لأنى بكر الصديق رضى الله عنه لما قال له علمنى دعاء ادعوا به فى صلاتى فقال قل اللهم انى ظلمت نفسى

ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لي مغفرة من عندك
 وارحمني انك انت الغفور الرحيم اخرجاه في الصحيحين
 فهذا فيه وصف العبد لحال نفسه المقتضى حاجته الى المغفرة فيه
 وصف ربه الذى يوجب انه لا يقدر على هذا المطلوب غيره
 وفيه التصريح بسؤال العبد لمطلوبه وفيه بيان المقتضى للاجابة
 وهو وصف الرب بالمغفرة والرحمة فهذا ونحوه اكمل انواع
 الطلب وكثير من الادعية يتضمن بعض ذلك 0 كقول موسى
 عليه السلام { أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ
 { الأعراف 155 فهذا طلب ووصف للمولى بما يقتضى الاجابه
 0 وقوله { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فاعْفِرْ لِي { القصص 16
 فيه وصف حال النفس والطلب 0 وقوله { إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ
 مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ { القصص 24 فيه الوصف المتضمن للسؤال
 بالحال فهذه انواع لكل نوع منها خاصة يبقى ان يقال فصاحب
 الحوت ومن اشبهه ومن اشبهه لماذا ناسب حالهم صيغة الوصف
 والخبر دون صيغة الطلب فيقال لان المقام مقام اعتراف بان ما
 اصابني من الشر كان بذنبي فأصل الشر هو الذنب والمقصود
 دفع الضر والاستغفار جاء بالقصد الثاني فلم يذكر صيغة طلب
 كشف الضر لاستشعاره انه مسيء ظالم وهو الذي ادخل الضر
 على نفسه فناسب حاله ان يذكر ما يرفع سببه من الاعتراف
 بظلمه ولم يذكر صيغة طلب المغفرة لانه مقصود للعبد المكروب
 بالقصد الثاني بخلاف كشف الكرب فانه مقصود له في حال
 وجوه بالقصد الاول اذ النفس بطبعها تطلب ما هي محتاجة اليه
 من زوال الضرر الحاصل من الحال قبل طلبها زوال ما تخاف
 وجوده من الضرر في المستقبل بالقصد الثاني والمقصود الاول
 في هذه المقام هو المغفرة وطلب كشف الضر فهذا مقدم في
 قصده واراوته وابلغ ما ينال به رفع سببه فجاء بما يحصل
 مقصوده وهذا يتبين بالكلام على قول { سُبْحَانَكَ ! { الأنبياء 87
 فانه هذا اللفظ يتضمن تعظيم الرب وتنزيهه والمقام يقتضى

تنزيهه عن الظلم والعقوبة بغير ذنب يقول انت مقدس ومنزه عن ظلمي وعقوبتي بغير ذنب بل انا الظالم الذي ظلمت نفسي قال تعالى { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } النحل 118 وقال تعالى { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ } هود 101 وقال { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ } الزخرف 76 وقال آدم عليه السلام { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 وكذلك قال النبي في الحديث الصحيح الذي في مسلم في دعاء الاستفتاح لا اللهم انت الملك لا اله الا انت انت ربي وانا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا فانه لا يغفر الذنوب الا انت وفي صحيح البخاري سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت من قالها اذا اصبح موقنا بها فمات من يومه دخل الجنة ومن قالها اذا امسى موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة فالعبد عليه ان يعترف بعدل الله واحسانه فانه لا يظلم الناس شيئا فلا يعاقب احدا الا بذنبه وهو يحسن اليهم فكل نقمة منه عدل وكل نعمة منه فضل²⁷⁶

²⁷⁶مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 243-249 و دقائق التفسير ج: 2 ص:

علق الله الإجابة بالدعاء تعليق المسبب بالسبب

قال تعالى { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } {83} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ } {84} وَاسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ } {85} وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ } {86} وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } {87} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } {88} الأنبياء 83-88 الدعاء في إقتضائه الإجابة كسائر الأعمال الصالحة في إقتضائها الإثابة و كسائر الأسباب في إقتضائها المسببات و من قال إن الدعاء علامة و دلالة محضة على حصول المطلوب المسئول ليس بسبب أو هو عبادة محضة لا أثر له في حصول المطلوب وجودا و لا عدما بل ما يحصل بالدعاء يحصل بدونه فهما قولان ضعيفان فإن الله علق الإجابة به تعليق المسبب بالسبب كقوله { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } غافر 60 و في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم و لا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى خصال ثلاث إما أن يعجل له دعوته و إما أن يدخر له من الخير مثلها و إما أن يصرف عنه من الشر مثلها قالوا يا رسول الله إذا نكثرت قال الله أكثر فعلق العطايا بالدعاء تعليق الوعد و الجزاء بالعمل المأمور به و قال عمر بن الخطاب أنى لا أحمل هم الإجابة و إنما أحمل هم الدعاء فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه و أمثال ذلك كثير و أيضا فالواقع المشهود يدل على ذلك و يبينه كما يدل على ذلك مثله في سائر الأسباب و قد أخبر سبحانه من ذلك ما أخبر به في مثل قوله { وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ } الصافات 75 و قوله تعالى { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } {83} فَاسْتَجَبْنَا

لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَابِدِينَ {84} الانبياء 83-84 الى قوله { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } {87} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ {88} الانبياء 87-88 و قوله { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ } { النمل 62 و قوله تعالى عن زكريا { رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ } {89} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ } {90} الانبياء 89-90 و قال تعالى { فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ } { العنكبوت 65 و قال تعالى { وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ } {32} { إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ } {33} أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبْنَ وَأَيُّهُنَّ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِّنْ مَّحِيصٍ } {35} الشورى 32-35 فأخبر أنه إن شاء أوقفهن فاجتمع أخذهم بذنوبهم و عفوهُ عن كثير منها مع علم المجادلين في آياته أنه ما لهم من محيص لأنه في مثل هذا الحال يعلم المورد للشبهات في الدلائل الدالة على ربوبية الرب و قدرته و مشيئته و رحمته أنه لا مخلص له مما وقع فيه كقوله في الآية الأخرى { وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمَحَالِ } { الرعد 13 فإن المعارف التي تحصل في النفس بالأسباب الإضرطارية أثبت و أرسخ من المعارف التي ينتجها مجرد النظر القياسى الذى ينزاح عن النفوس فى مثل هذه الحال هل الرب موجب بذاته فلا يكون هو المحدث للحوادث ابتداء و لا يمكنه أن يحدث شيئاً و لا يغير العالم حتى يدعى و يسأل و هل هو عالم بالتفصيل و الإجمال و قادر على تصريف الأحوال حتى يسأل التحويل من حال إلى حال أوليس كذلك كما يزعمه من يزعمه من المتفلسفة و غيرهم من الضلال فيجتمع مع العقوبة و

العفو من ذي الجلال علم أهل المرء و الجدال أنه لا محيص لهم
 عما أوقع بمن جادلوا في آياته و هو شديد المحال و قد تكلمنا
 على هذا و أشباهه و ما يتعلق به من المقالات و الديانات في
 غير هذا الموضوع و المقصود هنا أن يعلم أن الدعاء و السؤال
 هو سبب لنيل المطلوب المسؤل ليس و جوده كعدمه في ذلك و لا
 هو علامة محضه كما دل عليه الكتاب و السنة و إن كان قد نازع
 في ذلك طوائف من أهل القبلة و غيرهم مع أن ذلك يقربه
 جماهير بنى آدم من المسلمين و اليهود و النصارى و الصابئين
 و المجوس و المشركين لكن طوائف من المشركين و الصابئين
 من المتفلسفة المشائين إتباع أرسطو و من تبعه من متفلسفة أهل
 الملل كالفارابي و ابن سينا و من سلك سبيلهما ممن خلط ذلك
 بالكلام و التصوف و الفقه و نحو هؤلاء يزعمون أن تأثير
 الدعاء في نيل المطلوب كما يزعمونه في تأثير الممكنات
 المخلوقات من القوى الفلكية و الطبيعية و القوى النفسانية و
 العقلية فيجعلون ما يترتب على الدعاء هو من تأثير النفوس
 البشرية من غير أن يثبتوا للخالق سبحانه بذلك علما مفصلا أو
 قدرة على تغيير العالم أو أن يثبتوا أنه لو شاء أن يفعل غير ما
 فعل لأمكنه ذلك فليس هو عندهم قادرا على أن يجمع عظام
 الإنسان و يسوي بنانه و هو سبحانه هو الخالق لها و لقواها فلا
 حول و لا قوة إلا بالله و أما قول السائل و إن كان الدعاء مما هو
 كائن فما فائدة الأمر به و لا بد من وقوعه فيقال الدعاء
 المأمور به لا يجب كونا بل إذا أمر الله العباد بالدعاء فمنهم من
 يطيعه فيستجاب له دعاؤه و ينال طلبته و يدل ذلك على أن
 المعلوم المقذور هو الدعاء و الإجابة و منهم من يعصيه فلا
 يدعو فلا يحصل ما علق بالدعاء فيدل ذلك على أنه ليس في
 المعلوم المقذور الدعاء و لا الإجابة فالدعاء الكائن هو الذي تقدم
 العلم بأنه كائن و الدعاء الذي لا يكون هو الذي تقدم العلم بأنه
 لا يكون فإن قيل فما فائدة الأمر فيما علم أنه يكون من الدعاء
 قيل الأمر هو سبب أيضا في إمتثال المأمور به كسائر الأسباب

فالدعاء سبب يدفع البلاء فإذا كان أقوى منه دفعه و إن كان سبب
 البلاء أقوى لم يدفعه لكن يخففه و يضعفه و لهذا أمر عند
 الكسوف و الآيات بالصلاة و الدعاء الإستغفار و الصدقة و
 العتق و الله أعلم²⁷⁷

وقال تعالى {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا
 مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ} {النور 34} وهو ما ذكره من أحوال
 الامم الماضية التي يعتبر بها ويقاس عليها أحوال الامم المستقبلية
 كما قال {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ
 {يوسف 111} فمن كان من أهل الايمان قيس بهم وعلم أن الله
 يسعده في الدنيا والآخرة ومن كان من أهل الكفر قيس بهم وعلم
 أن الله يشقيه في الدنيا والآخرة كما قال في حق هؤلاء {أَكْفَارُكُمْ
 خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ} {القمر 43} وقد قال {قَدْ
 خَلَّتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الْمُكذِّبِينَ} آل عمران 137 وقال في حق المؤمنين {وَعَدَّ اللَّهُ
 الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
 اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} {النور 55} وقال {وَذَا النُّونِ إِذْ
 ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ
 إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} {87} فاستَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ
 مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} {88} {الأنبياء 87- 88} وقال في
 قصة أيوب { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ
 وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِّلْعَابِدِينَ} {الأنبياء 84
 {رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِّأُولِي الْأَلْبَابِ} {ص 43²⁷⁸

²⁷⁷ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 193

²⁷⁸ مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 17

الصالح القائم بحقوق الله وحقوق عباده

قال تعالى { وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ }²⁷⁹

الأنبياء 78 وكذلك لفظ الصالح و الشهيد و

الصديق يذكر مفردا فيتناول النبيين قال تعالى فى حق الخليل { وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ }

{ العنكبوت 27 وقال { وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } النحل 122 وقال الخليل { رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } الشعراء 83 وقال يوسف { تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } يوسف 101 وقال سليمان { وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ } النمل 19 وقال النبي صلى الله

عليه وسلم فى الحديث الصحيح المتفق على صحته لما كانوا يقولون فى آخر صلاتهم السلام على الله قبل عباده السلام على فلان فقال لنا رسول الله ذات يوم ان الله هو السلام فاذا قعد أحدكم فى الصلاة فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فاذا قالها أصابت كل عبد صالح لله فى السماء والأرض الحديث وقد يذكر الصالح مع غيره كقوله تعالى { فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ

وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } النساء 69 قال الزجاج وغيره الصالح القائم بحقوق الله وحقوق عباده ولفظ الصالح خلاف الفاسد فاذا أطلق فهو الذى أصلح جميع امره فلم يكن فيه شىء من الفساد فاستوت سريرته وعلانيته وأقواله وأعماله على ما يرضى ربه وهذا يتناول النبيين ومن دونهم²⁷⁹

²⁷⁹مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 57

جميع الذنوب تدخل في ظلم العبد نفسه

قال تعالى { وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } {87} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } {88} الأنبياء 87-88 فجميع الذنوب تدخل في ظلم العبد نفسه و أول من اعترف بهذا أبو البشر لما تلقى من ربه الكلمات فقال { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 فكان في هذه الكلمات إقراره بذنبه و طلبه ربه على و جه الافتقار و المغفرة و الرحمة فالمغفرة إزالة السيئات و الرحمة إنزال الخيرات فهذا ظلم لنفسه ليس فيه ظلم لغيره و قال موسى عليه السلام لما ذكر الذي هو من عدوه { فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ } {15} قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } {16} القصص 15-16 فاعترف بظلمه نفسه فيما كان من جنابة على غيره لم يؤمر بها و قال يونس عليه السلام { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } الأنبياء 87 و في الصحيح الدعاء الذي علمه النبي صلى الله عليه و سلم أبا بكر ان يدعو به في صلاته اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا و لا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك و ارحمني إنك أنت الغفور الرحيم فهذا الدعاء مطابق لدعاء آدم في الاعتراف بظلم النفس و مسألة المغفرة و الرحمة و كان النبي صلى الله عليه و سلم إذا استوى على الدابة فحمد و سبح و كبر قال لا إله إلا أنت سبحانك ظلمت نفسي فاغفر لي ثم يضحك و هو محفوظ من حديث على بن أبي طالب²⁸⁰

²⁸⁰مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 277-278

التسبيح يقتضى التنزيه و التعظيم

قال تعالى { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } {87} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } {88} الأنبياء 87-88 والأمر بتسبيحه يقتضى أيضا تنزيهه عن كل عيب و سوء و إثبات صفات الكمال له فإن التسبيح يقتضى التنزيه و التعظيم و التعظيم يستلزم إثبات المحامد التى يحمد عليها فيقتضى ذلك تنزيهه و تحميده و تكبيره و توحيده²⁸¹

قوام الدين بالتوحيد والاستغفار

قال تعالى { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } {87} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } {88} الأنبياء 87-88 وقد ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى أنه قال يقول الله تعالى من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملاً ذكرته فى ملاً خير منه ومن تقرب الى شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن أتانى يمشى أتيتته هرولة وفى بعض الآثار يقول الله تعالى أهل ذكرى أهل مجالستى وأهل شكرى أهل زيارتى وأهل طاعتى أهل كرامتى وأهل معصيتى لا أؤيسهم من رحمتى وان تابوا فانا حبيبهم لأن الله يحب التوابين وان لم يتوبوا فانا طبيبهم ابتليهم بالمصائب حتى اطهرهم من

²⁸¹مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 126

المعائب وقد قال تعالى { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
 فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا } طه 112 قالوا الظلم أن يحمل عليه
 سيئات غيره والهضم أن ينقض من حسنات نفسه وقال تعالى
 { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } النحل 118 وفي
 الحديث الصحيح عن أبي ذر رضى الله عنه عن النبي قال
 يقول الله تعالى يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته
 بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادى كلكم ضال الا من هديته
 فاستهدونى اهدكم عبادى كلكم جائع الى من اطعمته فاستطعمونى
 اطعمكم يا عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى اكسكم
 يا عبادى انكم تذنوبون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب ولا ابالى
 فاستغفرونى اغفر لكم يا عبادى لو ان اولكم وأخركم وانسكم
 وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى
 شيئا يا عبادى لو ان اولكم وأخركم وانسكم وجنكم كانوا على
 افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا يا عبادى
 لو ان اولكم وأخركم وانسكم وجنكم اجتمعوا فى وصعيد واحد
 فسألونى فأعطيت كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكى
 الا كما ينقص المخيط الا اذا غمس فى البحر يا عبادى انما هي
 اعمالكم احصيتها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله
 ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ومن ذلك رواه
 البخارى فى صحيحة عن شداد بن اوس قال قال رسول الله سيد
 الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربى لا اله الا الله أنت خلقتنى
 وأنا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر
 ما صنعت ابوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لى فانه
 لا يغفر الذنوب الا انت من قالها اذا اصبح موقنا بها فمات فى
 يومه دخل الجنة ومن قالها اذا أمسى موقنا بها فمات من ليلته
 دخل الجنة فالعبد دائما بين نعمة من الله يحتاج فيها الى
 شكر وذنوب منه يحتاج فيه الى الاستغفار وكل من هذين من
 الأمور اللازمة للعبد دائما فانه لا يزال يتقلب فى نعم الله وآلائه
 ولا يزال محتاجا الى التوبة والاستغفار ولهذا كان سيد آدم

وامام المتقين محمد يستغفر في جميع الاحوال وقال في الحديث الصحيح الذي رواه البخارى ايها الناس توبوا الى ربكم فانى لأستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وفي صحيح مسلم انه قال انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وقال عبد الله بن عمر كنا نعد لرسول الله فبالمجلس الواحد يقول رب اغفر لى وتب على انك انت التواب الغفور مائة مرة ولهذا شرع الاستغفار فى خواتيم الأعمال قال تعالى { وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ } آل عمران 17 وقال بعضهم احيوا الليل بالصلاة فلما كان وقت السحر امروا بالاستغفار وفى الصحيح ان النبى كان اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت باذا الجلال والاكرام وقال تعالى { فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَقاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ } البقرة 198 الى قوله { وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } 199 { البقرة 198 وقد امر الله نبيه بعد ان بلغ الرسالة وجاهد فى الله حق جهاده واتى بما امر الله به مما لم يصل اليه احد غيره فقال تعالى { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } 1 { وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً } 2 { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً } 3 { النصر 1-3 ولهذا كان قوام الدين بالتوحيد والاستغفار كما قال الله تعالى { الر كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ } 1 { أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ } 2 { وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ } 3 { هود 1-3 الآية وقال تعالى { فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ } فصلت 6 وقال تعالى { فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } محمد 19 ولهذا جاء فى الحديث يقول الشيطان اهلكت الناس بالذنوب واهلكونى بلا إله إلا الله والاستغفار وقد قال يونس { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ { الأنبياء 87 وكان النبي إذا ركب دابته يحمد الله ثم يكبر ثلاثاً ويقول لا اله الا أنت سبحانك ظلمت نفسي فاغفر لي وكفارة المجلس التي كان يختم بها المجلس والوضوء سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا اله الا أنت استغفرك واتوب اليك والله اعلم وصلى الله على محمد وسلم

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه عن قول النبي صلى الله عليه وسلم دعوة أخي ذي النون { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربته ما معنى هذه الدعوة ولم كانت كاشفة للكرب وهل لها شروط باطنة عند النطق بلفظها وكيف مطابقة اعتقاد القلب لمعناها حتى يوجب كشف ضره وما مناسبة ذكره إني كنت من الظالمين مع أن التوحيد يوجب كشف الضر وهل يكفيه اعترافه أم لا بد من التوبة والعزم في المستقبل وما هو السر في أن كشف الضر وزواله يكون عند انقطاع الرجاء عن الخلق والتعلق بهم وما الحيلة في انصراف القلب عن الرجاء للمخلوقين والتعلق بهم بالكلية وتعلقه بالله تعالى ورجائه وانصرافه إليه بالكلية وما السبب المعين على ذلك ؟ 282

²⁸²مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 87-90 و أمراض القلوب ج: 1 ص: 80 و التحفة العراقية ج: 1 ص: 80

قال تعالى { وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } {87} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ } {88} الأنبياء 87-88 فأجاب الحمد لله رب العالمين لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى { فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ } الشعراء 213 قال الله تعالى { وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } يونس 10 وفي الحديث افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله رواه ابن ماجة وابن ابي الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره دعوة أخي ذي النون { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } الأنبياء 87 ما دعا بها مكروب الا فرج الله كربته سماها دعوة لانها تتضمن نوعي الدعاء فقوله لا اله الا انت اعتراف بتوحيد الالهية وتوحيد الالهية يتضمن احد نوعي الدعاء فان الاله هو المستحق لان يدعى دعاء عبادة ودعاء مسألة وهو الله لا اله الا هو وقوله { إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } الأنبياء 87 اعتراف بالذنب وهو يتضمن طلب المغفرة فان الطالب السائل تارة يسأل بصيغة الطلب وتارة يسأل بصيغة الخبر اما بوصف حاله واما بوصف حال المسؤول واما بوصف الحاليين كقول نوح عليه السلام { قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } هود 47 فهذا ليس بصيغة طلب وانما هو إخبار عن الله انه ان لم يغفر له ويرحمه خسر ولكن هذا الخبر يتضمن سؤال المغفرة وأظن البيهقي رواه مرفوعا بهذا اللفظ وقد سئل سفيان بن عيينة عن قوله افضل الدعاء يوم عرفة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فذكر هذا الحديث وأنشد قول أمية بن ابي الصلت يمدح ابن جدعان أذكر حاجتي ام قد

كفانى حباؤك ان شيمتك الحباء اذا اثنى عليك المرء يوما
كفاه من تعرضه الثناء قال فهذا مخلوق يخاطب مخلوقا فكيف
بالخالق تعالى ومن هذا الباب الدعاء المأثور عن موسى
عليه السلام اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وانت المستعان
وبك المستغاث و عليك التكلان فهذا خبر يتضمن السؤال
ومن هذا الباب قول ايوب عليه السلام { أَنِّي مَسْنِي الضُّرُّ
وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } الأنبياء 83 فوصف نفسه ووصف ربه
بوصف يتضمن سؤال رحمته بكشف ضره وهى صيغة خبر
تضمنت السؤال وهذا من باب حسن الأدب فى السؤال والدعاء
فقول القائل لمن يعظمه ويرغب إليه انا جائع انا مريض حسن
ادب فى السؤال وان كان فى قوله اطعمنى وداونى ونحو ذلك
مما هو بصيغة الطلب حازم من المسؤول فذاك فيه اظهار حاله
وإخباره على وجه الذل والافتقار المتضمن لسؤال الحال وهذا
فيه الرغبة التامة والسؤال المحض بصيغة الطلب وهذه الصيغة
صيغة الطلب والاستدعاء إذا كانت لمن يحتاج اليه الطالب او
ممن يقدر على قهر المطلوب منه ونحو ذلك فإنها تقال على وجه
الأمر إما لما فى ذلك من حاجة الطالب واما لما فيه من نفع
المطلوب فاما اذا كانت منة الفقير من كل وجه للغنى من كل
وجه فانها سؤال محض بتذلل وافتقار واطهار الحال
ووصف الحاجة والافتقار هو سؤال بالحال وهو ابلغ من جهة
العلم والبيان وذلك اظهر من جهة القصد والارادة فلهذا كان
غالب الدعاء من القسم الثانى لأن الطالب السائل يتصور
ومقصوده ومراده فيطلبه ويسأله فهو سؤال بالمطلوب والقصد
الأول وتصريح به باللفظ وان لم يكن فيه وصف لحال السائل
والمسؤل فان تضمن وصف حالهما كان اكمل من النوعين فانه
يتضمن الخبر والعلم المقتضى للسؤال والإجابة ويتضمن القصد
والطلب الذى هو نفس السؤال فيتضمن السؤال والمقتضى له
والاجابة كقول النبى صلى الله عليه وسلم لأنى بكر الصديق
رضى الله عنه لما قال له علمنى دعاء ادعوا به فى صلاتى

فقال قل اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى انك انت الغفور الرحيم اخرجاه فى الصحيحين فهذا فيه وصف العبد لحال نفسه المقتضى حاجته الى المغفرة فيه وصف ربه الذى يوجب انه لا يقدر على هذا المطلوب غيره وفيه التصريح بسؤال العبد لمطلوبه وفيه بيان المقتضى للاجابة وهو وصف الرب بالمغفرة والرحمة فهذا ونحوه اكمل انواع الطلب وكثير من الادعية يتضمن بعض ذلك 0 كقول موسى عليه السلام { أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ } الأعراف 155 فهذا طلب ووصف للمولى بما يقتضى الاجابه 0 وقوله { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فاعْفِرْ لِي } القصص 16 فيه وصف حال النفس والطلب وقوله { إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ } القصص 24 فيه الوصف المتضمن للسؤال بالحال فهذه انواع لكل نوع منها خاصة يبقى ان يقال فصاحب الحوت ومن اشبهه ومن اشبهه لماذا ناسب حالهم صيغة الوصف والخبر دون صيغة الطلب فيقال لان المقام مقام اعتراف بان ما اصابنى من الشر كان بذنبى فأصل الشر هو الذنب والمقصود دفع الضر والاستغفار جاء بالقصد الثاني فلم يذكر صيغة طلب كشف الضر لاستشعاره انه مسيء ظالم وهو الذى ادخل الضر على نفسه فناسب حاله ان يذكر ما يرفع سببه من الاعتراف بظلمه ولم يذكر صيغة طلب المغفرة لانه مقصود للعبد المكروب بالقصد الثاني بخلاف كشف الكرب فانه مقصود له فى حال وجوه بالقصد الاول اذ النفس بطبعها تطلب ما هي محتاجة اليه من زوال الضرر الحاصل من الحال قبل طلبها زوال ما تخاف وجوده من الضرر فى المستقبل بالقصد الثاني والمقصود الاول فى هذه المقام هو المغفرة وطلب كشف الضر فهذا مقدم فى قصده واراوته وابلغ ما ينال به رفع سببه فجاء بما يحصل مقصوده وهذا يتبين بالكلام على قول { سُبْحَانَكَ اِ } { الأنبياء 87

فانه هذا اللفظ يتضمن تعظيم الرب وتنزيهه والمقام يقتضي تنزيهه عن الظلم والعقوبة بغير ذنب يقول انت مقدس ومنزه عن ظلمي وعقوبتي بغير ذنب بل انا الظالم الذي ظلمت نفسي قال تعالى { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } النحل 118 وقال تعالى { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ } هود 101 وقال { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ } الزخرف 76 وقال آدم عليه السلام { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 وكذلك قال النبي في الحديث الصحيح الذي في مسلم في دعاء الاستفتاح لا اللهم انت الملك لا اله الا انت انت ربي وانا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا فانه لا يغفر الذنوب الا انت وفي صحيح البخاري سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت من قالها اذا اصبح موقنا بها فمات من يومه دخل الجنة ومن قالها اذا امسى موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة فالعبد عليه ان يعترف بعدل الله واحسانه فانه لا يظلم الناس شيئا فلا يعاقب احدا الا بذنبه وهو يحسن اليهم فكل نعمة منه عدل وكل نعمة منه فضل ف قوله { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ } الأنبياء 87 فيه اثبات انفراده بالالهية والالهية تتضمن كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته ففيها اثبات احسانه الى العباد فان لا اله هو المألوه والمألوه هو الذي يستحق ان يعبد وكونه يستحق ان يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم ان يكون هو المحبوب غاية الحب المحضوع له غاية الخضوع والعبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل وقوله { سُبْحَانَكَ } الأنبياء 87 يتضمن تعظيمه وتنزيهه عن الظلم وغيره من النقائص فان التسبيح وان كان يقال يتضمن نفي النقائص وقد روى في حديث مرسل من مراسيل موسى بن

طلحة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله العبد سبحان الله
 انها براءة الله من السوء فالنفي لا يكون مدحا الا اذا تضمن
 ثبوتا والا فالنفي المحض لا مدح فيه ونفي السوء والنقص عنه
 يستلزم اثبات محاسنه وكماله والله الاسماء الحسنی وهكذا
 عامة ما يأتي به القرآن في نفي السوء والنقص عنه يتضمن ثبات
 محاسنه وكماله كقوله تعالى { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا
 تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ } البقرة 255 فنفي اخذ السنة والنوم له
 يتضمن كمال حياته وقيوميته وقوله { وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ
 } ق38 يتضمن كمال قدرته ونحو ذلك فالتسبيح المتضمن
 تنزيهه عن السوء ونفي النقص عنه يتضمن تعظيمه ففي قوله
 { سُبْحَانَكَ } الأنبياء 87 تبرئته من الظلم واثبات العظمة
 الموجبة له براءته من الظلم فان الظالم انما يظلم لحاجته الى
 الظلم او لجهله والله غني عن كل شيء عليم بكل شيء وهو غني
 بنفسه وكل ما سواه فقير اليه وهذا كمال العظمة وايضا ففي
 هذا الدعاء التهليل والتسبيح فقوله { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ } الأنبياء 87
 تهليل وقوله { سُبْحَانَكَ } الأنبياء 87 تسبيح وقد ثبت في
 الصحيح عن النبي انه قال افضل الكلام بعد القرآن اربع وهن
 من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر
 والتحميد مقرون بالتسبيح وتابع له والتكبير مقرون بالتهليل وتابع
 له وفي الصحيح عن النبي انه سئل اي الكلام افضل قال ما
 اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده وفي الصحيحين عن
 النبي انه قال كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان
 حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وفي
 القرآن { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ } الحجر 98 وقالت الملائكة { وَنَحْنُ
 نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ } البقرة 30 وهاتان الكلمتان احدهما مقرونة
 بالتحميد والاخرى بالتعظيم فانا قد ذكرنا ان التسبيح فيه نفي
 السوء والنقائص المتضمن اثبات المحاسن والكمال والحمد انما
 يكون على المحاسن وقرن بين الحمد والتعظيم كما قرن بين

الجلال والاكرام اذ ليس كل معظم محبوبا محمودا ولا كل محبوب محمودا معظما وقد تقدم ان العبادة تتضمن كمال الحب المتضمن معنى الحمد وتتضمن كمال الذل المتضمن معنى التعظيم ففي العبادة حبه وحمده على المحاسن وفيها الذل له الناشيء عن عظمته وكبريائه ففيها اجلاله واکرامه وهو سبحانه المستحق للجلال والاكرام فهو مستحق غاية الاجلال وغاية الاكرام ومن الناس من يحسب ان الجلال هو الصفات السلبية و الاكرام الصفات الثبوتية كما ذكر ذلك الرازي ونحوه والتحقيق ان كليهما صفات ثبوتية واثبات الكمال يستلزم نفي النقائص لكن ذكر نوعي الثبوت وهو ما يستحق ان يجب وما يستحق ان يعظم كقوله { إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } لقمان 26 وقول سليمان عليه السلام { فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ } النمل 40 وكذلك قوله { لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ } التغابن 1 فان كثيرا ممن يكون له الملك والغنى لا يكون محمودا بل مذموما اذ الحمد يتضمن الاخبار عن المحمود بمحاسنه المحبوبة فيتضمن اخبارا بمحاسن المحبوب محبة له وكثيرا ممن له نصيب من الحمد والمحبة يكون فيه عجز وضعف وذل ينافي العظمة والغنى والملك فالاول يهاب ويخاف ولا يحب وهذا يحب ويحمد ولا يهاب ولا يخاف والكمال اجتماع الوصفين كما ورد في الاثر ان المؤمن رزق حلاوة ومهابة وفي نعت النبي كان من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه فقرن التسبيح بالتحميد وقرن التهليل بالتكبير كما في كلمات الاذان ثم ان كل واحد من النوعين يتضمن الاخر اذا افرد فان التسبيح والتحميد يتضمن التعظيم ويتضمن اثبات ما يحمد عليه وذلك يستلزم الالهية فان الالهية تتضمن كونه محبوبا بل تتضمن انه لا يستحق كمال الحب الا هو والحمد هو الاخبار عن المحمود بالصفات التي يستحق ان يحب فالالهية تتضمن كمال الحمد ولهذا كان الحمد لله مفتاح الخطاب وكل امر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو اجزم وسبحان الله فيها اثبات عظمته كما قدمناه ولهذا قال { فَسَبِّحْ

بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ { الحاققة 52 وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
اجعلوها فى ركوعكم رواه اهل السنن وقال اما الركوع
فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهد فيه بالدعاء فقم ان
يستجاب لكم رواه مسلم فجعل التعظيم فى الركوع اخص منه
بالسجود والتسبيح يتضمن التعظيم ففي قوله سبحان الله
وبحمده اثبات تنزيهه وتعظيمه والهيته وحمده واما قوله لا
اله الا الله والله اكبر ففي لا اله الا الله اثبات محامده
فانها كلها داخلة فى اثبات الهيته وفى قوله الله اكبر اثبات
عظمته فان الكبرياء تتضمن العظمة ولكن الكبرياء اكمل
ولهذا جاءت الألفاظ المشروعة فى الصلاة والأذان بقول الله
اكبر فان ذلك اكمل من قول الله اعظم كما ثبت فى الصحيح
عن النبي انه قال يقول الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة
إزارى فمن نازعنى واحدا منهما عذبتة فجعل العظمة كالإزار
والكبرياء كالرداء ومعلوم ان الرداء اشرف فلما كان التكبير ابلغ
من التعظيم صرح بلفظه وتضمن ذلك التعظيم وفى قوله سبحان
الله صرح فيها بالتنزيه من السوء المتضمن للتعظيم فصار كل
من الكلمتين متضمنا معنى الكلمتين الأخرين اذا افردتا وعند
الاقتران تعطى كل كلمة خاصيتها وهذا كما ان كل اسم من
اسماء الله فانه يستلزم معنى الآخر فانه يدل على الذات والذات
تستلزم معنى الاسم الآخر لكن هذا باللزوم واما دلالة كل اسم
على خاصيته وعلى الذات بمجموعها بالمطابقة ودلالاتها على
احدهما بالتضمن فقول الداعى { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ
{ الأنبياء 87 يتضمن معنى الكلمات الأربع اللاتى هن افضل
الكلام بعد القرآن وهذه الكلمات تتضمن معانى اسماء الله الحسنى
وصفاته العليا ففيها كمال المدح وقوله { إِنِّي كُنْتُ مِنَ
الظَّالِمِينَ { الأنبياء 87 فيه اعتراف بحقيقة حاله وليس لأحد من
العباد ان يبرىء نفسه عن هذا الوصف لا سيما فى مقام مناجاته
لربه وقد ثبت فى الصحاح عن النبي انه قال لا ينبغي لعبد ان
يقول انا خير من يونس بن متى وقال من قال انا خير من

يونس ابن متى فقد كذب فمن ظن انه خير من يونس بحيث يعلم انه ليس عليه ان يعترف بظلم نفسه فهو كاذب ولهذا كان سادات الخلائق لا يفضلون انفسهم على يونس في هذا المقام بل يقولون كما قال ابوهم آدم وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم واما قول السائل لم كانت موجبة لكشف الضر فذلك لأن الضر لا يكشفه الا الله كما قال تعالى {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ} {يونس 107} والذنوب سبب للضر والاستغفار يزيل اسبابه كما قال تعالى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} {الأنفال 33} فاخبر انه سبحانه لا يعذب مستغفرا وفي الحديث من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال تعالى {وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} {الشورى 30} فقوله {إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} {الأنبياء 87} اعتراف بالذنوب وهو استغفار فان هذا الاعتراف متضمن طلب المغفرة وقوله {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ س} {الأنبياء 87} تحقيق لتوحيد الالهية فان الخير لا موجب له الا مشيئة الله فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن والمعوق له من العبد هو ذنوبه وما كان خارجا عن قدرة العبد فهو من الله وان كانت افعال العباد بقدر الله تعالى لكن الله جعل فعل المأمور وترك المحذور سببا للنجاة والسعادة فشهادة التوحيد تفتح باب الخير والاستغفار من الذنوب يغلق باب الشر ولهذا ينبغي للعبد ان لا يعلق رجاءه الا بالله ولا يخاف من الله ان يظلمه فان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون بل يخاف ان يجزيه بذنوبه وهذا معنى ما روى عن علي رضي الله عنه انه قال لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن الا ذنبه وفي الحديث المرفوع الى النبي انه دخل على مريض فقال كيف تجدك فقال ارجو الله واخاف ذنوبى فقال ما اجتمعا فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف فالرجاء ينبغى ان يتعلق بالله ولا يتعلق بمخلوق ولا بقوة العبد

ولا عمله فان تعليق الرجاء بغير الله اشراك وان كان الله قد جعل لها اسبابا فالسبب لا يستقل بنفسه بل لا بد له من معاون ولا بد ان يمنع المعارض المعوق له وهو لا يحصل ويبقى الا بمشيئة الله تعالى ولهذا قيل الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد ومحو الاسباب ان تكون اسبابا نقص في العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع ولهذا قال الله تعالى { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ } {7} وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ } {8} الشرح 7-8 فامر بأن تكون الرغبة اليه وحده وقال { وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } المائدة 23 فالقلب لا يتوكل الا على من يرجوه فمن رجا قوته او عمله او علمه او حاله او صديقه او قرابته او شيخة او ملكة او ماله غير ناظر الى الله كان فيه نوع توكل على ذلك السبب وما رجا احد مخلوقا او توكل عليه الا خاب ظنه فيه فانه مشرك { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } الحج 31 وكذلك المشرك يخاف المخلوقين ويرجوهم فيحصل له رعب كما قال تعالى { سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا } آل عمران 151 والخالص من الشرك يحصل له الا من كما قال تعالى { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } الأنعام 82 وقد فسر النبي الظلم هنا بالشرك ففي الصحيح عن ابن مسعود ان هذه الآية لما نزلت شق ذلك على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا اينما لم يظلم نفسه فقال النبي انما هذا الشرك الم تسمعوا الى قول العبد الصالح { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } لقمان 13 وقال تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ } {165} إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ } {166} وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا لَنَنبَرَأَنَّ مِنْهُمْ كَمَا

تَبَرُّوْا مَنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ
بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ {167} البقرة 165-167 وقال تعالى { قُلْ
ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا
تَحْوِيلًا } {56} أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ
أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ
مَحْذُورًا {57} الإسراء 56-57 ولهذا يذكر الله الاسباب ويأمر
بأن لا يعتمد عليها ولا يرجى الا الله قال تعالى لما انزل الملائكة
{ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا
مِنَ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } آل عمران 126 وقال { إِنْ يَنْصُرْكُمُ
اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِّنْ بَعْدِهِ
وَعَلَىٰ اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } آل عمران 160 وقد قدمنا ان
الدعاء نوعان دعاء عبادة ودعاء مسألة وكلاهما لا يصلح
الا الله فمن جعل مع الله الها آخر قعد مذموما مخذولا والراجى
سائل طالب فلا يصلح ان يرجو الا الله ولا يسأل غيره ولهذا قال
النبي فى الحديث الصحيح ما أتاك من هذا المال وانت غير
سائل ولا مشرف فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك فالمشرف الذى
يستشرف بقلبه والسائل الذى يسأل بلسانه وفى الحديث الذى فى
الصحيحين عن ابى سعيد الخدرى قال اصابتنا فاقة فجئت
رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسأله فوجدته يخطب الناس وهو
يقول ايها الناس والله مهما يكن عندنا من خير فلن ندخره
عنكم وانه من يستغن يغنه الله ومن يستعفف يعفه الله ومن يتصبر
يصبره الله وما اعطى احد عطاء خيرا واوسع من الصبر و
الاستغناء ان لا يرجو بقلبه احدا فيتشرف اليه و
الاستغفاف ان لا يسأل بلسانه احدا ولهذا لما سئل احمد بن
حنبل عن التوكل فقال قطع الاستشراف الى الخلق اى لا يكون
فى قلبك ان احدا يأتيك بشىء فقيل له فما الحجة فى ذلك فقال
قول الخليل لما قال له جبرائيل هل لك من حاجة فقال اما اليك
فلا فهذا وما يشبهه مما يبين ان العبد فى طلب ما ينفعه
ودفع يضره لا يوجه قلبه الا الى الله فلهذا قال المكروب { لَا

إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ { الأنبياء 87 } ومثل هذا ما فى الصحيحين عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم فان هذه الكلمات فيها تحقيق التوحيد وتأله العبد ربه وتعلق رجائه به وحده لا شريك له وهى لفظ خبر يتضمن الطلب والناس وان كانوا يقولون بألسنتهم لا اله الا الله فقول العبد لها مخلصا من قلبه له حقيقة اخرى وبحسب تحقيق التوحيد تكمل طاعة الله قال تعالى { أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا } {43} { أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا } {44} { الفرقان 43-44 } فمن جعل ما يألهه هو ما يهواه فقد اتخذ الهه هو اه اى جعل معبوده هو ما يهواه وهذا حال المشركين الذين يعبد احدهم ما يستحسنه فهم يتخذون اندادا من دون الله يحبونهم كحب الله ولهذا قال الخليل { لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ } { الأنعام 76 } فإن قومه لم يكونوا منكربين للصانع ولكن كان احدهم يعبد ما يستحسنه ويظنه نافعا كالشمس والقمر والكواكب والخليل بين ان الآفل يغيب عن عابده وتحجبه عنه الحواجب فلا يرى عابده ولا يسمع كلامه ولا يعلم حاله ولا ينفعه ولا يضره بسبب ولا غيره فأى وجه لعبادة من يأفل وكلما حقق العبد الاخلاص فى قول لا اله الا الله خرج من قلبه تأله ما يهواه وتصرف عنه المعاصى والذنوب كما قال تعالى { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } يوسف 24 فعلى صرف السوء والفحشاء عنه بأنه من عباد الله المخلصين وهؤلاء هم الذين قال فيهم { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ } { الحجر 42 } وقال الشيطان { قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {82} { إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } {83} ص 82-83 وقد ثبت فى الصحيح عن النبى انه قال من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه حرمه الله على النار

فإن الاخلاص ينفى اسباب دخول النار فمن دخل النار من القائلين لا اله الا الله لم يحقق اخلاصها المحرم له على النار بل كان في قلبه نوع من الشرك الذي اوقعه فيما ادخله النار والشرك في هذه الأمة اخفى من دبيب النمل ولهذا كان العبد مأمورا في كل صلاة ان يقول {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 والشيطان يأمر بالشرك والنفس تطيعه في ذلك فلا تزال النفس تلتفت الى غير الله اما خوفا منه واما رجاء له فلا يزال العبد مفتقرا الى تخليص توحيده من شوائب الشرك وفي الحديث الذي رواه ابن ابي عاصم وغيره عن النبي انه قال يقول الشيطان اهلكت الناس بالذنوب واهلكوني بلا اله الا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك بنثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يستغفرون لأنهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فصاحب الهوى الذى اتبع هواه بغير هدى من الله له نصيب ممن اتخذ الهه هواه فصار فيه شرك منعه من الاستغفار واما من حقق التوحيد والاستغفار فلا بد ان يرفع عنه الشر فلماذا قال ذو النون { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } الأنبياء 87 ولهذا يقرن الله بين التوحيد والاستغفار في غير موضع كقوله تعالى { فَاَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } محمد 19 وقوله { الْأَتَّعِبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ } 2 { وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ } 3 { هود 2-3 وقوله { وَالْإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } 50 { هود 50 الى قوله { وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ } هود 52 وقوله { فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا } فصلت 6 وخاتمة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرک واتوب اليک ان كان مجلس رحمه كانت كالطابع عليه وان كان مجلس لغو كانت كفارة له وقد روى ايضا انها تقال فى آخر الضوء بعد ان يقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين

واجعلنى من المتطهرين وهذا الذكر يتضمن التوحيد والاستغفار فان صدره الشهادتان اللتان هما اصلا الدين وجماعة فان جميع الذين داخل في الشهادتين اذ مضمونها ان لا نعبد الا الله وان نطيع رسوله و الدين كله داخل في هذا في عبادة الله بطاعة الله وطاعة رسوله وكل ما يجب او يستحب داخل في طاعة الله ورسوله وقد روى انه يقول سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك وهكذا كفارة المجلس فقد شرع في آخر المجلس وفي آخر الوضوء وكذلك كان النبي يختم الصلاة كما في الحديث الصحيح انه كان يقول في آخر صلاته اللهم اغفر لى ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به منى انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت وهنا قدم الدعاء وختمه بالتوحيد لأن الدعاء مأمور به في آخر الصلاة وختم بالتوحيد ليختم الصلاة بأفضل الأمور وهو التوحيد بخلاف ما لم يقصد فيه هذا فان تقديم التوحيد افضل فإن جنس الدعاء الذى هو ثناء وعبادة افضل من جنس الدعاء الذى هو سؤال وطلب وان كان المفضول قد يفضل على الفاضل فى موضعه الخاص بسبب وبأشياء اخر كما ان الصلاة افضل من القراءة والقراءة افضل من الذكر الذى هو ثناء والذكر افضل من الدعاء الذى هو سؤال ومع هذا فالمفضول له امكنة وازمنة واحوال يكون فيها أفضل من الفاضل لكن اول الدين وآخره وظاهره وباطنه هو التوحيد واخلاص الدين كله لله هو تحقيق قول لا اله الا الله فإن المسلمين وان اشتركوا فى الاقرار بها فهم متفاضلون فى تحقيقها تفاضلا لا نقدر ان نضبطه حتى ان كثيرا منهم يظنون ان التوحيد المفروض هو الاقرار والتصديق بان الله خالق كل شىء وربهم ولا يميزون بين الاقرار بتوحيد الربوبية الذى اقر به مشركوا العرب وبين توحيد الالهية الذى دعاهم اليه رسول الله ولا يجمعون بين التوحيد القولى والعملى فإن المشركين ما كانوا يقولون ان العالم خلقه اثنان ولا ان مع الله ربا ينفرد دونه

بخلق شيء بل كانوا كما قال الله عنهم {وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ
 {العنكبوت61 وقال تعالى {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ
 مُشْرِكُونَ {يوسف106 وقال تعالى {قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ
 فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {84} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {85} قُلْ
 مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ {86} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ
 قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ {87} قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا
 يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {88} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى
 تُسْحَرُونَ {89} المؤمنون 84-89 وكانوا مع اقرارهم بان الله
 هو الخالق وحده يجعلون معه آلهة اخرى يجعلونهم شفعاء لهم
 اليه ويقولون { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } الزمر3
 ويحبونهم كحب الله والاشراك في الحب والعبادة والدعاء
 والسؤال غير الإشتراك في الإعتقاد والاقرار كما قال تعالى
 {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ
 وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ {البقرة165 فمن احب مخلوقا كما
 يحب الخالق فهو مشرك به قد اتخذ من دون الله اندادا يحبهم
 كحب الله وان كان مقرا بان الله خالقه ولهذا فرق الله ورسوله
 بين من احب مخلوقا لله وبين من احب مخلوقا مع الله فالأول
 يكون الله هو محبوبه ومعبوده الذى هو منتهى حبه وعبادته لا
 يحب معه غيره لكنه لما علم ان الله يحب انبياءه وعباده
 الصالحين احبهم لأجله وكذلك لما علم ان الله يحب فعل المأمور
 وترك المحذور احب ذلك فكان حبه لما يحبه تابعاً لمحبة الله
 وفرعا عليه وداخلا فيه بخلاف من احب مع الله فجعله ندا
 يرجوه ويخافه او يطيعه من غير ان يعلم ان طاعته طاعة لله
 ويتخذة شفيعا له من غير ان يعلم الله يأذن له ان يشفع فيه وقال
 تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ
 هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ {يونس18 وقال تعالى {اتَّخِذُوا
 أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا

أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ
 { التوبة 31 } وقد قال عدى بن حاتم للنبي صلى الله عليه وسلم
 ما عبدوهم قال احلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم
 الحلال فأطاعوهم فكانت تلك عبادتهم اياهم قال تعالى { أَمْ
 لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ } { الشورى 21
 وقال تعالى { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ
 مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا } { 27 } يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا } { 28 }
 لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ
 خَذُولًا } { 29 } الفرقان 27- 29 فالرسول وجبت طاعته لأنه من
 يطع الرسول فقد اطاع الله فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه
 والدين ما شرعه ومن سوى الرسول من العلماء والمشايخ
 والأمرء والملوك انما تجب طاعتهم اذا كانت طاعتهم طاعة الله
 وهم اذا امر الله ورسوله بطاعتهم فطاعتهم داخله في طاعة
 الرسول قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
 الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ } النساء 59 فلم يقل واطيعوا الرسول
 واطيعوا اولى الامر منكم بل جعل طاعة اولى الامر داخله في
 طاعة الرسول وطاعة الرسول طاعة الله واعد الفعل في طاعة
 الرسول دون طاعة اولى الامر فإنه من يطع الرسول فقد اطاع
 الله فليس لاحد اذا امره الرسول بأمر ان ينظر هل امر الله به ام
 لا بخلاف اولى الامر فانهم قد يأمرون بمعصية الله فليس كل من
 اطاعهم مطيعا لله بل لابد فيما يأمرون به ان يعلم انه ليس
 معصية لله وينظر هل امر الله به ام لا سواء كان اولى الامر من
 العلماء او الامراء ويدخل فى هذا تقليد العلماء وطاعة امراء
 السرايا وغير ذلك وبهذا يكون الدين كله الله قال تعالى
 { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ }
 { الأنفال 39 } وقال النبي لما قيل له يارسول الله الرجل يقاتل
 شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأى ذلك فى سبيل الله فقال من
 قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله ثم ان

كثيرا من الناس يحب خليفة او عالما او شيخا او اميرا فيجعله ندا لله وان كان قد يقول انه يحبه الله فمن جعل غير الرسول تجب طاعته في كل ما يأمر به وينهى عنه وان خالف امر الله ورسوله فقد جعله ندا وربما صنع به كما تصنع النصارى بالمسيح ويدعوه ويستغيث به ويوالى اوليائه ويعادى اعداءه مع ايجابه طاعته في كل ما يأمر به وينهى عنه ويحلله ويحرمه ويقيمه مقام الله ورسوله فهذا من الشرك الذى يدخل اصحابه فى قوله تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} البقرة 165 فالتوحيد والاشراك يكون فى اقوال القلب ويكون فى اعمال القلب ولهذا قال الجنيد التوحيد قول القلب والتوكل عمل القلب اراد بذلك التوحيد الذى هو التصديق فانه لما قرنه بالتوكل جعله اصله واذا افرد لفظ التوحيد فهو يتضمن قول القلب وعمله والتوكل من تمام التوحيد وهذا كلفظ الايمان فانه اذا افرد دخلت فيه الاعمال الباطنة والظاهرة وقيل الايمان قول وعمل اى قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ومنه قول النبی صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق عليه الايمان بضع وستون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله وادناها امامة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان ومنه قوله تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} الحجرات 15 وقوله {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} {2} {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} {3} أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} {4} {الأنفال 2-4} وقوله {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ} {النور 62} و الايمان المطلق يدخل فيه الاسلام كما فى الصحيحين عن النبي انه قال لو فد عبد القيس أمركم بالايمان بالله اتدرون ما الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ووان

تؤدوا خمس ما غنمتم ولهذا قال من قال من السلف كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً واما اذا قرن لفظ الايمان بالعمل او بالاسلام فانه يفرق بينهما كما فى قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } البقرة 277 وهو فى القرآن كثير وكما فى قول النبى فى الحديث الصحيح لما سأله جبريل عن الاسلام والايمان والاحسان فقال الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت قال فما الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره قال فما الاحسان قال ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ففرق فى هذا النص بين الاسلام و الايمان لما قرن بين الاسمين وفى ذلك النص ادخل الاسلام فى الايمان لما افرد به بالذكر وكذلك لفظ العمل فان الاسلام المذكور هو من العمل والعمل الظاهر هو موجب ايمان القلب ومقتضاه فاذا حصل ايمان القلب حصل ايمان الجوارح ضرورة وايمان القلب لابد فيه من تصديق القلب وانقياده والا فلو صدق قلبه بان محمدا رسول الله وهو يبغضه ويحسده ويستكبر عن متابعتة لم يكن قد آمن قلبه و الايمان وان تضمن التصديق فليس هو مرادفا له فلا يقال لكل مصدق بشىء انه مؤمن به فلو قال انا اصدق بأن الواحد نصف الاثنين وان السماء فوقنا والأرض تحتنا ونحو ذلك مما يشاهده الناس ويعلمونه لم يقل لهذا انه مؤمن بذلك بل لا يستعمل الا فيمن اخبر بشىء من الأمور الغائبة كقول اخوة يوسف { وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا } يوسف 17 فانهم اخبروه بما غاب عنه وهم يفرقون بين من آمن له وآمن به فالاول يقال للمخبر والثانى يقال للمخبر به كما قال اخوة يوسف { وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا } يوسف 17 وقال تعالى { فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ } يوسف 83 وقال تعالى { وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنَىٰ قُلٌّ أَدْنَىٰ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ } التوبة 61 ففرق بين ايمانه بالله وايمانه للمؤمنين لان المراد

يصدق المؤمنين اذا خبروه واما ايمانه بالله فهو من باب الاقرار به ومنه قوله تعالى عن فرعون وملائة { اَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا } المؤمنون 47 اى نفر لهما ونصدقهما ومنه قوله { اَفَتَطْمَعُونَ اَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } البقرة 75 ومنه قوله تعالى { فَاَمَنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ اِنِّي مُهَاجِرٌ اِلَىٰ رَبِّي } العنكبوت 26 ومن المعنى الآخر قوله تعالى { يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ } البقرة 3 وقوله { اَمَنْ الرَّسُولُ بِمَا اُنزِلَ اِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ اَمَنْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ } البقرة 285 وقوله { لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُولُوْا وُجُوْهُكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ } البقرة 177 اى اقر بذلك ومثل هذا فى القرآن كثير و المقصود هنا ان لفظ الايمان انما يستعمل فى بعض الاخبار وهو مأخوذ من الأمان كما ان الاقرار مأخوذ من قر فالمؤمن صاحب امن كما ان المقر صاحب اقرار فلا بد فى ذلك من عمل القلب بموجب تصديقه فاذا كان عالما بأن محمدا رسول الله ولم يقترن بذلك حبه وتعظيمه بل كان يبغضه ويحسده ويستكبر عن اتباعه فان هذا ليس بمؤمن به بل كافر به ومن هذا الباب كفر ابليس وفرعون واهل الكتاب الذين يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وغير هؤلاء فان ابليس لم يكذب خبرا ولا مخبرا بل استكبر عن امر ربه وفرعون وقومه قال الله فيهم { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا اَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } النمل 14 وقال له موسى { لَقَدْ عَلِمْتَمَا اَنْزَلَ هٰؤُلَاءِ اِلَّا رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ بَصٰاٰتِرٌ } الإسراء 102 وقال تعالى { الَّذِيْنَ اَتَيْنَاهُمْ الْكِتٰبَ يَعْرِفُوْنَهٗ كَمَا يَعْرِفُوْنَ اَبْنَآءَهُمْ } البقرة 146 فمجرد علم القلب بالحق ان لم يقترن به عمل القلب بموجب علمه مثل محبة القلب له واتباع القلب له لم ينفع صاحبه بل اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم

يقول اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع وقلب لا يخشع ولكن الجهمية ظنوا ان مجرد علم القلب وتصديقه هو الايمان وان من دل الشرع على انه ليس بمؤمن فان ذلك يدل على عدم علم قلبه وهذا من اعظم الجهل شرعا وعقلا وحقيقته توجب التسوية بين المؤمن والكافر ولهذا اطلق وكيع بن الجراح واحمد بن حنبل وغيرهما من الأئمة كفرهم بذلك فانه من المعلوم ان الانسان يكون عالما بالحق ويبيغضه لغرض آخر فليس كل من كان مستكبرا عن الحق يكون غير عالم به وحينئذ فالايمان لا بد فيه من تصديق القلب وعمله وهذا معنى قول السلف الايمان قول وعمل ثم انه اذا تحقق القلب بالتصديق والمحبة التامة المتضمنة للارادة لزم وجود الأفعال الظاهرة فان الارادة الجازمة اذا اقترنت بها القدرة التامة لزم وجود المراد قطعاً وانما ينتفى وجود الفعل لعدم كمال القدرة او لعدم كمال الارادة والا فمع كمالها يجب وجود الفعل الاختيارى فاذا اقر القلب اقرارا تاما بان محمدا رسول الله واحبه محبة تامة امتنع مع ذلك ان لا يتكلم بالشهادتين مع قدرته على ذلك لكن ان كان عاجزا لخرس ونحوه او الخوف ونحوه لم يكن قادرا على النطق بهما و ابو طالب وان كان عالما بان محمدا رسول الله وهو محب له فلم تكن محبته له لمحبهته لله بل كان يحبه لأنه ابن اخيه فيحبه للقرابة واذا احب ظهوره فلما يحصل له بذلك من الشرف والرئاسة فأصل محبته هو الرئاسة فلهذا لما عرض عليه الشهادتين عند الموت رأى ان بالاقرار بهما زوال دينه الذى يحبه فكان دينه احب اليه من ابن اخيه فلم يقر بهما فلو كان يحبه لأنه رسول الله كما كان يحبه ابو بكر الذى قال الله فيه {وَسَيَجْنِبُهَا الْأَتَقَى} {17} الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى} {18} وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى} {19} إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى} {20} وَلَسَوْفَ يَرْضَى} {21} الليل 17-21 وكما كان يحبه سائر المؤمنين به كعمر وعثمان وعلى غيرهم لنطق بالشهادتين قطعاً فكان حبه حبا مع الله لا حبا لله ولهذا لم

يقبل الله ما فعله من نصر الرسول وموازرتة لأنه لم يعمله الله والله لا يقبل من العمل الا ما اريد به وجهه بخلاف الذى فعل ما فعل ابتغاء وجه ربه الأعلى وهذا مما يحقق ان الايمان والتوحيد لابد فيهما من عمل القلب كحب القلب فلا بد من اخلاص الدين لله والدين لا يكون ديننا الا بعمل فان الدين يتضمن الطاعة والعبادة وقد انزل الله عز وجل سورتي الاخلاص قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد احدهما فى توحيد القول والعلم و الثانية فى توحيد العمل والارادة فقال فى الأول { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {1} اللَّهُ الصَّمَدُ {2} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {3} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {4} } الاخلاص 1-4 فأمره ان يقول هذا التوحيد وقال فى الثانى { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ {1} لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ {2} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {3} وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ {4} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {5} لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ {6} } الكافرون 1-6 فأمره ان يقول ما يوجب البراءة من عباده غير الله واخلاص العبادة لله و العبادة اصلها القصد والارادة والعبادة اذا افردت دخل فيها التوكل ونحوه واذا قرنت بالتوكل صار التوكل قسيما لها كما ذكرناه فى لفظ الايمان قال تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ { الذاريات 56 وقال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ { البقرة 21 فهذا ونحوه يدخل فيه فعل المأمورات وترك المحظورات والتوكل من ذلك وقد قال فى موضع آخر { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ { الفاتحة 5 وقال { فَاَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ { هود 123 ومثل هذا كثير ما يجيء فى القرآن تتنوع دلالة اللفظ فى عمومه وخصوصه بحسب الافراد والاقتران كلفظ المعروف والمنكر فانه قد قال { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ { آل عمران 110 وقال { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ { التوبة 71 وقال { يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ

{ الأعراف 157 فالمنكر يدخل فيه ما كرهه الله كما يدخل في المعروف ما يحبه الله } وقد قال في موضع آخر { إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ { العنكبوت 45 فعطف المنكر على الفحشاء ودخل في المنكر هنا البغي وقال في موضع آخر { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ { النحل 90 فقرن بالمنكر الفحشاء والبغي ومن هذا الباب لفظ الفقراء والمساكين اذا افرد احدهما دخل فيه الاخر واذا قرن احدهما بالآخر صار بينهما فرق لكن هناك احد الاسمين اعم من الآخر وهنا بينهما عموم وخصوص فمحبة الله وحده والتوكل عليه وحده وخشية الله وحده ونحو هذا كل هذا يدخل في توحيد الله تعالى قال تعالى في المحبة { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ { البقرة 165 وقال تعالى { قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ { التوبة 24 وقال تعالى { وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ { النور 52 فجعل الطاعة لله والرسول وجعل الخشية والتقوى لله وحده وقال تعالى { وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ { التوبة 59 وقال تعالى { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ { 7 } وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ { 8 } الشرح 7-8 فجعل التحسب والرغبة الى الله وحده وهذه الامور مبسطة في غير هذا الموضع و المقصود هنا ان قول القائل { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ { الأنبياء 87 فيه افراد الالهية لله وحده وذلك يتضمن التصديق لله قولاً وعملاً فالمشركون كانوا يقرون بان الله رب كل شيء لكن كانوا يجعلون معه آلهة اخرى فلا يخصونه بالالهية وتخصيصه بالالهية يوجب ان لا يعبد الا اياه وان لا

يسأل غيره كما فى قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5
فان الانسان قد يقصد سؤال الله وحده والتوكل عليه لكن فى امور
لا يحبها الله بل يكرها وينهى عنها فهذا وان كان مخلصا له فى
سؤاله والتوكل عليه لكن ليس هو مخلصا فى عبادته وطاعته
وهذا حال كثير من اهل التوجيهات الفاسدة اصحاب الكشوفات
والتصرفات المخالفة لامر الله ورسوله فانهم يعانون على هذه
الامور وكثير منهم يستعين الله عليها لكن لما لم تكن موافقة
لامر الله ورسوله حصل لهم نصيب من العاجلة وكانت عاقبتهم
عاقبة سيئة قال تعالى {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ
تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّكُم إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا
{الإسراء 67} {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ
قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ
{يونس 12} وطائفة اخرى قد يقصدون طاعة الله ورسوله لكن
لا يحققون التوكل عليه والاستعانة به فهو لاء يتأبون على حسن
نيتهم وعلى طاعتهم لكنهم مخذولون فيما يقصدونه اذ لم يحققوا
الاستعانة بالله والتوكل عليه ولهذا يبتلى الواحد من هؤلاء
بالضعف والجزع تارة وبالعجاب اخرى فان لم يحصل مراده
من الخير كان لضعفه وربما حصل له جزع فان حصل مراده
نظر الى نفسه وقوته فحصل له اعجاب وقد يعجب بحاله فيظن
حصول مراده فيخذل قال تعالى { وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ
كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ
وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ } التوبة 25 الى قوله {ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ} التوبة 27 وكثيرا ما يقرن
الناس بين الرياء والعجب فالرياء من باب الاشرار بالخلق
والعجب من باب الاشرار بالنفس وهذا حال المستكبر فالمرائي
لا يحقق قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} الفاتحة 5 والمعجب لا يحقق قوله
{ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 فمن حقق قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ
{ الفاتحة 5 خرج عن الرياء ومن حقق قوله { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

{ الفاتحة 5 } خرج عن الاعجاب وفي الحديث المعروف ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وشر من هؤلاء وهؤلاء من لا تكون عبادته لله ولا استعانتة بل يعبد غيره ويستعين غيره وهؤلاء المشركون من الوجهين ومن هؤلاء من يكون شركه بالشياطين كاصحاب الاحوال الشيطانية فيفعلون ما تحبه الشياطين من الكذب والفجور ويدعونه بأدعية تحبها الشياطين ويعزمون بالعزائم التي تطيعها الشياطين مما فيها اشراك بالله كما قد بسط الكلام عليهم فى مواضع اخر وهؤلاء قد يحصل لهم من الخوارق ما يظن انه من كرامات الاولياء وانما هو من احوال السحرة والكهان ولهذا يجب الفرق بين الاحوال الايمانية القرآنية والاحوال النفسانية والاحوال الشيطانية

واما القسم الرابع فهم اهل التوحيد الذين اخلصوا دينهم لله فلم يعبدوا الا اياه ولم يتوكلوا الا عليه وقول المكروب { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ } { الأنبياء 87 } قد يستحضر فى ذلك احد النوعين دون الآخر فمن أتم الله عليه النعمة استحضر التوحيد فى النوعين فان المكروب همته منصرفة إلى دفع ضره وجلب نفعه فقد يقول لا اله الا الله مستشعرا أنه لا يكشف الضر غيرك ولا يأتى بالنعمة إلا أنت فهذا مستحضر توحيد الربوبية ومستحضر توحيد السؤال والطلب والتوكل عليه معرض عن توحيد الالهية الذى يحبه الله ويرضاه ويأمر به وهو أن لا يعبد الا اياه ولا يعبد الا بطاعته وطاعة رسوله فمن استشعر هذا في قوله { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ } { الأنبياء 87 } كان عابدا لله متوكلا عليه وكان ممثلا قوله { فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } { هود 123 } وقوله { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } { هود 88 } وقوله { وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً } { 8 } { رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا } { 9 } { المزملة 8-9 } ثم ان كان مطلوبه محرما أثم وان قضيت حاجته وان كان طالبا مباحا لغير قصد الاستعانة به على طاعة الله وعبادته لم يكن أثما ولا مثابا وان كان طالبا ما يعينه على طاعة الله وعبادته لقصد

الاستعانة به على ذلك كان مثابا مأجورا وهذا مما يفرق به بين العبد الرسول وخلفائه وبين النبي الملك فان نبينا محمدا خير بين ان يكون نبيا ملكا او عبدا رسولا فاختر ان يكون عبدا رسولا فان العبد الرسول هو الذى لا يفعل الا ما امر به ففعله كله عبادة لله فهو عبد محض منفذ امر مرسله كمل ثبت عنه فى صحيح البخارى انه قال انى والله لا اعطى احدا ولا امنع احدا وانما انا قاسم اضع حيث امرت وهو لم يرد بقوله لا اعطى احدا ولا امنع افراد الله بذلك قدرا وكونا فان جميع المخلوقين يشاركونه فى هذا فلا يعطى حدا ولا يمنع الا بقضاء الله وقدره وانما اراد افراد الله بذلك شرعا ودينا اى لا اعطى الا من امرت باعطائه ولا امنع الا من امرت بمنعه فانما مطيع لله فى اعطائى ومنعى فهو يقسم الصدقة والفيء والغنائم كما يقسم المواريث بين اهلها لأن الله امره بهذه القسمة ولهذا كان المال حيث اضيف الى الله ورسوله فالمراد به ما يجب ان يصرف فى طاعة الله ورسوله ليس المراد به انه ملك للرسول كما ظنه طائفة من الفقهاء ولا المراد به كونه مملوكا لله خلقا وقدرا فان جميع الأموال بهذه المثابة وهذا كقوله { قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ } الأنفال 1 وقوله { وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ } الأنفال 41 الآية وقوله { وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَ } الحشر 6 الى قوله { مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى } الحشر 7 الآية فذكر فى الفيء ما ذكر فى الخمس فظن طائفة من الفقهاء ان الاضافة الى الرسول تقتضى انه يملكه كما يملك الناس املاكهم ثم قال بعضهم ان غنائم بدر كانت ملكا للرسول وقال بعضهم ان الفيء واربعة اخماسه كان ملكا للرسول وقال بعضهم ان الرسول انما كان يستحق من الخمس خمسة وقال بعض هؤلاء وكذلك يستحق من خمس الفيء خمسة وهذه الأقوال توجد فى كلام طوائف من اصحاب الشافعى واحمد وابى حنيفة وغيرهم وهذا غلط من

وجوه منها ان الرسول لم يكن يملك هذه الاموال كما يملك الناس اموالهم ولا كما ينصرف الملوك فى ملكهم فان هؤلاء وهؤلاء لهم ان يصرفوا اموالهم فى المباحات فأما ان يكون مالكا له فيصرفه فى اغراضه الخاصة واما ان يكون ملكا له فيصرفه فى مصلحة ملكه وهذه حال النبي الملك كداود وسليمان قال تعالى { فَاَمْنُنْ اَوْ اَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } ص 39 اى اعط من شئت واحرم من شئت لاحساب عليك ونبينا كان عبدا رسولا يعطى الامن امر باعطائه ولا يمنع الا من امر بمنعه فلم يكن يصرف الاموال الا فى عبادة الله وطاعة له ومنها ان النبي لا يورث ولو كان ملكا فإن الأنبياء لا يورثون فاذا كان ملوك الأنبياء لم يكونوا ملاكا كما يملك الناس اموالهم فكيف يكون صفوة الرسل الذى هو عبد رسول مالكا ومنها ان النبي كان ينفق على نفسه وعياله قدر الحاجة ويصرف سائر المال فى طاعة الله لا يستفضله وليست هذه حال الملاك بل المال الذى يتصرف فيه كله هو مال الله ورسوله بمعنى ان الله امر رسوله ان يصرف ذلك المال فى طاعته فتجب طاعته فى قسمة كما تجب طاعته فى سائر ما يأمر به فانه من يطع الرسول فقد اطاع الله وهو فذلك مبلغ عن الله والاموال التى كان يقسمها النبي صلى الله عليه وسلم على وجهين منها ما تعين مستحقه ومصرفه كالمواريث ومنها ما يحتاج الى اجتهاده ونظره ورأيه فان ما امر الله به منه ما هو محدود بالشرع كالصلوات الخمس وطواف الاسبوع بالبيت ومنه ما يرجع فى قدره الى اجتهاد المأمور فيزيد وينقصه بحسب المصلحة التى يحبها الله فمن هذا ما اتفق عليه الناس ومنه ما تنازعوا فيه كتنازع الفقهاء فيما يجب للزوجات من النفقات هل هى مقدره بالشرع ام يرجع فيها الى العرف فتختلف فى قدرها وصفتها باختلاف احوال الناس وجمهور الفقهاء على القول الثانى وهو الصواب لقول النبي لهند خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف وقال ايضا فى خطبته المعروفة للنساء

كسوتهن ونفقتهن بالمعروف وكذلك تنازعوا ايضا فيما يجب من الكفارات هل هو مقدر بالشرع او بالعرف فما اضيف الى الله والرسول من الأموال كان المرجع فى قسمته الى امر النبي بخلاف ما سمي مستحقوه كالمواريث ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم عام حنين ليس لى مما افاء الله عليكم الا الخمس والخمس مردود عليكم اى ليس له بحكم القسم الذى يرجع فيه الى اجتهاده ونظره الخاص الا الخمس ولهذا قال وهو مردود عليكم بخلاف اربعة اخماس الغنيمة فانه لمن شهد الواقعة ولهذا كانت الغنائم يقسمها الأمراء بين الغانمين والخمس يرفع الى الخلفاء الراشدين المهديين الذين خلفوا رسول الله فى امته فيقسمونها بأمرهم فاما اربعة الاخماس فانما يرجعون فيها ليعلم حكم الله ورسوله كما يستفتى المستفتى وكما كانوا فى الحدود لمعرفة الامر الشرعى والنبي اعطى المؤلفة قلوبهم من غنائم حنين ما اعطاهم فليل ان ذلك كان من الخمس وقيل انه كان من اصل الغنيمة وعلى هذا القول فهو فعل ذلك لطيب نفوس المؤمنين بذلك ولهذا اجاب من عتب من الأنصار بما أزال عتبه واراد تعويضهم عن ذلك ومن الناس من يقول الغنيمة قبل القسمة لم يملكها الغانمون وان للامام ان يتصرف فيها باجتهاده كما هو مذكور فى غير هذا الموضع فإن المقصود هنا بيان حال العبد المحض لله الذى يعبده ويستعينه فيعمل له ويستعينه ويحقق قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 توحيد الالهية وتوحيد الربوبية وان كانت الالهية تتضمن الربوبية تستلزم الالهية فان احدهما اذا تضمن الآخر عند الانفراد لم يمنع ان يختص بمعناه عند الاقتران كما فى قوله { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ {1} مَلِكِ النَّاسِ {2} إِلَهِ النَّاسِ {3} النَّاسِ 1-3 وفى قوله { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الفاتحة 2 فجميع بين الاسمين اسم الاله واسم الرب فان الاله هو المعبود الذى يستحق ان يعبد و الرب هو الذى يرب عبده فيدبره ولهذا كانت العبادة متعلقة باسمه الله والسؤال متعلقا باسمه الرب فإن العبادة

هي الغاية التي لها خلق الخلق والالهية هي الغاية والربوبية
 تتضمن خلق الخلق وانشاءهم فهو متضمن ابتداء حالهم
 والمصلى اذا قال {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 فبدأ
 بالمقصود الذي هو الغاية على الوسيلة التي هي البداية فالعبادة
 غاية مقصوده والاستعانة وسيلة اليها تلك حكمة وهذا سبب
 والفرق بين العلة الغائية والعلة الفاعلية معروف ولهذا يقال اول
 الفكرة آخر العمل واول البغية آخر الدرك فالعلة الغائية متقدمة
 في التصور والارادة وهي متأخرة في الوجود فالمؤمن يقصد
 عباده الله ابتداء وهو يعلم ان ذلك لا يحصل الا باعانتة فيقول
 {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 ولما كانت العبادة متعلقة
 باسمه الله تعالى جاءت الأذكار المشروعة بهذا الاسم مثل كلمات
 الأذان الله اكبر الله اكبر ومثل الشهادتين اشهد ان لا اله الا الله
 اشهد ان محمدا رسول الله ومثل التشهد التحيات لله ومثل
 التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير سبحان الله والحمد لله ولا اله
 الا الله والله اكبر واما السؤال فكثيرا ما يجيء باسم الرب
 كقول آدم وحواء { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا
 لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 وقول نوح { رَبِّ إِنِّي
 أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ } هود 47 وقول موسى
 { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي } القصص 16 وقول الخليل
 { رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ
 الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ } إبراهيم 37 الآية وقوله مع اسماعيل
 { رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } البقرة 127 وكذلك قول
 الذين قالوا { رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا
 عَذَابَ النَّارِ } البقرة 201 ومثل هذا كثير وقد نقل عن مالك
 انه قال اكره للرجل ان يقول في دعائه ياسيدى ياسيدى يا حنان
 يا حنان ولكن يدعو بما دعت به الأنبياء ربنا ربنا ربنا نقله عنه
 العتبي في العتبية وقال تعالى عن اولي الألباب { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ
 اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ { آل عمران 191 الآيات فإذا سبق إلى قلب العبد قصد السؤال ناسب ان يسأله باسمه الرب وان سأله باسمه الله لتضمنه اسم الرب كان حسنا واما اذا سبق إلى قلبه قصد العبادة فاسم الله اولى بذلك اذا بدأ بالثناء ذكر اسم الله واذا قصد الدعاء دعا باسم الرب ولهذا قال يونس { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } { الأنبياء 87 وقال آدم { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } { الأعراف 23 فان يونس عليه السلام ذهب مغاضبا وقال تعالى { فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُكِنِّ كَصَاحِبِ الْهُوتِ } { القلم 48 وقال تعالى { فَالْتَقِمَهُ الْهُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ } { الصافات 142 ففعل ما يلام عليه فكان المناسب لحاله ان يبدأ بالثناء على ربه والاعتراف بانه لا اله الا هو فهو الذى يستحق ان يعبد دون غيره فلا يطاع الهوى فإن اتباع الهوى يضعف عبادة الله وحده وقد روى ان يونس عليه السلام ندم على ارتفاع العذاب عن قومه بعد ان اظلمهم وخاف ان ينسبوه الى الكذب فغاضب وفعل ما اقتضى الكلام الذى ذكره الله تعالى وان يقال { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ } { الأنبياء 87 وهذا الكلام يتضمن براءة ما سوى الله من الالهية سواء صدر ذلك عن هوى النفس او طاعة الخلق او غير ذلك ولهذا قال { سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } { الأنبياء 87 والعبد يقول مثل هذا الكلام فيما يظنه وهو غير مطابق وفيما يريده وهو غير حسن واما آدم عليه السلام فانه اعترف اولا بذنبه فقال { ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا } { الأعراف 23 ولم يكن عند آدم من ينازعه الارادة لما امر الله به مما يزاحم الالهية بل ظن صدق الشيطان الذى { قَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ } { 21 } فَذَلَاهُمَا بِعُرُورٍ { 22 } الأعراف 21-23 فالشيطان غرهما واطهر نصحهما فكانا فى قبول غروره وما اظهر من نصحه حالهما مناسبا لقولهما { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا } { الأعراف 23 لما حصل من التقريط لا

لأجل هوى وحظ يزاحم الالهية وكانا محتاجين الى ان يربهما لا ربوبية تكمل علمهما وقصدهما حتى لا يغترا بمثل ذلك فهما يشهدان حاجتهما الى الله ربهما الذى لا يقضى حاجتهما غيره وذو النون شهد ما حصل من التقصير فى حق الالهية بما حصل من المغاضبه وكرهه انجاء اولئك ففى ذلك من المعارضة فى الفعل لحب شىء آخر ما يوجب تجريد محبته لله وتألهه له وان يقول { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ } { الْأَنْبِيَاءُ 87 } فإن قول العبد لا اله الا انت يمحو ان يتخذ الهه هواه وقد روى ما تحت اديم السماء الله يعبد اعظم عند الله من هوى متبع فكمل يونس صلوات الله عليه تحقيق الهيته لله ومحو الهوى الذى يتخذ الها من دونه فلم يبق له صلوات الله عليه وسلامه عند تحقيق قوله { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ } { الْأَنْبِيَاءُ 87 } ارادة تزاحم الهية الحق بل كان مخلصا لله الدين اذ كان من افضل عباد الله المخلصين و ايضا فمثل هذه الحال تعرض لمن تعرض له فيبقى فيه نوع مغاضبة للقدر ومعارضة له فى خلقه وامره ووساوس فى حكمته ورحمته فيحتاج العبد ان ينفى عنه شينين الآراء الفاسدة والآهواء الفاسدة فيعلم ان الحكمة والعدل فيما اقتضاه علمه وحكمته لا فيما اقتضاه علم العبد وحكمته ويكون هواه تبعا لما امر الله به فلا يكون له مع امر الله وحكمه هوى يخالف ذلك قال الله تعالى { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } {النساء65} وقد روى عنه انه قال والذى نفسى بيده لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به رواه ابو حاتم فى صحيحه وفى الصحيح ان عمر قال له يارسول الله والله لأنت احب الى من نفسى قال الآن يا عمر وفى الصحيح عنه انه قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وقال تعالى { قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ

اللَّهُ بِأَمْرِهِ { التوبة 24 فإذا كان الايمان لا يحصل حتى يحكم
 العبد رسوله ويسلم له ويكون هواه تبعاً لما جاء به ويكون
 الرسول والجهاد في سبيله مقدماً على حب الانسان نفسه وماله
 واهله فكيف في تحكيمه الله تعالى والتسليم له فمن رأى قوما
 يستحقون العذاب في ظنه وقد غفر الله لهم ورحمهم وكره هو
 ذلك فهذا اما ان يكون عن ارادة تخالف حكم الله واما عن ظن
 يخالف علم الله والله عليم حكيم واذا علمت انه عليم وانه حكيم لم
 يبق لكراهية ما فعله وجه وهذا يكون فيما امر به وفيما خلقه ولم
 يأمرنا ان نكرهه ونغضب عليه فأما ما امرنا بكراهته من
 الموجودات كالكفر والفسوق والعصيان فعلياً ان نطيعه في امره
 بخلاف توبته على عباده وانجائه اياهم من العذاب فان هذا من
 مفعولاته التي لم يأمرنا ان نكرهها بل هي مما يحبها فانه { يُحِبُّ
 التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } البقرة 222 فكراهة هذا من نوع
 اتباع الارادة المزاحمة للالهية فعلى صاحبها ان يحقق توحيد
 الالهية فيقول { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ } الأنبياء 87 فعلياً ان نحب
 ما يحب ونرضى ما يرضى ونأمر بما يأمر وننهى عما ينهى فاذا
 كان { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } البقرة 222
 فعلياً ان نحبهم ولا نأله مراداً لنا المخالفة لمحابه والكلام في
 هذا المقام مبنى على اصل وهو ان الأنبياء صلوات الله
 عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه وفي تبليغ
 رسالاته باتفاق الأمة ولهذا وجب الايمان بكل ما اوتوه كما قال
 تعالى { قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
 وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ
 وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ
 مُسْلِمُونَ } { 136 } فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا
 فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ
 الْعَلِيمُ } { 137 } البقرة 136-137 وقال { وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ } البقرة 177

وقال { أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } البقرة 285

بخلاف غير الأنبياء فانهم ليسوا معصومين كما عصم الأنبياء
ولو كانوا اولياء الله ولهذا من سب نبيا من الأنبياء قتل باتفاق
الفقهاء ومن سب غيرهم لم يقتل وهذه العصمة الثابتة للأنبياء
هى التى يحصل بها مقصود النبوة والرسالة فان النبى هو
المنبأ عن الله و الرسول هو الذى ارسله الله تعالى وكل
رسول نبى وليس كل نبى رسولا والعصمة فيما يبلغونه عن الله
ثابتة فلا يستقر فى ذلك خطأ باتفاق المسلمين ولكن هل يصدر
ما يستدركه الله فينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته هذا فيه
قولان والمأثور عن السلف يوافق القرآن بذلك والذين منعوا ذلك
من المتأخرين طعنوا فيما ينقل من الزيادة فى سورة النجم بقوله
تلك الغرائق العلى وان شفاعتهن لترتجى وقالوا ان هذا لم
يثبت ومن علم انه ثبت قال هذا القاه الشيطان فى مسامعهم ولم
يلفظ به الرسول ولكن السؤال وارد على هذا التقدير ايضا وقالوا
فى قوله { إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ } الحج 52
هو حديث النفس واما الذين قرروا ما نقل عن السلف فقالوا
هذا منقول نقلا ثابتا لا يمكن القدح فيه والقرآن يدل عليه بقوله
{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى
الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } 52 { لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ
بَعِيدٍ } 53 { وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ
فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ } 54 { الحج 52-54 فقالوا الاثار فى تفسير هذه الاية
معروفة ثابتة فى كتب التفسير والحديث والقرآن يوافق ذلك فان
نسخ الله لما يلقي الشيطان واحكامه آياته انما يكون لرفع ما وقع
فى آياته وتمييز الحق من الباطل حتى لا تختلط آياته بغيرها

وجعل ما القى الشيطان { فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ } {53} الحج 53 انما يكون اذا كان ذلك ظاهرا يسمعه الناس لا باطنا في النفس والفتنة التي تحصل بهذا النوع من النسخ من جنس الفتنة التي تحصل بالنوع الاخر من النسخ وهذا النوع ادل على صدق الرسول وبعده عن الهوى من ذلك النوع فانه اذا كان يأمر بامر ثم يأمر بخلافه وكلاهما من عند الله وهو مصدق في ذلك فاذا قال عن نفسه ان الثاني هو الذي من عند الله وهو الناسخ وان ذلك المرفوع الذي نسخه الله ليس كذلك كان ادل على اعتماده للصدق وقوله الحق وهذا كما قالت عائشة رضي الله عنها لو كان محمد كاتما شيئا من الوحي لكتتم هذه الاية { وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ } الأحزاب 37 الا ترى ان الذي يعظم نفسه بالباطل يريد ان ينصر كل ما قاله ولو كان خطأ فبيان الرسول ان الله احكم آياته ونسخ ما القاه الشيطان هو ادل على تحريه للصدق وبرأته من الكذب وهذا هو المقصود ببالرسالة فانه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم تسليما ولهذا كان تكذيبه كفرا محضا بلا ريب واما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فيه نزاع هل هو ثابت بالعقل او السمع ومتنازعون في العصمة من الكبائر والصغائر او من بعضها ام هل العصمة انما هي في الاقرار عليها لا في فعلها ام لا يجب القول بالعصمة الا في التبليغ فقط وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل المبعث ام لا والكلام على هذا مبسوط في غير هذا الموضوع والقول الذي عليه جمهور الناس وهو الموافق للاثار المنقولة عن السلف اثبات العصمة من الاقرار على الذنوب مطلقا والرد على من يقول انه يجوز اقرارهم عليها وحجج القائلين بالعصمة اذا حررت انما تدل على هذا القول وحجج النفاة لا تدل على وقوع ذنب اقر عليه الانبياء فان القائلين بالعصمة احتجوا بأن التأسى بهم مشروع وذلك لا يجوز الا مع تجويز كون الافعال ذنوبا ومعلوم ان التأسى بهم انما هو مشروع فيما اقروا عليه دون ما نهوا عنه

ورجعوا عنه كما ان الامر والنهي انما تجب طاعتهم فيما لم ينسخ منه فأما ما نسخ من الامر والنهي فلا يجوز جعله مأمورا به ولا منهيًا عنه فضلا عن وجوب اتباعه والطاعة فيه وكذلك ما احتجوا به من ان الذنوب تنافى الكمال او انها ممن عظمت عليه النعمة اقبح او انها توجب التنفير او نحو ذلك من الحجج العقلية فهذا انما يكون مع البقاء على ذلك وعدم الرجوع والا فالتوبة النصوح التي يقبلها الله يرفع بها صاحبها الى اعظم مما كان عليه كما قال بعض السلف كان داود عليه السلام بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة وقال آخر لو لم تكن التوبة احب الاشياء اليه لما ابتلى بالذنب اكرم الخلق عليه وقد ثبت في الصحاح حديث التوبة **الله افرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلا الخ** وقد قال تعالى { **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** } البقرة 222 وقال تعالى { **إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ** } الفرقان 70 وقد ثبت في الصحيح حديث الذي يعرض الله صغار ذنوبه ويخبا عنه كبارها وهو مشفق من كبارها ان تظهر فيقول الله له **اني قد غفرتها لك وابدلتك مكان كل سيئة حسنة فيقول اى رب ان لي سيئات لم ارها اذا رأى تبديل السيئات بالحسنات طلب رؤية الذنوب الكبار التي كان مشفقا منها ان تظهر ومعلوم ان حاله هذه مع هذا التبديل اعظم من حاله لو لم يقع السيئات ولا التبديل** وقال طائفة من السلف منهم سعيد بن جبير ان العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار وان العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة يعمل الحسنة فيعجب بها ويفتخر بها حتى تدخله النار ويعمل السيئة فلا يزال خوفه منها وتوبته منها حتى تدخله الجنة وقد قال تعالى { **وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** } 72 { **لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** } 73 { **الأحزاب 72-73** فغاية كل انسان ان يكون من المؤمنين والمؤمنات الذين تاب الله عليهم وفي

الكتاب والسنة الصحيحة والكتب التي انزلت قبل القرآن مما يوافق هذا القول ما يتعذر إحصاؤه والرادون لذلك تأولوا ذلك بمثل تأويلات الجهمية والقدرية والدهرية لنصوص الاسماء والصفات ونصوص القدر ونصوص المعاد وهى من جنس تأويلات القرامطة الباطنية التى يعلم بالاضطرار انها باطلة وانها من باب تحريف الكلم عن مواضعه وهؤلاء يقصد احدهم تعظيم الانبياء فيقع فى تكذيبهم ويريد الايمان بهم فيقع فى الكفر بهم ثم ان العصمة المعلومة بدليل الشرع والعقل والاجماع وهى العصمة فى التبليغ لم ينتفعوا بها اذ كانوا لا يقرون بموجب ما بلغته الانبياء وانما يقرون بلفظ حرفوا معناه او كانوا فيه كالاميين الذين لا يعلمون الكتاب الا امانى والعصمة التى كانوا اعوها لو كانت ثابتة لم ينتفعوا بها ولا حاجة بهم اليها عندهم فانها متعلقة بغيرهم لا بما امروا بالايمان به فيتكلم احدهم فيها على الانبياء بغير سلطان من الله ويدع ما يجب عليه من تصديق الانبياء وطاعتهم وهو الذى تحصل به السعادة وبضده تحصل الشقاوة قال تعالى { عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } النور 54 والله تعالى لم يذكر فى القرآن شيئا من ذلك عن نبي من الانبياء الا مقرونا بالتوبة والاستغفار كقول آدم وزوجته { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 وقول نوح { رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } هود 47 وقوله الخليل عليه السلام { رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ } ابراهيم 41 وقوله { وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ } الشعراء 82 وقول موسى { أَنْتَ وَلِيِّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ } { 155 } وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ } { 156 } الأعراف 155-156 وقوله { رَبِّ إِنِّي

ظَلَمْتُ نَفْسِي فَأَغْفِرْ لِي { القصص 16 وقوله { فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ
سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ { الأعراف 143 وقوله
تعالى عن داود { فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ { 24 }
فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ { 25 } ص 24- 25
وقوله تعالى عن سليمان { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا
يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ { ص 35 } واما يوسف
الصديق فلم يذكر الله عنه ذنبا فلماذا لم يذكر الله عنه ما يناسب
الذنب من الاستغفار بل قال { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ
وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ { يوسف 24 } فاخبر انه
صرف عنه السوء والفحشاء وهذا يدل على انه لم يصدر منه
سوء ولا فحشاء واما قوله { وَوَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ
رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ { يوسف 24 } فالهم اسم جنس تحته نوعان
كما قال الامام احمد الهم همان هم خطرات وهم اصرار وقد ثبت
في الصحيح عن النبي ان العبد اذا هم بسيئة لم تكتب عليه
واذا تركها لله كتبت له حسنة وان عملها كتبت له سيئة واحدة
وان تركها من غير ان يتركها لله لم تكتب له حسنة ولا تكتب
عليه سيئة ويوسف هم هما تركه الله ولذلك صرف الله عنه السوء
والفحشاء لا خلاصه وذلك إنما يكون إذا قام المقضى للذنب
وهو الهم وعارضه الإخلاص الموجب لانصراف القلب عن
الذنب لله فيوسف عليه السلام لم يصدر منه الا حسنة يثاب
عليها وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ
تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ { الأعراف 201 } واما ما ينقل من انه
حل سراويله وجلس مجلس الرجل من المرأة وانه رأى صورة
يعقوب عاضا على يده وامثال ذلك فكله مما لم يخبر الله به ولا
رسوله وما لم يكن كذلك فإنما هو مأخوذ عن اليهود الذين هم من
اعظم الناس كذبا على الانبياء وقدحا فيهم وكل من نقله من
المسلمين فعنهم نقله لم ينقل من ذلك احد عن نبينا حرفا واحدا
وقوله { وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي

{يوسف 53} فمن كلام امرأة العزيز كما يدل القرآن على ذلك
دلالة بيّنة لا يرتاب فيها من تدبر القرآن حيث قال تعالى {
وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِسُ بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ
فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ
عَلِيمٌ {50} قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَأَوْتَنِّي يَوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ
بِاللَّهِ مَا عَلَّمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ
الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ {51} ذَلِكَ لِيَعْلَمَ
أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ {52} وَمَا
أُبرئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي
غَفُورٌ رَحِيمٌ {53} يوسف 50-53 فهذا كله كلام امرأة العزيز
ويوسف اذ ذاك فى السجن لم يحضر بعد الى الملك ولا سمع
كلامه ولا رآه ولكن لما ظهرت براءته فى غيبته كما قالت امرأة
العزيز { ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ {52} يوسف 52 اي لم
اخنه فى حال مغيبة عني وان كنت فى حال شهوده روادته فحينئذ
{ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِسُ بِهِ اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ
لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ {54} يوسف 54 وقد قال كثير من المفسرين
ان هذا من كلام يوسف ومنهم من لم يذكر الا هذا القول وهو فى
غاية الفساد ولا دليل عليه بل الادلة تدل على نقيضه وقد بسط
الكلام على هذه الامور فى غير هذا الموضوع و المقصود
هنا ان ما تضمنته قصة ذي النون مما يلام عليه كله
مغفور بدله الله به حسنات ورفع درجاته وكان بعد خروجه من
بطن الحوت وتوبته اعظم درجة منه قبل ان يقع ما وقع قال
تعالى { فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ
وَهُوَ مَكْظُومٌ {48} لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ
وَهُوَ مَذْمُومٌ {49} فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنْ
الصَّالِحِينَ {50} القلم 48-50 وهذا بخلاف حال التقام الحوت فانه
قال { فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ {الصفات 142} فاخبر انه فى
تلك الحال ملِيم و المليم الذي فعل ما يلام عليه فالملام فى

تلك الحال لا فى حال نبذه بالعراء وهو سقيم فكانت حاله بعد قوله { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } الأنبياء 87 ارفع من حاله قبل ان يكون ما كان والاعتبار بكمال النهاية لا بما جرى فى البداية والاعمال بخواتيمها والله تعالى خلق الانسان واخرجه من بطن امه لا يعلم شيئاً ثم علمه فنقله من حال النقص الى حال الكمال فلا يجوز ان يعتبر قدر الانسان بما وقع منه قبل حال الكمال بل الاعتبار بحال كماله ويونس وغيره من الانبياء فى حال النهاية حالهم اكمل الاحوال ومن هنا غلط من غلط فى تفضيل الملائكة على الانبياء والصالحين فإنهم اعتبروا الملائكة كمال مع بداية الصالحين ونقصهم فغلطوا ولو اعتبروا حال الانبياء والصالحين بعد دخول الجنان ورضي الرحمن وزوال كل ما فيه نقص وملام وحصول كل ما فيه رحمة وسلام حتى استقر بهم القرار والملائكة يدخلون عليهم من كل باب { سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ } الرعد 24 فاذا اعتبرت تلك الحال ظهر فضلها على حال غيرهم من المخلوقين والافهل يجوز لعافل ان يعتبر حال احدهم قبل الكمال فى مقام المدح والتفضيل والبراءة من النقائص والعيوب ولو اعتبر ذلك لاعتبر احدهم وهو نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم حين نفخت فيه الروح ثم هو وليد ثم رضيع ثم فطيم الى احوال اخر فعلم ان الواحد فى هذه الحال لم تقم به صفات الكمال التى يستحق بها كمال المدح والتفضيل وتفضيله بها على كل صنف وجيل وانما فضله باعتبار المال عند حصول الكمال وما يظنه بعض الناس انه من ولد على الاسلام فلم يكفر قط افضل ممن كان كافرا فأسلم ليس بصواب بل الإعتبار بالعاقبة وايهما كان اتقى لله فى عاقبته كان افضل فانه من المعلوم ان السابقين الاولين من المهاجرين والأنصار الذين آمنوا بالله ورسوله بعد كفرهم هم افضل ممن ولد على الاسلام من اولادهم وغير اولادهم بل من عرف الشر وذاقه ثم عرف الخير وذاقه فقد تكون معرفته بالخير ومحبته له ومعرفته بالشر وبغضه له اكمل ممن

لم يعرف الخير والشر ويذقهما كما ذاقهما بل من لم يعرف الا
 الخير فقد يأتيه الشر فلا يعرف انه شر فاما ان يقع فيه واما ان لا
 ينكره كما انكره الذي عرفه ولهذا قال عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في
 الاسلام من لم يعرف الجاهلية وهو كما قال عمر فان كمال
 الاسلام هو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتمام ذلك
 بالجهاد في سبيل الله ومن نشأ في المعروف لم يعرف غيره فقد
 لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ما عند من علمه ولا
 يكون عنده من الجهاد لاهله ما عند الخبير بهم ولهذا يوجد
 الخبير بالشر واسبابه اذا كان حسن القصد عنده من الاحتراز
 عنه ومنع اهله والجهاد لهم ما ليس عند غيره ولهذا كان
 الصحابة رضي الله عنهم اعظم ايماناً وجهاداً ممن بعدهم لكمال
 معرفتهم بالخير والشر وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر لما
 علموه من حسن حال الاسلام والايمان والعمل الصالح وقبح حال
 الكفر والمعاصي ولهذا يوجد من ذاق الفقر والمرض والخوف
 احرص على الغني والصحة والامن ممن لم يذق ذلك ولهذا يقال
 والخذ يظهر حسنه الضد ويقال وبضدها تتبين الاشياء وكان
 عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لست بخب ولا يخذعني
 الخب فالقلب السليم المحمود هو الذي يريد الخير لا الشر وكمال
 ذلك بان يعرف الخير والشر فاما من لا يعرف الشر فذاك نقص
 فيه لا يمدح به وليس المراد ان كل من ذاق طعم الكفر
 والمعاصي يكون اعلم بذلك واكره له ممن لم يذقه مطلقاً فان هذا
 ليس بمطرد بل قد يكون الطبيب اعلم بالامراض من المرضى
 والانبياء عليهم الصلاة والسلام اطباء الاديان فهم اعلم الناس بما
 يصلح القلوب ويفسدها وان كان احدهم لم يذق من الشر ما ذاقه
 الناس ولكن المراد ان من الناس من يحصل له بذوقه الشر
 من المعرفة به والنفور عنه والمحبة للخير اذا ذاقه مالا يحصل
 لبعض الناس مثل من كان مشركاً او يهودياً او نصرانياً وقد
 عرف ما في الكفر من الشبهات والاقوال الفاسدة والظلمة والشر

ثم شرح الله صدره للاسلام وعرفه محاسن الاسلام فانه قد يكون
ارغب فيه واكره للكفر من بعض من لم يعرف حقيقة الكفر
والاسلام بل هو معرض عن بعض حقيقة هذا وحقيقة هذا او
مقلد في مدح هذا وذم هذا ومثال ذلك من ذاق طعم الجوع ثم ذاق
طعم الشبع بعده او ذاق المرض ثم ذاق طعم العافية بعده او ذاق
الخوف ثم ذاق الامن بعده فان محبة هذا ورعبته في العافية
والامن والشبع ونفوره عن الجوع والخوف والمرض اعظم ممن
لم يبتل بذلك ولم يعرف حقيقته وكذلك من دخل مع اهل البدع
والفجور ثم بين الله له الحق وتاب عليه توبة نصوحا ورزقه
الجهاد في سبيل الله فقد يكون بيانه لحالهم وهجره لمساويهم
وجهاده لهم اعظم من غيره قال نعيم بن حماد الخزاعي وكان
شديدا على الجهمية انا شديد عليهم لاني كنت منهم وقد قال الله
تعالى { تَمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا
وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ } النحل 110 نزلت هذه
الاية في طائفة من الصحابة كان المشركون فتنوهم عن دينهم ثم
تاب الله عليهم فهاجروا الى الله ورسوله وجاهدوا وصبروا
وكان عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما من اشد
الناس على الاسلام فلما اسلما تقدما على من سبقهما الى الاسلام
وكان بعض من سبقهما دونهما في الايمان والعمل الصالح
بما كان عندهما من كمال الجهاد للكفار والنصر لله ورسوله
وكان عمر لكونه اكمل ايمانا واخلاصا وصدقا ومعرفة وفراسة
ونورا ابعد عن هوى النفس واعلى همة في اقامة دين الله مقدما
على سائر المسلمين غير ابي بكر رضي الله عنهم اجمعين
وهذا وغيره مما يبين ان الاعتبار بكمال النهاية لا بنقص البداية
وما يذكر في الاسرائيليات ان الله قال لداود اما الذنب فقد
غفرناه واما الود فلا يعود فهذا لو عرفت صحته لم يكن
شرعا لنا وليس لنا ان نبني ديننا على هذا فان دين محمد في
التوبة جاء بما لم يجيء به شرع من قبله ولهذا قال انا نبي
الرحمة وانا نبي التوبة وقد رفع به من الاصر والاعلال ما

كان على من قبلنا وقد قال تعالى في كتابه { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } البقرة 222 واخبر انه تعالى يفرح
بتوبة عبده التائب اعظم من فرح الفاقد لما يحتاج اليه من الطعام
والشراب والمركب اذا وجده بعد اليأس فاذا كان هذا فرح الرب
بتوبة التائب وتلك محبته كيف يقال انه لا يعود لمودته { وَهُوَ
الْغَفُورُ الْوَدُودُ } {14} ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ } {15} فَعَالٌ لَمَّا
يُرِيدُ } {16} البروج 14-16 ولكن وده وحبه بحسب ما يتقرب
اليه العبد بعد التوبة فان كان ما يأتي به من محبوبات الحق بعد
التوبة افضل مما كان ياتي به قبل ذلك كانت مودته له بعد التوبة
اعظم من مودته له قبل التوبة وان كان انقص كان الامر انقص
فإن الجزاء من جنس العمل { وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } فصلت 46
وقد ثبت في الصحيح عن النبي انه قال يقول الله تعالى من
عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بمثل اداء
ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه
فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده
التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبى يسمع وبى يبصر وبى
يبطش وبى يمشى ولئن سألتني لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيدنه
وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددني عن قبض نفس عبدي
المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه ومعلوم ان
افضل الاولياء بعد الانبياء هم السابقون الاولون من المهاجرين
والانصار وكانت محبة الرب لهم ومودته لهم بعد توبتهم من
الكفر والفسوق والعصيان اعظم محبة ومودة وكلما تقربوا اليه
بالنوافل بعد الفرائض احبهم وودهم وقد قال تعالى { عَسَى
اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ } الممتحنة 7 نزلت في المشركين الذين عادوا الله
ورسوله مثل اهل الاحزاب كأبي سفيان بن حرب وابي
سفيان بن الحارث والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة
ابن ابي جهل وصفوان بمن امية وغيرهم فانهم بعد معاداتهم لله
ورسوله جعل الله بينهم وبين الرسل والمؤمنين مودة وكانوا في

ذلك متفاضلين وكان عكرمة وسهيل والحارث بن هشام اعظم مودة من ابي سفيان بن حرب ونحوه وقد ثبت في الصحيح ان هند امرأة ابي سفيان ام معاوية قالت والله يا رسول الله ما كان على وجه الارض اهل خباء احب الي ان يذلوا من اهل خبائك وقد اصبحت وما على وجه الارض اهل خباء احب الي ان يعزوا من اهل خبائك فذكر النبي صلى الله عليه وسلم لها نحو ذلك ومعلوم ان المحبة والمودة التي بين المؤمنين انما تكون تابعة لحبهم الله تعالى فان اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله فالحب لله من كمال التوحيد والحب مع الله شرك قال تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } البقرة 165 فتلك المودة التي صارت بين الرسول والمؤمنين وبين الذين عادوهم من المشركين انما كانت مودة لله ومحبة لله ومن احب الله احبه الله ومن ود الله وده الله فعلم ان الله احبهم وودهم بعد التوبة كما احبوه وودوه فكيف يقال ان التائب انما تحصيل له المغفرة دون المودة وان قال قائل اولئك كانوا كفارا لم يعرفوا ان ما فعلوه محرم بل كانوا جهالا بخلاف من علم ان الفعل محرم واتاه قيل الجواب من وجهين احدهما انه ليس الامر كذلك بل كان كثير من الكفار يعلمون ان محمدا رسول الله ويعادونه حسدا وكبرا وابو سفيان قد سمع من اخبار نبوة النبي ما لم يسمع غيره كما سمع من امية بن ابي الصلت وما سمعه من هرقل ملك الروم وقد اخبر عن نفسه انه لم يزل موقنا ان امر النبي صلى الله عليه وسلم سيظهر حتى ادخل الله عليه الاسلام وهو كاره له وقد سمع منه عام اليرموك وغيره ما دل على حسن اسلامه ومحبته لله ورسوله بعد تلك العداوة العظيمة وقد قال تعالى { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا } 68 { يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا } 69 { إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ } 70 {

الفرقان 68- 70 فاذا كان الله يبديل سيئاتهم حسنات فالحسنات
توجب مودة الله لهم وتبديل السيئات حسنات ليس مختصا بمن
كان كافرا وقد قال تعالى {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ
اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} النساء 17 قال ابو العالية سألت اصحاب
رسول الله عن هذه الاية فقالوا لى كل من عصى الله فهو جاهل
وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب الوجه الثانى
ان ما ذكر من الفرق بين تائب وتائب فى محبة الله تعالى للتائبين
فرق لا اصل له بل الكتاب والسنة يدل على ان الله يحب التوابين
ويفرح بتوبة التائبين سواء كانوا عالمين بان ما اتوه ذنبا او لم
يكونوا عالمين بذلك ومن علم ان ما اتاه ذنبا ثم تاب فلا ان
يبدل وصفه المذموم بالمحمود فاذا كان يبغض الحق فلا بد ان
يحبه اذا كان يحب الباطل فلا بد ان يبغضه فما يأتى به التائب
من معرفة الحق ومحبته والعمل به ومن بغض الباطل واجتنابه
هو من الامور التى يحبها الله تعالى ويرضاها ومحبة الله كذلك
بحسب ما يأتى به العبد من محابه فكل من كان اعظم فعلا
لمحبوب الحق مكان الحق اعظم محبة له وانتقاله من مكروه
الحق الى محبوبه مع قوة بغض ما كان عليه عليه من الباطل
وقوة حب ما انتقل اليه من حب الحق فوجب زيادة محبة الحق له
ومودته اياه بل يبديل الله سيئاته حسنات لانه بدل صفاته المذمومة
بالمحمودة فيبديل الله سيئاته حسنات فان الجزاء من جنس العمل
وحينئذ فاذا كان اتيان التائب بما يحبه الحق اعظم من اتيان غيره
كانت محبة الحق له اعظم واذا كان فعله لما يوده الله منه اعظم
فعله من له قبل التوبة كانت مودة الله له بعد التوبة اعظم من
مودته له قبل التوبة فكيف يقال الود لا يعود وبهذا يظهر
جواب شبهة من يقول ان الله لا يبعث نبيا الا من كان معصوما
قبل النبوة كما يقول ذلك طائفة من الرافضة وغيرهم وكذلك من
قال انه لا يبعث نبيا الا من كان مؤمنا قبل النبوة فان هؤلاء
توهموا ان الذنوب تكون نقصا وان تاب التائب منها وهذا منشأ

غلطهم فمن ظن ان صاحب الذنوب مع التوبة النصوح يكون ناقصا فهو غلط غلطا عظيما فان الذم والعقاب الذى يلحق اهل الذنوب لا يلحق التائب منه شيء اصلا لكن ان قدم التوبة لم يلحقه شيء وان اخر التوبة فقد يلحقه ما بين الذنوب والتوبة من الذم والعقاب ما يناسب حاله والانبيا صلوات الله عليهم وسلامه كانوا لا يؤخرون التوبة بل يسارعون اليها ويسابقون اليها لا يؤخرون ولا يصرون على الذنب بل هم معصومون من ذلك ومن اخر ذلك زمنا قليلا كفر الله ذلك بما يبتليه به كما فعل بذي النون صلى الله عليه وسلم هذا على المشهور ان القاءه كان بعد النبوة واما من قال ان القاءه كان قبل النبوة فلا يحتاج الى هذا والتائب من الكفر والذنوب قد يكون افضل ممن لم يقع فى الكفر والذنوب واذا كان قد يكون افضل فا لافضل احق بالنبوة ممن ليس مثله فى الفضيلة وقد اخبر الله عن أخوه يوسف بما اخبر من ذنوبهم وهم الاسباط الذين نبأهم الله تعالى وقد قال

تعالى {فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي} العنكبوت 26 فأمّن لوط لابراهيم عليه السلام ثم ارسله الله تعالى الى قوم لوط وقد قال تعالى فى قصة شعيب {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ} 88 {فَدِ افْتَرَيْنَا عَلَىٰ اللّٰهِ كَذِبًا اِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ اِذْ نَجَّانَا اللّٰهُ مِنْهَا وَمَا يَكُوْنُ لَنَا اَنْ نَّعُوْدَ فِيْهَا اِلَّا اَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَىٰ اللّٰهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَاَنْتَ خَيْرُ

الْفَاتِحِيْنَ} 89 {الأعراف 88-89 وقال تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِيْنَ} 13 { وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ} 14 {ابراهيم 13 - 14 واذا

عرف ان الاعتبار بكمال النهاية وهذا الكمтал انما يحصل بالتوبة والاستغفار ولا بد لكل عبد من التوبة وهي واجبة على الاولين والآخرين كما قال تعالى {لِيُعَذِّبَ اللّٰهُ الْمُنَافِقِيْنَ

وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً {الأحزاب 73} وقد اخبر الله
سبحانه بتوبة آدم ونوح ومن بعدهما الى خاتم المرسلين محمد
صلى الله عليه وسلم وآخر ما نزل عليه او من آخر ما نزل عليه
قوله تعالى { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } {1} وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ
فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً {2} فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ
تَوَّاباً {3} النصر 1-3 وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله
عنها ان النبي كان يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن
وقد انزل الله عليه قبل ذلك {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ
قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ
{التوبة 117} وفي صحيح البخاري عن النبي انه كان يقول يا
ايها الناس توبوا الى ربكم فوالذي نفسى بيده انى لاستغفر الله
واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وفي صحيح مسلم
عن الاغر المزنى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انه
ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة وفي
السنن عن ابن عمر انه قال كنا نعد لرسول الله فى المجلس
الواحد يقول رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الغفور
مائة مرة وفي الصحيحين عن ابي موسى عن النبي انه كان
يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلى واسرافي فى امري وما
انت اعلم به منى اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطي وعمدي
وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت ما اخرت وما اسررت
وما اعلنت وما انت اعلم به منى انت المقدم وانت المؤخر وانت
على كل شىء قدير وفي الصحيحين عن هريرة انه قال يا
رسول الله ارأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ماذا تقول قال
اقول اللهم باعد بينى وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق
والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الابيض من
الذنس اللهم اغسلنى بالثلج والبرد والماء البارد

وفي صحيح مسلم وغيره انه كان يقول نحو هذا اذا رفع راسه
 من الركوع وفي صحيح مسلم عن علي رضي الله عنه عن النبي
 انه كان يقول في دعاء الاستفتاح اللهم انت الملك لا اله الا
 انت انت ربي وانا عبدك ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي
 فانه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدى
 لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا
 انت وفي صحيح مسلم عن النبي انه كان يقول في سجوده
 اللهم اغفر لي ذنبي كله دقّه وجله علانيته وسره اوله وآخره وفي
 السنن عن علي ان النبي اتى بدابة ليركبها وانه حمد الله وقال
 { لَيْسْتُمْ عَلَيَّ ظُهُورُهُ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ
 وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ } {13} وَإِنَّا
 إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ } {14} الرخرف 13-14 ثم كبره وحمده ثم قال
 سبحانك ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ثم
 ضحك وقال ان الرب يعجب من عبده اذا قال اغفر لي فانه لا
 يغفر الذنوب الا انت يقول علم عبدي انه لا يغفر الا انا
 وقد قال تعالى { وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 } محمد 19 وقال { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا } {1} لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا
 تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ } {2} الفتح 1-2 وثبت في الصحيحين في
 حديث الشفاعة ان المسيح يقول اذهبوا الى محمد عبد غفر الله
 له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وفي الصحيح ان النبي كان
 يقوم حتى ترم قدماه فيقال له اتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم
 من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونصوص
 الكتاب والسنة في هذا الباب كثيرة متظاهرة والآثار في ذلك عن
 الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين كثيرة لكن المنازعون
 يتأولون هذه النصوص من جنس تأويلات الجهمية والباطنية كما
 فعل ذلك من صنف في هذا الباب وتأويلاتهم تبيين لمن تدبرها
 انها فاسدة من باب تحريف الكلم عن مواضعه كتأويلهم قوله
 ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر المتقدم ذنب آدم
 والمتأخر ذنب امته وهذا معلوم البطلان ويدل على ذلك وجوه

احدها أن آدم قد تاب الله عليه قبل ان ينزل الى الارض فضلا
عن عام الحديدية الذي انزل الله فيه هذه السورة قال تعالى {
وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى {121} ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ
وَهَدَى {122} طه 121-122 وقال {فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ
فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ {البقرة 37} وقد ذكر انه قال {
رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ
{الأعراف 23} و الثاني ان يقال فآدم عندكم من جملة
موارد النزاع ولا يحتاج ان يغفر له ذنبه عند المنازع فانه نبي
ايضا ومن قال انه لم يصدر من الانبياء ذنب يقول ذلك عن آدم
ومحمد وغيرهما الوجه الثالث ان الله لا يجعل الذنب ذنبا
لمن لم يفعله فانه هو القائل { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى
{ الأنعام 164} فمن الممتنع ان يضاف الى محمد صلى الله عليه
وسلم ذنب آدم او امته او غيرهما وقد قال تعالى { فَإِنَّمَا عَلَيْهِ
مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ {النور 54} وقال تعالى {فَقَاتِلْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُفُّ إِلَّا نَفْسُكَ {النساء 84} ولو جاز هذا لجاز ان
يضاف الى محمد ذنوب الانبياء كلهم ويقال ان قوله {لِيَغْفِرَ لَكَ
اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ {الفتح 2} المراد ذنوب الانبياء
واممهم قبلك فانه يوم القيامة يشفع للخلائق كلهم وهو سيد ولد آدم
وقال انا سيد ولد آدم ولا فخر وآدم فمن دونه تحت لوائي يوم
القيامة انا خطيب الانبياء اذا وفدوا وامامهم اذا اجتمعوا
وحينئذ فلا يختص آدم باضافة ذنبه الى محمد بل تجعل ذنوب
الاولين والآخرين على قول هؤلاء ذنوبا له فان قال ان الله لم
يغفر ذنوب جميع الامم قيل وهو ايضا لم يغفر ذنوب جميع امته
الوجه الرابع انه قد ميز بين ذنبه وذنوب المؤمنين
بقوله {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ {محمد 19} فكيف
يكون ذنب المؤمنين ذنبا له الوجه الخامس انه ثبت في
الصحيح ان هذه الآية لما نزلت قال الصحابة يارسول الله هذا لك
فما لنا فأنزل الله {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ

لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ { الفتح 4 فدل ذلك على ان الرسول
والمؤمنين علموا ان قوله { لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا
تَأَخَّرَ } الفتح 2 مختص به دون امته الوجه السادس ان الله
لم يغفر ذنوب جميع امته بل قد ثبت ان من امته من يعاقب
بذنوبه اما فى الدنيا واما فى الآخرة وهذا مما تواتر به النقل
واخبر به الصادق المصدوق واتفق عليه سلف الامة وائمتها
وشوهد فى الدنيا من ذلك ما لا يحصى الا الله وقد قال الله تعالى
{ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ
{ النساء 123 والاستغفار والتوبة قد يكونان من ترك الافضل
فمن نقل الى حال افضل مما كان عليه قد يتوب من الحال الاول
لكن الذم والوعيد لا يكون الا على ذنب فصل وأما قول السائل
هل الاعتراف بالخطيئة بمجرد مع التوحيد موجب لغفرانها
وكشف الكربة الصادرة عنها أم يحتاج الى شىء آخر فجوابه
ان الموجب للغفران مع التوحيد هو التوبة المأمور بها فان
الشرك لا يغفره الله الا بتوبة كما قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ
يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ
افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا } النساء 48 فى موضعين من القرآن وما دون
الشرك فهو مع التوبة مغفور وبدون التوبة معلق بالمشيئة كما
قال تعالى { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا
مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ
{ الزمر 53 فهذا فى حق التائبين ولهذا عمم واطلق وحتم انه
يغفر الذنوب جميعا وقال فى تلك الآية { وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ
لِمَنْ يَشَاءُ } النساء 48 فخص ما دون الشرك وعلقه بالمشيئة فاذا
كان الشرك لا يغفر الا بتوبة وأما ما دونه فيغفره الله للتائب وقد
يغفره بدون التوبة لمن يشاء فالاعتراف بالخطيئة مع التوحيد ان
كان متضمنا للتوبة أوجب المغفرة واذا غفر الذنب زالت عقوبته
فان المغفرة هى وقاية شر الذنب ومن الناس من يقول الغفر
الستر ويقول انما سمي المغفرة والغفار لما فيه من معنى الستر

وتفسير اسم الله الغفار بانه الستار وهذا تقصير في معنى الغفر
فان المغفرة معناها وقاية شر الذنب بحيث لا يعاقب على الذنب
فمن غفر ذنبه لم يعاقب عليه واما مجرد ستره فقد يعاقب عليه
في الباطن ومن عوقب على الذنب باطنا أو ظاهرا فلم يغفر له
وانما يكون غفران الذنب اذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقة
بالذنب وأما اذا ابتلى مع ذلك بما يكون سببا في حقه لزيادة
اجره فهذا لا ينافي المغفرة وكذلك اذا كان من تمام التوبة أن
يأتى بحسنات يفعلها فان من يشترط في التوبة من تمام التوبة وقد
يظن الظان أنه تائب ولا يكون تائبا بل يكون تاركا والتارك غير
التائب فانه قد يعرض عن الذنب لعدم خطوره بباله أو المقتضى
لعجزه عنه أو تنتفى ارادته له بسبب غير ديني وهذا ليس بتوبة
بل لا بد من ان يعتقد أنه سيئة ويكره فعله لنهى الله عنه ويدعه لله
تعالى لا لرغبة مخلوق ولا لرهبة مخلوق فان التوبة من أعظم
الحسنات والحسنات كلها يشترط فيها الاخلاص لله وموافقة امره
كما قال الفضيل بن عياض في قوله { لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ
عَمَلًا } هود7 قال أخلصه واصوبه قالوا يا ابا على ما اخلصه
 واصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل
واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا
صوابا والخالص أن يكون لله والصواب ان يكون على السنة
وكان عمر بن الخطاب رضى اله عنه يقول في دعائه اللهم
اجعل عملى كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد
فيه شيئا وبسط الكلام في التوبة له موضع آخر وأما الاعتراف
بالذنب على وجه الخضوع من غير إقلاع عنه فهذا في نفس
الاستغفار المجرد الذي لا توبة معه وهو كالذي يسأل الله تعالى
أن يغفر له الذنب مع كونه لم يتب منه وهذا يأس من رحمة الله
ولا يقطع بالمغفرة له فإنه داع دعوة مجردة وقد ثبت في
الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من
داع يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا كان بين إحدى
ثلاث إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخر له من الجزاء مثلها

وإما أن يصرف من الشر مثلها قالوا يا رسول الله إذا نكثرت
 قال الله أكثر فمثل هذا الدعاء قد تحصل معه المغفرة وإذا
 لم تحصل فلا بد أن يحصل معه صرف شر آخر أو حصول خير
 آخر فهو نافع كما ينفع كل دعاء وقول من قال من العلماء
 الاستغفار مع الإصرار توبة الكذابين فهذا إذا كان المستغفر يقوله
 على وجه التوبة أو يدعي أن استغفاره توبة وأنه تائب بهذا
 الاستغفار فلا ريب أنه مع الإصرار لا يكون تائبا فإن التوبة
 والإصرار ضدان الإصرار يضاد التوبة لكن لا يضاد الاستغفار
 بدون التوبة وقول القائل هل الاعتراف بالذنب المعين يوجب
 رفع ما حصل بذنوب متعددة أم لا بد من استحضار جميع
 الذنوب فجواب هذا مبني على أصول أحدهما أن التوبة تصح
 من ذنب مع الإصرار على ذنب آخر إذا كان المقتضي للتوبة من
 أحدهما أقوى من المقتضى للتوبة من الآخر أو كان المانع من
 أحدهما أشد وهذا هو القول المعروف عند السلف والخلف وذهب
 طائفة من أهل الكلام كأبي هاشم إلى أن التوبة لا تصح من قبيح
 مع الإصرار على الآخر قالوا لأن الباعث على التوبة إن لم يكن
 من خشية الله لم يكن توبة صحيحة والخشية مانعة من جميع
 الذنوب لا من بعضها وحكى القاضي أبو يعلى وابن عقيل هذا
 رواية عن أحمد لأن المروزي نقل عنه أنه سئل عن من تاب من
 الفاحشة وقال لو مرضت لم أعد لكن لا يدع النظر فقال أحمد
 أي توبة هذه قال جرير بن عبد الله سألت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم عن نظرة الفجأة فقال اصرف بصرك
 والمعروف عن أحمد وسائر الأئمة هو القول بصحة التوبة
 وأحمد في هذه المسألة إنما أراد أن هذه ليست توبة عامة يحصل
 بسببها من التائبين توبة مطلقا لم يرد أن ذنب هذا كذنب المصر
 على الكبائر فإن نصوصه المتواترة عنه وأقواله الثابتة تنافي ذلك
 وحمل كلام الإمام على ما يصدق بعضه بعضا أولى من حمله
 على التناقض لا سيما إذا كان القول الآخر مبتدعا لم يعرف عن
 أحد من السلف وأحمد يقول إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها

إمام وكان في المحنة يقول كيف أقول ما لم يقل واتباع أحمد
 للسنة والآثار وقوة رغبته في ذلك وكرهته لخلافه من الأمور
 المتواترة عنه يعرفها من يعرف حاله من الخاصة والعامة وما
 ذكروه من أن الخشية توجب العموم فجوابه أنه قد يعلم قبح أحد
 الذنبيين دون الآخر وإنما يتوب ما يعلم قبحه وأيضا فقد يعلم
 قبحها ولكن هو اه يغلبه في إحداهما دون الآخر فيتوب من هذا
 دون ذاك كمن أدى بعض الواجبات دون بعض فإن ذلك يقبل منه
 ولكن المعتزلة لهم أصل فاسد وافقوا فيه الخوارج في الحكم وإن
 خالفوهم في الاسم فقالوا إن أصحاب الكبائر يخلدون في النار
 ولا يخرجون منها بشفاعة ولا غيرها وعندهم يمتنع أن يكون
 الرجل الواحد ممن يعاقبه الله ثم يثيبه ولهذا يقولون بحبوط جميع
 الحسنات بالكبيرة وأما الصحابة وأهل السنة والجماعة فعلى أن
 أهل الكبائر يخرجون من النار ويشفع فيهم وإن الكبيرة الواحدة
 لا تحبط جميع الحسنات ولكن قد يحبط ما يقابلها عند أكثر أهل
 السنة ولا يحبط جميع الحسنات إلا الكفر كما لا يحبط جميع
 السيئات إلا التوبة فصاحب الكبيرة إذا أتى بحسنات يبتغي بها
 رضا الله أثابه الله على ذلك وإن كان مستحقا للعقوبة على كبريته
 وكتاب الله عز وجل يفرق بين حكم السارق والزاني وقتال
 المؤمنين بعضهم بعضا وبين حكم الكفار في الأسماء والأحكام
 والسنة المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإجماع الصحابة
 يدل على ذلك كما هو مبسوط في غير هذا الموضع وعلى هذا
 تتنازع الناس في قوله { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } المائدة 27
 فعلى قول الخوارج والمعتزلة لا تقبل حسنة إلا ممن اتقاه مطلقا
 فلم يأت كبيرة وعند المرجئة إنما يتقبل ممن اتقى الشرك فجعلوا
 أهل الكبائر داخلين في اسم المتقين وعند أهل السنة والجماعة
 يتقبل العمل ممن اتقى الله فيه فعله خالصا موافقا لأمر الله فمن
 اتقاه في عمل تقبله منه وإن كان عاصيا في غيره ومن لم يتقه فيه
 لم يتقبله منه وإن كان مطيعا في غيره والتوبة من بعض الذنوب
 دون بعض كفعل بعض الحسنات المأمور بها دون بعض إذا لم

يكن المتروك شرطاً في صحة المفعول كالإيمان المشروط في غيره من الأعمال كما قال الله تعالى { وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً } {الإسراء 19} وقال تعالى { مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً } {النحل 97} وقال { وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَمَا لِي بِهِ مِنْ أَمْرٍ فَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } {البقرة 217} الأصل الثاني أن من له ذنوب فتاب من بعضها دون بعض فإن التوبة إنما تقتضي مغفرة ما تاب منه ما لم يتب منه فهو باق فيه على حكم من لم يتب لا على حكم من تاب وما علمت في هذا نزاعاً إلا في الكافر إذا أسلم فإن إسلامه يتضمن التوبة من الكفر فيغفر له بالإسلام الذي تاب منه وهل تغفر له الذنوب التي فعلها في حال الكفر ولم يتب منها في الإسلام هذا فيه قولان معروفان أحدهما يغفر له الجميع لإطلاق قوله صلى الله عليه وسلم الإسلام يهدم ما كان قبله رواه مسلم مع قوله تعالى { قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ } {الأنفال 38} والقول الثاني إنه لا يستحق أن يغفر له بالإسلام إلا ما تاب منه فإذا أسلم وهو مصر على كبائر دون الكفر فحكمه في ذلك حكم أمثاله من أهل الكبائر وهذا القول هو الذي تدل عليه الأصول والنصوص فإن في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له حكيم بن حزام يا رسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية فقال من أحسن منكم في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر فقد دل هذا النص على أنه إنما ترفع المؤاخذة بالأعمال التي فعلت في حال الجاهلية عمن أحسن لا عمن لا يحسن وإن لم يحسن أخذ بالأول والآخر ومن لم يتب منه فلم يحسن وقوله تعالى { قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ } {الأنفال 38} يدل على أن المنتهي عن شيء يغفر له ما قد سلف منه لا يدل على أن المنتهي عن شيء يغفر له ما سلف من غيره وذلك لأن قول

القائل لغيره إن انتهيت غفرت لك ما تقدم ونحو ذلك يفهم منه عند الإطلاق إنك إن انتهيت عن هذا الأمر غفر لك ما تقدم وإذا انتهيت عن شيء غفر لك ما تقدم منه كما يفهم مثل ذلك في قوله إن تبت لا يفهم منه إنك بالانتهاء عن ذنب يغفر لك ما تقدم من غيره وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام يهدم ما قبله وفي رواية يجب ما كان قبله فهذا قاله لما أسلم عمرو بن العاص وطلب أن يغفر له ما تقدم من ذنبه فقال له يا عمرو أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن التوبة تهدم ما كان قبلها وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ومعلوم أن التوبة إنما توجب مغفرة ما تاب منه لا توجب التوبة غفران جميع الذنوب الأصل الثالث إن الإنسان قد يستحضر ذنوبا فيتوب منها وقد يتوب توبة مطلقة لا يستحضر معها ذنوبه لكن إذا كانت نيته التوبة العامة فهي تتناول كل ما يراه ذنبا لأن التوبة العامة تتضمن عزما عاما بفعل المأمور وترك المحذور وكذلك تتضمن ندما عاما على كل محذور و الندم سواء قيل إنه من باب الاعتقادات أو من باب الإرادات أو قيل إنه من باب الآلام التي تلحق النفس بسبب فعل ما يضرها فإذا استشعر القلب أنه فعل ما يضره حصل له معرفة بأن الذي فعله كان من السيئات وهذا من باب الاعتقادات وكرهية لما كان فعله وهو من جنس الإرادات وحصل له أذى وغم لما كان فعله وهذا من باب الآلام كالغموم والأحزان كما أن الفرح والسرور هو من باب اللذات ليس هو من باب الاعتقادات والإرادات ومن قال من المتفلسفة ومن اتبعهم إن اللذة هي إدراك الملائم من حيث هو ملائم وإن الألم هو إدراك المنافر من حيث هو منافر فقد غلط في ذلك فإن اللذة والألم حالان يتعقبان إدراك الملائم والمنافر فإن الحب لما يلائمه كالطعام المشتهي مثلا له ثلاثة أحوال أحدها الحب كالشهوة للطعام والثاني إدراك المحبوب كأكل الطعام والثالث اللذة الحاصلة بذلك واللذة أمر مغاير للشهوة ولذوق المشتهي بل هي حاصلة لذوق المشتهي ليست نفس ذوق المشتهي وكذلك

المكروه كالضرب مثلا فإن كراهته شيء وحصوله شيء آخر والألم الحاصل به ثالث وكذلك ما للعارفين أهل محبة الله من النعيم والسرور بذلك فإن حبهم شيء ثم ما يحصل من ذكر المحبوب شيء ثم اللذة الحاصلة بذلك أمر ثالث ولا ريب أن الحب مشروط بشعور المحبوب كما أن الشهوة مشروطة بشعور المشتهى لكن الشعور المشروط في اللذة غير الشعور المشروط في المحبة فهذا الثاني يسمى إدراكا وذوقا ونبلا ووجدا ووصالا ونحو مما يعبر به عن إدراك المحبوب سواء كان بالباطن أو الظاهر ثم هذا الذوق يستلزم اللذة واللذة أمر يحسه الحي باطنا وظاهرا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ذاق طعم الإيمان من رضي الله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه من سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار فبين صلى الله عليه وسلم أن ذوق الإيمان لمن رضي ب الله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد نبيا وإن وجد حلاوة الإيمان حاصل لمن كان حبه ورسوله أشد من حبه لغيرهما ومن كان يحب شخصا لا لغيره ومن كان يكره ضد الإيمان كما يكره أن يلقى في النار فهذا الحب للإيمان والكراهية للكفر استلزم حلاوة الإيمان كما استلزم الرضى المتقدم ذوق طعم الإيمان وهذا هو اللذة وليس هو نفس التصديق والمعرفة الحاصلة في القلب ولا نفس الحب الحاصل في القلب بل هذا نتيجة ذلك وثمرته ولازم له وهي أمور متلازمة فلا توجد اللذة إلا بحب وذوق وإلا فمن أحب شيئا ولم يذق منه شيئا لم يجد لذة كالذي يشتهي الطعام ولم يذق منه شيئا ولو ذاق ما لا يحبه لم يجد لذة كمن ذاق ما لا يريده فإذا اجتمع حب الشيء وذوقه حصلت اللذة بعد ذلك وإن حصل بغضه وذوق البغيض حصل الألم فالذي يبغض الذنب ولا يفعله لا يندم والذي لا يبغضه لا

يندم على فعله فإذا فعله وعرف أن هذا مما يبغضه ويضره ندم على فعله إياه وفي المسند عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الندم توبة إذا تبيين هذا فمن تاب توبة عامة كانت هذه التوبة مقتضية لغفران الذنوب كلها وإن لم يستحضر أعيان الذنوب إلا أن يعارض هذا العام معارض يوجب التخصيص مثل أن يكون بعض الذنوب لو استحضره لم يتب منه لقوة إرادته إياه أو لا اعتقاده أنه حسن ليس بقبيح فما كان لو استحضره لم يتب منه لم يدخل في التوبة وأما ما كان لو حضر بعينه لكان مما يتوب منه فإن التوبة العامة شملته وأما التوبة المطلقة وهي أن يتوب توبة مجملة ولا تستلزم التوبة من كل ذنب فهذه لا توجب دخول كل فرد من أفراد الذنوب فيها ولا تمنع دخول كاللفظ المطلق لكن هذه تصلح أن تكون سببا لغفران العين كما تصلح أن تكون سببا لغفران الجميع بخلاف العامة فإنها مقتضية للغفران العام كما تناولت الذنوب تناولاً عاماً وكثير من الناس لا يستحضر عند التوبة إلا بعض المتصفات بالفاحشة أو مقدماتها أو بعض الظلم باللسان أو اليد وقد يكون ما تركه من الأمور الذي يجب عليه في باطنه وظاهره من شعب الإيمان وحقائقه أعظم ضرراً عليه مما فعله من بعض الفواحش فإن ما أمر الله به من حقائق الإيمان التي بها يصير العبد من المؤمنين حقاً أعظم نفعاً من نفع ترك بعض الذنوب الظاهرة كحب الله ورسوله فإن هذا أعظم الحسنات الفعلية حتى ثبت في الصحيح أنه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجل يدعى حماراً وكان يشرب الخمر وكان كلما أتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم جلده الحد فلما كثر ذلك منه أتى به مرة فأمر بجلده فلعن رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعه فإنه يحب الله ورسوله فنهى عن لعنه مع إصراره على الشرب لكونه يحب الله ورسوله مع أنه صلى الله عليه وسلم لعن في الخمر عشرة لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وساقبها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وأكل ثمنها

ولكن لعن المطلق لا يستلزم لعن المعين الذي قام به ما يمنع حقوق اللعنة له وكذلك التكفير المطلق و الوعيد المطلق ولهذا كان الوعيد المطلق في الكتاب والسنة مشروطا بثبوت شروط وانتفاء موانع فلا يلحق التائب من الذنب باتفاق المسلمين ولا يلحق من له حسنات تمحو سيئاته ولا يلحق المشفوع له والمغفور له فإن الذنوب تزول عقوبتها التي هي جهنم بأسباب التوبة والحسنات المادية والمصائب المكفرة لكنها من عقوبات الدنيا وكذلك ما يحصل في البرزخ من الشدة وكذلك ما يحصل في عرصات القيامة وتزول أيضا بدعاء المؤمنين كالصلاة عليه وشفاعة الشفيع المطاع كم يشفع فيه سيد الشفعاء محمد صلى الله عليه وسلم تسليما وحينئذ فأى ذنب تاب منه ارتفع موجب له وما لم يتب منه فله حكم الذنوب التي لم يتب منها فالشدة إذا حصلت بذنوب وتاب من بعضها خفف منه بقدر ما تاب منه بخلاف ما لم يتب منه بخلاف صاحب التوبة العامة والناس في غالب أحوالهم لا يتوبون توبة عامة مع حاجتهم إلى ذلك فإن التوبة واجبة على كل عبد في كل حال لأنه دائما يظهر له ما فرط فيه من ترك مأمور أو ما اعتدى فيه من فعل محظور فعليه أن يتوب دائما والله أعلم وأما قول السائل ما السبب في أن الفرج يأتي عند انقطاع الرجاء عن الخلق وما الحيلة في صرف القلب عن التعلق بهم وتعلقه ب الله فيقال سبب هذا تحقيق التوحيد توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية فتوحيد الربوبية أنه لا خالق إلا الله فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور { لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ } {28} وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } {29} التكوير 28- 29 وقال تعالى { فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا } {29} وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } {30} يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } {31} الانسان 29-31 وقال { فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ } {55} وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ } {56}

المدثر 55- 56 والراجي لمخلوق طالب بقلبه لما يريده من ذلك المخلوق وذلك المخلوق عاجز عنه ثم هذا من الشرك الذي لا يغفره الله فمن كمال نعمته وإحسانه إلى عباده المؤمنين أن يمنع حصول مطالبهم بالشرك حتى يصرف قلوبهم إلى التوحيد ثم إن وحده العبد توحيد الإلهية حصلت له سعادة الدنيا والآخرة وإن كان ممن قيل فيه {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} يونس 12 وفي قوله {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} الإسراء 67 كان ما حصل له من وحدانيته حجة عليه كما احتج سبحانه على المشركين الذين يقرون بأنه خالق كل شيء ثم يشركون ولا يعبدونه وحده لا شريك له قال تعالى {قُلْ لِمَن الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} {84} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} {85} قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} {86} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} {87} قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} {88} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} {89} المؤمنون 85-89 وقال تعالى {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} العنكبوت 61 وهذا قد ذكر في القرآن في غير موضع فمن تمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن ينزل بهم الشدة والضر وما يلجئهم إلى توحيده فيدعونه مخلصين له الدين ويرجونه لا يرجون أحدا سواه وتتعلق قلوبهم به لا لغيره فيحصل لهم من التوكل عليه والإنابة إليه وحلاوة الإيمان وذوق طعمه والبراءة من الشرك ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف أو الجذب أو حصول اليسر وزوال العسر في المعيشة فإن ذلك لذات بدنية ونعم دنيوية قد يحصل للكافر منها أعظم مما يحصل للمؤمن وأما ما يحصل لأهل التوحيد

المخلصين الدين فأعظم من أن يعبر عن كنهه مقال أو يستحضر تفصيله بال ولكل مؤمن من ذلك نصيب بقدر إيمانه ولهذا قال بعض السلف يا ابن آدم لقد بورك لك في حاجة أكثرت فيها من قرع باب سيدك وقال بعض الشيوخ إنه ليكون لي إلى الله حاجة فأدعوه فيفتح لي من لذيذ معرفته وحلاوة مناجاته ما لا أحب معه أن يعجل قضاء حاجتي خشية أن تتصرف نفسي عن ذلك لأن النفس لا تريد إلا حظها فإذا قضى انصرفت وفي بعض الإسرائيليات يا ابن آدم البلاء يجمع بيني وبينك والعافية تجمع بينك وبين نفسك وهذا المعنى كثير وهو موجود مذوق محسوس بالحس الباطن للمؤمن وما من مؤمن إلا وقد وجد من ذلك ما يعرف به ما ذكرناه فإن ذلك من باب الذوق والحس لا يعرفه إلا من كان له ذوق وحس بذلك ولفظ الذوق وإن كان قد يظن أنه في الأصل مختص بذوق اللسان فاستعماله في الكتاب والسنة يدل على أنه أعم من ذلك مستعمل في الإحساس بالملائم والمنافر كما أن لفظ الإحساس في عرف الاستعمال عام فيما يحس بالحواس الخمس بل وبالباطن وأما في اللغة فأصله الرؤيا كما قال { هَلْ نُحِسُّ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٌ } مريم98 والمقصود لفظ الذوق قال تعالى { فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ } النحل112 فجعل الخوف والجوع مذوقا وأضاف إليهما اللباس ليشعر أنه ليس الجائع والخائف فشمله وأحاط به إحاطة اللباس باللباس بخلاف من كان الألم لا يستوعب مشاعره بل يختص ببعض المواضع وقال تعالى { فَذُوقُوا الْعَذَابَ } آل عمران106 وقال تعالى { ذُوقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } الدخان49 وقال تعالى { يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ } القمر48 وقال { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ } الدخان56 وقال تعالى { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا } {24} { إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا } {25} {النبا24-25} وقال { وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }

{السجدة 21} وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الإيمان من رضي ب الله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً فاستعمل لفظ الذوق في إدراك الملائم والمنافر كثير وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان كما تقدم ذكر الحديث فوجود المؤمن حلاوة الإيمان في قلبه وذوق طعم الإيمان أمر يعرفه من حصل له هذا الوجد وهذا الذوق أصحابه فيه يتفاوتون فالذي يحصل لأهل الإيمان عند تجريد توحيد قلوبهم إلى الله وإقبالهم عليه دون ما سواه بحيث يكونون حنفاء له مخلصين له الدين لا يحبون شيئاً إلا له ولا يتوكلون إلا عليه ولا يوالون إلا فيه ولا يعادون إلا له ولا يسألون إلا إياه ولا يرجون إلا إياه ولا يخافون إلا إياه يعبدونه ويستعينون مخلصين له وبه بحيث يكونون عند الحق بلا خلق وعند الخلق بلا هوى قد فنيت عنهم إرادة ما سواه بإرادته ومحبة ما سواه بمحبته وخوف ما سواه بخوفه ورجاء ما سواه برجائه ودعاء ما سواه بدعائه هو أمر لا يعرفه بالذوق والوجد إلا من له نصيب وما من مؤمن إلا له منه نصيب وهذا هو حقيقة الإسلام الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه و الله سبحانه أعلم²⁸³

أن الله على كل شيء قدير

قال تعالى { وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } {87} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } {88} الأنبياء 87-88 اتفق المسلمون وسائر أهل

²⁸³مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 244-318 و دقائق التفسير ج: 2 ص: 358-376 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 306-350

الملل على أن الله على كل شيء قدير كما نطق بذلك القرآن أى
 فى مواضع كثيرة جدا والتحقيق أن الشيء إسم لما يوجد فى
 الأعيان ولما يتصور فى الأذهان فما قدره الله وعلم أنه سيكون
 هو شيء فى التقدير والعلم والكتاب وأن لم يكن شيئاً فى الخارج
 و منه قوله { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
 يس82 و لفظ الشيء فى الآية يتناول هذا وهذا فهو على كل
 شئ ما وجد و كل ما تصوره الذهن موجودا إن تصور أن يكون
 موجودا قدير لا يستثنى من ذلك شئ ولا يزداد عليه شئ وأنه
 يدخل فى ذلك القدرة على الأعيان جاءت فى مثل قوله
 {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ} {المؤمنون} 12 {أَيَحْسَبُ
 أَنْ لَّنْ يَفْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ} {البلد} 5 وجاءت منصوفا عليها فى
 الكتاب و السنة أما الكتاب فقوله {فَأِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ
 مُنْتَقِمُونَ} {الزخرف} 41 فبين أنه سبحانه يقدر عليهم أنفسهم
 وهذا نص فى قدرته على الأعيان المفعولة و قوله { وَمَا أَنْتَ
 عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ} {ق} 45 و {لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ} {الغاشية} 22
 ونحو ذلك وهو يدل بمفهومه على أن الرب هو الجبار عليهم
 المسيطر وذلك يستلزم قدرته عليهم و قوله { فَظَنَّ أَنْ لَّنْ نَقْدِرَ
 عَلَيْهِ} {الأنبياء} 87 على قول الحسن و غيره من السلف ممن
 جعله من القدرة دليل على أن الله قادر عليه و على أمثاله وكذلك
 قول الموصي لأهله لئن قدر الله على ليعذبني عذابا ما عذبه
 أحدا من العالمين فلما حرقوه أعاده الله تعالى و قال له
 ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يارب فغفر له وهو كان
 مخطئا فى قوله لئن قدر الله على ليعذبني كما يدل عليه الحديث
 وأن الله قدر عليه لكن لخشيته و إيمانه غفر الله له هذا الجهل و
 الخطأ الذى وقع منه و قد يستدل بقوله { أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ
 مَّهِينٍ} {المرسلات} 20 الى وله {فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ
 المرسلات} 23 على قول من جعله من القدرة فإنه يتناول
 القدرة على المخلوقين و إن كان سبحانه قادرا أيضا على خلقه

فالقُدرة على خلقه قدرة عليه و القدرة عليه قدرة على خلقه و جاء
أيضا الحديث منصوصا في مثل قول النبي صلى الله عليه و سلم
لأبي مسعود لما رآه يضرب عبده **الله أقدر عليك منك على هذا**
فهذا فيه بيان قدرة الرب على عين العبد و أنه أقدر عليه منه
على عبده و فيه إثبات قدرة العبد²⁸⁴

الإستطاعة نوعان

قال تعالى { وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ
الظَّالِمِينَ } {87} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي
الْمُؤْمِنِينَ } {88} الأنبياء 87-88 و الصواب الذي دل عليه الكتاب
و السنة أن الإستطاعة متقدمة على الفعل و مقارنة له أيضا و
تقارنه أيضا إستطاعة أخرى لا تصلح لغيره فالإستطاعة
نوعان متقدمة صالحة للضدين و مقارنة لا تكون إلا مع الفعل
فتلك هي المصححة للفعل المجوزة له و هذه هي الموجبة للفعل
المحققة له قال الله تعالى في الأولى { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ
الْبَيْتِ مِنَ اسْتِطَاعٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا } آل عمران 97 و لو كانت هذه
الإستطاعة لا تكون إلا مع الفعل لما و جب الحج إلا على من
حج و لما عصى أحد بترك الحج و لا كان الحج و اجبا على أحد
قبل الإحرام به بل قبل فراغه و قال تعالى { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا
اسْتَطَعْتُمْ } التغابن 16 فأمر بالتقوى بمقدار الإستطاعة و لو
أراد الإستطاعة المقارنة لما و جب على أحد من التقوى إلا ما
فعل فقط إذ هو الذي قارنته تلك الإستطاعة و قال تعالى { لَا
يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } البقرة 286 و الوسع

²⁸⁴مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 10-12

الموسوع و هو الذي تسعه و تطيقه فلو أريد به المقارن لما كلف أحد إلا الفعل الذي أتى به فقط دون ما تركه من الواجبات و قال تعالى { فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا } {المجادلة 4} و المراد به الإستطاعة المتقدمة و إلا كان المعنى فمن لم يفعل الصيام فإطعام ستين فيجوز حينئذ الإطعام لكل من لم يصم و لا يكون الصوم و اجبا على أحد حتى يفعله و قال النبي صلى الله عليه و سلم إذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم و لو أريد به المقارنة فقط لكان المعنى فاتوا منه ما فعلتم فلا يكونون مأمورين إلا بما فعلوه و كذلك قال النبي صلى الله عليه و سلم لعمران بن حصين صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب و لو أريد المقارن لكان المعنى فإن لم تفعل فتكون مخيرا و نظائر هذا متعددة فإن كل أمر علق فى الكتاب و السنة و جوبه بالإستطاعة و عدمه بعدمها لم يرد به المقارنة و إلا لما كان الله قد أوجب الواجبات إلا على من فعلها و قد أسقطها عن من لم يفعلها فلا يأتى أحد بترك الواجب المذكور و أما الإستطاعة المقارنة الموجبة فمثل قوله تعالى { مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ } {هود-20} و قوله { الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا } {الكهف-101} فهذه الإستطاعة هي المقارنة الموجبة إذ الأخرى لا بد منها فى التكليف فالأولى هي الشرعية التى هي مناط الأمر و النهي و الثواب و العقاب و عليها يتكلم الفقهاء و هي الغالبة فى عرف الناس و الثانية هي الكونية التى هي مناط القضاء و القدر و بها يتحقق وجود الفعل فالأولى للكلمات الأمريات الشرعيات و الثانية للكلمات الخلقيات الكونيات كما قال { وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ } {التحریم-12} وقد اختلف الناس فى قدره العبد على خلاف معلوم الحق أو مراده و التحقيق أنه قد يكون قادرا بالقدرة الأولى الشرعية المتقدمة على الفعل فإن الله قادرا أيضا على خلاف المعلوم و المراد و إلا لم

يكن قادرا إلا على ما فعله و ليس العبد قادرا على ذلك بالقدرة
 المقارنة للفعل فإنه لا يكون إلا ما علم الله كونه و أراد كونه فإنه
 ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن و كذلك قول الحواريين { هَلْ
 يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ } المائدة 112 إنما
 إستفهموا عن هذه القدرة وكذلك ظن يونس { أَنْ لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ
 } الأنبياء 87 أي فسر بالقدرة كما يقال للرجل هل تقدر أن تفعل
 كذا أي هل تفعله و هو مشهور في كلام الناس و لما إعتقدت
 القدرية أن الأولى كافية في حصول الفعل و أن العبد يحدث
 مشيئته جعله مستغنيا عن الله حين الفعل كما أن الجبرية لما
 إعتقدت أن الثانية موجبة للفعل و هي من غيره راوه مجبورا
 على الفعل و كلاهما خطأ قبيح فإن العبد له مشيئة و هي تابعة
 لمشيئة الله كما ذكر الله ذلك في عدة مواضع من كتابه { فَمَنْ
 شَاءَ ذَكَرْهُ } 55 { وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى
 وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ } 56 { المذثر 55-56 } { فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ
 سَبِيلًا } 29 { وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
 حَكِيمًا } 30 { الانسان 29-30 } { لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ } 28 {
 وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } 29 { التكوير 28-29 }
 فإذا كان الله قد جعل العبد مريدا مختارا شائيا إمتنع أن يقال هو
 مجبور مقهور مع كونه قد جعل مريدا و إمتنع أن يكون هو الذي
 إبتدع لنفسه المشيئة فإذا قيل هو مجبور على أن يختار مضطر
 إلى أن يشاء فهذا لا نظير له و ليس هو المفهوم من الجبر
 بالإضطرار و لا يقدر على ذلك إلا الله و لهذا إفترق القدرية
 و الجبرية على طرفي نقيض و كلاهما مصيب فيما أثبتته دون ما
 نفاه فأبو الحسين البصري و من و افقه من القدرية يزعمون أن
 العلم بأن العبد يحدث أفعاله و تصرفاته علم ضروري و إن جحد
 ذلك سفسطة وابن الخطيب و نحوه من الجبرية يزعمون أن العلم
 بإفتقار رجحان فعل العبد على تركه الى مرجح من غير العبد
 ضروري لأن الممكن المتساوي الطرفين لا يترجح أحد طرفيه

على الآخر إلا بمرجح و كلا القولين صحيح لكن دعوى إستلزام أحدهما نفي الآخر ليس بصحيح فإن العبد محدث لأفعاله كاسب لها و هذا الإحداث مفنقر الى محدث فالعبد فاعل صانع محدث و كونه فاعلا صانعا محدثا بعد أن لم يكن لابد له من فاعل كما قال { لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ } {28} التكوير 28 فإذا شاء الإستقامة صار مستقيما ثم قال { وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } {29} التكوير 29 فما علم بالإضطرار و ما دلت عليه الأدلة السمعية و العقلية كله حق و لهذا كان لا حول و لا قوة إلا بالله و العبد فقير إلى الله فقرا ذاتيا له في ذاته و صفاته و أفعاله مع أن له ذاتا و صفات و أفعالا فنفي أفعاله كنفي صفاته و ذاته و هو جحد للحق شبيهه بغلو غالية الصوفية الذين يجعلونه هو الحق أو جعل شيء منه مستغنيا عن الله أو كائنا بدونه جحد للحق شبيهه بغلو الذي قال { أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى } {النازعات 24} و قال إنه خلق نفسه و إنما الحق ما عليه أهل السنة و الجماعة و إنما الغلط فى إعتقاد تناقضه بطريق التلازم و أن ثبوت أحدهما مستلزم لنفي الآخر فهذا ليس بحق و سببه كون العقل يزيد على المعلوم المدلول عليه ما ليس كذلك و تلك الزيادة تناقض ما علم و دل عليه²⁸⁵

توبة الأنبياء عليهم السلام

قال تعالى { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } {87} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي

²⁸⁵مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 372-376

الْمُؤْمِنِينَ {88} الأنبياء 87-88 والمؤمن مأمور بأن يفعل
 المأمور ويترك المحذور ويصبر على المقدور كما قال تعالى
 في قصة يوسف { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
 الْمُحْسِنِينَ } يوسف 90 فالتقوى فعل ما أمر الله به وترك ما نهى
 الله عنه ولهذا قال الله تعالى { فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ
 لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ } غافر 55 فأمره
 مع الاستغفار بالصبر فإن العباد لابد لهم من الاستغفار أولهم
 وآخرهم قال النبي في الحديث الصحيح يا أيها الناس توبوا
 إلى ربكم فالذي نفسى بيده إنى لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم
 أكثر من سبعين مرة وقال انه ليغان على قلبى وإنى
 لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة وكان يقول
 اللهم اغفر لى خطيئتي وجهلى واسرافى فى أمرى وما أنت أعلم
 به منى اللهم اغفر لى خطيئى وعمدى وهزلى وجدى وكل ذلك
 عندى اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما
 أعلنت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر وقد
 ذكر عن آدم أبى البشر انه استغفر ربه وتاب إليه فاجتباه ربه
 فتاب عليه وهدهداه وعن ابليس أبى الجن لعنه الله أنه أصر متعلقا
 بالقدر فلعنه وأقصاه فمن أذنب وتاب وندم فقد أشبهه أباه ومن
 أشبهه أباه فما ظلم قال الله تعالى { وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ
 ظَلُومًا جَهُولًا } {72} لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
 وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ
 غَفُورًا رَحِيمًا {73} الأحزاب 72-73 ولهذا قرن الله سبحانه بين
 التوحيد والاستغفار فى غير آية كما قال تعالى { أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ
 وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ } فصلت 6 { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
 اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } محمد 19 وفى الحديث
 الذى رواه ابن أبى عاصم وغيره يقول الشيطان أهلك الناس
 بالذنوب وأهلكونى بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك بثت
 فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون لأنهم يحسبون انهم يحسنون

صنعا وقد ذكر سبحانه عن ذى النون انه {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} {87} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} {88} الانبياء 88-87 قال النبي دعوة أخى ذى النون ما دعا بها مكروب الا فرج الله كربه²⁸⁶

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها ومن اتبعهم على ما أخبر الله به في كتابه وما ثبت عن رسوله من توبة الأنبياء عليهم السلام من الذنوب التي تابوا منها وهذه التوبة رفع الله بها درجاتهم فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وعصمتهم هي من أن يقرروا على الذنوب والخطأ فإن من سوى الأنبياء يجوز عليهم الذنب الخطأ من غير توبة والأنبياء عليهم السلام يستدرکهم الله فيتوب عليهم ويبين لهم²⁸⁷

موجبة السعادة وموجبة الشقاوة

قال تعالى { وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } {87} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } {88} الأنبياء 88-87 فى الصحيحين عن النبي أنه قال الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة

²⁸⁶مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 121

²⁸⁷رسالة في التوبة ج: 1 ص: 268-269

من الإيمان فذكر أعلا شعب الإيمان وهو قول لا إله إلا الله فإنه لا شيء أفضل منها كما فى الموطأ وغيره عن النبى أنه قال أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبىون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وفى الترمذي وغيره أنه قال من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة وفى الصحيح عنه أنه قال لعمه عند الموت يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله وقد تظاهرت الدلائل على أن أحسن الحسنات هو التوحيد كما أن أسوأ السيئات هو الشرك وهو الذنب الذى لا يغفره الله كما قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} النساء 116 وتلك الحسنة التى لا بد من سعادة صاحبها كما ثبت فى الصحيح عنه حديث الموجبتين موجبة السعادة وموجبة الشقاوة فمن مات يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة وأما من مات يشرك بالله شيئا دخل النار وذكر فى الحديث أنها أعلا شعب الإيمان وفى الصحيحين عنه أنه قال لوفد عبدالقيس أمركم بالإيمان بالله أتدرون ما الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتؤدوا خمس المغنم فجعل هذه الأعمال من الإيمان وقد جعلها من الإسلام فى حديث جبرائيل الصحيح لما أتاه فى صورة أعرابي وسأله عن الإيمان فقال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره وسأله عن الإسلام فقال أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت وفى حديث فى المسند قال الإسلام علانية والإيمان فى القلب فأصل الإيمان فى القلب وهو قول القلب وعمله وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد وما كان فى القلب فلا بد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه

وهي تصديق لما في القلب ودليل عليه وشاهد له وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلق وبعض له لكن ما في القلب هو الأصل لما على الجوارح كما قال أبو هريرة رضي الله عنه أن القلب ملك والاعضاء جنوده فان طاب الملك طابت جنوده واذا خبث الملك خبثت جنوده وفي الصحيحين عنه أنه قال ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب²⁸⁸

القسم الممدوح هم أهل الصبر و الشكر

قال تعالى { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } {83} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ } {84} وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ } {85} وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ } {86} وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } {87} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } {88} وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ } {89} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } {90} وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فَرَجَهَا فَتَفَخَّنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ } {91} الأنبياء 83-91 ولما كان الأمر كما أخبر الله به في قوله { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ } النساء 79 أوجب هذا أن لا يطلب العبد الحسنات و

²⁸⁸مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 644

الحسنات تدخل فيها كل نعمة إلا من الله و أن يعلم أنها من الله و حده فيستحق الله عليها الشكر الذي لا يستحقه غيره و يعلم أنه لا إله إلا هو كما قال تعالى {وَمَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} النحل53 فهذا يوجب على العبد شكره و عبادته وحده حده ثم قال { ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ } النحل53 و هذا إخبار عن حالهم و الجوار يتضمن رفع الصوت و الانسان إنما يجار إذا أصابه الضر و أما في حال النعمة فهو ساكن إما شاكرا و إما كفورا { ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ } {53} ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } {54} النحل53-54 و هذا المعنى قد ذكره الله في غير موضع يذم من يشرك به بعد كشف البلاء عنه و إسباغ النعماء عليه فيضيف العبد بعد ذلك الانعام الى غيره و يعبد غيره تعالى و يجعل المشكور غيره على النعم كما قال تعالى { وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَقَهُمْ مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } {33} لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } {34} الروم 33-34 و قال تعالى { قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ } {63} قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِّنْهَا وَمِنَ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ } {64} الأنعام63-64 و قال تعالى { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ } الزمر8 وقوله { نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ } الزمر8 أي نسى الضر الذي كان يدعو الله لدفعه عنه كما قال في سورة الأنعام { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } {40} بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ } {41} الأنعام40-41 فذم الله سبحانه حزبين حزبا لا يدعون في الضراء و لا يتوبون إليه و حزبا يدعون و يتضرعون إليه و يتوبون اليه فاذا كشف

الضر عنهم أعرضوا عنه و أشركوا به ما اتخذوهم من الأنداد
من دونه فهذا الحزب نوعان كالمعطلة و المشركة حزب إذا
نزل بهم الضر لم يدعو الله و لم يتضرعوا إليه و لم يتوبوا إليه
كما قال {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ
وَ الضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ } 42 { فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا
وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ } 43 { الأنعام 42-43 و قال تعالى {وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ
بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكْبَرُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ } المؤمنون 76 و
قال تعالى { أَوْلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ
لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ } التوبة 126 و قال تعالى
{وَأَلْنَدِيقَتَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
} { السجدة 21 و حزب يتضرعون اليه في حال الضراء و
يتوبون اليه فاذا كشفها عنهم أعرضوا عنه كما قال تعالى
{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا
كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيَّنَ
لِلْمُتَسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } يونس 12 و قال تعالى {وَإِذَا
أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو
دُعَاءٍ عَرِيضٍ } فصلت 51 و قال تعالى {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي
الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ
الْإِنْسَانُ كَفُورًا } الإسراء 67 و قال في المشركين ماتقدم {وَمَا
بِكُمْ مِّن نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ } 53 { ثُمَّ
إِذَا كَشَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ
يُشْرِكُونَ } 54 { النحل 53-54 و الممدوح هو القسم الثالث و
هم الذين يدعون و يتوبون اليه و يثبتون على عبادته و التوبة
اليه في حال السراء فيعبدونه و يطيعونه في السراء و الضراء و
هم أهل الصبر و الشكر كما ذكر ذلك عن أنبيائه عليهم السلام
فقال تعالى { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ

الظَّالِمِينَ {87} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي
المُؤْمِنِينَ {88} الانبياء 87-88²⁸⁹

امتن الله سبحانه على زكريا حيث قال {وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ}

قال تعالى { وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ
الْوَارِثِينَ } {89} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ
إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا
لَنَا خَاشِعِينَ } {90} الانبياء 89-90 ففي الصحيحين عن أسامة
بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي
على أمتي من فتنة أضرت على الرجال من النساء وأكثر ما
يفسد الملك والدول طاعة النساء وفي صحيح البخاري عن
أبي بكر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة وروى أيضا هلكت الرجال
حين أطاعت النساء وقد قال صلى الله عليه وسلم لإحدى
أمهات المؤمنين حين راجعته في تقديم أبي بكر إنكن صواحب
يوسف يريد أن النساء من شأنهن مراجعة ذي اللب كما في
الحديث الآخر ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب للرب ذي
اللب من إحدكن ولما أنشده الأعشى أعشى باهلة أبياته التي
يقول فيها وهن شر غالب لمن غلب جعل النبي صلى
الله عليه وسلم يرددنها ويقول هن شر غالب لمن غلب ولذلك امتن
الله على زكريا عليه السلام حيث قال { وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ
{ الانبياء 90 قال بعض العلماء ينبغي للرجل أن يجتهد في
الرجبة إلى الله في إصلاح زوجه له²⁹⁰

²⁸⁹مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 369-372 و الحسنة والسبيئة ج: 1 ص:

²⁹⁰مجموع الفتاوى ج: 25 ص: 324 و اقتضاء الصراط ج: 1 ص:

وذكر الخاص مع العام يكون لأسباب متنوعة

قال تعالى { وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ } {89} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } {90} الأنبياء 89-90 فإن قيل فإذا كان جميع ما يحبه الله داخلا في اسم العبادة لماذا عطف عليها غيرها كقوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 وقوله { فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وقول نوح { أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا } نوح 3 وكذلك قول غيره من الرسل قيل هذا له نظائر كما في قوله { إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ } العنكبوت 45 والفسحشاء من المنكر وكذلك قوله { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ } النحل 90 وإيتاء ذي القربى هو من العدل والاحسان كما ان الفحشاء والبغي من المنكر وكذلك قوله { وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ } الأعراف 170 واقامة الصلاة من اعظم التمسك بالكتاب وكذلك قوله { وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ } الأنبياء 73 خص الصلاة بالذكر مع دخولها في جميع الخيرات وكذلك قوله { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا } الأنبياء 90 ودعاؤهم رغباً ورهباً من الخيرات وامثال ذلك في القرآن كثير وهذا الباب يكون تارة مع كون احدهما بعض الآخر فيعطف عليه تخصيصاً له بالذكر لكونه مطلوباً بالمعنى العام والمعنى الخاص وتارة تكون دلالة الاسم تتنوع بحال الانفراد والاقتران فاذا افرد عم واذا قرن بغيره خص كاسم الفقير و المسكين لما

افرد احدهما في مثل قوله {لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ} البقرة 273 وقوله {إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ} المائدة 89
 دخل فيه الاخر ولما قرن بينهما في قوله {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ
 وَالْمَسَاكِينِ} التوبة 60 صارا نوعين وقد قيل ان الخاص
 المعطوف على العام لا يدخل في العام حال اقتران بل يكون من
 هذا الباب والتحقيق ان هذا ليس لازما قال تعالى {مَنْ كَانَ
 عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ} البقرة 98 وقال
 تعالى {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ
 وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} الأحزاب 7 وذكر الخاص مع
 العام يكون لأسباب متنوعة تارة لكونه له خاصية ليست لسائر
 أفراد العام كما في نوح و ابراهيم وموسى وعيسى وتارة لكون
 العام فيه اطلاق قد لا يفهم منه العموم كما في قوله {هُدًى
 لِّلْمُتَّقِينَ} 2 {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
 يُنفِقُونَ} 3 {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
 } 4 {البقرة 2-4 فقله {يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} 3 {البقرة 3 يتناول
 الغيب الذي يجب الايمان به لكن فيه اجمال فليس فيه دلالة على
 ان من الغيب ما انزل اليك وما انزل من قبلك وقد يكون
 المقصود انهم يؤمنون بالمخبر به وهو الغيب وبالاخبار بالغيب
 وهو ما انزل اليك وما انزل من قبلك ومن هذا الباب قوله تعالى
 {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ} العنكبوت 45
 وقوله {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} الأعراف 170
 و تلاوة الكتاب هي اتباعه كما قال ابن مسعود في قوله
 تعالى {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ} البقرة 121 قال
 يحلون حاله ويحرمون حرامه ويؤمنون بمتشابهة ويعملون
 بمحكمه فاتباع الكتاب يتناول الصلاة وغيرها لكن خصها بالذكر
 لمزيتها وكذلك قوله لموسى {إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي
 وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} طه 14 واقامة الصلاة لذكره من اجل
 عبادته وكذلك قوله تعالى {اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ

الْوَسِيلَةَ { المائدة 35 وقوله } اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ
 { التوبة 119 فإن هذه الامور هي ايضا من تمام تقوى الله
 وكذلك قوله } فاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ { هود 123 فان التوكل
 والاستعانة هي من عبادة الله لكن خصت بالذكر ليقصدها المتعبد
 بخصوصها فانها هي العون على سائر انواع العبادة اذ هو
 سبحانه لا يعبد الا بمعونته اذا تبين هذا فكمال المخلوق في
 تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله
 وعلت درجته ومن توهم ان المخلوق يخرج من العبودية بوجه
 من الوجوه او ان الخروج عنها اكمل فهو من اجهل الخلق
 واضلهم قال تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَہُ بَلْ عِبَادٌ
 مُّكْرَمُونَ {26} لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِہِ يَعْمَلُونَ {27}
 الانبياء 26-27 الى قوله { وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ {28}
 الانبياء 28²⁹¹

لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين

قال تعالى { وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ
 الْوَارِثِينَ {89} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ
 إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا
 لَنَا خَاشِعِينَ {90} الانبياء 89-90 و الدعاء قصد المدعو و
 التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة
 لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر
 منه و من ذلك قوله تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ
 { غافر 60 فإنه فسر بالمسألة و بالعبادة²⁹²

²⁹¹ الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 375 و شرح العمدة ج: 4 ص: 88 و

مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 174-177

²⁹² شرح العمدة ج: 4 ص: 28

والدعاء لله وحده سواء كان دعاء العبادة أو دعاء المسألة والإستعانة كما قال تعالى { وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } الأنبياء 90²⁹³

لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى { فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ } الشعراء 213 وقال تعالى { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ } المؤمنون 117 وقال تعالى { وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } القصص 88 وقال { وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا } الجن 19 وقال { إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا } النساء 117 وقال تعالى { لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ } الرعد 14 وقال تعالى { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ } الفرقان 68 وقال في آخر السورة { قُلْ مَا يَعْبادُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ } الفرقان 77 قيل لولا دعاؤكم إياه وقيل لولا دعاؤكم إياكم فإن المصدر يضاف إلى الفاعل تارة وإلى المفعول تارة ولكن إضافته إلى الفاعل أقوى لأنه لا بد له من فاعل فلهذا كان هذا أقوى القولين أي ما يعبد بكم لولا أنكم تدعونه فتعبدونه وتسالونه { فَفَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا } الفرقان 77 أي عذاب لازم للمكذبين ولفظ الصلاة في اللغة أصله الدعاء وسميت

²⁹³مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 69

الصلاة دعاء لتضمنها معنى الدعاء وهو العبادة والمسألة وقد
 فسر قوله تعالى { ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } غافر 60 بالوجهين
 قيل اعبدوني وامتلوا أمري استجب لكم كما قال تعالى
 { وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } الشورى 26 أي
 يستجيب لهم وهو معروف في اللغة يقال إستجاب واستجاب له
 كما قال الشاعر وداع دعا يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند
 ذلك مجيب وقيل سلوني أعطكم وفي الصحيحين عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أنه قال ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء
 الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجب له
 من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له فذكر أولاً لفظ
 الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل كما أن السائل
 داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير
 وذكرهما جميعاً بعد ذكر داعي الذي يتناولهما وغيرهما فهو
 من باب عطف الخاص على العام وقال تعالى { وَإِذَا سَأَلَكَ
 عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ } البقرة 186
 وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول وكل عابد له فهو
 أيضاً راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل عابد سائل
 وكل سائل عابد فأحد الإسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه
 ولكن إذا جمع بينهما فإنه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة
 ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب ويراد بالعابد من يطلب ذلك
 بامتنال الأمر وإن لم يكن في ذلك صيغ سؤال والعابد الذي يريد
 وجه الله والنظر إليه هو أيضاً راج خائف راغب راهب يرغب
 في حصول مراده ويرهب من فواته قال تعالى { إِنَّهُمْ كَانُوا
 يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً } الأنبياء 90 وقال
 تعالى { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً
 وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } السجدة 16 ولا يتصور أن يخلو داع

دعاء عبادة أو دعاء المسألة من الرغب والرهب ومن الخوف والطمع²⁹⁴

وما يذكر عن بعض الشيوخ أنه جعل الخوف والرجاء من مقامات العامة فهذا قد يفسر مراده بأن المقربين يريدون وجه الله فيقصدون التلذذ بالنظر إليه وإن لم يكن هناك مخلوق يتلذذون به وهؤلاء يرجون حصول هذا المطلوب ويخافون حرمانه فلم يخلوا عن الخوف والرجاء لكن مرجوهم بحسب مطلوبهم ومن قال من هؤلاء لم أعبدك شوقاً إلى جنتك ولا خوفاً من نارك فهو يظن أن الجنة اسم لما يتمتع فيه بالمخلوقات والنار اسم لما لا عذاب فيه إلا ألم المخلوقات وهذا قصور وتقصير منهم عن فهم مسمى الجنة بل كل ما أعده الله لأوليائه فهو من الجنة والنظر إليه هو من الجنة ولهذا كان أفضل الخلق يسأل الله الجنة ويستعيز به من النار ولما سأل بعض أصحابه عما يقول في صلاته قال إني أسأل الله الجنة وأعوذ بالله من النار أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال حولها فدنن وقد أنكر على من قال هذا الكلام يعني أسألك لذة النظر إلى وجهك فريق من أهل الكلام ظنوا أن الله لا يتلذذ بالنظر إليه وأنه لا نعيم إلا بمخلوق فغلط هؤلاء في معنى الجنة كما غلط أولئك لكن أولئك طلبوا ما يستحق أن يطلب وهؤلاء أنكروا ذلك وأما التألم بالنار فهو أمر ضروري ومن قال لو أدخلني النار لكنت راضياً فهو عزم منه على الرضا والعزائم قد تنفسخ عند وجود الحقائق ومثل هذا يقع في كلام طائفة مثل سمنون الذي قال وليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فامتحنني فابتلي

²⁹⁴مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 238 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 305-
306 و دقائق التفسير ج: 2 ص: 358-359

بعسر البول فجعل يطوف على صبيان المكاتب ويقول ادعوا
 لعكمم الكذاب قال تعالى ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن
 تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون وبعض من تكلم في علل
 المقامات جعل الحب والرضا والخوف والرجاء من مقامات
 العامة بناء على مشاهدة القدر وأن من شهد القدر فشهد توحيد
 الأفعال حتى فني من لم يكن وبقي من لم يزل يخرج عن هذه
 الأمور وهذا كلام مستدرك حقيقة وشرعا أما الحقيقة فإن
 الحي لا يتصور أن لا يكون حساسا محبا لما يلائمه مبعضا لما
 ينافره ومن قال إن إن الحي يستوي عنده جميع المقدورات فهو
 أحد رجلين إما أنه لا يتصور ما يقول بل هو جاهل وإما أنه
 مكابر معاند ولو قدر أن الإنسان حصل له حال أزال عقله سواء
 سمي اصطلاما أو محوا أو فناء أو غشيا أو ضعفا فهذا لم يسقط
 إحساس نفسه بالكلية بل له إحساس بما يلائمه وما ينافره وإن
 سقط إحساسه ببعض الأشياء فإنه لم يسقط بجمعها²⁹⁵

المسارعة إلى الخيرات مأمور بها وإن فاعلها مستوجب لثناء الله ورضوانه

إن الأصل في الصلاة في أول الوقت افضل من آخره إلا لمعنى
 يقتضي استحباب التأخير لأن الله تعالى قال { فَاسْتَبِقُوا
 الْخَيْرَاتِ } البقرة 148 و قال تعالى { وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ
 مِّن رَّبِّكُمْ } آل عمران 133 و قال تعالى { سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ
 مِّن رَّبِّكُمْ } الحديد 21 و قال تعالى { أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي
 الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ } المؤمنون 61 و قال { وَالسَّابِقُونَ
 السَّابِقُونَ } الواقعة 10 أي إلى الأعمال الصالحة في الدنيا هم
 السابقون إلى الدرجات في الجنة و قال تعالى { فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ

²⁹⁵دقائق التفسير ج: 2 ص: 359-360

لنفسه ومنهم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ { فاطر 32 } و قال تعالى { وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ } التوبة 100 و قال عن نبيه موسى { وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى } طه 84 و هذه الآيات تقتضي إن المسارعة إلى الخيرات مأمور بها و إن فاعلها مستوجب لثناء الله و رضوانه و لذلك يقتضي الاستباق إلى الخيرات و إلى أسباب المغفرة أمرا بها و ثناء على أهلها و تفضيلا لهم على غيرهم و الصلاة من افضل الخيرات و اعظم أسباب المغفرة و عن محمد ابن عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما إن النبي صلى الله عليه و سلم قال ثلاث يا علي لا تؤخرهن الصلاة إذا أتت و الجنابة إذا حضرت و الايم إذا وجدت لها كفوا

رواه احمد و الترمذي و قال حديث حسن غريب و ما أرى إسناده بمتصل لكن هذا الانقطاع هو من رواية ولده و مثل ذلك يكون من أقوى المراسيل فانهم اعلم بحديثهم²⁹⁶

التوبة فرض على العباد دائما

قال تعالى { وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ } {89} { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } {90} { الأنبياء 89-90 } فهؤلاء إذا جاء أمر الله فانهم يسارعون في الخيرات و يسابقون الى الطاعات و يدعون ربهم رغا و رهبا و يجتنبون محارمه و يحفظون حدوده و يستغفرون الله و يتوبون اليه من تقصيرهم فيما أمر و تعديهم لحدوده علما منهم أن التوبة فرض على العباد دائما و اقتداء بالنبي صلى الله عليه و سلم حيث يقول في الحديث الصحيح أيها الناس توبوا إلى

²⁹⁶ شرح العمدة ج: 4 ص: 191

ربكم فوالذى نفسى بيده انى لاستغفر الله و أتوب اليه فى اليوم
 مائة مرة وفى رواية أكثر من سبعين مرة وأخر سورة
 نزلت عليه (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ {1} وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ
 فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا {2} فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ
 تَوَّابًا {3} النصر 1-3²⁹⁷

إثبات الملائكة وأنهم أحياء ناطقون منفصلون عن الأدميين يخاطبونهم ويرونهم

قال تعالى { **وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا
 وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ { الأنبياء 91** } فهذه القصة فيها إثبات
 الملائكة وأنهم أحياء ناطقون منفصلون عن الأدميين يخاطبونهم
 ويرونهم في صور الأدميين الأنبياء وغير الأنبياء كما رأتهم
 سارة امرأة الخليل عليه السلام وكما كان الصحابة يرون جبريل
 إذا جاء لما جاء في صورة أعرابي وتارة في صورة دحية
 الكلبي ومن هذا الباب قوله في قصة مريم { **وَالَّتِي أَحْصَنْتَ
 فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً
 لِلْعَالَمِينَ { الأنبياء 91** } فهذا الروح تصور بصورة بشر سوى
 وخاطب مريم ونفخ فيها²⁹⁸

²⁹⁷مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 304

²⁹⁸الصفدية ج: 1 ص: 198

بين الله سبحانه أن الرسول الذي هو روحه وهو جبريل هو الروح الذي خاطبه

قال تعالى { **وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ** } الأنبياء 91 أن روح القدس يراد
به الملك ويراد به ما يجعله في القلوب من الهدى والقوة وأن الله
أرسل روحه إلى مريم فنفخ فيها فحملت بالمسيح عليه السلام
وهذا الروح هو الرسول كما قال { **قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ
لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا** } مريم 19 ونفخ فيها من هذا الروح
فكان المسيح مخلوقا من هذا الروح ومن أمه مريم²⁹⁹

أن المتولدات خلقت من أصلين كما خلق آدم من التراب و الماء
و إلا فالتراب المحض الذي لم يختلط به ماء لا يخلق منه شيء
لا حيوان و لا نبات و النبات جميعه إنما يتولد من أصلين أيضا و
المسيح خلق من مريم و نفخة جبريل كما قال تعالى { **وَمَرِيَمَ
ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا
وَنَحْنُ نَعْلَمُ مَا تَدْعُوهُ سَوِيًّا** } قال { **قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا** } 18 { **قَالَ
إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا** } 19 { مريم 17- 18
و قد ذكر المفسرون أن جبريل نفخ في جيب درعها و الجيب هو
الطوق الذي في العنق ليس هو ما يسميه بعض العامة جييا و هو
ما يكون في مقدم الثوب لوضع الدراهم و نحوها و موسى لما
أمره الله أن يدخل يده في جيبيه هو ذلك الجيب المعروف في اللغة
و ذكر أبو الفرج و غيره قولين هل كانت النفخة في جيب الدرع
أو في الفرج فإن من قال بالأول قال في فرج درعها و أن من

²⁹⁹الجواب الصحيح ج: 3 ص: 259

قال هو مخرج الولد قال الهاء كناية عن غير مذكور لأنه إنما نفخ في درعها لا في فرجها وهذا ليس بشيء بل هو عدول عن صريح القرآن وهذا النقل إن كان ثابتاً لم يناقض القرآن وإن لم يكن ثابتاً لم يلتفت إليه فإن من نقل أن جبريل نفخ في جيب الدرع فمراده أنه صلى الله عليه وسلم لم يكشف بدنها وكذلك جبريل كان إذا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة متجردة لم ينظر إليها متجردة فنفخ في جيب الدرع فوصلت النفخة إلى فرجها والمقصود إنما هو النفخ في الفرج كما أخبر الله به في آيتين وإلا فالنفخ في الثوب فقط من غير وصول النفخ إلى الفرج مخالف للقرآن مع أنه لا تأثير له في حصول الولد ولم يقل ذلك أحد من أئمة المسلمين ولا نقله أحد عن عالم معروف من السلف والمقصود هنا أن المسيح خلق من أصلين من نفخ جبريل ومن أمه مريم وهذا النفخ ليس هو النفخ الذي يكون بعد مضي أربعة أشهر والجنين مضغة فإن ذلك نفخ في بدن قد خلق وجبريل حين نفخ لم يكن المسيح خلق بعد ولا كانت مريم حملت وإنما حملت به بعد النفخ بدليل قوله { قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا } مريم 19 { فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا قَاصِيًّا } مريم 22 فلما نفخ فيها جبريل حملت به ولهذا قيل في المسيح { وَرُوحٌ مِّنْهُ } النساء 171 باعتبار هذا النفخ وقد بين الله سبحانه أن الرسول الذي هو روحه وهو جبريل هو الروح الذي خاطبها و{ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا } مريم 19 فقله { فَانْفَخْنَا فِيهَا } الأنبياء 91 أو { فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا } التحريم 12 أي من هذا الروح الذي هو جبريل وعيسى روح من هذا الروح فهو روح من الله بهذا الاعتبار ومن لإبتداء الغاية والمقصود هنا أنه قد يكون الشيء من أصلين بإنقلاب المادة التي بينهما إذا التقيا كان بينهما مادة فتقلب وذلك لقوة حك أحدهما بالآخر فلا بد من نقص أجزائها وهذا مثل تولد النار بين الزنادين إذا قده الحجر بالحديد أو الشجر بالشجر كالمرخ والغفار فإنه بقوة الحركة الحاصلة

من قدح أحدهما بالآخر يستحيل بعض أجزائها و يسخن الهواء الذي بينهما فيصير نارا و الزندان كلما قدح أحدهما بالآخر نقصت أجزاءهما بقوة الحك فهذه النار إستحالت عن الهواء و تلك الأجزاء بسبب قدح أحد الزندين بالآخر و كذلك النور الذي يحصل بسبب إنعكاس الشعاع على ما يقابل المضيء كالشمس و النار فإن لفظ النور و الضوء يقال تارة على الجسم القائم بنفسه كالنار التي في رأس المصباح و هذه لا تحصل إلا بمادة تنقلب نارا كالحطب و الدهن و يستحيل الهواء أيضا نارا و لا ينقلب الهواء أيضا نارا إلا بنقص المادة التي اشتعلت أو نقص الزندين و تارة يراد بلفظ النور و الضوء و الشعاع الشعاع الذي يكون على الأرض و الحيطان من الشمس أو من النار فهذا عرض ليس بجسم قائم بنفسه لا بد له من محل يقوم به يكون قابلا به فلا بد في الشعاع من جسم مضيء و لا بد من شيء يقابله حتى ينعكس عليه الشعاع و كذلك النار الحاصلة في ذبالة المصباح إذا و وضعت في النار أو و ضع فيها حطب فإن النار تحيل أو لا المادة التي هي الدهن أو الحطب فيسخن الهواء المحيط بها فينقلب نارا و إنما ينقلب بعد نقص المادة و كذلك الريح التي تحرك النار مثل ما تهب الريح فتشتعل النار في الحطب و مثل ما ينفخ في الكير و غيره تبقى الريح المنفوخة تضرم النار لما في محل النار كالخشب و الفحم من الإستعداد لإنقلابه نارا و ما في حركة الريح القوية من تحريك النار إلى المحل القابل له و قد ينقلب أيضا الهواء القريب من النار فإن اللهب هو الهواء إنقلب نارا مثل ما في ذبالة المصباح و لهذا إذا طفئت صار دخانا و هو هواء مختلط بنار كالبخار و هو هواء مختلط بماء و الغبار هواء مختلط بتراب و قد يسمى البخار دخانا ومنه قوله تعالى {ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ} فصلت 11 قال المفسرون بخار الماء كما جاءت الآثار إن الله خلق السموات من بخار الماء وهو الدخان فإن الدخان الهواء المختلط بشيء حار ثم قد لا يكون فيه ماء وهو و هو دخان الصرف وقد يكون فيه ماء فهو دخان

وهو بخار كبخار القدر وقد يسمى الدخان بخارا فيقال لمن استجمر بالطيب تبخر وإن كان لا رطوبة هنا بل دخان الطيب سمي بخارا قال الجوهرى بخار الماء ما يرتفع منه كالدخان والبخور بالفتح ما يتبخر به لكن إنما يصير الهواء نارا بعد أن تذهب المادة التي انقلبت نارا كالحطب والدهن فلم تتولد النار إلا من مادة كما يتولد الحيوان إلا من مادة فصل والمقصود أن كل ما يستعمل فيه لفظ التولد من الأعيان القائمة فلا بد أن يكون من أصليين و من انفصال جزء من الأصل و إذا قيل فى الشيع و الري إنه متولد أو فى زهوق الروح و نحو ذلك من الأعراض أنه متولد فلا بد فى جميع ما يستعمل فيه هذا اللفظ من أصليين لكن العرض يحتاج إلى محل لا يحتاج إلى مادة تنقلب عرضا بخلاف الأجسام فإنها إنما تخلق من مواد تنقلب أجساما كما تنقلب إلى نوع آخر كإنقلاب المنى علقة ثم مضغة و غير ذلك من خلق الحيوان و النباتات و أما ما كان من أصل و احد كخلق حواء من الضلع القصري لأدم و هو و إن كان مخلوقا من مادة أخذت من آدم فلا يسمى هذا تولدا و لهذا لا يقال أن آدم و لد حواء و لا يقال أنه أبو حواء بل خلق الله حواء من آدم كما خلق آدم من الطين و أما المسيح فيقال أنه و لدته مريم و يقال المسيح بن مريم فكان المسيح جزءا من مريم و خلق بعد نفخ الروح فى فرج مريم كما قال تعالى { وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَانِنِينَ } التحريم 12 و فى الأخرى { **فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ { الأنبياء 91** و أما حواء فخلقها الله من مادة أخذت من آدم كما خلق آدم من المادة الأرضية و هي الماء و التراب و الريح الذي أبيضته حتى صار صلصالا فهذا لا يقال إن آدم و لد حواء و لا آدم و لده التراب و يقال فى المسيح و لدته مريم فإنه كان من أصليين من مريم و من النفخ الذي نفخ فيها جبريل قال الله تعالى { فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا } 17 { قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ

بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا {18} قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا {19} قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا {20} قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا {21} فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا {22} مريم 17-22 إلى آخر القصة فهي إنما حملت به بعد النفخ لم تحمل به مدة بلا نفخ ثم نفخت فيه روح الحياة كسائر الادميين ففرق بين النفخ للحمل و بين النفخ لروح الحياة فنتبين أن ما يقال أنه متولد من غيره من الأعيان القائمة بنفسها فلا يكون إلا من مادة تخرج من ذلك الوالد و لا يكون إلا من أصلين و الرب تعالى صمد فيمتنع أن يخرج منه شيء و هو سبحانه لم يكن له صاحبة فيمتنع أن يكون له ولد و أما ما يستعمل من تولد الأعراض كما يقال تولد الشعاع و تولد العلم عن الفكر و تولد الشبع عن الأكل و تولدت الحرارة عن الحركة و نحو ذلك فهذا ليس من تولد الأعيان مع أن هذا لا بد له من محل و لا بد له من أصلين و لهذا كان قول النصارى أن المسيح ابن الله تعالى الله عن ذلك مستلزما لأن يقولوا إن مريم صاحبة الله فيجعلون له زوجة و صاحبة كما جعلوا له و لدا و بأي معنى فسروا كونه ابنه فإنه يفسر الزوجة بذلك المعنى و الأدلة الموجبة تنزيهه عن صاحبة توجب تنزيهه عن الولد فإذا كانوا يصفونه بما هو ابعده عن إتصافه به كان إتصافه بما هو أقل بعدا لازما لهم و قد بسط هذا في الرد على النصارى³⁰⁰

قوله بروح منه لا يوجب أن يكون منفصلا من ذات الله

³⁰⁰مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 262-268

قال تعالى { وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا

وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ } الأنبياء 91 وقوله بروح منه لا

يوجب أن يكون منفصلاً من ذات الله كقوله تعالى { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } الجاثية 13 فهذه الأشياء كلها من الله وهي مخلوقة

وأبلغ من ذلك روح الله التي أرسلها إلى مريم وهي مخلوقة

فالمسيح الذي هو روح من تلك الروح أولى أن يكون مخلوقاً فأخبر أنه نفخ في مريم من روحه كما أخبر أنه نفخ في آدم من روحه وقد بين أنه أرسل إليها روحه فتمثل لها بشراً سوياً قال

تعالى

{ فَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا

سَوِيًّا } 17 { قَالَتْ إِنَّيَأَعُودُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا } 18 { قَالَ

إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا } 19 { قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ

لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا } 20 { قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ

هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا

مَقْضِيًّا } 21 { فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا } 22 { مريم 17-22

فهذا الروح الذي أرسله الله إليها ليهب لها غلاماً زكياً مخلوق

وهو روح القدس الذي خلق المسيح منه ومن مريم فإذا كان

الأصل مخلوقاً فكيف الفرع الذي حصل منه وهو روح القدس

وقوله عن المسيح وروح منه خص المسيح بذلك لأنه نفخ في أمه

من الروح فحبلت به من ذلك النفخ وذلك غير روحه التي

يشاركه فيها سائر البشر فامتاز بأن حبلت به من نفخ الروح فلهذا

سمى روحاً منه ولهذا قال طائفة من المفسرين روح منه أي

رسول منه سماه باسم الروح الرسول الذي نفخ فيها فكما يسمى

كلمة يسمى روحاً لأنه كون بالكلمة لا كما يخلق الأدميون غيره

ويسمى روحاً لأنه حبلت به أمه بنفخ الروح الذي نفخ فيها لم

تحبل به من ذكر كغيره من الأدميين وعلى هذا فيقال لما خلق

من نفخ الروح ومن مريم سمي روحاً بخلاف سائر الأدميين فإنه

يخلق من ذكر وأنثى ثم ينفخ فيه الروح بعد مضي أربعة أشهر والنصارى يقولون في أمانتهم تجسد من مريم ومن روح القدس ولو اقتصرنا على هذا وفسرنا روح القدس بالملك الذي نفخ فيها وهو روح الله لكان هذا موافقا لما أخبر الله به لكنهم جعلوا روح القدس حياة الله وجعلوه ربا وتناقضوا في ذلك فإنه على هذا كان ينبغي فيه أفتومان أفتوم الكلمة وأفتوم الروح وهم يقولون ليس فيه إلا أفتوم الكلمة وكما يسمى المسيح كلمة لأنه خلق بالكلمة يسمى روحا لأنه حل به من الروح فإن قيل فقد قال في القرآن { أَفَعَبَّرَ اللَّهُ أَلْبَتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } الأنعام 114 وقال { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِّنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } الأحقاف 2 وقد قال أئمة المسلمين وجمهورهم القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدا وقال في المسيح وروح منه قيل هذا بمنزلة سائر المضاف إلى الله إن كان عينا قائمة بنفسها أو صفة فيها كان مخلوقا وإن كان صفة مضافا إلى الله كعلمه وكلامه ونحو ذلك كان إضافة صفة وكذلك ما كان منه إن كان عينا قائمة أو صفة قائمة بغيرها كما في السماوات والأرض والنعم والروح الذي أرسله إلى مريم وقال إنما أنا رسول ربك كان مخلوقا وإن كان صفة لا تقوم بنفسها ولا يتصف بها المخلوق كالقرآن لم يكن مخلوقا فإن ذلك قائم بالله وما يقوم بالله لا يكون مخلوقا والمقصود هنا بيان بطلان احتجاج النصارى وأنه ليس لهم في ظاهر القرآن ولا باطنه حجة في سائر كتب الله وإنما تمسكوا بآيات متشابهات وتركوا المحكم كما أخبر الله عنهم بقوله { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ } آل عمران 7 والآية نزلت في النصارى فهم مرادون من الآية قطعا ثم قال { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ

يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ { آل
عمران 3017

دعوى النصارى أن روح القدس روح الله الجوهرية أمر مخالف لجميع كتب الله وأنبيائه

قال تعالى { **وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا**
وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ { الأنبياء 91 أما قوله تعالى (**فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا**) فهذا قد فسره قوله تعالى { **فَاتَّخَذَتْ**
مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا {17} }
قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا {18} } **قَالَ إِنَّمَا أَنَا**
رَسُولٌ رَبِّكَ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا {19} } **مريم 17-19** وفي
القراءة الأخرى ليهب لك غلاما زكيا فأخبر أنه رسوله
وروحه وأنه تمثل لها بشرا وأنه ذكر أنه رسول الله إليها فعلم أن
روحه مخلوق مملوك له ليس المراد حياته التي هي صفته
سبحانه وتعالى وكذلك قوله (**فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا**
(**وهو مثل قوله في آدم عليه السلام {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ**
وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ { الحجر 29 } وقد شبه
المسيح بآدم في قوله { **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ**
مِن ثَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ { آل عمران 59 } والشبهة في
هذا نشأت عند بعض الجهال من أن الإنسان إذا قال روجي
فروحه في هذا الباب هي الروح التي في البدن وهي عين قائمة
بنفسها وإن كان من الناس من يعني بها الحياة والإنسان مؤلف
من بدن وروح وهي عين قائمة بنفسها عند سلف المسلمين
وأئمتهم وجماهير الأمم والرب تعالى منزه عن هذا وأنه ليس

³⁰¹الجواب الصحيح ج: 4 ص: 69-71

مركبا من بدن وروح ولا يجوز أن يراد بروحه ما يريد الإنسان بقوله روعي بل تضاف إليه ملائكته وما ينزله على أنبيائه من الوحي والهدى والتأييد ونحو ذلك³⁰²

وقال ليث عن مجاهد روح منه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد مجاهد قوله { فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا } {17} قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا } {18} قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا } {19} مريم 16-19

والمعنى أن عيسى خلق من الروح وهو جبريل روح القدس سمي روحا كما سمي كلمة لأنه خلق بالكلمة والنصارى يقولون في أمانتهم تجسد من مريم ومن روح القدس لأنه كذلك في الكتب المتقدمة لكن ظنوا أن روح القدس هو صفة الله وجعلوها حياته وقدرته وهو رب وهذا غلط منهم فإنه لم يسم أحد من الأنبياء حياة الله ولا قدرته ولا شيئا من صفاته روح القدس بل روح القدس في غير موضع من كلام الأنبياء عليهم السلام يراد بها ما ينزله الله على قلوب الأنبياء كالوحي والهدى والتأييد ويراد بها الملك وهكذا في تفسير ابن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس أن عيسى بن مريم استقبل رهطاً من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقفوه وأمه فلما سمع عيسى ذلك قال اللهم أنت ربي وأنا من روحك خرجت وبكلمتك خلقتني ولم آتهم من تلقاء نفسي وذكر تمام الحديث وقد قال تعالى { وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ

رُوحَنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ } {الأنبياء 91} فهذا يوافق قوله تعالى { فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا } {17} قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ

³⁰²الجواب الصحيح ج: 3 ص: 277

إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا {18} قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا
زَكِيًّا {19} مريم 16-19³⁰³

إن الكتب دلت على أن المسيح تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء البتول وهكذا هو في الأمانة التي لهم وبهذا أخبر القرآن حيث أخبر في غير موضع أنه نفخ في مريم من روحه مع إخباره أنه أرسل إليها روحه قال تعالى {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} {الأنبياء 91} فالكتب الإلهية يصدق بعضها بعضا لكن دعواكم أن روح القدس روح الله الجوهرية أي حياته القديمة الأزلية أمر مخالف لجميع كتب الله وأنبيائه فلم يفسر أحد منهم روح القدس بصفة الله لا جوهرية ولا غير جوهرية ولا قديمة ولا غير قديمة ولا أرادوا بذلك حياة الله فقولكم هذا تبديل لكلام الله وكلام أنبيائه ورسله كما أنكم في قولكم إن كلمة الله أو علمه أو حياته مولودة منه وإن صفته القديمة الأزلية هي ابنه مما حرفتم فيه كلام الأنبياء فلم يرد أحد منهم هذا المعنى بهذا اللفظ قط ولم يطلق في جميع الكتب التي عندكم لفظ الابن المولود إلا على محدث مخلوق لا على شيء قديم أزلي لا موصوف ولا صفة لا علم ولا كلام ولا حكمة ولا غير ذلك وكل ولادة في الكتب الإلهية التي عندكم وغيرها فهي ولادة حادثة زمانية وكل مولود فهو محدث مخلوق زمني ليس في الكتب ولادة قديمة أزلية ولا مولود قديم أزلي كما أنكم ذكرتم ذلك في امانتكم وغيرها فلو كان ما ذكرتموه ممكنا في العقول لم يجز أن تجعلوه موجودا واقعا وتقولوا الأنبياء أرادوا ذلك إلا أن يكونوا بينوا أن ذلك مرادهم فإذا كان كلامهم صريحا في أنهم لم يريدوا ذلك

³⁰³الجواب الصحيح ج: 2 ص: 21

والمعقول الصريح يناقض ذلك كان ما قلتموه كذبا على الله وعلى
 أنبيائه ورسله ومسيحه وكان باطلا في المعقول وكنتم ممن قيل
 فيه { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ
 { الملك 10³⁰⁴

المضاف إلى الله نوعان

قال تعالى { **وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا
 وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ** { الأنبياء 91 } والمضاف إلى الله
 نوعان فإن المضاف إما أن يكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم
 والقدرة والكلام والحياة وإما أن يكون عينا قائمة بنفسها
 فالأول إضافة صفة كقوله { **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ**
 { البقرة 255 } فالمضاف في الأول صفة لله قائمة به ليست
 مخلوقة له بئنة عنه والمضاف في الثاني مملوك لله مخلوق له
 بائن عنه لكنه مفضل مشرف لما خصه الله به من الصفات التي
 اقتضت إضافته إلى الله تبارك وتعالى كما خص ناقة صالح من
 بين النوق وكما خص بيته بمكة من البيوت وكما خص عباده
 الصالحين من بين الخلق ومن هذا الباب قوله تعالى { **فَأَرْسَلْنَا
 إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا** { 17 } مريم 17 فإنه
 وصف هذا الروح بأنه تمثل لها بشرا سويا وأنها استعادت بالله
 منه إن كان تقيا وأنه قال إنما أنا رسول ربك وهذا كله
 يدل على أنها عين قائمة بنفسها وهي التي تسمى في اصطلاح
 النظار جوهرًا وقد تسمى جسما إذا كانت مشارا إليها مع اختلاف
 الناس في الجسم هل هو مركب من الجواهر المفردة أم من المادة
 والصورة أم ليس مركبا لا من هذا ولا من هذا وإذا كان الله قد

³⁰⁴الجواب الصحيح ج: 4 ص: 280

بين أن المضاف هنا ليس من الصفات القائمة بغيرها بل من الأعيان القائمة بنفسها علم أن المضاف مملوك لله مخلوق له لكن إضافته إلى الله تدل على تخصيص الله له من الاصطفاء والإكرام بما أوجب التخصيص بالإضافة وقال الله تعالى {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً

لِّلْعَالَمِينَ { الأنبياء 91} وقال في سورة التحريم {
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَاتَنَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ {10} وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {11} وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنَ الْقَائِنِينَ {12} التحريم 10-12
فذكر امرأة فرعون التي ربت موسى ابن عمران وجمعت بينه وبين أمه حتى أرضعته أمه عندها وذكر مريم أم المسيح التي ولدته وربته فهاتان المرأتان ربتا هذين الرسولين الكريمين فلما قال هنا فنفخنا فيها أي في المرأة وفيه أي في فرجها من روحنا وقال هنا {فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا {مريم 17} إلى قوله { قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا {19} مريم 19} دل على ان قوله روحنا ليس المراد به أنه صفة لله لا الحياة ولا غيرها ولا هو رب خالق فلا هو الرب الخالق ولا صفة الرب الخالق بل هو روح من الأرواح التي اصطفاه الله وأكرمها كما تقدم في قوله فأرسلنا إليها روحنا وأن الأكثرين على أنه جبريل وهذا الأصل الذي ذكرناه من الفرق فيما يضاف إلى الله بين صفاته وبين مملوكاته أصل عظيم ضل فيه كثير من أهل الأرض من أهل الملل كلهم فإن كتب الأنبياء التوراة والإنجيل والقرآن

وغيرها أضافت إلى الله أشياء على هذا الوجه وأشياء على هذا
الوجه فاختلف الناس في هذه الإضافة³⁰⁵

{ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون }

قال تعالى { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون }
الأنبياء 92

أرسل الله سبحانه وتعالى محمد صلى الله عليه وسلم بالحق بين
يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا
أرسله إلى جميع الثقلين الجن والإنس عربهم وعجمهم أميهم
وكتابتهم وأنزل عليه كتاب أنزله ليخرج الناس من الظلمات
إلى النور بإذن ربهم ويهديهم به إلى صراط مستقيم صراط الذي
له ما في السموات وما في الأرض وهو صراط الذين أنعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو دين الله
الذي بعث به الرسل قبله كما قال تعالى { إِنَّ هَذِهِ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون } الأنبياء 92³⁰⁶

والله سبحانه إنما خلق الخلق لعبادته ليذكروه ويشكروه و
يعبدون و أرسل الرسل و أنزل الكتب ليعبدوه و حده و يكون

³⁰⁵الجواب الصحيح ج: 2 ص: 160

³⁰⁶الجواب الصحيح ج: 1 ص: 63

الدين كله لله و تكون كلمة الله هي العليا قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا
مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ
{الأنبياء25} وقال {وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا
أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ {الزخرف45} و قد أمر
الرسول كلهم بهذا و أن لا يتفرقوا فيه فقال {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ {الأنبياء92} وقال {يَا أَيُّهَا
الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ {51} وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً {52} {المؤمنون 51-52
الآية} قال قتادة أى دينكم و احد و ربكم و احد و الشريعة
مختلفة و كذلك قال الضحاك و عن ابن عباس أى دينكم دين
واحد قال ابن أبي حاتم و روي عن سعيد بن جبير و قتادة و عبد
الرحمن نحو ذلك قال الحسن بين لهم ما يتقون و ما يأتون ثم قال
إن هذه سنتكم سنة و احدة و هكذا قال جمهور المفسرين و الأمة
الملة و الطريقة كما قال {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ
{الزخرف22} كما تسمى الطريق إماما لأن السالك فيها يؤتم به
فكذلك السالك يؤمه و يقصده و الأمة أيضا معلم الخير الذي يأتى
به الناس و إبراهيم عليه السلام جعله الله إماما و أخبر أنه كان
أمة {كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {النحل120
و أمر الله تعالى الرسول أن تكون ملتهم و دينهم و احدا و لا
يتفرقون فيه كما في الصحيحين إنا معاشر الأنبياء ديننا و احد
و قال تعالى {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا{الشورى13
الآية} و لهذا كان يصدق بعضهم بعضا لا يختلفون مع تنوع
شرائعهم فمن كان من الطاعين من الأمراء و العلماء و المشايخ
متبعا للرسول صلى الله عليه و سلم أمر بما أمر به و دعا إليه و
احب من دعا الى مثل ما دعا إليه فإن الله يحب ذلك فيحب ما
يحبه الله لأن قصده عبادة الله و حده و أن يكون الدين لله و من
كره أن يكون له نظير يدعو الى ذلك فهذا يطلب أن يكون هو
المطاع المعبود و له نصيب من حال فرعون و أشباهه فمن طلب

أن يطاع دون الله فهذا حال فرعون و من طلب أن يطاع مع الله فهذا يريد من الناس أن يتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله و الله سبحانه أمر أن لا يعبد إلا إياه و لا يكون الدين إلا له و تكون الموالاة فيه و المعادة فيه و لا يتوكل إلا عليه و لا يستعان إلا به فالمتبع للرسول يأمر الناس بما أمرتهم به الرسل ليكون الدين لله لا له³⁰⁷

أن دين الأنبياء عليهم السلام واحد وإن تنوعت شرائعهم³⁰⁸

العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه

قال تعالى { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ }

الأنبياء 92

العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والاعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الأدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وامثال ذلك من العبادة وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والانابة إليه واخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمة والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه

³⁰⁷مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 327 و مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 219
و الحسنه والسيئة ج: 1 ص: 89

³⁰⁸مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 358

وامثال ذلك هي من العبادة لله وذلك ان العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} الذاريات56 وبها ارسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} الأعراف59 وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ} النحل36 وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} الأنبياء25 وقال تعالى {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} الأنبياء92 كما قال في الآية الاخرى {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} المؤمنون51 وجعل ذلك لازما لرسوله الى الموت قال {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} الحجر99 وبذلك وصف ملائكته وانبياءه فقال تعالى {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ}19{ يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ}20{ الأنبياء19-20 وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْبَحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} الأعراف206 ودم المستكبرين عنها بقوله وقال {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} غافر60 ونعت صفة خلقه بالعبودية له فقال تعالى {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا} الإنسان6³⁰⁹

³⁰⁹مجموع الفتاوى ج: 10 ص:150-151 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص:

توحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته وإستعانته هو قلب الإيمان وأول الإسلام وآخره

قال تعالى { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ }

الأنبياء 92

وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته وإستعانته في القرآن كثير جدا بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وآخره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال إني لأعلم كلمة لا يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها روحا وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وهو قلب الدين والإيمان وسائر الأعمال كالجوارح له وقول النبي إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرى ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فبين بهذا أن النية عمل القلب وهي أصل العمل وإخلاص الدين لله وعبادة الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ولهذا أنكرنا على الشيخ يحيى الصرصرى ما يقوله في قصائده في مدح الرسول من الإستغاثة به مثل قوله بك أستغيث وأستعين وأستجد ونحو ذلك وكذلك ما يفعله كثير من الناس من استنجد الصالحين والمتشبهين بهم والإستعانة بهم أحياء وأمواتا فإنى أنكرت ذلك في مجالس عامة وخاصة وبينت للناس التوحيد ونفع الله بذلك ما شاء الله من الخاصة والعامة وهو دين الإسلام العام الذى بعث الله به جميع الرسل كما قال تعالى { وَوَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } النحل 36 وقال { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 وقال { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ

فَاعْبُدُونِ { الأنبياء 92 وقال النبي لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم وقال لابن عباس إذا سألت فاسئلي الله وإذا استعنت فاستعن بالله³¹⁰

الغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده

قال تعالى { **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** }
الأنبياء 92

ومحبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح للنفس وهو عبادة الله وحده لا شريك له فلا صلاح للنفس ولا كمال لها إلا في ذلك وبدون ذلك تكون فاسدة لا صلاح لها ولهذا كان هذا هو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل قال الله تعالى { **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** } آل عمران 85 وقد قال تعالى { **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** } الذاريات 56 فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده وهي حقيقة قول القائل لا إله إلا الله ولهذا بعث الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب ولا تصلح النفس وتزكو وتكمل إلا بهذا لفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب فلا بد أن يكون العابد محباً للإله المعبود كمال الحب ولا بد أن يكون ذليلاً له كمال الذل فمن أحب شيئاً ولم يذل له لم يعبهه ومن خضع له ولم يحبه لم يعبهه وكمال الحب والذل لا يصلح إلا لله وحده فهو الإله المستحق للعبادة التي لا يستحقها

³¹⁰مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 71

إلا هو وذلك يتضمن كمال الحب والذل والإجلال والإكرام والتوكل والعبادة فالنفوس محتاجة إلى الله من حيث هو معبودها ومنتهى مرادها وبغيتها ومن حيث هو ربها وخالقها فمن آمن بالله رب كل شيء وخالقه ولم يعبد إلا الله وحده بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه وأخشى عنده من كل ما سواه وأعظم عنده من كل ما سواه وأرجى عنده من كل ما سواه بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله ويخشاه مثل ما يخشى الله ويرجوه مثل ما يرجو الله ويدعوه مثل ما يدعوه فهو مشرك الشرك الذي لا يغفره الله ولو كان مع ذلك عفيفا في طعامه ونكاحه وكان حكيما شجاعا³¹¹

لطائف لغوية

1- قال تعالى { وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ } الأنبياء 77 والباء للإلصاق وهي لا تدخل الا لفائدة فاذا دخلت على فعل يتعدى بنفسه أفادت قدرا زائدا كما في قوله { عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ } الإنسان 6 فانه لو قيل يشرب منها لم تدل على الري فضمن يشرب معنى يروي فقيل { يَشْرَبُ بِهَا } الإنسان 6 فأفاد ذلك أنه شرب يحصل معه الري وباب تضمين الفعل معنى فعل آخر حتى يتعدى بتعديته كقوله { لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ } ص 24 وقوله { وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا } الأنبياء 77 وقوله { وَاحْذَرُوا أَن يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ } المائدة 49 وأمثال ذلك كثير في القرآن³¹²

³¹¹الجواب الصحيح ج: 6 ص: 32 و الجواب الصحيح ج: 6 ص: 28

³¹²مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 123-124

2- قال تعالى { وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ } الأنبياء 78 سمي الأرض المزروعة حرثاً³¹³

3- قال تعالى { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 92 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد ومن هذا الباب لفظ العبادة فإذا أمر بعبادة الله مطلقاً دخل في عبادته كل ما أمر الله به فالتوكل عليه مما أمر به والاستعانة به مما أمر به فيدخل ذلك في مثل قوله { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } الذاريات 56 وفي قوله { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً } النساء 36 وقوله { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ } البقرة 21 وقوله { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ } الزمر 2 { قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي } الزمر 14 وقوله { أَفَغَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ } الزمر 64 ثم قد يقرن بها اسم آخر كما في قوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 وقوله { فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وقول نوح { اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا } نوح 3³¹⁴

³¹³ مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 124

³¹⁴ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 163

الانبياء 93-112

وَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ {93} فَمَنْ
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ
كَاتِبُونَ {94} وَحَرَامٌ عَلَيَّ قَرْيَةٌ أَهْلَكَهَا أَنَّهُمْ لَا
يَرْجِعُونَ {95} حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْتَ بِأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِمَّنْ
كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ {96} وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ
شَاحِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ
هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ {97} إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
حَصْبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ {98} لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً
مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ {99} لَهُمْ فِيهَا زُفِيرٌ وَهُمْ
فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ {100} إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ
أُولَٰئِكَ عَنَّا مُبْعَدُونَ {101} لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ
فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ {102} لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ
الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ
تُوعَدُونَ {103} يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكَتُبِ
كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَّعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا
فَاعِلِينَ {104} وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ
الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ {105} إِنَّ فِي هَذَا
لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ {106} وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَالَمِينَ {107} قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ
فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ {108} فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ
سَوَاءٍ وَإِن أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ {109} إِنَّهُ
يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ {110} وَإِن أَدْرِي

لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ {111} قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ {112}

الاسلام علانية والايمان فى القلب

قال تعالى { وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ } {93} فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ } {94} الأنبياء 93-94 قال ابو عمر بن عبدالبر فى التمهيد الايمان والاسلام احدهما مرتبط بالآخر فهما كشيء واحد لا ايمان لمن لا اسلام له ولا اسلام لمن لا ايمان له إذ لا يخلو المسلم من ايمان به يصح اسلامه ولا يخلو المؤمن من اسلام به يحقق ايمانه من حيث اشترط الله للأعمال الصالحة الايمان واشترط للايمان الأعمال الصالحة فقال فى تحقيق ذلك قال تعالى { وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ } {93} فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ } {94} الأنبياء 93-94 وقال فى تحقيق الايمان بالعمل { وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى } طه 75 فمن كان ظاهره أعمال الاسلام ولا يرجع إلى عقود الايمان بالغيب فهو منافق نفاقا ينقل عن الملة ومن كان عقده الايمان بالغيب ولا يعمل بأحكام الإيمان وشرائع الاسلام فهو كافر كفرا لا يثبت معه توحيد ومن كان مؤمنا بالغيب مما أخبرت به الرسل عن الله عاملا بما أمر الله فهو مؤمن مسلم ولولا أنه كذلك لكان المؤمن يجوز أن لا يسمى مسلما ولجاز أن المسلم لا يسمى مؤمنا بالله وقد أجمع أهل القبله على أن كل مؤمن مسلم وكل مسلم مؤمن بالله وملائكته وكتبه قال ومثل الايمان فى الأعمال كمثل القلب فى الجسم لا ينفك أحدهما عن الآخر لا يكون ذو جسم حى لا قلب له ولا ذو قلب بغير جسم فهما شيئان منفردان وهما فى الحكم والمعنى منفصلان ومثلهما أيضا مثل حبة لها ظاهر وباطن وهى واحدة لا يقال حبتان لتفاوت صفتها فكذلك

أعمال الإسلام من الإسلام هو ظاهر الإيمان وهو من أعمال الجوارح والإيمان باطن الإسلام وهو من أعمال القلوب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الإسلام علانية والإيمان فى القلب وفى لفظ الإيمان سر فالإسلام أعمال الإيمان والإيمان عقود الإسلام فلا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بعقد ومثل ذلك مثل العمل الظاهر والباطن أحدهما مرتبط بصاحبه من أعمال القلوب وعمل الجوارح ومثله قول رسول الله إنما الأعمال بالنيات أى لا عمل إلا بعقد وقصد لأن إنما تحقيق للشيء ونفى لما سواه فأثبت بذلك عمل الجوارح من المعاملات وعمل القلوب من النيات فمثل العمل من الإيمان كمثل الشفتين من اللسان لا يصح الكلام إلا بهما لأن الشفتين تجمع الحروف واللسان يظهر الكلام وفى سقوط أحدهما بطلان الكلام وكذلك فى سقوط العمل ذهاب الإيمان ولذلك حين عدد الله نعمه على الإنسان بالكلام ذكر الشفتين مع اللسان فى قوله { أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ } {8} وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ } {9} البلد 8-9 بمعنى ألم نجعله ناظرًا متكلمًا فعبر عن الكلام باللسان والشفتين لأنهما مكان له وذكر الشفتين لأن الكلام الذى جرت به النعمة لا يتم إلا بهما³¹⁵

القلب له عمل مع التصديق

قال تعالى { وَتَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ } {93} فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ } {94} الأنبياء 93-94 أن القلب له عمل مع التصديق والظاهر قول ظاهر وعمل ظاهر وكلاهما مستلزم للباطن والمرجئة أخرجوا العمل الظاهر عن الإيمان فمن قصد منهم إخراج أعمال القلوب أيضا وجعلها هي التصديق فهذا ضلال بين

³¹⁵مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 335

ومن قصد إخراج العمل الظاهر قيل لهم العمل الظاهر لازم للعمل الباطن لا ينفك عنه وإنتفاء الظاهر دليل إنتفاء الباطن فبقي النزاع في أن العمل الظاهر هل هو جزء من مسمى الايمان يدل عليه بالتضمن أو لازم لمسمى الإيمان و التحقيق أنه تارة يدخل في الاسم وتارة يكون لازماً للمسمى بحسب افراد الاسم واقتترانه فإذا قرن الإيمان بالإسلام كان مسمى الاسلام خارجاً عنه كما في حديث جبريل وان كان لازماً له وكذلك إذا قرن الإيمان بالعمل كما في قوله { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } البقرة 82 فقد يقال اسم الإيمان لم يدخل فيه العمل وإن كان لازماً له وقد يقال بل دخل فيه وعطف عليه عطف الخاص على العام وبكل حال فالعمل تحقيق لمسمى الإيمان وتصديق له ولهذا قال طائفة من العلماء كالشيخ أبي إسماعيل الأنصاري وغيره الإيمان كله تصديق فالقلب يصدق ما جاءت به الرسل واللسان يصدق ما في القلب والعمل يصدق القول كما يقال صدق عمله قوله ومنه قول النبي العيان تزنيان وزناهما النظر والاذنان تزنيان وزناهما السمع واليد تزني وزناها البطش والرجل تزني وزناها المشي والقلب يتمنى ويشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه³¹⁶

من اتقى الله في عمل تقبله منه وان كان عاصياً في

غيره

قال تعالى { وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ } {93} فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ } {94} الأنبياء 93-94 تنازع الناس في قوله { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ

³¹⁶مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 556

اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ { المائدة 27 } فعلى قول الخوارج والمعتزلة لا تقبل حسنة الا ممن اتقاه مطلقا فلم يأت كبيرة وعند المرجئة انما يتقبل ممن اتقى الشرك فجعلوا اهل الكبائر داخلين في اسم المتقين وعند اهل السنة والجماعة يتقبل العمل ممن اتقى الله فيه فعمله خالصا لله موافقا لأمر الله فمن اتقاه في عمل تقبله منه وان كان عاصيا في غيره ومن لم يتقه فيه لم يتقبله منه وان كان مطيعا في غيره والتوبة من بعض الذنوب دون بعض كفعل بعض الحسنات المأمور بها دون بعض اذا لم يكن المتروك شرطا في صحة المفعول كالإيمان المشروط في غيره من الاعمال كما قال الله تعالى { وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا { الإسراء 19 } وقال تعالى { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً { النحل 97 } وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ { النساء 124 } وَقَالَ { وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ { البقرة 217 }³¹⁷

من عارضوا خبره بمثل هذا كيف لا يدعون معارضة القرآن وهم لا يقدرين على ذلك

قال الله تعالى { وَحَرَامٌ عَلَيَّ قَرْيَةٌ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ { 95 } حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ { 96 } وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا

³¹⁷مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 322

ظَالِمِينَ {97} إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا
وَارِدُونَ {98} لَوْ كَانَ هُوَ لِآءِ آلِهَةٍ مَّا وَرَدُّوَهَا وَكُلًّا فِيهَا
خَالِدُونَ {99} لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا

يَسْمَعُونَ {100} الأنبياء 95- 100 ومعلوم أن إرادتهم (الكفار
من قريش والعرب) كانت من أشد الإرادات على تكذيبه وإبطال
حجته وأنهم كانوا أحرص الناس على ذلك و ما علم بالتواتر من
أنهم كانوا من أشد الناس حرصا ورغبة على إقامة حجة يكذبونه
بها حتى كانوا يتعلقون بالنقض مع وجود الفرق فإنه لما نزل
إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عارضوه بالمسيح
حتى فرق الله تعالى بينها بقوله إن الذين سبقت لهم منا
الحسنى أولئك عنها مبعدون وقال تعالى ولما ضرب ابن
مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا أءلهتنا خير أم هو ما
ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون فمن عارضوا خبره
بمثل هذا كيف لا يدعون معارضة القرآن وهم لا يقدرّون على
ذلك وقوله وما تعبدون خطاب للمشركين لم يدخل فيه أهل
الكتاب ولا تناول اللفظ المسيح كما يظنه ظان من الظانين بل هم
عارضوه بالمسيح من باب القياس يقولون إذا كانت الأنبياء من
حصب جهنم لأنها معبودة كذلك المسيح وهذا كما قال تعالى
ولما ضرب ابن مريم مثلا فإنهم جعلوه مثلا لآلهتهم ولم
يوردوه لشمول اللفظ كما يظن ذلك بعض المصنفين في الأصول
ولهذا بين الله الفرق بين المسيح وبين آلهتهم بأن المسيح عبد الله
يستحق الثواب ولا يظلم بذنب غيره بخلاف الحجارة وإن في
جعلهم من الأنبياء حصب جهنم إهانة له بذلك من غير ظلم³¹⁸

**{ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا
وَارِدُونَ }**

³¹⁸ العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 209

قال الله تعالى { وَحَرَامٌ عَلَيَّ قَرْيَةٌ أَهْلَكُنَاهَا أَنَّهُمْ لَا
يَرْجِعُونَ } {95} حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِمَّنْ كُلِّ
حَدَبٍ يَنْسِلُونَ } {96} وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ
أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلَّ كُنَّا
ظَالِمِينَ } {97} إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا
وَارِدُونَ } {98} لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُّوهَا وَكُلٌّ فِيهَا
خَالِدُونَ } {99} لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ وَهُمْ فِيهَا لَا

يَسْمَعُونَ } {100} {الأنبياء 95-100} وقول القائل لو احسن احكم
ظنه بحجر لنفعه الله به هو من كلام أهل الشرك والبهتان فان
عباد الاصنام أحسنوا ظنهم بها فكانوا هم واياها من حصب جهنم
كما قال الله تعالى { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ
أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ } {الأنبياء 98} لكن قال النبي يقول الله تعالى
أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فان ذكرني في نفسه
ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم
وان تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا وان تقرب إلى ذراعا
تقربت إليه باعا وان أتاني يمشي أتيته هرولة³¹⁹

الشرع دائما يبطل القياس الفاسد كقياس ابليس وقياس

المشركين

قال الله تعالى { وَحَرَامٌ عَلَيَّ قَرْيَةٌ أَهْلَكُنَاهَا أَنَّهُمْ لَا
يَرْجِعُونَ } {95} حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِمَّنْ كُلِّ
حَدَبٍ يَنْسِلُونَ } {96} وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ
أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلَّ كُنَّا
ظَالِمِينَ } {97} إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا
وَارِدُونَ } {98} لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُّوهَا وَكُلٌّ فِيهَا

³¹⁹مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 514

خَالِدُونَ {99} لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ {100} إِنَّ
 الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ {101} لَا
 يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ {102} لَا
 يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ
 تُوعَدُونَ {103} الأنبياء 95-103 كان النبي صلى الله عليه
 وسلم إذا أورد عليه بعض المشركين أو أهل الكتاب أو المسلمين
 سؤالاً يوردونه على القرآن فإنه كان يجيبه عنه كما أجاب ابن
 الزبيري لما قاس المسيح على آلهة المشركين وظن أن العلة في
 الأصل بمجرد كونهم معبودين وأن ذلك يقتضي كل معبود غير
 الله فإنه يعذب في الآخرة فجعل المسيح مثلاً لآلهة المشركين
 قاسمهم عليه قياس الفرع على الأصل قال تعالى { وَلَمَّا ضُرِبَ
 ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ } {57} وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ
 هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ } {58} الزخرف
 57 58 فبين سبحانه الفرق المانع من إحقاق المسيح بالهتهم
 بقوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا
 مُبْعَدُونَ } الأنبياء 101 وبين أن هؤلاء القائسين ما قاسوه إلا جدلاً
 محضاً لا يوجب علماً لأن الفرق حاصل بين الفرع والأصل فإن
 الأصنام إذا جعلوا حصياً جهنم كان ذلك إهانة وخزياً لعابديها
 من غير تعذيب من لا يستحق التعذيب بخلاف ما إذا عذب عباد
 الله الصالحون بذنب غيرهم فإن هذا لا يفعله الله تعالى لا سيما
 عند جماهير المسلمين وسائر أهل الملل سلفهم وخلفهم الذين
 يقولون إن الله لا يخلق ويأمر إلا لحكمة ولا يظلم أحداً فينقصه
 شيئاً من حسناته ولا يحمل عليه شئيات غيره بل ولا يعذب أحداً
 إلا بعد إرسال رسول إليه كما قال تعالى { وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْرَ
 الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا } {112} طه
 112 ومن قال من المسلمين وغيرهم من أهل الملل إنه يجوز
 منه تعالى فعل كل شيء وأن الظلم هو الممتنع الذي لا يدخل
 تحت القدرة فهؤلاء يقولون إنما يعلم ما يفعله وما لا يفعله بدلالة

خبر الصادق أو بالعادة وإن كان الجمهور يستدلون بخبر الصادق وبغيره على ما يمتنع من الله وقد أخبر الله تعالى أن عباده الصالحين في الجنة لا يعذبهم في النار بل يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة فضلا أن يعاقبهم بذنب غيرهم مع كراهية لفعلهم ونهيهم عن ذلك ومن زعم أن لفظ ما كانت تتناول المسيح وأخر بيان العام أو أجاب بأن لفظ ما لا يتناول إلا ما لا يعقل فالقولان ضعيفان كما قد بسط في موضعه وإنما المشركون عارضوا النص الصحيح بقياس فاسد فبين الله تعالى فساد القياس وذكر الفرق بين الأصل والفرع³²⁰

ففي الجملة الشيء إذا شابه غيره في وصف وفارقه في وصف كان اختلافهما في الحكم باعتبار الفارق مخالفا لاستوائهما باعتبار الجامع لكن هذا هو القياس الصحيح طردا وعكسا وهو التسوية بين المتماثلين والتفريق بين المختلفين واما التسوية بينهما في الحكم مع افتراقهما فيما يوجب الحكم ويمنعه فهذا قياس فاسد والشرع دائما يبطل القياس الفاسد كقياس ابليس وقياس المشركين الذين قالوا { إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا } البقرة 275 والذين قاسوا الميت على المذكي وقالوا اتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله فجعلوا العلة في الاصل كونه قتل آدمى وقياس الذين قاسوا المسيح على اصنامهم فقالوا لما كانت الهتنا تدخل النار لانها عبدت من دون الله فكذلك ينبغي ان يدخل المسيح النار قال الله تعالى { وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونُ } {57} وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ

³²⁰مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 67 و الجواب الصحيح ج: 1 ص:

إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ {58} الزخرف 57-58 وهذا كان وجه مخاصمة ابن الزبير لما انزل الله {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ {98} لَوْ كَانَ هُوَ لِآءِ إِلَهَةٍ مَّا وَّرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ {99} الأنبياء 98-99 فان الخطاب للمشركين لا لاهل الكتاب والمشركون لم يعبدوا المسيح وانما كانوا يعبدون الاصنام والمراد بقوله { وَمَا تَعْبُدُونَ } الأنبياء 98 الاصنام فالاية لم تتناول المسيح لا لفظا ولا معنى وقول من قال ان الآية عامة تتناول المسيح ولكن اخر بيان تخصيصها غلط منه ولو كان ذلك صحيحا لكانت حجة المشركين متوجهة فان من خاطب بلفظ العام يتناول حقا وباطلا لم يبين مراده توجه الاعتراض عليه وقد قال تعالى { وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا } الزخرف 57 اى هم ضربوه مثلا كما قال { مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا } الزخرف 58 اى جعلوه مثلا لالهتهم ففاسوا الالهة عليه واوردوه مورد المعارضة فقالوا اذا دخلت الهتنا النار لكونها معبودة فهذا المعنى موجود فى المسيح فيجب ان يدخل النار وهو لايدخل النار فهى لا تدخل النار وهذا قياس فاسد لظنهم ان العلة محرد كونه معبودا وليس كذلك بل العلة انه معبود ليس مستحقا لثواب او معبود لاظلم فى ادخاله النار فالمسيح والعزير والملائكة وغيرهم ممن عبد من دون الله وهو من عباد الله الصالحين وهو مستحق لكرامة الله بوعد الله وعدله وحكمته فلا يعذب بذنب غيره فانه لا تزر وازرة وزر اخرى والمقصود بالقاء الاصنام فى النار اهانة عابديها واولياء الله لهم الكرامة دون الاهانة فهذا الفارق بين فساد تعليق الحكم بذلك الجامع والاقيسة الفاسدة من هذا الجنس فمن قال ان الشريعة تاتى بخلاف مثل هذا القياس فقد أصاب وهذا من كمال الشريعة واشتمالها على العدل والحكمة التى بعث الله بها رسوله ومن لم يخالف مثل هذه الاقيسة الفاسدة بل سوى بين الشيتين باشتراكهما فى امر من الامور لزمه ان يسوى بين كل موجودين لاشتراكهما

فى مسمى الوجود فىسوى بين رب العالمين وبين بعض
المخلوقين فىكون من الذين هم بربهم يعدلون ويشركون فان هذا
من اعظم القياس الفاسد وهؤلاء يقولون { تَأْتِيهِمْ لُجُجٌ مِنَ السَّمَاءِ
مُؤْتَبِرًا وَبِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا } الشعراء 97-98
ولهذا قال طائفة من السلف أول من قاس ابليس وما عبت
الشمس والقمر الا بالمقاييس اى بمثل هذه المقاييس التى يشته
فىها الشيء بما يفارقه كاقيسة المشركين ومن كان له معرفه
بكلام الناس فى العقليات راي عامة ضلال من ضل من الفلاسفة
والمتمكين بمثل هذه الاقيسة التى يسوى فيها بين الشئين
لاشتراكها فى بعض الامور مع ان بينهما من الفرق ما يوجب
أعظم المخالفة واعتبر هذا بكلامهم فى وجود الرب ووجود
المخلوقات فان فيه من الاضطراب ما قد بسطناه فى غير هذا
الموضع³²¹

من رضى بأن يعبد ويطاع فى معصية الله فهو مستحق للوعيد

قال الله تعالى { وَحَرَامٌ عَلَيَّ قَرْيَةٌ أَهْلَكَناها أَنَّهُمْ لَا
يَرْجِعُونَ } 95 { حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِمَّنْ كُلِّ
حَدَبٍ يَنْسِلُونَ } 96 { واقْتَرَبَ الوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ
أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا
ظَالِمِينَ } 97 { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا
وَارِدُونَ } 98 { لَوْ كَانَ هُوَ لَاءَ إِلَهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا
خَالِدُونَ } 99 { لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا
يَسْمَعُونَ } 100 { الأنبياء 95- 100 قال تعالى { احشُرُوا الَّذِينَ

³²¹ مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 540

ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ {22} الصافات 22 فان هؤلاء والذين أمروهم بهذا هم جميعا معذبون وقال

{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ {الأنبياء 98 وانما يخرج من هذا من عبد مع كراهته لأن يعبد ويطاع فى معصية الله فهم الذين سبقت لهم الحسنى كالمسيح والعزير وغيرهما فأولئك مبعدون وأما من رضى بأن يعبد ويطاع فى معصية الله فهو مستحق للوعيد ولو لم يأمر بذلك فكيف اذا أمر وكذلك من أمر غيره بأن يعبد غير الله وهذا من أزواجهم فان أزواجهم قد يكونون رؤساء لهم وقد يكونون اتباعا وهم أزواج وأشباه لتشابههم فى الدين وسياق الآية يدل على ذلك فانه سبحانه قال {احشروا الذين ظلموا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ {22} مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ {23} الصافات 22-23 قال ابن عباس دلوهم وقال الضحاك مثله وقال ابن كيسان قدموهم والمعنى قودوهم كما يقود الهادى لمن يهديه ولهذا تسمى الأعتاق الهوادى لأنها تقود سائر البدن وتسمى أوائل الوحش الهوادى {وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ {24} مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ {25} الصافات 24-25 أى كما كنتم تتناصرون فى الدنيا على الباطل {بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ {26} وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ {27} قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ {28} قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ {29} وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَآغِينَ {30} فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَاقُونَ {31} فَأَعْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ {32} فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ {33} إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ {34} إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ {35} وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ {36} بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ {37} إِنَّكُمْ لَذَاقُونَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ {38} وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ {39} الصافات 26-39 وقال تعالى {قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَّةٍ قَدْ

خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ
 أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا
 هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن
 لَا تَعْلَمُونَ {38} وَقَالَتْ أَوْلَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ
 فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ {39} الأعراف 38-39
 وقال تعالى {وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ
 اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ
 {47} قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ
 الْعِبَادِ {48} غافر 47-48 وقال تعالى { وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ
 مَوْفُوقُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ
 اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ {31} قَالَ الَّذِينَ
 اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذٍ
 جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ {32} وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ
 اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ
 لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي
 أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {33} سبأ 31-
 33 وقوله في سياق الآية { إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 يَسْتَكْبِرُونَ {35} الصافات 35 ولا ريب أنها تتناول الشركين
 الأصغر والأكبر وتتناول أيضا من استكبر عما أمره الله به من
 طاعته فان ذلك من تحقيق قول لا اله الا الله فان الاله هو
 المستحق للعبادة فكل ما يعبد به الله فهو من تمام تأله العباد له
 فمن استكبر عن بعض عبادته سامعا مطيعا في ذلك لغيره لم
 يحقق قول لا اله الا الله في هذا المقام وهؤلاء الذين اتخذوا
 أخبارهم ورهبانهم أربابا حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله
 وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين أحدهما أن
 يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل
 ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعا لرؤسائهم مع علمهم أنهم
 خالفوا دين الرسل فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله شركا وان لم

يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركا مثل هؤلاء و الثاني أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتا لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص ف هؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب كما ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال إنما الطاعة في المعروف وقال على المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية وقال لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقال من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه³²²

بطلان الاحتجاج بقوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون

سئل شيخ الإسلام حسنة الأيام أحد المجتهدين قانع المبتدعين تقي الدين أحمد بن عبد السلام ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي رضي الله عنه عن قوم يحتجون بالقدر ويقولون قد قضى الأمر من الذر فالسعيد سعيد والشقى شقى من الذر ويحتجون بقوله تعالى قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ } الأنبياء 101 ويقولون ما لنا في جميع الأفعال قدرة وإنما القدرة لله تعالى قدر الخير والشر وكتبه علينا والمراد بيان خطأ هؤلاء بالأدلة القاطعة ويقولون من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ويحتجون بالحديث الذي فيه

³²² مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 68- 74

قوله صلى الله عليه وسلم وإن زنا وإن سرق وبغير ذلك فما الجواب عن هذا جميعه أفتونا ماجورين؟

قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ } {101} لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ } {102} لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَيَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } {103} الأنبياء 101-103

فأجاب نفعنا الله بعلمه الحمد لله رب العالمين هؤلاء القوم إذا صبروا على هذا الاعتقاد كانوا أكفر من اليهود والنصارى فإن النصارى واليهود يؤمنون بالأمر والنهي والوعد والوعيد والثواب والعقاب لكن حرفوا وبدلوا وآمنوا ببعض وكفروا ببعض كما قال تعالى إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله عفورا رحيفا فإذا كان من آمن ببعض وكفر ببعض فهو كافر حقا فكيف بمن كفر بالجميع ومن لم يقر بأمر الله ونهيه ووعده ووعيده بل ترك ذلك محتجا بالقدر فهو أكفر ممن آمن ببعض وكفر ببعض وقول هؤلاء يظهر بطلانه من وجوه أحدها أن الواحد من هؤلاء إما أن يرى القدر حجة للعبد وإما أن لا يراه حجة للعبد فإن كان القدر حجة للعبد فهو حجة لجميع الناس فإنهم كلهم مشتركون في القدر وحينئذ يلزمه أن لا ينكر على من يظلمه ويشتمه ويأخذ ماله ويفسد حريمه ويضرب عنقه ويهلك الحرث والنسل وهؤلاء جميعهم كذابون متناقضون فإن أحدهم لا يزال يذم هذا ويبغض هذا ويخالف هذا حتى إن الذي ينكر عليهم يبغضونه ويعادونه وينكرون عليه فإذا كان القدر حجة لمن فعل المحرمات وترك الواجبات لزمهم أن لا يذموا أحدا ولا يبغضوا

أحدا ولا يقولون عن أحد أنه ظالم ولو فعل ما فعل ومعلوم أن هذا لا يمكن أحدا فعله ولو فعل الناس هذا لهلك العالم فتيبين أن قولهم فاسد في العقل كما أنه كفر في الشرع وأنهم كذابون مفتررون في قولهم إن القدر حجة للعبد الوجه الثاني أن هذا يلزم منه أن يكون إبليس وفرعون وقوم نوح وقوم هود وكل من أهلكه الله بذنوبه معذورين وهذا من الكفر الذي اتفق عليه أرباب الملل الوجه الثالث أن هذا يلزم منه أن لا يفرق بين أولياء الله وأعداء الله ولا بين المؤمنين والكفار ولا أهل الجنة وأهل النار وقد قال تعالى { وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ } {19} وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ } {20} وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ } {21} وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ } {22} فاطر 19-22 وقال تعالى { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ } ص 28 وقال تعالى { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } الجاثية 21 وذلك أن هؤلاء جميعهم سبقت لهم من الله تعالى السوابق وكتب الله تعالى مقاديرهم قبل أن يخلقهم وهم مع هذا قد انقسموا إلى سعيد بالإيمان والعمل الصالح وإلى شقي بالكفر والفسوق والعصيان فعلم بذلك أن القضاء والقدر ليس بحجة لأحد على معاصي الله تعالى الوجه الرابع أن القدر نؤمن به ولا نحتج به فمن احتج بالقدر فحجته داحضة ومن اعتذر بالقدر فعذره غير مقبول ولو كان الاحتجاج بالقدر مقبولا لقبل من إبليس وغيره من العصاة ولو كان القدر حجة للعباد لم يعذب الله أحدا من الخلق لا في الدنيا ولا في الآخرة ولو كان القدر حجة لم يقطع سارق ولا قاتل قاتل ولا أقيم حد على ذي جريمة ولا جوهدي في سبيل الله ولا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر الوجه الخامس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن هذا فإنه قال ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة فقيل يا رسول الله أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعملوا فكل ميسر

لما خلق له رواه البخاري ومسلم وفي حديث آخر في الصحيح أنه قيل له يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس فيه ويكدحون أفيما جفت به الأقلام وطويت به الصحف فقيل ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له الوجه السادس أن يقال إن الله تعالى علم الأمور وكتبها على ما هي عليه فهو سبحانه قد كتب أن فلانا يؤمن ويعمل صالحا فيدخل الجنة وفلانا يفسق ويعصي فيدخل النار كما علم وكتب أن فلانا يتزوج امرأة ويطؤها فيأتيه ولد وأن فلانا يأكل ويشرب فيشبع ويروى وأن فلانا يبذر البذر فينبت الزرع فمن قال إن كنت من أهل الجنة فأنا أدخلها بلا عمل صالح كان قوله قولاً باطلاً متناقضاً لما علمه الله وقدره ومثال من يقول أنا لا أطأ امرأة فإن كان الله قضى لي بولد فهو يولد فهذا جاهل فإن الله تعالى إذا قضى بالولد قضى أن أباه يطأ امرأة فتحبل وتلد فأما الولد بلا حبل ولا وطء فإن الله لم يقدره ولم يكتبه كذلك الجنة إنما أعدها الله تعالى للمؤمنين فمن ظن أنه يدخل الجنة بلا إيمان كان ظنه باطلاً وإذا اعتقد أن الأعمال التي أمر الله بها لا يحتاج إليها ولا فرق بين أن يعملها أو لا يعملها كان كافراً والله قد حرم الجنة إلا على أصحابها فصل وأما قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ } الأنبياء 101 فمن سبق له من الله الحسنى فلا بد أن يصير مؤمناً تقياً فمن لم يكن من المؤمنين لم تسبق له من الله الحسنى لكن الله إذا سبق للعبد منه سابقة استعمله بالعمل الذي يصل به إلى تلك السابقة كمن سبق له من الله تعالى أن يولد له ولد فلا بد أن يطأ امرأة يحبلها فإن الله سبحانه وتعالى قدر الأسباب والمسببات فسبق منه هذا وهذا فمن ظن أن أحداً سبق له من الله الحسنى بلا سبب فقد ضل بل هو سبحانه ميسر الأسباب والمسببات وهو قد قدر فيما مضى هذا وهذا فصل ومن قال أن آدم عليه الصلاة والسلام ما عصى فهو مكذب للقرآن يستتاب فإن تاب وإلا قتل فإن الله تعالى قال { وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ } {121} ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ {122} طه 121-122 ثم

اجتباها ربه فتاب عليه وهدى والمعصية هي مخالفة الأمر الشرعي فمن خالف أمر الله الذي أرسل فيه رسله وأنزل به كتبه فقد عصاه وإن كان داخلا فيما قدره الله وقضاه وهؤلاء ظنوا أن المعصية هي الخروج عن قدر الله فإن لم تكن المعصية إلا هذا فلا يكون إبليس وفرعون وقوم نوح وقوم عاد وثمود وجميع الكفار عصاة أيضا لأنهم داخلون في قدر الله تعالى ثم قائل هذا يضرب ويهان فإذا تظلم ممن فعل ذلك به قيل له هذا الذي فعل هذا ليس هو بعاص لله تعالى فإنه داخل في قدر الله عز وجل كسائر الخلق وقائل هذا القول متناقض لا يثبت على حال³²³

وسئل رحمة الله عن قوله تعالى {وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ} هود 108 وقوله تعالى {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكَتُبِ} الأنبياء 104 ؟

قال تعالى { يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكَتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ } الأنبياء 104 فأجاب الحمد لله قال طوائف من العلماء ان قوله { مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ } هود 108 أراد بها سماء الجنة وأرض الجنة كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا سألتكم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة وسقفه عرش الرحمن وقال بعض العلماء في قوله تعالى { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } الأنبياء 105 هي أرض الجنة وعلى هذا فلا

³²³دقائق التفسير ج: 2 ص: 367-370 و مجموع الفتاوى ج: 8 ص:

منافاة بين انطواء هذه السماء وبقاء السماء التي هي سقف الجنة إذا كلما علا فإنه يسمى فى اللغة سماء كما يسمى السحاب سماء والسقف سماء وأيضا فإن السموات وأن طويت وكانت كالمهل وإستحالت عن صورتها فإن ذلك لا يوجب عدمها وفسادها بل أصلها باق بتحويلها من حال إلى حال كما قال تعالى {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ} إبراهيم 48 وإذا بدلت فإنه لا يزال سماء دائمة وأرض دائمة والله أعلم³²⁴

القول الذى عليه السلف و جمهور العقلاء من أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال

قال تعالى {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} الأنبياء 104 والقول الذى عليه السلف و جمهور العقلاء من أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال إنما يذكره عن الفلاسفة و الأطباء و هذا القول و هو القول فى خلق الله للأجسام التى يشاهد حدوثها أنه يقبلها و يحيلها من جسم إلى جسم هو الذى عليه السلف و الفقهاء قاطبة و الجمهور و لهذا يقول الفقهاء فى النجاسة هل تطهر بالإستحالة أم لا كما تستحيل العذرة رمادا و الخنزير و غيره ملحا و نحو ذلك و المنى الذى فى الرحم يقبله الله علقة ثم مضغة و كذلك الثمر يخلق بقلب المادة التى يخرجها من الشجرة من الرطوبة مع الهواء و الماء الذى نزل عليها غير ذلك من المواد التى يقبلها ثمرة بمشيئته و قدرته و كذلك الحبة يفلقها و تنقلب المواد التى يخلقها منها سنبله و شجرة و غير ذلك و هكذا خلقه لما يخلقه سبحانه و تعالى كما خلق آدم من الطين فقلب حقيقة الطين

³²⁴ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 109-110 و دقائق التفسير ج: 2 ص:

فجعلها عظما و لحما و غير ذلك من أجزاء البدن و كذلك المضغة يقبلها عظاما و غير عظام قال الله تعالى { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ {12} ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ {13} ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ {14} ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ {15} ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ {16} } المؤمنون 12-16 و كذلك النار يخلقها بقلب بعض أجزاء الزناد نارا كما قال تعالى { الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا } يس 80 فنفس تلك الأجزاء التي خرجت من الشجر الأخضر جعلها الله نارا من غير أن يكون كان في الشجر الأخضر نار أصلا كما لم يكن في الشجرة ثمرة أصلا و لا كان في بطن المرأة جنين أصلا بل خلق هذ الموجود من مادة غيره بقلبه تلك المادة إلى هذا و بما ضمه إلى هذا من مواد آخر و كذلك الإعادة يعيده بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب كما ثبت في الصحيح عن النبي صلبالله عليه و سلم أنه قال كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق ابن آدم و منه يركب و هو إذا أعاد الإنسان في النشأة الثانية لم تكن تلك النشأة مماثلة لهذه فإن هذه كائنة فاسدة و تلك كائنة لا فاسدة بل باقية دائمة و ليس لأهل الجنة فضلات فاسدة تخرج منهم كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال أهل الجنة لا يبولون و لا يتغوطون و لا ولا لا يبصقون و لا يتمخطون و إنما هو رشح كرشح المسك و في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال يحشر الناس حفاة عراة غرلا ثم قرأ { كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ } الأنبياء 104 فهم يعودون غلفا لا مختونين وقال الحسن البصري و مجاهد كما بدأكم فخلقكم في الدنيا و لم تكونوا شيئا كذلك تعودون يوم القيامة أحياء و قال قتادة بدأهم من التراب و إلى التراب يعودون كما قال تعالى { مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا

نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى } طه 55 و قال { قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ } الأعراف 25 و هو قد شبه سبحانه إعادة الناس في النشأة الأخرى بإحياء الأرض بعد موتها في غير موضع كقوله و { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } الأعراف 57 و قال { وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا هَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ } ق 7 إلى قوله { وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَّيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ } ق 11 و قال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن نَّبَرٍ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَمُوتُ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمَرِ لِكَيْلًا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ } 5 { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } 6 { الحج 5-6 و قال تعالى { وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ } فاطر 9 و هو سبحانه مع إخباره أنه يعيد الخلق و أنه يحيى العظام و هي رميم و أنه يخرج الناس من الأرض تارة أخرى هو يخبر أن المعاد هو المبدأ كقوله تعالى { وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ } الروم 27 و يخبر أن الثاني مثل الأول كقوله تعالى { وَقَالُوا أَنَّىٰ كُنَّا عِظَامًا وَرِفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا } 98 { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ } 99 { الاسراء 98-99 و قال تعالى { وَقَالُوا أَنَّىٰ كُنَّا عِظَامًا وَرِفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا } 49 { قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا } 50 { أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ

رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً {51} يَوْمَ
يَذُوعُكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا {52}
الاسراء 49-52 وقال تعالى {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ
{يس 81} وقال تعالى {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى
بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {الأحقاف 33} وقال {أَفَرَأَيْتُمْ مَا
تُمْنُونَ {58} أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ {59} نَحْنُ قَدَرْنَا
بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ {60} عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ
وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ {61} وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا
تَذَكَّرُونَ {62} الواقعة 58-62 و المراد بقدرته على خلق
مثلهم هو قدرته على إعادتهم كما أخبر بذلك في قوله {أَوَلَمْ يَرَوْا
أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى
أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى {الأحقاف 33} فإن القوم ما كانوا ينازعون
في أن الله يخلق في هذه الدار ناسا أمثالهم فإن هذا هو الواقع
المشاهد يخلق قرنا بعد قرن يخلق الولد من الوالدين و هذه هي
النشأة الأولى و قد علموها و بها إحتج عليهم على قدرته على
النشأة الآخرة كما قال {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ
{ الواقعة 62} وقال {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ
مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ {78} قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ
مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ {79} يس 78-79 و قال {يَا أَيُّهَا
النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ثَرَابٍ ثُمَّ مِّن
نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ
{الحج 5} و لهذا قال {عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ
فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ { الواقعة 61} قال الحسن بن الفضل البجلي
{ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ } الذي عندي في هذه الآية
{61} {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى {62} الواقعة 61-62 أي
أخفكم للبعث بعد الموت من حيث لا تعلمون كيف شئت و ذلك

أنكم علمتم النشأة الأولى كيف كانت فى بطون الأمهات و ليست الأخرى كذلك و معلوم أن النشأة الأولى كان الإنسان نطفة ثم علقه ثم مضغة مخلقة ثم ينفخ فيه الروح و تلك النطفة من منى الرجل و المرأة و هو يعذبه بدم الطمث الذي يربي به الجنين فى ظلمات ثلاث ظلمة المشيمة و ظلمة الرحم و ظلمة البطن و النشأة الثانية لا يكونون فى بطن امرأة و لا يغذون بدوم و لا يكون أحدهم نطفة رجل و امرأة ثم يصير علقه بل ينشئون نشأة أخرى و تكون المادة من التراب كما قال { مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى } طه 55 و قال تعالى { فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ } الأعراف 25 { وَاللَّهُ أَنْبَتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا } 17 { ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا } 18 { نوح 17-18 و فى الحديث أن الأرض تمطر مطرا كمنى الرجال ينبتون فى القبور كما ينبت النبات كما قال تعالى { كَذَلِكَ الْخُرُوجُ } ق 11 { كَذَلِكَ النُّشُورُ } فاطر 9 { كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } الأعراف 57 فعلم أن النشأتين نوعان تحت جنس ينفقان و يتماثلان و يتشابهان من و جه و يفترقان و يتنوعان من و جه آخر و لهذا جعل المعاد هو المبدأ و جعل مثله أيضا فباعتبار إتفاق المبدأ و المعاد فهو هو و بإعتبار ما بين النشأتين من الفرق فهو مثله و هكذا كل ما أعيد فلفظ الإعادة يقتضى المبدأ و المعاد سواء فى ذلك إعادة الأجسام و الأعراض كإعادة الصلاة و غيرها فإن النبى صلى الله عليه و سلم مر برجل يصلي خلف الصف وحده فأمره أن يعيد الصلاة و يقال للرجل أعد كلامك و فلان قد أعاد كلام فلان بعينه و يعيد الدرس فالكلام هو الكلام و إن كان صوت الثاني غير صوت الأول حركته و لا يطلق القول عليه أنه مثله بل قد قال تعالى { قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ } الإسراء 88 و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا و إن كان

يسمى مثلاً مقيداً حتى يقال لمن حكى كلام غيره هكذا قال فلان أي مثل هذا قال و يقال فعل هذا عوداً على بدء إذا فعله مرة ثانية بعد أولى و منه البئر البدي و البئر العادي فالبدي التي ابتدئت و العادي التي أعيدت و ليست بنسبة إلى عاد كما قيل و يقال إستعدته الشيء فأعاده إذا سألته ان يفعله مرة ثانية و منه سميت العادة يقال عادة و إعتاده و تعوده أي صار عادة له و عود كلبه الصيد فتعوده و هو المعاودة و المعاودة الرجوع إلى الأمر الأول و يقال الشجاع معاود لأنه لا يمل المراس و عاودته الحمى و عاوده بالمسألة أي سأله مرة بعد مرة و تعاود القوم في الحرب و غيرها إذا عاد كل فريق إلى صاحبه و العواد بالضم ما أعيد من الطعام بعد ما أكل منه مرة أخرى و عواد بمعنى عد مثل نزال بمعنى أنزل ففي جميع هذه المواضع يستعمل لفظ الإعادة بإعتبار الحقيقة فإن الحقيقة الموجودة في المرة الثانية هي الأولى و إن تعدد الشخص و لهذا يقال هو مثله و يقال هذا هو هذا و كلاهما صحيح و أعني بالحقيقة الأمر الذي يختص بذلك الشخص ليس المراد القدر المشترك بين الفاعلين فإن من فعل مثل فعل غيره لا يقال أعاده و إنما يقال حاكاه و شابهه بخلاف ما إذا فعلاً ثانياً مثل ما فعل أولاً فإنه يقال أعاد فعله و كذلك يقال لمن أعاد كلام غيره قد أعاده و لا يقال لمن أنشأ مثله قد أعاده و هذا يقال قريء على هذا و أعاد على هذا و هذا يقرأ أي يدرس و هذا يعيد و لو كان كلاماً آخر مما يماثله لم يقل فيه يعيد و كذلك من كسر خاتماً أو غيره من المصوغ يقال أعده كما كان و يقال من هدم داراً أعدها كما كانت بخلاف من أنشأ أخرى مثلها فإن هذا لا يسمى معيداً و المعاد يقال فيه هذا هو الأول بعينه و يقال هذا مثل الأول من كل و جه و نحو ذلك من العبارات الدالة على أنه هو هو من و جه و هو مثله من و جه و بهذا تزول الشبهات الواردة على هذا الموضوع كقول من قال الإعادة لا تكون إلا مع إعادة ذلك الزمان و نحو ذلك مما يمنع إعادته في صريح العقل و إنما يعاد بالإتيان بمثله و إن قال بعض المتكلمين أنه لا مغايرة

أصلا بوجه من الوجوه و الإعادة التي أخبر الله بها هي
الإعادة المعقولة في هذا الخطاب و هي الإعادة التي فهمها
المشركون و المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و
هي التي يدل عليها لفظ الإعادة و المعاد هو الأول بعينه و إن
كان بين لوازم الإعادة و لوازم البداية فرق فذلك الفرق لا يمنع أن
يكون قد أعيد الأول ليس الجسد الثاني مابينا للأول من كل و جه
كما زعم بعضهم و لا أن النشأة الثانية كالأولى من كل و جه كما
ظن بعضهم و كما إنه سبحانه خلق الإنسان و لم يكن شيئا كذلك
يعيده بعد أن لم يكن شيئا و على هذا فالإنسان الذي صار ترابا و
نبت من ذلك التراب نبات آخر أكله إنسان آخر و هلم جرا و
الإنسان الذي أكله إنسان أو حيوان و أكل ذلك الحيوان إنسانا
آخر ففي هذا كله قد عدم هذا الإنسان و هذا الإنسان و صار كل
منهما ترابا كما كان قبل أن يخلق ثم يعاد هذا و يعاد هذا من
التراب و إنما يبقى عجب الذنب منه خلق و منه يركب و
أما سائرهم فعدم فيعاد من المادة التي إستحال إليها فإذا إستحال في
القبر الواحد ألف ميت و صاروا كلهم ترابا فإنهم يعادون و
يقومون من ذلك القبر و ينشئهم الله تعالى بعد أن كانوا عدما
محضا كما أنشأهم أولا بعد أن كانوا عدما محضا و إذا صار
ألف إنسان ترابا في قبر أنشأ هؤلاء من ذلك القبر من غير أن
يحتاج أن يخلقهم كما خلقهم في النشأة الأولى التي خلقهم منها من
نطفة ثم من علقة ثم من مضغة و جعل نشأتهم بما يستحيل إلى
أبدانهم من الطعام و الشراب كما يستحيل إلى بدن أحدهم ما يأكله
من نبات و حيوان و كذلك لو أكل إنسانا أو أكل حيوانا قد أكل
إنسانا فالنشأة الثانية لا يخلقهم فيها بمثل هذه الإستحالة بل يعيد
الأجساد من غير أن ينقلهم من نطفة إلى علقة إلى مضغة و من
غير أن يغذوها بدم الطمث و من غير أن يغذوها بلبن الأم و
بسائر ما يأكله من الطعام و الشراب فمن ظن أن الإعادة تحتاج
إلى إعادة الأغذية التي إستحالت إلي أبدانهم فقد غلط
و حينئذ فإذا أكل إنسان إنسانا فإنما صار غذاء له كسائر الأغذية

و هو لا يحتاج إلى إعادة الأغذية و معلوم أن الغذاء ينزل إلى المعدة طعاما و شرابا ثم يصير كلوسا كالثرده ثم كيموسا كالحريرة ثم ينطبخ دما فيقسمه الله تعالى في البدن كله و يأخذ كل جزء من البدن نصيبه فيستحيل الدم إلى شبيه ذلك الجزء العظم عظاما و اللحم لحما و العرق عرقا و هذا في الرزق كإستحالتهم في مبدأ الخلق نطفة ثم علقه ثم مضغة و كما أنه سبحانه لا يحتاج في الإعادة إلى أن يحيل أحدهم نطفة ثم علقه ثم مضغة فكذلك أغذيتهم لا يحتاج أن يجعلها خيزا و فاكهة و لحما ثم يجعلها كلوسا و كيموسا ثم دما ثم عظاما و لحما و عروقا بل يعيد هذا البدن على صفة أخرى لنشأة ثانية ليست مثل هذه النشأة كما قال { وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ } الواقعة 61 و لا يحتاج مع ذلك إلى شيء من هذه الإستحالات التي كانت في النشأة الأولى و بهذا يظهر الجواب عن قوله البدن دائما في التحلل فإن تحلل البدن ليس بأعجب من إنقلاب النطفة علقه و العلقه مضغة و حقيقة كل منهما خلاف حقيقة الأخرى³²⁵

" إن الله خلق الخلق و علم ما هم عاملون ثم قال لعلمه كن كتابا فكان كتابا ثم أنزل تصديق ذلك "

قال تعالى { وَوَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } 105 { إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ } 106 { الأنبياء 105-106 قال تعالى { إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } القمر 49 وهو سبحانه يعلم قبل أن يخلق الأشياء كل ما سيكون و هو يخلق بمشيئته فهو يعلمه ويريده و علمه و إرادته قائم بنفسه و قد يتكلم به و يخبر به كما في قوله { وَوَلَقَدْ

³²⁵مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 248-259

سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ {171} إِنَّهُمْ لَهُمُ
الْمَنْصُورُونَ {172} وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ

الْغَالِبُونَ {173} الصافات 171-173 وهو سبحانه كتب ما
يقدره فيما يكتبه فيه كما قال { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } الحج 70
قال ابن عباس إن الله خلق الخلق وعلم ما هم عاملون ثم قال
لعلمه كن كتابا فكان كتابا ثم أنزل تصديق ذلك في قوله { أَلَمْ
تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ
عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } الحج 70 وقال تعالى { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ
مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } الأنبياء 105
وقال للملائكة { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ
بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } البقرة 30
فالملائكة قد علمت ما يفعل بنو آدم من الفساد وسفك الدماء فكيف
لا يعلمه الله سواء علموه بإعلام الله فيكون هو أعلم بما علمهم
إياه كما قاله أكثر المفسرين أو قالوه بالقياس على من كان قبلهم
كما قاله طائفة منهم أو بغير ذلك والله أعلم بما سيكون من
مخلوقاته الذين لا علم لهم إلا ما علمهم وما أوحاه إلى أنبيائه
وغيرهم مما سيكون هو أعلم به منهم فإنهم لا يحيطون بشيء من
علمه إلا بما شاء³²⁶

قال تعالى { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ
يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } {105} إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ
عَابِدِينَ } {106} الأنبياء 105- 106 أى من بعد اللوح
المحفوظ يسمى ما يكتب في الذكر ذكرا كما يسمى ما يكتب فيه

³²⁶مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 382

كتابا كقوله عز وجل { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ } {77} فِي كِتَابٍ
مَّكْنُونٍ {78} الواقعة 77-78³²⁷

{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }

وقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } {الأنبياء 107} والله سبحانه أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم للناس رحمة وأنعم به
نعمة يا لها من نعمة³²⁸

فان الله بعث محمدا الي جميع الخلق وقال { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً } {الأعراف 158} وقال { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ } {سبأ 28} وقال تعالى { الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } {الفرقان 1} وقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } {الأنبياء 107} فاسم الناس و
العالمين يدخل فيه العرب وغير العرب من الفرس والروم
والهند والبربر³²⁹

المقالة الصحيحة لأهل السنة والجماعة والحق الذي يجب
اعتقاده أن الله سبحانه إنما أرسل رسوله رحمة للعالمين وان

³²⁷مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 211

³²⁸الجواب الصحيح ج: 1 ص: 76

³²⁹مجموع الفتاوى ج: 34 ص: 207

إرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة عامة للخلق أعظم من إنزال المطر وإطلاق البذر وإن يحصل بهذه الرحمة ضرر لبعض النفوس ثم إنه سبحانه كما قال قتادة وغيره من السلف لم يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليه ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا منه بل أمرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم وفي الحديث الصحيح حديث أبي ذر عن النبي يا عبادي إني حرمت الظلم علي نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا علي أتقي قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا علي أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد يسألوني فأعطيت كل إنسان منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئا إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط غمسة واحدة يا عبادي إنما هي أعمالكم ترد عليكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه وقال تعالى في وصف النبي الأمي { يَاأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ } الأعراف 157 وقال تعالى لما ذكر الوضوء { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } المائدة 6 فأخبر أنه لا يريد أن يجعل علينا من حرج فيما أمرنا به وهذه نكرة مؤكدة بحرف من فهي تنفي كل حرج وأخبر أنه إنما يريد تطهيرنا وإتمام نعمته علينا وقال تعالى في الآية الأخرى { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّثْلَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ } الحج 78 فقد أخبر أنه ما جعل علينا في الدين من حرج نفيا عاما مؤكدا فمن اعتقد

أن فيما أمر الله به مثقال ذرة من حرج فقد كذب الله ورسوله فكيف بمن اعتقد أن المأمور به قد يكون فسادا وضررا لا منفعة فيه ولا مصلحة لنا ولهذا لما لم يكن فيما أمر الله ورسوله حرج علينا لم يكن الحرج من ذلك إلا من النفاق كما قال تعالى { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } النساء65³³⁰

ارسال الرسول من اعظم الدلالة على كمال قدرة الله واحسانه

وقال تعالى { **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** } الأنبياء107 فمن محاسن الشريعة و ما فيها من الأمر بمصالح العباد و ما ينفعهم من النهي عن مفسدهم و ما يضرهم و أن الرسول الذي بعث بها بعث رحمة كما قال تعالى { **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** } الأنبياء107 و قد وصفه الله تعالى بقول { **وَإَكْتَبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ قَالَ عَدَايُ أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءَ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ** } 156 { **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ** } الاعراف156-157 فأخبر أنه يأمر بما هو معروف و ينهي عما هو منكر و يحل ما هو طيب و يحرم ما هو خبيث³³¹

³³⁰قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 183-184

³³¹مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 177 و الجواب الصحيح ج: 5 ص: 70

فان الله تعالى ليس كمثله شيء وليس امره لنا كامر الواحد منا
لعبدته وخدمه وذلك ان الواحد منا إذا أمر عبده فاما ان يأمره
لحاجته اليه او إلى الأمور به أو لحاجته إلى الأمر فقط فالاول
كأمر السلطان جنده بما فيه حفظ ملكه ومنافعهم له فان هداية
الخلق وارشادهم بالأمر والنهي هي من باب الاحسان اليهم
والمحسن من العباد يحتاج إلى احسانه قال الله تعالى {إِنْ
أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا } الإسراء7 وقال
{مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا} الجاثية15 والله تعالى
لم يأمر عباده لحاجته إلى خدمتهم ولا هو محتاج إلى أمرهم
وإنما أمرهم احسانا منه ونعمة أنعم بها عليهم فامرهم بما فيه
صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم وارسال الرسل وانزال الكتب
من أعظم نعمه على خلقه كما قال {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَالَمِينَ } الأنبياء107 وقال تعالى {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ } آل عمران164 وقال {يَا أَيُّهَا
النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ } 57 { قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ
فَلْيَفْرَحُوا } 58 { يونس57-58 فمن أنعم الله عليه مع الأمر
بالامتثال فقد تمت النعمة في حقه كما قال { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ
دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي } المائدة3 وهؤلاء هم المؤمنون
ومن لم ينعم عليه بالامتثال بل خذله حتى كفر وعصى فقد شقى
لما بدل نعمة الله كفرا كما قال { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ
كُفْرًا وَآحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ } إبراهيم28³³²

وأما منكروا النبوات وقولهم ليس الخلق اهلا ان يرسل الله اليهم رسولا كما ان اطراف الناس ليسوا اهلا ان يرسل السلطان اليهم رسولا فهذا جهل واضح في حق المخلوق والخالق فان من أعظم ما تحمد به الملوك خطابهم بأنفسهم لضعفاء الرعية فكيف بارسال رسول اليهم وأما في حق الخالق فهو سبحانه ارحم بعباده من الوالدة بولدها وهو قادر مع كمال رحمته فاذا كان كامل القدرة كامل الرحمة فما المانع ان يرسل اليهم رسولا رحمة منه كما قال تعالى **{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** **{ الأنبياء 107** وقال النبي انما انا رحمة مهداة ولان هذا من جملة احسانه الى الخلق بالتعليم والهداية وبيان ما ينفعهم وما يضرهم كما قال تعالى **{ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ }** آل عمران 164 فبين تعالى ان هذا من مننه على عباده المؤمنين فان كان المنكر ينكر قدرته على ذلك فهذا قدح في كمال قدرته وان كان ينكر احسانه بذلك فهذا قدح في كمال رحمته واحسانه فعلم ان ارسال الرسول من اعظم الدلالة على كمال قدرته واحسانه والقدرة والاحسان من صفات الكمال لا النقص³³³

الرسالة ضرورية في اصلاح العبد في معاشه ومعاده

وقال تعالى **{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }** **{ الأنبياء 107** والرسالة ضرورية في اصلاح العبد في معاشه ومعاده فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة فان الانسان مضطر الى الشرع

³³³مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 131

فانه بين حركتين حركة يجلب بها ما ينفعه وحركة يدفع بها ما يضره والشرع هو النور الذى يبين ما ينفعه وما يضره والشرع نور والشرع نور الله فى أرضه وعدله بين عباده وحصنه الذى من دخله كان آمنا وليس المراد بالشرع التمييز بين الضار والنافع بالحس فان ذلك يحصل للحيوانات العجم فان الحمار والجمل يميز بين الشعير والتراب بل التمييز بين الأفعال التى تضر فاعلها فى معاشه ومعاده كنفع الايمان والتوحيد والعدل والبر والتصدق والاحسان والأمانة والعفة والشجاعة والحلم والصبر والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وصلة الأرحام وبر الوالدين والاحسان الى المماليك والجار واداء الحقوق وإخلاص العمل لله والتوكل عليه والإستعانة به والرضا بمواقع القدر به والتسليم لحكمه والانقياد لأمره وموالاته أوليائه ومعاداة أعدائه وخشيته فى الغيب والشهادة والتقوى اليه بأداء فرائضه واجتناب محارمه واحتساب الثواب عنده وتصديقه وتصديق رسله فى كل ما اخبروا به وطاعته فى كل ما أمروا به مما هو نفع وصلاح للعبد فى دنياه وآخرته وفى ضد ذلك شقاوته ومضرتة فى دنياه وآخرته ولولا الرسالة لم يهتد العقل الى تفاصيل النافع والضرار فى المعاش والمعاد فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منة عليهم أن أرسل اليهم رسله وأنزل عليهم كتبه وبين لهم الصراط المستقيم ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الانعام والبهائم بل أشر حالا منها فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية وأسوأ حالا من الكلب والخنزير والحيوان البهيم وفى الصحيح من حديث أبى موسى رضى الله عنه عن النبى قال مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب أرضا فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير وكان منها أجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وانتفعوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقه فى دين الله تعالى ونفعه ما بعثنى الله به

فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به متفق على صحته فالحمد لله الذي أرسل إلينا رسولا من أنفسنا يتلو علينا آيات الله ويذكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة وإن كنا من قبل لفي ضلال مبين وقال اهل الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } الأعراف 43 والدنيا كلها ملعونة ملعون ما فيها إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة وأسس بنيانه عليها ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسل موجودة فيهم فاذا درست آثار الرسل من الأرض وانمحت بالكلية خرب الله العالم العلوى والسفلى وأقام القيامة وليست حاجة أهل الأرض الى الرسول كحاجتهم الى الشمس والقمر والرياح والمطر ولا كحاجة الانسان الى حياته ولا كحاجة العين الى ضوءها والجسم الى الطعام والشراب بل أعظم من ذلك وأشد حاجة من كل ما يقدر ويخطر بالبال فالرسل وسائط بين الله وبين خلقه فى أمره ونهيه وهم السفراء بينه وبين عباده وكان خاتمهم وسيدهم وأكرمهم على ربه محمد بن عبد الله يقول يا ايها الناس إنما أنا رحمة مهداة وقال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } الأنبياء 107 وقال صلوات الله وسلامه عليه إن الله نظر الى اهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وهذا المقت كان لعدم هدايتهم بالرسل فرفع الله عنهم هذا المقت برسول الله فبعثه رحمه للعالمين ومحجة للسالكين وحجة على الخلائق أجمعين وافترض على العباد طاعته ومحبته وتعزيره وتوقيره والقيام بأداء حقوقه وسد اليه جميع الطرق فلم يفتح لأحد إلا من طريقه وأخذ العهود والمواثيق بالايمان به واتباعه على جميع الأنبياء والمرسلين وأمرهم أن يأخذوها على من اتبعهم من المؤمنين أرسله الله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فختم به الرسالة وهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة وفتح برسالته أعينا عميا وأدنا صما وقلوبا غلقا

فأشرفت برسالته الأرض بعد ظلماتها وتألفت بها القلوب بعد شتاتها فأقام بها الملة العوجاء وأوضح بها المحجة البيضاء وشرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع ذكره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره أرسله على حين فترة من الرسل ودروس من الكتب حين حرف الكلم وبدلت الشرائع واستند كل قوم الى أظلم آرائهم وحكموا على الله وبين عبادهم بمقالاتهم الفاسدة وأهوائهم فهدى الله به الخلائق وأوضح به الطريق وأخرج به الناس من الظلمات الى النور وأبصر به من العمى وأرشد به من الغي وجعله قسيم الجنة والنار وفرق ما بين الأبرار والفجار وجعل الهدى والفلاح في إتباعه وموافقته والضلال والشقاء في معصيته ومخالفته وإمتحن به الخلائق في قبورهم فهم في القبور عنه مسؤولون وبه ممتحنون يؤتى العبد في قبره فيقال ما كنت تقول في هذا الرجل الذى بعث فيكم فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله جاءنا بالبينات والهدى فأما به واتبعناه فيقال له صدقت على هذا حبيبت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله نم نومة العروس لا يوقظه إلا أحب أهله اليه ثم يفسح له في قبره وينور له فيه ويفتح له باب الى الجنة فيزداد غبطة وسرورا وأما الكافر والمنافق فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فيقال له قد كنا نعلم ذلك وعلى ذلك حبيبت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله ثم يضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الانسان وقد أمر الله بطاعة رسوله في أكثر من ثلاثين موضعا من القرآن وقرن طاعته بطاعته وقرن بين مخالفته ومخالفته كما قرن بين اسمه واسمه فلا يذكر الله إلا ذكر معه قال ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } الشرح 4 قال لا أذكر إلا ذكرت معى وهذا كالتشهد والخطب والأذان أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلا يصح الاسلام إلا بذكره والشهادة له بالرسالة وكذلك لا يصح الأذان إلا بذكره والشهادة له ولا تصح الصلاة إلا بذكره والشهادة له ولا تصح

الخطبة إلا بذكره والشهادة له وحذر الله سبحانه وتعالى من العذاب والكفر لمن خالفه قال تعالى ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَكُمْ لَوْ آذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور 63 قال الامام أحمد رحمه الله تعالى أى فتنه هى إنما هى الكفر وكذلك ألبس الله سبحانه الذلة والصغار لمن خالف أمره كما فى مسند الامام أحمد من حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بعثت بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقى تحت ظل رحى وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه بقوم فهو منهم وكما ان من خالفه وشاقه وعاداه هو الشقى الهالك فكذلك من أعرض عنه واما جاء به واطمأن الى غيره ورضى به بدلا منه هو هالك أيضا فالشقاء والضلال فى الاعراض عنه وفى تكذيبه والهدى والفلاح فى الاقبال على ما جاء به وتقديمه على كل ما سواه فالأقسام ثلاثة المؤمن به وهو المتبع له المحب له المقدم له على غيره والمعادى له والمنابذ له والمعرض عما جاء به فالأول هو السعيد والآخران هما الهالكان فنسأل الله العظيم أن يجعلنا من المتبعين له المؤمنين به وأن يحيينا على سنته ويتوفانا عليها لا يفرق بيننا وبينها إنه سميع الدعاء وأهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه الطيبين الطاهرين³³⁴

إذا قال قائل فقد تضرر برسالته طائفة من الناس كالذين كذبوه من المشركين و أهل الكتاب؟

³³⁴مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 101-106

وقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } { الأنبياء 107

الأمور العامة التي يفعلها تكون لحكمة عامة و رحمة عامة

كإرسال محمد صلى الله عليه و سلم فإنه كما قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } { الأنبياء 107

فإن إرساله كان من أعظم النعمة على الخلق و فية أعظم حكمة للخالق و رحمة منه لعباده كما قال تعالى { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } آل عمران 164

وقال تعالى { وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ } { الأنعام 53

وقال { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } آل عمران 144

وقال تعالى { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا } إبراهيم 28

قالوا هو محمد صلى الله عليه و سلم فإذا قال قائل فقد تضرر برسالته طائفة من الناس كالذين كذبوه من المشركين و أهل الكتاب كان عن هذا جوابان أحدهما أنه نفعهم بحسب المكان فإنه أضعف شرهم الذي كانوا يفعلونه لولا الرسالة بإظهار الحجج و الآيات التي زلزلت ما في قلوبهم و بالجهاد و الجزية التي أخافتهم و أدلتهم حتى قل شرهم و من قتله منهم مات قبل أن يطول عمره في الكفر فيعظم كفره فكان ذلك تقليلا لشره و الرسل صلوات الله عليهم بعثوا بتحصيل المصالح و تكميلها و تعطيل المفاصد و تقليلها بحسب الإمكان

و الجواب الثاني أن ما حصل من الضرر أمر مغمور في جنب ما حصل من النفع كالمطر الذي عم نفعه إذا خرب به بعض البيوت أو إحتبس به بعض المسافرين و المكتسبين كالقصارين و نحوهم و ما كان نفعه و مصلحته عامه كان خيرا مقصودا و رحمة محبوبة و إن تضرر به بعض الناس و هذا الجواب أجاب به طوائف من

المسلمين و أهل الكلام و الفقه و غيرهم من الحنفية و الحنبلية و غيرهم و من الكرامية و الصوفية و هو جواب كثير من المتفلسفة³³⁵

التوحيد هو اصل الدين وهو أعظم العدل وضده الشرك وهو أعظم الظلم

قال تعالى { قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } الأنبياء 108 وقال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 وقوله { أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } الأعراف 29 أمر مع القسط بالتوحيد الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له وهذا أصل الدين وضده هو الذنب الذي لا يغفر قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } النساء 48 وهو الدين الذي أمر الله به جميع الرسل وأرسلهم به إلى جميع الأمم قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 وقال تعالى { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ } الزخرف 45 وقال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } النحل 36 وقال تعالى { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } الشورى 13 وقال تعالى { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } {51} وَإِنَّ هَذِهِ

³³⁵مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 9-93

أَمْتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ {52} {المؤمنون 51-52}

ولهذا ترجم البخارى فى صحيحه باب ما جاء فى أن دين الأنبياء واحد وذكر الحديث الصحيح فى ذلك وهو الإسلام العام الذى إتفق عليه جميع النبيين قال نوح عليه السلام {وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} {يونس 72} وقال تعالى فى قصة إبراهيم {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} {131} {وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ} {132} {البقرة 131-132} {وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ} {يونس 84} وقال تعالى {قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} {آل عمران 52} وقال فى قصة بلقيس {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {النمل 44} وقال {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ} {المائدة 44} وهذا التوحيد الذى هو اصل الدين هو أعظم العدل وضده وهو الشرك أعظم الظلم كما أخرجاه فى الصحيحين عن عبدالله بن مسعود قال لما أنزلت هذه الآية {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} {الأنعام 82} شق ذلك على أصحاب النبى وقالوا أينما لم يظلم نفسه فقال ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح إن الشرك لظلم عظيم وفى الصحيحين عن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم قال إن تجعل لله ندا وهو خفاك قلت ثم أى قال ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أى قال أن تزانى بحليلة جارك فانزل الله تصديق ذلك {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا} {الفرقان 68} الآية وقد جاء عن غير واحد من السلف وروى مرفوعا الظلم ثلاثة دواوين فديوان لا يغفر الله منه شيئا وديوان لا يترك الله منه شيئا وديوان لا يعبا الله

به شيئاً فأما الديوان الذى لا يغفر الله منه شيئاً فهو الشرك فإن الله لا يغفر أن يشرك به وأما الديوان الذى لا يترك الله منه شيئاً فهو ظلم العباد بعضهم بعضاً فإن الله لا بد أن ينصف المظلوم من الظالم وأما الديوان الذى لا يعبأ الله به شيئاً فهو ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه أى مغفرة هذا الضرب ممكنة بدون رضى الخلق فإن شاء عذب وهذا الظالم لنفسه وإن شاء غفر له³³⁶

محبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح للنفس

قال تعالى { قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } {الأنبياء 108} ومحبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح للنفس وهو عبادة الله وحده لا شريك له فلا صلاح للنفس ولا كمال لها إلا في ذلك وبدون ذلك تكون فاسدة لا صلاح لها ولهذا كان هذا هو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } {الأنبياء 25} وقد قال تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } {الذاريات 56} فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده وهي حقيقة قول القائل لا إله إلا الله ولهذا بعث الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب ولا تصلح النفس وتزكو وتكمل إلا بهذا ولفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب فلا بد أن يكون العابد محباً للإله المعبود كمال الحب ولا بد أن يكون ذليلاً له كمال الذل فمن أحب شيئاً ولم يذل له لم يعبده ومن خضع له ولم يحبه لم يعبده وكمال الحب والذل لا يصلح إلا لله وحده فهو الإله المستحق للعبادة التي لا يستحقها إلا هو وذلك يتضمن كمال

³³⁶مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 160-162

الحب والذل والإجلال والإكرام والتوكل والعبادة فالنفوس محتاجة إلى الله من حيث هو معبودها ومنتهى مرادها وبغيتها ومن حيث هو ربها وخالقها فمن آمن بالله رب كل شيء وخالقه ولم يعبد إلا الله وحده بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه وأخشى عنده من كل ما سواه وأعظم عنده من كل ما سواه وأرجى عنده من كل ما سواه بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله ويخشاه مثل ما يخشى الله ويرجوه مثل ما يرجو الله ويدعوه مثل ما يدعوه فهو مشرك الشرك الذي لا يغفره الله ولو كان مع ذلك عفيفا في طعامه ونكاحه وكان حكيما شجاعا³³⁷

فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ومن توهم ان المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه او ان الخروج عنها اكمل فهو من اجهل الخلق واصلهم وقال تعالى في المسيح {إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ} الزخرف 59 وقال تعالى {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} {19} يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} {20} {الأنبياء 19- 20} وقال تعالى {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا} النساء 172 الى قوله { وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} النساء 173 وهذا ونحوه مما فيه وصف اكابر المخلوقات بالعبادة ودم من خرج عن ذلك متعدد في القرآن وقد اخبر انه ارسل جميع الرسل بذلك

³³⁷الجواب الصحيح ج: 6 ص: 27

فقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } { الأنبياء 25 }³³⁸

الإسلام هو الإستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له

قال تعالى { قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } { الأنبياء 108 } فان التوحيد يكون من الله لنفسه فانه يوحد نفسه بنفسه كما قال تعالى { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } آل عمران 18 والقرآن مملوء من توحيد الله لنفسه فقد وحد نفسه بنفسه كقوله { أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ } { الأنبياء 108 }³³⁹

أن الإسلام دين و الدين مصدر دان يدين ديننا اذا خضع وذل و دين الإسلام الذى إرتضاه الله وبعث به رسله هو الإستسلام لله وحده فاصله فى القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه فمن عبده وعبد معه الها آخر لم يكن مسلما ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما والإسلام هو الإستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له هكذا قال اهل اللغة اسلم الرجل اذا استسلم فالاسلام فى الاصل من باب العمل عمل القلب والجوارح³⁴⁰

³³⁸الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 377 ومجموع الفتاوى ج: 10 ص: 177

³³⁹مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 355

³⁴⁰مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 271

قال تعالى { قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } {الأنبياء 108} ولفظ الإسلام يتضمن الاستسلام والانقياد ويتضمن الإخلاص مأخوذ من قوله تعالى { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } {الزمر 29} فلا بد في الإسلام من الاستسلام لله وحده وترك الاستسلام لما سواه وهذا حقيقة قولنا لا إله إلا الله فمن استسلم لله ولغير الله فهو مشرك والله لا يغفر أن يشرك به ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته وقد قال تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } {غافر 60} وثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ف قيل له يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا أفمن الكبر ذلك قال لا إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس بطر الحق جرده ودفعه وغمط الناس از دراؤهم واحتقارهم³⁴¹

ذمه في غير موضع من القرآن من تولى دليل على وجوب طاعة الله ورسوله

قال تعالى { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أُدْرِيَ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ } {109} { إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ } {110} { وَإِنْ أُدْرِيَ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ } {111} { 111-109 الانبياء } وقال تعالى { لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى } {15}

³⁴¹ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 454

الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى {16} الليل 15-16 أى كذب بالخبر وتولى عن طاعة الأمر وانما على الخلق أن يصدقوا الرسل فيما أخبروا ويطيعوهم فيما أمروا وكذلك قال فى فرعون {فَكَذَّبَ وَعَصَى {النازعات21 وقال عن جنس الكافر { فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى {31} وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى {32} القيامة 31-32 فالتكذيب للخبر والتولى عن الأمر وانما الايمان تصديق الرسل فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا ومنه قوله { إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا {15} فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً {16} المزملة 15-16 ولفظ التولى بمعنى التولى عن الطاعة مذكور فى مواضع من القرآن كقوله { سُدُّوعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنِ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا {الفتح16} ودمه فى غير موضع من القرآن من تولى دليل على وجوب طاعة الله ورسوله وان الأمر المطلق يقتضى وجوب الطاعة ودم المتولى عن الطاعة كما علق الذم بمطلق المعصية فى مثل قوله {فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ {16} المزملة 16³⁴²

الحكم يكون بمعنى الأمر الدينى ويكون الحكم حكما بالحق والتكوين والفعل

قال تعالى { قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ {الأنبياء112} والله سبحانه قد بين فى كتابه فى كل واحدة من الكلمات والأمر والإرادة والإذن والكتاب والحكم والقضاء والتحريم ونحو ذلك مما هو ديني موافقته لمحبة الله

³⁴²مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 60

ورضاه وأمره الشرعي وما هو كوني موافقة لمشيئته الكونية
مثال ذلك أنه قال في الحكم الكوني { قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا
الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ } الأنبياء 112³⁴³

قال تعالى { قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا
تَصِفُونَ } الأنبياء 112 فان الحكم يكون بمعنى الأمر الديني
وهو الأحكام الشرعية وقوله { ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ
{ الممتحنة 10 ويكون الحكم حكما بالحق والتكوين والفعل كقوله
{ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ } الأنبياء 112³⁴⁴

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق

قال تعالى { قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا
تَصِفُونَ } الأنبياء 112 وقوله { قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ
{ الأنبياء 112 يعنى والله أعلم انصر أهل الحق أو انصر الحق
وقيل افصل الحق بيننا وبين قومنا وكان الأنبياء يقولون { رَبُّنَا
اِفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ } الأعراف 89 وأمر محمدا أن يقول
{ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ } الأنبياء 112 وروى مالك عن زيد بن
أسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شهد قتالا قال
رب احكم بالحق³⁴⁵

³⁴³أمراض القلوب ج: 1 ص: 47

³⁴⁴مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 264

³⁴⁵مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 266

قل كما قالت الأنبياء رب رب

قال تعالى { قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } {الأنبياء 112} فالسؤال كقول السائل لله أسألك بأن لك الحمد أنت الله المنان بديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام وأسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك فهذا سؤال الله تعالى بأسمائه وصفاته وليس ذلك إقساماً عليه فإن أفعاله هى مقتضى أسمائه وصفاته فمغفرته ورحمته من مقتضى اسمه الغفور الرحيم وعفوه من مقتضى اسمه العفو ولهذا لما قالت عائشة للنبي إن وافقت ليلة القدر ماذا أقول قال قولى اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني وهدايتة ودلالته من مقتضى اسمه الهادى وفى الأثر المنقول عن أحمد بن حنبل أنه أمر رجلاً أن يقول يا دليل الحيارى دلنى على طريق الصادقين واجعلنى من عبادك الصالحين وجميع ما يفعل الله بعبده من الخير من مقتضى اسمه الرب ولهذا يقال فى الدعاء يارب يارب كما قال آدم { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } {الأعراف 23} وكذلك سائر الأنبياء وقد كره مالك وابن أبى عمران من أصحاب أبى حنيفة وغيرهما أن يقول الداعى يا سيدي يا سيدي وقالوا قل كما قالت الأنبياء رب رب واسمه الحى القيوم يجمع أصل معانى الأسماء والصفات كما قد بسط هذا فى غير هذا الموضوع ولهذا كان النبي يقوله إذا اجتهد فى الدعاء فإذا سئل المسئول بشيء والباء للسبب سئل بسبب يقتضى وجود المسئول فإذا قال أسألك بأن لك الحمد أنت الله المنان بديع السموات والأرض

كان كونه محمودا منانا بديع السموات والأرض يقتضى أن يمن
على عبده السائل³⁴⁶

لطائف لغوية

1- قال تعالى { وَتَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ } {93} فَمَنْ
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ
كَاتِبُونَ } {94} الأنبياء 93-94 قال الأئمة السعي فى كتاب الله
هو العمل والفعل كما قال تعالى { إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى } الليل 4
وقال تعالى { وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً } الإسراء 19 وقال تعالى { وَإِذَا
تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا } البقرة 205³⁴⁷

2- قال تعالى { وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ }
الأنبياء 95 لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب وأمثال هذه
الأمر التى فيها الحال والمحال كلاهما داخل فى الاسم ثم قد
يعود الحكم على الحال وهو السكان وتارة على المحل وهو
المكان وكذلك فى النهر يقال حفرت النهر وهو المحل وجرى
النهر وهو الماء ووضعت الميزاب وهو المحل وجرى الميزاب
وهو الماء وكذلك القرية قال تعالى { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً
كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً } النحل 112 وقوله { وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا
فَجَاءَهَا بِأَسْنَانٍ بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ } {4} فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ

³⁴⁶مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 207

³⁴⁷مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 261

بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ {5} الأعراف 4-5 وقال في آية
أخرى { أَقَامِنَ أَهْلَ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ
{ الأعراف 97 فجعل القرى هم السكان وقال { وَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلُكِنَاهُمْ فَلَا تَاصِرَ
لَهُمْ { محمد 13 وهم السكان وكذلك قوله تعالى { وَتِلْكَ الْقُرَى
أَهْلُكِنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَّوْعِدًا { الكهف 59 وقال
تعالى { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا
{ البقرة 259 فهذا المكان لا السكان لكن لا بد أن يلحظ أنه كان
مسكونا فلا يسمى قرية الا اذا كان قد عمر للسكنى مأخوذ من
القرى وهو الجمع ومنه قولهم قرية الماء في الحوض اذا جمعته
فيه ونظير ذلك لفظ الانسان يتناول الجسد والروح ثم
الاحكام تتناول هذا تارة وهذا تارة لتلازمهما فكذلك القرية اذا
عذب أهلها خربت واذا خربت كان عذابا لأهلها فما يصيب
أحدهما من الشر ينال الآخر كما ينال البدن والروح ما يصيب
أحدهما فقوله { وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ { يوسف 82 مثل قوله {
قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً { النحل 112 فاللفظ هنا يراد به السكان
من غير اضمار ولا حذف³⁴⁸

3- قال تعالى { وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلُكِنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ {
الأنبياء 95 والله تعالى له الخلق والأمر فلفظ الإرسال والبعث
والإرادة والأمر والأذن والكتاب والتحريم والقضاء والكلام
ينقسم إلى خلقي وأمري وكوني وديني وأما التحريم الكوني

³⁴⁸ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 163

مثل قوله { وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ } الأنبياء
95 (التوسع في هذا الموضوع الفرق بين الكوني والديني)³⁴⁹

4-قال تعالى { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ
يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } الأنبياء105 ولفظ العبد في القرآن
يتناول من عبد الله فأما عبد لا يعبد فلا يطلق عليه لفظ عبده
ونحو هذا كثير وقد يطلق لفظ العبد على المخلوقات كلها³⁵⁰

5-قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } الأنبياء107
فان الله بعث محمدا الي جميع الخلق وقال { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي
رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً } الأعراف158 وقال { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ } سبأ28 وقال تعالى { الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ
عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِّلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } الفرقان1 وقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } الأنبياء107 فاسم الناس و
العالمين يدخل فيه العرب وغير العرب من الفرس والروم
والهند والبربر³⁵¹

6-قال تعالى { قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ
مَا تَصِفُونَ } الأنبياء112 فالواصف ان لم يكن قوله مطابقا كان
كاذبا ولهذا انما يجيء الوصف في القرآن مستعملا في الكذب
بأنه وصف يقوم بالواصف من غير أن يقوم بالموصوف شيء

³⁴⁹الجواب الصحيح ج: 1 ص: 153

³⁵⁰مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 43

³⁵¹مجموع الفتاوى ج: 34 ص: 207

كقوله سبحانه { سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ } { الأنعام 139 } وَلَا
تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَنفْتَرُوا
عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ
{ النحل 116 } **قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى
مَا تَصِفُونَ { الأنبياء 112 } سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ**
{ الأنعام 100 } وقد جاء مستعملاً في الصدق فيما أخرجاه في
الصحيحين عن عائشة أن رجلاً كان يكثر قراءة قل هو الله
أحد فقال النبي سلوه لم يفعل ذلك فقال لأنها صفة
الرحمن فأنا أحبها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه
ان الله يحبه³⁵²

³⁵²مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 319

{ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }

###